

سنة البرق السابعة

١١٦٦ هـ / ١١٨٧ م : ١١٦٦ هـ / ١١٨٧ م

إختصار

الفتح بن علي السبكي

من كتاب

البرق السامي

للعقاد الكاتب الأصفهاني

تحقيق

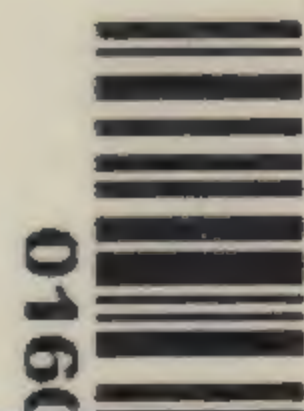
دكتورة فتحية النبراوي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة الأزهر

١٩٧٩

الناشر

دار الفكر - بيروت



0160

مكتبة الإسكندرية

Bib

شفا البرق الشامي

١٨٧/٥٥٨٣ م ١١٦٦/٥٥٦٢

اختصار

الفتح بن علي السبكي

من كتاب

البرق الشامي

للعماد الكاتب الأصفهاني

تحقيق

دكتورة فتحية النبراوي

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد

جامعة الازهر

١٩٧٩

الناشد

مكتبة الخابجي بمصر

حقوق إعادة طبع ونشر هذا المخطوط
محفوظة للمحققة

المحتويات

الأهداء

تقديم

الفصل الأول : التعريف بالمخطوط ومؤلفه ومختصره وخطة العمل

الفصل الثاني : نص المخطوط مع التحقيق والضبط

الفصل الثالث : الفهارس

محتويات المخطوط

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

قائمة المصادر والمراجع .

الإهداء

إلى شهداء العلم

إلى زوجتي الأستاذة الدكتورة سعد محمد فتحي أحمد

مع الصديقين والشهداء .

تقديم

أبدى المؤرخون المسلمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين اهتماما كبيرا بتسجيل أحداث الصراع بين الشرق والغرب ممثلا في الحروب الصليبية التي استمرت فترة طويلة تجرى أحداثها على أراضي الدول الإسلامية بينما كان تخطيطها وامتدادها وتمويلها تقوم به الدولة والكنيسة معا في أوروبا .

وتأتي أهمية الكتابات التاريخية الإسلامية لهذه الفترة من تاريخ الأمة الإسلامية من الحقيقة القائلة بأن كتابيها أو من بين كتابيها شهود عيان عاصروا الأحداث وعاشوها ، ولمسوا الموقف عن قرب ، كما كان من بينهم من شغل مناصب رسمية في الدولة مما أتاح لهم فرصة الاطلاع على الوثائق والأوراق الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات ، والخطابات المتبادلة بين حكام وأمراء المسلمين ، فاستخدموها وأفادوا منها .

وقد كان لأحياء حركة الجهاد المقدس وتعبئة الأمة الإسلامية بشريا وماديا وعسكريا لمواجهة الغزو الخارجي أثره في قيام المؤرخين المسلمين بدورهم في هذا المجال وتسجيل أحداثه ومن هؤلاء القاضي الفاضل ، والقاضي بهاء الدين بن شداد قاضي عسكر الجيش الصلاحي ، وأسامة ابن منقذ ، وابن الأثير ، وأبى شامة ، وابن واصل ، والعماد الكاتب الأصفهاني السكرتير الخاص لصلاح الدين ، والفتح بن علي البنداري الذي اهتم اهتماما بالغا بأعمال العماد الكاتب وقام باختصار معظمها ومن بينها المخطوط الذي بين أيدينا سنا البرق الشامي .

وتجب الإشارة الى أن الحركة الصليبية قد حظيت باهتمام مماثل من المؤرخين المسيحيين ، فكتبوا تاريخ هذه الحرب وسجلوا أحداثها ، ومن أشهر وأهم هؤلاء المؤرخين وليم الصوري أسقف صور ، وأنا كومنينا ابنة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس .

وهذا يفيد الباحث خاصة في دراساته المقارنة للمادة التاريخية التي تتيجها هذه المصادر مع المصادر الإسلامية لنفس الفترة ونفس القضية .

(ح)

وبالمقارنة حظيت الحروب الصليبية فى مطلع هذا القرن باهتمام بالغ من المشتغلين بالدراسات الشرقية فى جامعات أوروبا ، فقدموا العديد من الأبحاث القيمة حول تفاصيل الحركة الصليبية ومفهومها وتطورها ، والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين ، وبين المسيحيين فى أوروبا وأخوانهم الشرقيين فى بيزنطة ، وموقف المسيحيين الذين استقروا فى الأراضى المقدسة وبين أخوانهم القادمين من الغرب ، كما اعتنوا أيضا بنشر الكثير من المخطوطات العربية التى سجلت أحداث الحروب الصليبية . وسننا البرق الشامى واحدة من هذه المخطوطات الهامة التى تحتوى على كثير من التفاصيل القيمة عن الحروب الصليبية فى عصر صلاح الدين الأيوبي ، بل إنها بالأحرى تمثل تاريخا سياسيا لعصر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى كان أهم أحداثه النصر المؤزر فى حطين ، واسترداد بيت المقدس بعد أسر استمر ما يقرب من المائة عام .

وقد كانت هذه المخطوطة جزءا من رسالة الدكتوراه التى تقدمت لنيلها من جامعة كامبردج عام ١٩٧١ . وقد علق أحد الاساتذة الانجليز على هذه المخطوطة قائلا ، بأن ظهورها يعتبر كشف تاريخى هام . وائنى هنا اتقدم بالشكر والعرفان والامتنان لاساتذتى فى جامعة كامبردج وخص بالذكر منهم الاستاذ الدكتور روبرت سارجنت رئيس قسم الدراسات الاسلامية بكلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج ، واستاذى الدكتور مالكولم ليونز من كلية بمبروك الذى أبدى كثيرا من الاهتمام بهذا المخطوط ، مما ساعد على اخراجه الى النور .

وقد كنت أنوى اخراج هذا المخطوط وطبعه قبل ذلك ، لكن الظروف حالت بينى وبين تحقيق ما أردت فى الفترة الماضية ، واليوم أقدم للدارسين والقراء الأفاضل هذا العمل آملة أن تتحقق به الفائدة ، والنفع العلمى ، وادعو الله أن اتمكن من مواصلة العمل فى هذا المجال ، أسهما فى احياء التراث الاسلامى فى مجال التاريخ ذلك أن ثروة علمية هائلة ماتزال تحتاج الى جهد المخلصين من أبناء هذه الأمة العلماء لاخراجها لتروى النور وتروى ظمأ الباحثين عن الحقيقة .

والله أسأل التوفيق والسداد ..

فتحية الزيراوي

مدينة نصر ١٩٧٩/٤/٥

الفصل الأول

التعريف بالمخطوط وتاريخه

ومؤلفه ومختصره وخطة العمل في التحقيق

بين أيدينا نص مختصر لكتاب البرق الشامى للكاتب عماد الدين الأصفهاني السكرتير الخاص لصلاح الدين الأيوبي . وقد قام على اختصار البرق الشامى أحد مؤرخي القرن الثالث عشر وهو الفتح بن علي البنداري من رجال بلاط الملك المعظم عيسى حاكم دمشق .

والبرق الشامى الأصل يقدم تاريخا سياسيا لعصر صلاح الدين كتبه مؤلفه في سبع مجلدات ضاعت في معظمها ما عدا المجلدين الثالث والخامس واللذين تحفظهما لنا مكتبة البودليان في أكسفورد تحت رقم MSS

Bruce 11 Vol. 3 ورقم Marsh 425, Vol. 5

أما سنا البرق الشامى الذي يمثل ستة أجزاء من الأصل فقد عثرت عليه عام ١٩٦٧ في مكتبة السليمانية في استانبول برقم Ms. Asad Efendi 2249

وأمام الحقيقة القائلة بضياع البرق الأصل في معظمه يقف سنا البرق مكملًا ، وبديلا لهذا العمل الذي يعتبر من المصادر الأصلية لدراسة تاريخ صلاح الدين السياسى ، وتاريخ الفترة بصفة عامة ، لما لهما من أهمية في تاريخ الأمة الإسلامية فالقرن الثاني عشر الميلادي شهد اللقاء العسكرى بين الشرق والغرب ، بين المسيحية والإسلام ، ذلك اللقاء الذي خرج منه الإسلام منتصرا مظفرا ، بعد أن استطاع زعماء الجبهة الإسلامية أن يحققوا الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية للمنطقة ويجندوا القوة البشرية ليواجهوا بهذا جميعا الخطر الذي داهم أراضى الإسلام .

وأمامنا أن نلقى الأضواء على كاتبين الأول صاحب البرق الشامى الأصل وهو العماد الكاتب الأصفهاني ، والثاني الفتح بن علي البنداري الذي قام باختصار البرق تحت اسم سنا البرق الشامى .

عماد الدين الكاتب الأصفهاني ٥١٩ : ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ : ١٢٠١ م .

هو عماد الدين أبو عبد الله بن صفى الدين أبو الفرج محمد ابن نفيس الدين ، بن على بن محمود بن هبة الله المعروف بأله (١) الملقب بالكاتب الأصفهاني والمشهور بابن أخى العزيز ، ولد فى أصفهان عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وتوفى فى دمشق عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م .

قدم العماد الكاتب الى بغداد فى سن مبكرة حيث التحق بالمدرسة النظامية وتعلم بها ، وفى العراق تدرج فى وظائف الدولة حتى شغل منصب نائب الوزير ابن هبيرة فى البصرة ثم فى واسط . وعندما توفى الوزير عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م (٢) ، اعتقل العماد الكاتب دون ما سبب ظاهر الى أن أخلى سبيله الخليفة العباسى المستجد (٣) .

غادر العماد الكاتب العراق الى سورية ووصل دمشق عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م حيث استقبله قاضى المدينة كمال الدين الشهرزوى . وقدمه الى نور الدين محمود الذى أحسن اليه ، وعينه مدرسا فى المدرسة النورية (عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية) ، وظل يعمل بها الى أن توفى نور الدين محمود عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . وشغل العماد أيضا وظيفة كاتب الانشاء واستقطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح مشرفا على الديوان كله .

واتصل العماد بصلاح الدين الأيوبي بعد وفاة نور الدين محمود وكان لقاءه به فى دمشق حيث بدأ يظهر فى الحياة الثقافية فى المدينة . وقد كان لعلاقته الوطيدة بالقاضى الفاضل وزير صلاح الدين أثرها فى تقريب العماد الى نفس صلاح الدين الذى عينه نائبا للفاضل وقد كانت هذه الوظيفة هى التى عمقت الصلة بين الكاتب وصلاح الدين الأيوبي اذ سرعان ما أصبح العماد سكرتيرا خاصا له ، وقد كانت هذه الوظيفة هى التى مكنت العماد من الاطلاع على كثير من الوثائق والمكاتبات الرسمية للدولة مما يضمنى على كتابته وتاريخه أهمية بالغة .

(١) لفظة فارسية تعنى العقاب .

(٢) ابن خلكان . وفيات الاعيان . ج ٢ . ص ٣٢٦ وما بعدها . ويذكر ابن خلكان وفاة الوزير عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ وصحتها ما ورد بالنص .

(٣) انظر خريدة القصر . العراق ج ١ . ص ٣٦ ، ٣٧ .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي كرس العماد الكاتب حياته للعلم والكتابة حيث ألف أهم أعماله العلمية وهو البرق الشامي ، بالإضافة الى عدد آخر من المؤلفات .

وقد عرف العماد الكاتب كمؤرخ الا انه اشتهر بالكتابة وقد وصفه الفتح بن علي البنداري بذي البلاغتين . وكتب العماد كثيرة ومتنوعة منها الادبي والتاريخي والمعاجم وهي :

١ - البرق الشامي . (غير منشور) .

٢ - الفتح القسي في الفتح القدسي (منشور) .

٣ - خريدة القصر وجريدة اهل العصر وهذه من أهم مؤلفاته حيث كتبها في عشرة مجلدات وقسمها الى أربعة أقسام ، وكلها الآن محققة ومنشورة . القسم الأول يتضمن شعراء العراق والقسم الثاني يتناول شعراء الشام ، والثالث يتحدث عن شعراء مصر والرابع خصصه لشعراء المغرب (١) .

٤ - خطفة البارق وعطفة الشارق (رسالة) .

٥ - العتبي والعتبي (رسالة) .

٦ - نحلة الرحلة (رسالة) .

والأعمال الثلاثة السابقة اختصرها أبو شامة (٢) ، وذكرها كل من

(١) شعراء العراق تحقيق بهجت الأثرى في جزعين بغداد . ١٩٥٠ ، ١٩٦٤ .

شعراء الشام تحقيق شكري الفيصل في جزعين ، دمشق ١٩٥٥ ، ١٩٥٩ .

شعراء مصر تحقيق أحمد أمين ، وشوقي ضيف في جزعين القاهرة ١٩٥١ .

شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي . تونس ١٩٦٦ .

(٢) أبو شامة . الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، الطبعة الأولى ج ٢ ص ٢٣٣ ، ٢٤٥ .

ابن واصل (١) ، وياقوت الحموى (٢) ، والفتح البندارى (٣) والصفدى (٤) .
وبالإضافة الى ذلك قام العماد بترجمة كتاب فتور زمان الصدور
وصدور زمان الفتور من الفارسية الى العربية وهو عبارة عن مذكرات
الوزير خالد اتو شروان (٥) وكتاب كيميا السعادة للامام الغزالى (٦) .

٧ — نصرة الفترة وعصرة القطرة {٤٧ : ٥٨٢ هـ / ١٠٥٥ : ١١٨٦ م
وهذا عبارة عن تاريخ للدولة السلجوقية وقد اختصرها أيضا الفتح بن على
البندارى بعنوان زبدة النصرة ونخبة العصرة وقام على تحقيقها هوتسما ،
وفى هذا الكتاب اشارة البندارى الى اختصاره لكتاب البرق الشامى للعماد
الكاتب الأصفهانى .

أما كتاب البرق الشامى الذى يعتبر أهم أعمال العماد فليس لدينا منه
سوى الجزء الثالث ، والجزء الخامس وكان قد كتبه فى سبعة أجزاء بحيث
يتضمن تاريخ صلاح الدين الأيوبى وعلاقاته بالصليبيين فى الفترة من ٥٦٢ :
٥٨٩ هـ / ١١٦٦ : ١١٩٣ م وتظهر المادة التاريخية المأخوذة من هذا الكتاب
فى كتب المؤرخين اللاحقين لعماد الدين أمثال أبى شامة الذى يذكر بأمانة
ما نقل عنه ، ويورد أجزاء كاملة من البرق فى كتابه الروضتين ، ويمكن
القول انه فى غياب كثير من أجزاء البرق يقوم الروضتين بسد الفجوة وملء
الفراغ التاريخى الناتج عن ذلك .

كذلك استخدم ابن الأثير البرق الشامى دون أن يذكر العماد سوى مرة
واحدة فى كتابه الكامل فى التاريخ .

(١) ابن واصل . مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ٣ ص ١٥
وما بعدها .

(٢) ياقوت الحموى . ارشاد الأريب لمعرفة الأديب ج ٧ ص ٨٥ .

(٣) الفتح بن على البندارى . سنا البرق ص ٩ ، ١٣

(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ١ ص ١٤٠

CF : C. Brockelmann, GAL. Suppl. I. p. 549.

(٥) Th. Houtsma ; Recueil de Text Relatifs à L'Histoire

Des Seljoucides, II, p. 4. CF : AKS. Lambton, Anu Shurwan, E. I. 2.

(٦) أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين (الطبعة الأولى) ج ٢

ص ٢٠

M. Watt, Chazali. E. I. 2.

قارن :

وقد ذكر كل من ابن خلكان والصفدى وحاجى خليفة ان العماد كتب كتابه فى سبعة أجزاء ، بينما يذكر السخاوى فى جواهر الدرر ان الكتاب ألف فى تسعة أجزاء أما ياقوت فقد ذكر أنه كان يتكون من عدة أجزاء .

وقد ضاع البرق الشامى ما خلا الجزعين السابق الإشارة اليهما ، أما الجزء الثالث فهو ما زال مخطوطا .

ويحمل هذا المخطوط تاريخ ٦٨١ هـ كمام النسخ ويحتوى على ١٤٦ ورقة ، ويفطى أحداث الأعوام من ٥٧٣ : ٥٧٥ هـ / ١١٧٧ : ١١٧٩ .

وقد وصف الأستاذ جب هذا المخطوط فقال انه مخطوط صحيح وواضح (١) .

أما الجزء الخامس فيقع فى ١٤٠ ورقة ويناقش الأحداث بين عامى ٥٧٨ : ٥٧٩ هـ ١١٨٢ : ١١٨٣ م وقد ذكر جب ان هذا المخطوط قد أضيفت اليه بعض الإضافات فى تاريخ لاحق لتاريخ النسخ ، ولم تكن فى مجموعها صحيحة ، وأن عددا من صفحاته الأولى مفقود .

وقد ذكر فى تذكرة النوادر العثمانية ان نسخة أخرى لهذا المخطوط محفوظة فى مكتبة لينجراد ، الا أن الأستاذ كاهل ذكر فى دراسة قدمها عن البرق الشامى ان هذا المخطوط لا وجود له (١) .

كذلك أكد الأستاذ كريم الذى حقق الفتح القدسى انه طلب الى المسئولين فى مكتبة لينجراد ان يمدوه بنسخة من البرق التى أشارت اليها

(١) H.A.R. Gibb. al-Barq al-Shami, W. Z. K. M. 1953. pp. 95 — 102.

(٢) AL: Nadawi, Tathkirat al-Nawadir al-'Uthmaniyya., Haidar Abad, 1931, p. 81.

P. Kahle., «Eine wichtige Quelle zur Geschichte des Sultans Saladin», Die Welt Orients, Stuttgart, 1947, pp. 299 — 301.

النوادير العثمانية فكانت أجابتهم انهم لا يمتلكون مخطوطا للبرق الشامي (١) ،

وقد ثنى كراتشكوفسكى على هذا التأكيد بأن ليننجراد لا يوجد في حوزتها مخطوطا للبرق الشامي ، وانما يوجد بها مخطوط للفتح القدسي (٢) .

وقد ذكر سوفاجيه في مقدمته لتاريخ الشرق الاسلامي انه توجد مخطوطة للبرق الشامي في المغرب ، الا ان هذا القول لم يتأكد بعد ذلك ان سوفاجيه لم يذكر اسم المكتبة التي تمتلك هذا المخطوط (٣) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان كلا من كاهل وكريم قد قدما دراستيهما بعد سوفاجيه ولم يشر أيهما الى نسخة المغرب .

وقد ذكر لى الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ان هذه النسخة لا يحتمل وجودها في المغرب .

وأخيرا وجدت اشارة للبرق في كتالوج مكتبة ليدن برقم Cod or 1592 وقد أهدتني مكتبة ليدن (٤) هذا المخطوط ، واننى هنا أتقدم بالشكر والعرفان للعاملين فيها . وبدراسة هذا المخطوط ومقارنته خلصت الى النتيجة التالية :

ظل الاعتقاد سائدا بأن هذا المخطوط هو نسخة من البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني ، ولكن بدراسته ثبت لدى انه لا يمثل البرق بل

(١) J. Kraemer, Der Struz des Konigreichs Jerusalem, 583 — 1187. Weisbaden, 1952.

(٢) Catalogue of Arabic Mss. In Institute Narodov Moscow ; 1965.

لم يذكر هذا الكاتالوج شيئا عن البرق الشامي ، وانما ذكر البرق اليماني . (حقق عام ١٩٦٨) .

(٣) J. Sauvaget, Introduction to the History of Maslim East., Los Angeles, 1965, p. 63.

(٤) P. Voorhoeve, Hand list of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden, London, 1957, p. 42.

هو عبارة عن مقتطفات متفرقة من كتابات العماد وأشعاره بالإضافة إلى ما وقع فيه الناسخ من أخطاء كثيرة .

وقد امتازت كتب العماد بالافاضة والاطناب ، ولهذا قام على اختصارها عدد من المؤرخين والكتاب .

اختصر خريدة القصر وجريدة أهل العصر رضائي على بعنوان عسود الشباب ، وتوجد في مكتبة نور عثمانية برقم ٢٦٩ كما توجد نسخة أخرى لها في فينا برقم ٢٦٤ (١) .

كذلك اختصر الفتح القدسي مجد الدين طاهر محمد بن الفيروز أبادي الشيرازي وتوجد صورة له في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (٢) .

أما البنداري فقد قام باختصار وتهذيب تاريخ آل سلجوق وكذلك البرق الشامي .

الفتح بن علي البنداري :

ليس لدينا معلومات وافية عن الفتح بن علي البنداري سوى أنه من مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي الذين عملوا في بلاط الملك المعظم عيسى في دمشق ، وهذا يجعلنا لا نستطيع أن نقدم له ترجمة كاملة .

أما معلوماتنا عنه فنستقيها من أعماله التي قام بها وهي اختصاراته لكتب العماد الكاتب الأصفهاني وأهمها بطبيعة الحال المخطوط الذي بين أيدينا سنا البرق الشامي .

سنا البرق الشامي :

تضم المكتبة السلিমانيّة باستانبول النسخة الوحيدة من سنا البرق الشامي برقم اسد افندي ٢٢٤٩ .

N. Elisseff, Nur al-Din, I, p. 28.

(١)

(٢) نوّاد سيد . فهرس المخطوطات المصورة . ج ٢ ص ٢٦٨ .

ويقع سنا البرق في تسع وسبعين ورقة من القطع الكبير من ١٦٣ ب ؛
١٢٤٢ . وقد وجدته مجلدا مع كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
لجلال الدين السيوطي . وعلى الصفحة الأولى من المخطوط (كتاب حسن
المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة ويليها الجزء الأول من كتاب سنا البرق
الشامى لعماد الدين الكاتب الأصفهاني) ويبدأ بمقدمة كتبها البندارى ويذكر
انه انتهى من اختصاره للبرق عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م وباستعراض الموضوعات
الواردة في الأوراق الاثنتى عشر الأولى يتضح لنا عدم انتظامها وعدم تتابعها
ففى ورقة ١٦٤ ب يذكر وصول العماد الى الشام في ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ،
ويتبع ذلك وصول شاور الى دمشق عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ثم يذكر حملة
اليمن ، وفجأة يذكر موت نور الدين محمود ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

ويأتى خلال ذلك اشارة الى بعثة ابن القيسرائى الى مصر ويلى ذلك
مؤامرة عمارة اليمنى ضد صلاح الدين عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م .

وربما حدث ذلك خلال اختصار البندارى للنص ، او ربما وقع من الناسخ
خلال كتابته له في عصر لاحق .

وينتظم بعد ذلك المخطوط الى أن نصل الى الأوراق الثلاثة الأخيرة
منجد ان المادة التاريخية بها غير منتظمة ، وغير مترابطة .

والمخطوط على العموم مكتوب بخط غير جميل ، وهناك كثير من
الفجوات ، والأخطاء الاملائية ربما حدثت خلال النسخ وكان هدف التحقيق
هو تصحيح وضبط النص .

وقد شكى الفتح البندارى وغيره من المؤرخين صعوبة أسلوب العماد
وطوله واسهابه ، وتعقيدته .

فقد ذكر الصفدى أن شعره الطف من نثره لأنه أكثر الجناس فيه وبالغ
حتى يعود كلامه كأنه درب من الرقى والعزائم وقد عاب الناس ممن له ذوق
ونخلة سليمة كثرة الجناس لأنه دليل التكلف .

وقد ذهب أبو شامة نفس المذهب في وصفه لأسلوب العماد فقال بأنه مسهب مطنب يصيب الانسان الكلال والملل من قراءته .

أما ياقوت وابن خلكان فقد ذكرا ان العماد والقاضي الفاضل كانا يميلان الى التلاعب بالالفاظ مثال ذلك (سر فلا كبابك الفرس) ، (ودام علا العماد) ومثل هذه العبارات يمكن قراءتها من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين .

ومما هو جدير بالاشارة ان البندارى حين اختصر البرق كان أميناً ، ولم يحاول التغيير في الأسلوب والتزم بخطة واضحة طوال النص .

أما مصادر التحقيق فقد تمثلت بالضرورة في الجزعين الثالث والخامس من البرق الشامى الأصل وقد شكل هذان الجزءان مصدرا هاما من مصادر التحقيق خاصة في غياب نسخة أخرى تفيد في المقارنة .

كذلك كان للمقتطفات التى وردت في كتاب الروضتين لأبى شامة أهمية كبيرة فقد ملأت العديد من الفجوات وساعدت في ضبط الكثير من أجزاء النص وقد اعتبرت ما تبقى من البرق بالاضافة الى مقتطفات أبى شامة أصلا ثانيا للتحقيق .

هذا بالاضافة الى الاستعانة بالمصادر اللاحقة على البرق الشامى كالكامل في التاريخ لابن الاثير ، ومخرج الكروب لابن واصل ، والخطط لتقى الدين المقرئى ، وكلها قد أعاد كاتبوها من مؤلفات العماد الكاتب لا سيما البرق الشامى ، كذلك اعتمدت على بعض المصادر غير المنشورة كتاريخ ابن أبى الهيجاء ، والمسجد المسبوك ، ورسائل القاضي الفاضل ،

وتجب الاشارة الى ان البندارى ذكر في مقدمته انه سوف يذيل مختصره بمقتطفات من رسالتى العماد العقبى والعقبى ، وخطبة البارق وعطفه الشارق الا انه لم يفعل . وربما كان سبب ذلك انه لم يستكمل البرق ، فيقول العنوان الجزء الأول من سفا البرق الشامى ، أيما الى انه سيكون هناك جزء ثان ، ولكننا لم نعثر عليه .

الفصل الثاني

وما توفيقى إلا بالله

(١٦٣) لنا بعد حمد الله على نعم نافحة الرياض ، ومنح طائفة الحياض ، وترتع في سارحها ليلا ونهارا ، ونكرع في شارعها سيرا وجهارا ، ونلبس فضفاضتها سائغا ونرد غياضها سابغا ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الانام المظل من المجد على المغرب (١) والسنام ، الماحى بأنوار صبح هدايته ظلم ليالى الباطل المحلى بقلايد رسالته بحر الزمان العاقل وعلى آله وأصحابه مصابيح الرحمة ومجاديح (٢) الحكمة ومفاتيح الجنة .

فانى لما رايت ابلغ المراتب (٣) وانجح الوسائل الى خدمة مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم ابنى الفتح عيسى (٤) ابن السلطان الملك العادل ابنى بكر بن ايوب لا زالت سماء الجلالة موشحة بدرارى سيره الزاهرة ومطالع الاقبال منورة بأشعة مكارمه الباهرة ، والتمسك (٥) بعصم العلوم واهداب الآداب والتوسل باخراج درر الكلم من لجج الحكم الطامية العباب . حبست نفسى ووقفت نفسى مشيعا مآثر حضرته العالية ، سالكا مناهج الاخلاص فى السريرة والعلانية . فالجنان يضم المولاء النافع ، واللسان ينشر الثناء الشايع ، والبنان يحرر بل يجيز

(١) فى الأصل غير واضحة . اعلى مقدم السنام . . . قيل غارب كل شىء اعلاه . لسان العرب ١ - ٦٤٤ .

(٢) فى الأصل غير واضحة ومجاديح كما ضبطت يستقيم بها المعنى ، وتعنى نجوم كما ورد فى لسان العرب ٢ - ٤٢١ ومفردها مجدح .

(٣) فى الأصل : الموت .

(٤) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن ايوب صاحب دمشق ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ - ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ . كان حنفى المذهب بين افراد الأسرة الأيوبية . انظر ترجمته فى ابن خلكان ١ - ٥٠١ - ٥٠٢ . ومن الجدير بالذكر أن ابن خلكان لم يذكر شيئا عن البندارى رغم اشارته الى اهتمام الملك المعظم بالأدب والأدباء .

(٥) فى الأصل الواو ساقطة .

من مدحه الوشايح أفرغ وسع الاستطاعة جريا على مقتضى الخدمة والطاعة فيما يرجع بتخليد آثار بيته الكريم ، ويعود بأعلى صيته العظيم في نظم تطبق فضائله الآفاق وتملاً بمناقبه خراسان والعراق ، ونثر ينشر حلل معاليه في محافل السلاطين وأندية الملوك ، ويبث عرف أياديه وينظم عقد مساجيه مثل العنبر المفروك والجوهر المسلوك .

ولما ترجمت لخزائنه العالية كتاب شهنامة (٦) التي توجت فيه سير الملوك الاولين والسلاطين الاقدمين بغير مفاخرة وفضلت قلايد مناقبهم وعقود مكارمهم بزهر مآثره نظرت في الكتاب الموسوم بالبرق الشامي للامام السعيد عماد الدين الكاتب الاصفهاني فوجدت عماليه تتدفق (٧) بأنواع الفوايد، وكمايه تتفتق عن أنوار الفوايد ، تحتوى من البلاغة على إيكارها وعونها ، وتشتمل من البراعة على غررها وعيونها ، فيه من السير السلطانية الناصرية والعدلية وسائر الدوحة الكريمة الأيوية ما ينطبق على مثله كثير من الكتب المصنفة في التواريخ والسير القديمة منها والحديثة . لكنني وجدت درر مقاصدة مكنونة في بحار أسجاعة المتلاطمة الامواج ، ورأيت غرر فوايده مغمورة في غمار أوصافه المتتابعة الافواج ما بين قرابين تشابكت قرون لواحقها في أصلاء سوابقها ، وافانين تشاجرت فنون اغصانها في أرجاء حدايقها ، فشذبت شجيراتنا وادنيت جنا جنايتها لقاطفيها وجناتها ، واقتصرت منها على الفاظ هي كالمعارض لخرائد معانيها الرايقه ، وكالواسطة في قلايد قرابينها المتناسقة ، وكشفت أطباق حجبها بل استار سحبها عن محتلى درارى سماتها ، وأرحت قساطل خيلها وغياطل ليلها عن مطالع مسمياتها ، وتباشير اسمائها ولم احم من الكتب المنشأة في الوقائع المذكورة الا حول جهة من الكلم الجليلة الفاضلية ، ونبذ من الكتب البديعة العمادية سالكا مسلك الاختصار وناهجا منهج الاقتصار ثم وقفت له على رسالتين في ثلاث مجلدات وسم احدتهما بالعقبى والعقبى (٨) وهى مشتملة على ما جرى بعد الأيام

→ (٦) ملحمة تاريخية فارسية كتبها الفردوسي في ٣٩٠ هـ / ٩٩٠ م للسلطان محمود الغزنوي ترجمها الفتح البندارى الى العربية . انظر دائرة المعارف الاسلامية : مقال شهنامة .

(٧) في الأصل : أنواء .

(٨) واحد من أعمال العماد التاريخية . تسمى أيضا عقبى الزمان في عقبى الحدثان . انظر خريدة القصر . القسم العراقي ١ ٤٨ - ٤٩ .

الصلاحية مدة ثلاث سنين ، ووسم الثانية بخطفة البارق (٩) وهى محتوية على
الوقايح التى جرت من مفتتح سنة ثلاث وتسعين الى رمضان سنة سبع
وتسعين وفيها تصرمت أيامه (١٠) رحمه الله .

(١١٦٤) / فرأيت أن (١١) أذيل بما أنتخبه منهما هذا المختصر لاثتمالهما
على طرف من السير الكريمة العادلية انار الله برهانهما ولع من مطالع انوار
دولة السلطانتين العادلين مولانا الملك الكامل (١٢) ومولانا الملك المعظم خلد
الله سلطانهما واعز انصارهما واعوانهما ونقف في مدايحهما الزاهرة
ومحامدهما الباهرة ونبذ من احوالهما في مفتتح جلالهما ومقبل اقبالهما وريعان
سلطانهما وعنفوان شأنهما خدمة منى للمواقف الكريمة والعتبات العالية
وقضاء لبعض حقوق نعمهما العائدة البادية واياديهما الراححة العادية وسميته
سنا البرق الشامى واستعنت في ذلك وفي جميع امورى بالله سبحانه وتعالى
وهو حسبى ونعم الوكيل .

قال الامام العالم ذو البلاغتين عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد
ابن حماد الكاتب الاصفهانى رحمه الله في صدر كتابه الموسوم بالبرق
الشامى .

وبعد فان الكريم من عرف حق المنعم عليه وشكر فضل المحسن اليه
واذا خدم مخدوما أوجد كرمه بذكره وان صار معدوما وعرف من بين ما (١٣)
عرفه ما كان مكتوما ومن استكفانى بالانشاء لتنفيذ اوامره في حياته كافية
بالاحياء في انشاء مفاخره في مماته وهو الملك الناصر صلاح الدنيا والدين
أبو المظفر يوسف بن أيوب رحمه الله . فانى صحبتته فكان خير مصحوب ،
وخطبت وده فالفيتة الآن مخطوب ، ولما انقضى عصره وانقضت عمره

(٩) خطفة البارق وعطفة الشارق وهى ايضا من الأعمال المفقودة .
انظر دائرة المعارف الاسلامية مقال عماد الدين . رغم انها لا تشير الى
هذين العاملين الا أنها تقدم مختصرا لحياة وأعمال العماد الأخرى . انظر ابن
خلكان . وفيات الأعيان ج ٩٧٢ وما بعدها .

(١٠) المقصود بها عماد الدين الكاتب الاصفهانى .

(١١) اضافة يقتضيها سياق الجملة .

(١٢) أبو المعالى محمد بن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر

الدين توفى في ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م انظر وفيات الأعيان ٢ — ٦٥ : ٧٠ .

(١٣) اضافة يقتضيها السياق .

خشيت أن ينقرض ذكره فأنشأت هذا الكتاب واعطيته من البلاغة حظا وأعزته من الفصاحة لحظا وافتكرت وابتكرت صياغته معنى ولفظا وسميته البرق الشامي لأنى وصلت في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائه في دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سقى الله عهده عماد الرحمة فصادت الدولة في أيامه والأيام الصلاحية الى السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين متناسقة (١٤) المحاسن وهيبتها بطيبتها مستمرة على حسناتها مستقرة ، ثم التفت فإذا هي كبرق ومض وطرف غمض وما أسرع ما انقضت وانقرضت تلك الليالى والأيام والشهور والأعوام .

وقد انقضت تلك السنون — وأهلها فكانها وكأنهم أحلام . قال وأنا أقدم في هذا الكتاب ذكر نبذا من أحوالى مع السلطان ثم ابتدئ بذكر معرفتى به وخدمتي (١٥) له وأصف مبادئ دولته الى أن وصل الى الشام وحضرت خدمته ، وأصف سيره كل سنة وآتى بشرح حسناته بكل حسنة .

قال : ولم يزل قلبي (١٦) لسيفه مشاركا وللكه مداركا هذا للرزق وذاك للأجل ، وهذا للأمن وذاك للوجل . وكان السلطان يعتمد على قلبي (١٧) وينصر كتابته وهو يقول : الحمد لله الذى لم يضع على العماد اعتمادى وحاط الى سداده سداى ثم ما وفى أحد بعهده ونائى بعهده من بعده فأتى سمرت معانى معاليه بالفاظى الفاضلة وخلدت ذكره فى مصنفاتى الى قيام الساعة وأحييت ذكره بالوفاء بعد الوفاة وأهديت له حياة ثانية بعد الحياة . ولما نقله الله الكريم الى جناب جناته واقتسم (١٨) أولاده ممالكه قلت يسلكوا مسالكه وينسكوا مناسكه وانهم يعرفون مقدارى ويرفعون منارى ويشرحون صدرى ولا يضعون قدرى فأخلف الظن حتى قطعوا رسومى ومنعوا مرسومى وغوروا منابعى وكدروا مشارعى . قال ومما كتبه

(١٤) فى الأصل « متناسبة » وكذا يستقيم المعنى .
(١٥) اتصلت خدمة العماد الأصفهاني بالسلطان صلاح الدين فى عام ١١٧٥ هـ — ١١٧٥ م .

(١٦) يعتبر عماد الدين من شهود العيان الذين صاحبوا صلاح الدين فى كل غزواته كما يقول العماد نفسه والمركة الوحيدة التى تغيب عنها كانت وقعة الرملة .

(١٧) هذا يوضح مكانة العماد الرسمية فى الدولة الصلاحية .

(١٨) إضافة الجوار هنا يقتضيها السياق .

في كتاب يتضمن شكوى الحال ما نحتال ما غصبت أملاكه ونصبت
أشراكه إشراكه فكتبت الى المولى الأجل الفاضل في فصل يسلم فيه على
ولدى القاضى الولد مقل العين ويحييه الى أن تصل القبل الى اليدين وإلى
أن يسر والده اذ هما في الفضل ثانی اثین وما أجسن قول سيدنا غصبت
أملاكه أملاكه ونصبت اشراكه اشراكه واستحسننت ازدواج هاتين الكلمتين
ووقعنا مفي بموقع بمشاركتي له في المكروهين قال وتمام هذا الفصل من
الكتاب الفاضلى وقد شرح من احواله واعتزاله وصبره واحتماله وتلطفه
في تجويز الوقت واحتياله وشكره لقوم لا على ايصال مالهم اليه ولكن على
ايصاله الى ماله ما ذكرنى بابن (١٩) حيوس (٢٠). وقد مظه صاحب دار الوكالة
ببيع بضاعة له .

مضى الكرماء صانوا ماء وجهى بجنود لا يرفق بالسؤال
وما انا بعد هم في الناس ابغى كريما يشترى حمذى بمالي (٢١)

قال وما كتبه الى الأجل الفاضل في شكوى الحال قصيدة منها :
دمشق تقصيد عظمى بعرقبه اي عرقبه
اخفاقة لرجائي فيها وللقلب خفاقة
أقمت فيها وحيدا كالسدر ضيقه حقيقه

(١٩) في الأصل حتى زائدة .

(٢٠) هو الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس
الغنوي الدمشقي . أحد الشعراء الفحول ولد بدمشق عام ٣٩٤ هـ . وكان
شاعر أنوشتكين وإلى دمشق ثم اتصلت بعد ذلك خدمته بالمرداسيين وعاش
في ظلهم وتوفي عام ٤٧٣ هـ . وله ديوان كبير . انظر ابن خلكان وفيات
الأعيان ٢ - ١٢ - ١٦ . انظر الخريدة - العراق . ج ٢ - ١٩٩ - ٢٠٠ .
انظر أيضا مقدمة ديوان الشاعر ج ١ ص ٥ وما بعدها .

(٢١) ورد هذان البيتان في ديوان ابن حيوس كالتالي :

مضى الكرماء صانوا ماء وجهى
بمنا بذلسوه عن ذل السؤال
وما انا بعدهم في الناس ابغى
كريما يشترى شكري بمبالي

انظر الديوان ج ٢ - ٦٨

ذكر الوصول الى الشام في سنة اثنتين وستين وخمسمائة

قال : وصلت الى دمشق في أيام جلاء (٢٢) حسنهما وانجلاء (٢٣) حزنها وغناه افتنانها (٢٤) بالاغاريد وانتشاء انشائها بالاناشيد فقدمتها في أطيب زمان ونزلت من المدرسة التي وليتها في أحسن مكان . وكان ملكها والذي يتولى ممالكها الملك العادل نور الدين أبو القاسم (٢٥) محمود بن زنكى أعف الملوك وانتقامهم واثقهم وانتقامهم وأصلحهم عملا وانحجهم املا وارجحهم رأيا واوضحهم آيا (٢٦) . وهو الذى اعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام فاستفتح معقلها واستخلص عقايلها وكانت للفرنج في أيام غيره على بلاد الشام قطايع فقطعها وعقلى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مسرارا حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم ومان الثغور منهم وحماها عنهم وأحيا (٢٧) معالم العلوم الدوارس وينا لمذاهب السنة والجماعة المدارس وانشأ الخانات للصوفية وكثرها على كل بلد وكثر وقوفها وأجد الأسوار والخنادق وأمر فى الطرقات ببناء الربط والخانات وهو الذى اعلان على فتح مصر واعمالها وانشأ (٢٨) دولتها (٢٩) ورجالها .

وكان صلاح الدين أحد خواصه وأخلص ذوى استخلاصه ولد نجم الدين أيوب من اكابر امرائه لا يفارقه راكبا في ميدانه ولا جالسا في ايوانه يقف على رأسه ووالده من جلase وقد اقتدى به في جميع ما اتصف به من التقى والعفة والنزاهة والنباهة وآداب الملك واحكام السلطنة فتلقت منه مبادئ النخيرات ثم جاوز بها في أيامه الغايات .

وكانت بيننا وبين نجم الدين أيوب معرفة قديمة من تكريت حيث كان

(٢٢) في الأصل : جلا .

(٢٣) في الأصل : انجلا .

(٢٤) في الأصل : الالف الاولى ساقطة .

(٢٥) أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر الملقب بالملك العادل نور الدين . انظر ترجمته في الوفيات . ابن خلكان ٢ — ١١٥ .

(٢٦) انظر الروضتين ٢ — ١ — ١ — ٢٠ .

(٢٧) في اصل وأحيا .

(٢٨) في الأصل : بانشأ . (٢٩) دولته .

بها واليا وسببه ان عمى العزيز (٣٠) أحمد بن حامد ، رعه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (٣١) في قلعة تكريت اشفاقا عليه من قصد من صار في منصبه فجد في نصيبه وبذل فيه ثلثمائة الف دينار ليعتقل ويحضر هو ما بذله ويعجل فمال الى المال وسير العزيز الى تكريت برسم الاعتقال وذلك في سنة خمس وعشرين وخمسمائة فسعى ذلك الوزير في قتل السلطان بالسهم واجلس اخاه طغرل في السلطنة وتفرد بالحكم فعلق رهن العزيز وداب مرارا الى تكريت من يباشر قتله فلم يقبل واليهما نجم الدين خدعه وقتله وتولى اخو الوالى أسد الدين شيركوه صوته ولم يزل في حمايته وعونه (٣٢) . قال وسمعت أسد الدين في سنة اثنتين وستين وهو يحكى الى نصرته لعمى فلما كنت جالسا في المحراب يوما عنده وهو يقرأ من القرآن ورده فسمعت هاتفا يقول : قد جعلك الله عزيزا كما دافعت عن العزيز فالتفت الى وقال : أعمل واعلم . قال أسد الدين : فمن ذلك اليوم سمت همتي وتمت عزمتي وبدهاء عمك العزيز طمعت في مصر وأن أصير عزيزها وحرصت على أن املكها وأحرزها .

ذكر سبب وصولي الى دمشق

قال : وكان انصرافي من بغداد ووصولي الى الشام لا لقصد احد من الكرام ولكن استوحشت هناك لفارط أعجز الاستدراك وذلك أن الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة (١) مال لفضله الى فضلى واقتطعنى

(٣٠) أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله عزيز الدين المستوفى توفى في ٥٢٦ هـ . كان متولى خزانة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه . انظر ترجمته في ابن خلكان ١ — ٧٥ أيضا انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٣٦ حاشية رقم ٤ . انظر أيضا الخريدة عراق ج ١ — ٧ ، ٨ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢٧٦ عن وظيفة المستوفى وعمله انظر ابن ممتى قوانين الدواوين ٣٠١ .

(٣١) أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقى الملقب مغيث الدين أحد الملوك السلاجقة . انظر وفيات الاعيان ابن خلكان ٢ — ١١٤ — ١١٥ .

(٣٢) واو الاضافة ساقطة في الأصل .

(١) أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد ابن الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمرو بن هبيرة . تولى الوزارة في ٥٤٤ هـ — ١١٤٩ وكان عالما فاضلا وله كتب منها الافصاح عن شرح المعانى الصحاح وهو ١٩ مجلدا . وكتاب المقتصد . انظر ابن خلكان ٢ — ٣٢٦ — ٣٣٣ وقد ذكر ابن خلكان وفاته في ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ بينما ذكرها ابن الاثير في ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ . قارن ابن الاثير . تاريخ الاتابكة ص ٢٣٥ ؛ انظر الخريدة — عراق ١ — ٩٦ — ٩٨ .

اليه وولاني نيابته بالبصرة تارات وبواسط كرات وعرفت به فلما توفي في سنة ستين أقيمت بغداد بعده وكل من هو اليه منسوب مكبوت ومكبوب وما طرقتني بحمد الله آفة ولا عرتني مخالفة وأنا الى الفقهاء منقطع وبالمناظرة وبالمباحثة معهم منتفع ، ومنهم فقيه من أهل دمشق يصف طيب رياضها وبهجة جواهرها وأعراضها وصحة هوائها وقلة أمراضها فراقنتني معرفته وشاقتني صفته فقلت أجعلها سنة فرجة واسافر لاسفار صبحي بسري دلجه واقصد ايناس قلبي وتنفيس كربى ورافقتني وما فارقتني حتى وصل بي الى قرب دمشق فانقطع عنى وساء بعد الاحسان به ظنى فلم أدر في أى مطار طار والى أى مصير صار فبقيت غريبا وحيدا ولقيت من استيحاشي هما شديدا وقلت لأصحابي : أضربوا لى خيمة عسى أن نعرف احدا يسدى يدا فقد رضينا بمصيف ومقيل بلا مقيل وظل ولو انه غير ظليل . وقد نمت خبرى الى بعض الصوفية فدخل الى القاضى كمال الدين ابى الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى (٢) وهو يومئذ قاضى دمشق وقال له فلان قد ورد البلد فبيننا نحن فى تحير وتفكر وتوهج وتسعر اذ جاء خواص القاضى وحجابه وعدول مجلسه ونوابه يعتذرون عن تأخره لأم (٣) اناله وانه يخفى عنك سؤله ويقول انزل حيث تختار النزول فأثرت النزول بالمدرسة فنزلت فى المدرسة التى انا الآن مدرستها وترددت الى القاضى فى محافل علمه ومجالس حكمه واستدللت واعترضت فى الأصول والفروع على الأئمة الفحول . وعرف / (١٦٥) الأمير نجم الدين بالوصول فبعثته معرفة العم العزيز على التعرف بى فبكر الى منزلى لتبجلى وتحقيق تأملى واستقبلته وأسرعت الى بساط الأدب فقبلته وخدمته بهذه القصيدة فى اواخر شوال سنة اثنتين وستين وأخوه أسد الدين شيركوه وولده صلاح الدين يوسف قد توجهوا فى هذه السنة الى مصر وهى النوبة الثانية . قلت وأول القصيدة :

يوم النوى ليس من عمرى بمحسوب ولا الفراق الى عيشى بمنسوب

(٢) هو ابو الفضل محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد القاسم الشهرزورى الملقب بكمال الدين ولد فى ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ وتوفى فى ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م تولى القضاء بدمشق لكل من نور الدين وصلاح الدين . انظر ابن خلكان ١ — ٥٩٧ — ٥٩٩ .

(٣) فى الأصل لام .

لم انس انسى بكم والشمل مجتمع وعيشتى ذات تطريز وتذهيب
ارجو اياي اليكم ظافرا عجلا فقد ظفرت بنجم الدين ايوب
ومنها في ذكر اخيه وابنه وما تفرس فيهما من ملك مصر وقد تم ذلك
بعد سنتين .

غدا يشبان في الكفار نار وغي بلفحها يصبح(٤) الشبان(٥) كالشيب
ويستقر بمصر يوسف وبه تقر بعد التئاني عين يعقوب
ويلتقي يوسف فيها باخوته والله يجمعهم من غير تريب
فأرجو الاله فعن قرب بنصرته سيكشف الله بلوى كل مكروب

فصل

قال : كان شاور وزير مصر في أيام العاضد قد وصل الى دمشق في
سنة ثمان وخمسين يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول ملتجأ الى نور
الدين فنصره على عدوه وسير معه أسد الدين شيركوه يوم الخميس العشرين
من جمادى الأول سنة تسع وخمسين على قرار عينه وأمر بينه فمضى معه
ونصره واسترد له موضعه واعاده الى مجلس عادته وأظهره بعدوه فلما
تمكن من منصبه قال الأسد الدين : اذهب فقد وقع عنك الغنى وغدر بعهد
وأخلف في وعده فأنف أسد الدين وأقام يتأسد ويبرق ويرعد . وكان شاور
قد شاور الفرنج وهداهم في حرب الاسلام النهج فوصلوا بحميتهم وجمرتهم
فتحصن شيركوه ومن معه بمدينة بلبيس وشاور في جنود مصر وحشودها
والفرنج في قوامصنها وكنودها . حاصروه ثلاثة اشهر فيها وهو يحميها
حتى فلت جدودهم وملت جنودهم فبذلوا(٦) له قطيعة يأخذها منهم وينفصل
عنهم وكانت المحاصرة في مستهل شهر رمضان الى مستهل شهر ذى الحجة .

قال : وفي تلك السنة اغتتم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم
 واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف ورزقه الله الانتقام منهم وقتلهم
واسرهم ووقع في الاسار ابرنس انطاكية وقومص طرابلس وابن جوسلين
ودوك الروم وذلك الحادى العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين
وتسلم منهم بانياس . وعاد أسد الدين الى الشام وجرى على عادته في

(٤) في الأصل كلمة « يصبح » غير منقوطة .

(٥) في الأصل « الشان » وكذا يستقيم المعنى .

(٦) في الأصل — فبدنو .

خدمة نور الدين وفي قلبه من شر شاوور الاحن وكيف تمت بتقديره تلك المحن (٧) الى ان دخلت سنة اثنتين وستين وخمسائه فجمع وسار في امل ووصل في سادس شهر ربيع الآخر الى اطفيح وعبر منها الى الجانب الغربى واناخ بالجيزة واقام عليها نيفا وخمسين يوما على محاذاة مصر واستعان شاوور بالفرننج واستنجد بالكفر وفسح لهم في طروق الديار وجوس خلال الامصار ورتبوا لهم بالقاهرة سوقا واشاعوا كفرا وفسوقا وعبر بهم من البلاد الغربية الى الغرب وساقوا لموافقته على الحرب فلما عرف اسد الدين عبورهم رحل قدامهم فقتلوا منه في موضع يعرف بالبابين فعبى صفوفه واطال في الملتقى وقوفه وحشا قلبه باثقاله وجماله وطبوله واعلامه ووقف جانبا برجاله وابطاله وظنوا انه في القلب فحملوا عليه وفلوه وبغوا الى ذلك الجمع وغلبوه واسد الدين بهزل من القلب وساق اكثرهم وراء المنهزمين ووقف الباقيون وقوف المغيرين . وكان صلاح الدين واقفا في صحبه في ابطال من حربه فاغتتم خلو العرصه وانتهاز بدو الفرصة وحمل على القوم وهم المقدمون فكسروهم واسروهم وركب اكتاف فتاكهم واعرى بيضه وسمره بهلاكهم وكان فيهم ملكهم وقد كاد يدركه ويدركهم . واجتمع الى صلاح الدين من المفلولين (٨) جماعة فما شعروا الا بالفرننج من وراء المنهزمين عايده وكان ملك الفرننج في نفريسير وشاور معه وكاد يظفر به العسكر الاسلامى لكن الأصحاب / (١٦٥ ب) رأوا الفرننج عايده اشتغلوا بهم وقتلوا منهم ومن تبعهم من المصرية الوفا وضايقوهم وأوسعوهم حتوفا وحصل سبعون فارسا من فرسانهم (٩) في الاسار وقيدوا في خرايم الذل والاقتسار ولما تمت لصلاح الدين النصرة اقام وجمع الفل وجاء عمه اسد الدين وساروا بمن معهم الى الاسكندرية ودخلوها ووجدوا مساعدة أهلها وحلوها ثم قال اسد الدين : انا لا يمكننى أن احصر نفسى وجماعتى في البلد فأخذ العسكر وسار الى بلاد الصعيد واستولى عليها وجبى خراجها وصام بها واقام الى انقضاء العيد ، واقام صلاح الدين بالاسكندرية متحصنا بها .

واما شاوور والفرننج فما كانت لن سلم منهم قوة ولا نهضة وراء القوم مرجوة فعادوا الى القاهرة وصمموا على قصد الاسكندرية فحاصروا صلاح

(٧) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٣٧ .

(٨) في الأصل — غير منقوطة .

(٩) في الأصل غير واضحة وارجح ذلك وهو ما يقتضيه السياق .

الدين ودام الحصار شهورا فما زاد المحصور على الحاصر الا ظهورا وبلغ الحصار اربعة شهور وقوى اسد الدين بقوص واستنهض لقصد القوم العموم والخصوص فسمح الفرنج ذلك فرجعوا عن الحصار للخوف والاستشعار مما هو عليه من الاستظهار . وكان شاور قد استمال جماعة من التركمان الذين كانوا معه بالدينار . فلما راسلوه في المهادنة اجاب الى القرار وطلب منهم عوض ما غرمه فبذلوا له خمسين الف دينار ورجع صلاح الدين من الاسكندرية فقفلوا الى دمشق ودخلوها بكرة يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة وعادوا الى عادة السعادة من الخدمة النورية والحسنى والزيادة .

قال : ولما دخل اسد الدين الى دمشق عسرف خبرى فحضرت عنده للسلام وتلقانى بالاكرام والاحترام وكان يجلس كل ليلة للافاضل واكثر حديثه معى فى تقرىظ عمى العزيز وتأبينه ووصلنى بمعرفته ومعروفه وخصنى من عموم بره بصنوفه فخدمته بهذه القصيدة ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وستين .

بلغت بالجـد مالا يبلغ البشر ونلت ما عجزت عن نيله القدر
اسكندر ذكروا اخبار حكمته ونحن فيك راينا كل ما ذكروا
ورستم خبرونا عن شجاعته وصار فيك عيانا ذلك الخبر
يستعظمون الذى ادركته عجباً وذاك فى جنب ما ترجوه محققـ

قال : واتصلت بينى وبين صلاح الدين مودة ولم يزل يستهدينى نظمى ونثرى وأول ما خدمته بهذه الكلمة قلت ومن سردها :

نار قلبى لضيف طيفك تبدو كل ليل فيهتدى ويزور (١٠)
كيف يصحو من سكره مستهام مزجت كأسه الحسان الحور
أورثته سقامها الحلق النجل واهدت له النحول الخصور
ولكم عودة الى مصر بالنصر على ذكرها تمر العصور
فاستردوا حق الامامة ممن خان فيها (١١) فانه مستعير

قال : وكان صلاح الدين فى خدمة نور الدين المساعد والمعين وبهذه المعرفة السالفة من الاسلاف خصصت منه أيام دولته بالاسعاد والاسعاف .

(١٠) أبو شامة يضيف — كيف قلت بمقلتيه فتور واراها بلا فتور تجور

قارن الروضتين (٢) ١ ٢ — ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(١١) يقصد هنا ان تسترد حقوق الخلافة العباسية السنية ممن

خان ويقصد الخلافة الفاطمية الشيعية فى القاهرة .

تذكر دخولي في خدمة نور الدين

قال : عرفني اليه القاضي كمال الدين الشهرزوري ورغبه في استثنائي وقرر لديه من حساب آمالى مالم يكن في حسابى . وقال : لا بأس بان تكتب اليه أبياتا ونحن نرجوا لك في دولة ثباتا وفي (١) روضته نباتا فانشأت هذه القصيدة وعرضت من جانب القاضي وهى التى أولها :

لو حفظت يوم النوى عهودها ما مطللت بوصلكم وعودها
ماذا جنت قلوبنا حتى غدا في النار من شوقكم خلودها
لم أنسها اذ نثرت دموعها في خذها ما نظمت عقودها
اذ قربتني للسوداع نحوها فبان في وصلها صدودها
كأسهم الرامى متى قربها يكون في تقربها بعيدها

(١٦٦) / قال فرتبني في ديوانه منشيا وذلك لاستقبال سنة ثلاث وستين قال : ودخلت سنة ثلاث وستين ورحل الملك العادل نور الدين رحمه الله وإقام بجمص اياما ، ورتب بها اسبابا واحكاما ، وخرجت معه وراه ورحلت معه الى حماه وانزلني أسد الدين شيركوه في حماه وضرب لى خيمة بقربه وانا أمضى كل يوم الى الديوان مبكرا ومما أقدم عليه فمن خدمة لا دربة لى بها مفكرا على ان أهل ديوانه ينظروننى شذرا ويعدون كثير ما عندى من الفضل نذرا وكنت اظن ان صناعة الكتابة لا سيما الانشاء صعب حتى قرأت كتب الامصار والمراسلات الواصلة من سائر الاقطار فوجدتها في غاية من الركة وياليتها كانت بعبارات معسولة فتجسرات على الكتابة وغيرت تلك الأوضاع الوضيعة واخترعت أسلوبا ما عرفوه والفت مصنوعا ما الفوه ووفيت بالبلاغتين ، ونفيت الغشى عن الصياغتين ، وكتبت الى الأعاجم وصارت نواب ديوانه يستغربون ويستهزئون ويهمزون وأرشدتهم من ضلالتهم فحككت نسج المسدراه وما سلكت نهج المماراه حتى جرى بسكونى وسكوتى قلمى وعلا بمنار علمى علمى ورجعوا الى واجتمعوا على وانا على مر الجديدين اتجدد في بناء النباهة واجلوا باسرارى اسارير وجه الوجاهة وزاد نور الدين دنوى نورا وملأت صبح دولته ووجه مملكته بما أمله أسفارا وسفورا وتأكدت رغبته وتمهدت محبته وتكررت موهبته .

ولما اراد قصد حلب حل أسد الدين شيركوه قبله بأيام فوصى بى ابن اخيه صلاح الدين وترك الخيمة المضروبة لى بما فيها من جميع الآلات فاقمت مدة مقامه ارافقه ولا افارقه حتى مضى نو الدين الى حلب ونزل في

(١) واو ساقطة في الأصل يقتضيها هنا السياق .

قلعتها وشتى في ذروتها ونزلت في مدرسة ابن العجمي وكان الشتاء كالبحا
يابسا ووجه الدهر عابسا وكنت اتردد الى صلاح الدين في منزله واستترس
اليه في تفاصيل املى وجمله واستدعي (١٢) منى أن اعمل له أبياتا في الشوق
يرصع بها كتبه الى من يشتاقه ويحبه فمنها ما نظمته له :

وحرمة الود الذى بينا ومالنا من كرم العهد
ما نقضت عهدى لكم جفوة ولا احوالت حالة ودى
ولا تفيرت ويأبى الهوى ذلك في قرب وفى بعد

عاد الحديث الى ما تجدد لنور الدين قال : وافق ان صاحب منبج ابن حسان
ارتكب العصيان فبعث اليه من حاصره وانتزعها منه ثم تمكن عنه وتوجه
اليها لتهديب احوالها وترتيب اعمالها وسار منها الى قلعة نجم (٢) وعبر
الفرات الى الرها وانتظم بأمره أمرها وكان بها قطب الدين يغال بن حسان
عم غازى صاحب منبج فنقله اليها مقطعا وواليا واعاد ذلك الصفح باياله
حاليا واقام بها مدة في قلعتها قال ومحدثه بهذه الكلمة وتحجب لى في عرضها
عنده صلاح الدين قلت ومن هذه الكلمة قوله :

ماصين عنك الصين لو حاولوها والمشرقان فكيف منبج والرها
مالملوك لدى ظهورك رونق فاذا بداشمس الضحى خفى السها (٤)

قال : وعدنا الى حلب في شهر رجب وضربت خيمة نور الدين في رأس
الميدان الأخضر ، وكان مولعا بضرب الكرة وربما دخل الظلام فلعب بها
بالشموع ويركب صلاح الدين مذكرا كل بكرة وهو عارف بأدابها في
الخدمة وشروطها المعتبرة . واقطعه في تلك السنة ضيعتين احدهما من

(٢) في الاصل استرعى .

(٣) قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ريبض عامر وعندها
جسر يعبر عليه وهى المعروفة بجسر منبج ، وتعبر على هذا الجسر القوافل
من حران الى الشام ، معجم البلدان ٣ — ٨٦٠ ، ٤ — ١٦٥ .

(٤) قصيدة طويلة جاءت في الروضتين تتضمن هذين البيتين وتبدأ
كالتالى :

أدركت من الزمان المنتهى وبلغت من نيل الأمانى المنتهى

الروضتين (٢) ح ١ — ٢ ص ٣٨١ — ٣٨٢

ضِياع كفر طاب(ه) مدكين والاخرى من ضياع حلب وزردنا(٦) وزعم أنه بلغ به المنتهى في المنى .

ذكر أسد الدين والانعام عليه بـحمص

قال : ولما كان ثغر حمص اخطر الثغور تعين أسد الدين لحماية وحفظه ورعايته لتفرده بجده واجتهاده وبأسه وشجاعته فانعم نور الدين عليه بها فسار اليها وضبط امورها وكان / (١٦٦ ب) نور الدين قد جدد سورها وسأله في السلو عن حب مصر وشروط على نفسه الحمل في كل سنة وكان لما اراد أسد الدين الانفصال عن الديار المصرية وصلاح الدين عن الاسكندرية اجتمع الكامل بن شاور بشهاب الدين محمود خال صلاح الدين وقال له : أوصل الى نور الدين سلامى وعرفه شغفى بخدمته وغرامى وانا اتوسط فى جمع الكلمة ورد هذه القلوب المتبددة الى عقود القلوب المنتظمة ، واتكفل بئها احمله من مالى على وجه الهدية اقصد بها سلامة البلاد والرعية فلما وصل شهاب الدين محمود اعاد على نور الدين مقالته وذكر سؤله وسؤاله وسأله مكاتبة الكامل والرضا بما التزم به التزام الكافى وكان دخوله اليها يوم الاربعاء ودخلناها يوم الخميس .

ذكر توجه فخر الدين شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من مصر الى بلاد اليمن مستهل رجب سنة تسع وستين

قال كان فخر الدين أكبر اخوة صلاح الدين وقد شاع صيت مروته ، وكان لا يفى موجود مصر بجوده ورأى ان حظيه من قوص منقوص ولم يرضه أرض تضيق عن سما سماحته فسمت همته وتصممت عزيمته ، وكان بمصر شاعر من اليمن يقال له عمارة(١) ولم يزل يمدحه ويكثر فيه

(٥) بلدة بين المعرة ومدينة حلب فى برية معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الأمطار فى الصحاريج . . . معجم البلدان ٤ - ٢٨٩ .
(٦) فيما يتعلق بهزم النقطة أنظر تاريخ ابن الهيجاء مخطوط برقم (٩٤٥ تاريخ) ورقة (١٥٥ ب) نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .
وقد وردت فى الأصل وزدنا ويبدو انها زردنا وهى بليدة من نواحي حلب الغربية - معجم البلدان ٢ - ٩٢٤ .

(١) عمارة اليمنى وهو الفقيه أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على ابن زيدان بن أحمد الحكيم اليمنى الملقب بنجم الدين . وصل مصر فى خلافة الفائز فى ٥٥٠ هـ ووزارة الصالح بن رزيك وقد كان فقيها شافعيا . انظر ابن خلكان وفيات ١ - ٤٧٥ - ٤٧٧ انظر أيضا الروضتين (٢) - ٢ - ٥٧٢ وذكره أيضا ياقوت فى مواضع كثيرة فى معجمه .

المدح ويحثه على ملك اليمن ويرغبه فيه . ولما اشتد عزمه واحضر مسكره ورحل مستهل رجب ووصل السير بالسرى وفلا الفلا وجاز اجوازها وغازا بالوصل الى مكة ثم خلف وراءه غور الأرض ونجدها وحجازها واستقل بسعادته ونحا البيد نحو زبيد (٢) فغلب عليها وقبض على عبد النبي الخارجي وسلمه الى نايبه الأمير سيف الدولة المبارك بن منقذ فرأى ان مصلحة الملك في هلكه فأرداه وشمس الدولة غايب ، ومضى الى عدن وفيه ياسر وخرجوا من البلد الى الصحراء للقتال فغلبوا ونهبوا ثم ولى عدن الأمير عز الدين عثمان (٣) الزنجيلي (٤) واستنابه وفتح القلاع ومنح ملكا عظيما وفتح اقليما وأفترع بكرا وخلف ذكرا .

قال : واما سيف الدولة ابو الميمون المبارك بن كامل بن منقذ المستناب في زبيد فانه كان من الكرماء الكفاه وذوى الآراء والدهاء والحمس الكماة ولم يزل بشيمته متكرما وبحسن الذكر متوسما دأبه آدابه والفضل شهره والأفضال صنعه ومن شعره .

لما نزلت الدير قلت لصاحبى	قم فاخطب الصهباء من شماسه
فأتى وقي يمناه كآس خلتها	مقبوسة في الليل من قبراسه
وكان ما في كأسه في خده	وكان ما في خده من كأسه (٥)

قال : وفي هذه السنة كان تسير نور الدين المهذب ابا الحسن على ابن عيسى بن النقاش الى الديوان العزيز للأعلام بمسير شمس الدولة الى اليمن لأخذها والبشارة بكسر الروم ثانية وفقدهم كلان وكان قديما اسيرا عند نور الدين من نوبة حارم وفداه بخمسة وخمسين الف دينار وخمسمائة وخمسين ثوب اطلس وهو اسير (٦) معه اسراء في الروم وذلك في شعبان سنة تسع وستين .

قال : وكان المهذب النقاش كنعته مهذبا وبآرائه للدول مرتبا ، وهو من اهل بغداد وقد سافر الى الشام وشاع صيته بالفضل لا سيما في علم

(٢) مدينة مشهورة باليمن بازائها ساحل غلافقه وساحل المنذب . معجم البلدان ٢ - ٩١٥ - ٩١٦ .

(٣) في الأصل : عثمان .

(٤) في الأصل : - الزنجارى . هكذا كما ضبط تسمية المصادر العربية منها انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ ٥٥١ وأيضا مفرج الكروفي * ١ ٢٤٣ ، ٢ - ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ ٥٥٥

(٦) في الأصل : سير .

الطلب ومعرفته ونفق عليه (٧) نور الدين وأقطعه ضيعة وملكه أخرى ، وكل طبيب في الشام يستحجج الآن بأنه تلميذه ، وعرض جباهه وتقاصر عنه اثباته ونجح سعيه لنور الدين في مرضاته ونجح سؤله للفوز بمرضاته وصار له عنده قبول وخروج دخول ورأى مقبول (٨) وسمى بالنجاح مكفول فندبه نور الدين في هذه السنة للسفارة .

قال : وكلف نور الدين في هذه السنة بإفادة اللطاف والزيادة في الاوقاف وتكثير الصدقات ، وتوفير النفقات وتعفير آثار الأيام واسقاط كل ما يدخل تحت شبه الحرام . وأمر تكتب مناشير لجميع البلاد بإطلاق الأطراف من الرسوم والتلاد فما أبقي سوى الجزية والخراج وما يحصل من قسمة الغلات على قوائم المنهاج . وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في تلك الأشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار من الذهب الأحمر قال : وكان إذا أمر بصدقة غلة أو ذهب تقدم خازنه باحضار جماعة من أمثال البلد وعدوله من أهل كل محلة فيقول لكل واحد : كم تعرف في جوارك من ذى اضافة (٩) وصاحب فاقه / (١٦٧) ومستحق ومقتر ومعييل وغيرهم فيقول : اعرف كذا وكذا فيسلم اليه صدقات أولئك الأعداد حتى يستقرىء بالسؤال جميع الحاضرين من الأمجاد ثم يأتيه كل منهم ثبت بما فرقه .

قال : وكان يرسم نفقته الخاص في كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألفي قرطيس صرفه في كسوته ونفقته ومأكوله ومشروبه وحوائجه المهمة حتى اجسرة خياطه وخيطه وابرته وجامكية طباخه وقدره ومغرفته من ذلك المقرر المعين النزر ثم يستفضل ما يتصدق به في آخر الشهر ويفضه على المساكين وأهل الفقر . وأما ما يهدى له من الثياب والألطف والبرود (١٠) والأفواف (١١) وهدايا الملوك من المناديل والسكاكين والمهاميز (١٢) والدبابيس وكل كثير وقليل ودقيق وجليل لا يتصرف في شيء منه بل يعرض بنظره عنه

(٧) في الأصل : على .

(٨) كذا . معقول بالأصل .

(٩) في الأصل : اضافة .

(١٠) البرود . البرد من الثياب . البرد ثوب فيه خطوط . وخص

بعضهم به الوشى . والجمع أبراد وأبرد وبرود . لسان العرب ٣ — ٨٧ .

(١١) الأفواف جمع فوف . يقال برد أفواف وحلة أفواف بالاضافة

والفوف ثياب رفاق من ثياب اليمن موشاه . لسان العرب ٩ — ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(١٢) المهاميز عصي واحدها مهزة . وهى عصا رأسها حديدية وتجمع

ايضا مهامز ، لسان العرب ٥ — ٤٢٥ .

واذا اجتمع يخرج به الى مجلس القاضى ليحصل اثمانها الموفورة ويصرفها في
عمارة المساجد المهجورة . وأمر باحصاء ما في محال دمشق من مساجد
هجرت وخربت فأفاق على مائة مسجد وموضع يتبرك به ومشهد فأمر
بعمارة ذلك كله وعين له وقوفاً وأدنى له من جهات استثمارها قطوناً . قال :
ولو اشتغلت باحصاء وقوفه وصدقاته في كل بلد لطلال الكتاب ولم ابلغ الى
أمد ومشاهدة ابنيته الدالة على خلوص نيته يغنى عن خبرها بالعيان ،
ويكفى اسوار البلدان فضلاً عن المدارس والربط . وواظب على عقد
مجالس الوعظ واكبرهم قطب الدين النيسابورى وهو شغوف ببركة
انفاسه . ووفد من بغداد ابن الشيخ ابى النجيب الاكبر ونصب له في كل
اسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه لفظه ، وكذلك وفد اليه الفقيه شرف الدين
عبد المؤمن بن شوروة ونال منه الحظوة وما ايمن تلك الايام وأبرك تلك
الشتوة .

قال : وفي يوم الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على العادة
وكنا نحن في ايوانه وكل منا متفرغ لشغله آخذ في شأنه فجاءنى من اخبرنى
ان نور الدين نزل الى المدرسة التى تتولاها وبسط سجاده في قبلتها لسنة
الضحى (١٣) وصلّاها فقيمت في الحال فلقيته في الدهليز خارجاً لما رأتى توقف
فقلت له : ان الموضع قد تشرف اما تراه انه من ايام الزلزلة كيف تشعث
فقال : نعيده الى العمارة ، ثم حملت اليه وجوه سكر وشيئا من ثياب وطيب
وعنبر وكتبت معها .

عند سليمان على قدره	هدية للنمل مقبولة
لا تقصر الملوك عن نملة	عندك والرحمة مأمولة
رقى مولانا وملكى له	وذمتى بالشكر مشغولة (١٤)

قال : ورأى محراب المدرسة غير مفصصة فنفذ لعمارتها مفصصاً

(١٣) قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى
ونوم على وتر . صحيح البخارى ٣ - ٢٣٢ - ٢٣٣ . وصلاة الضحى
ركعتان وعن عقبة بن عامر قال : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نصلى الضحى بسورتىها والشمس والضحى . وقتها من ارتفاع الشمس
الى الاستواء . صحيح البخارى ٣ - ٢٣٢ .

(١٤) انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٥٧ حيث يضيف أبو شامة ،
وكيف يقضى الحسق نومنة ضعيفة بالعجز معلولة
وانما شسيمة مولى السورى ظاهسرة بالتفسير مجبولة

مذهبة وذهباً ثم حم مقدور حمامه دون اتمامه . ووقعت الى الموصل فرأيته ليلة في المنام يقول : ما يعود الى المدرسة معناه فقلت ان المدرسة قد استنبت فيها من يتولاها فقال : الصلاة فلما انتهت (١٥) عرفت انه أشار الى المحراب وانه الآن على هيئة (١٦) الخراب فكتبت الى الفقيه الذي كان الذهب عنده مودعا ان يشرع في عمارته مسرعاً فلما عدت الى دمشق في الأيام الصلاحية دخلتها يوم فراغ الصانع من عمارة المحراب وفزت من الغنيمة بحسن الاياب .

نكر تفويض شحنة (١) دمشق

الى القاضي كمال الدين الشهرزورى رحمه الله

قال : ولما اسقط نور الدين الجهات المحظورة عزل الشحن وصرف عن الرعية بصرفهم المحن وقال للحاكم (٢) انظر أنت في العوادي وما يجرى فيها من الدعاوى وميز بين المحاسن والمساوىء واحمل الامور فيها على الشريعة فرتب على بابه حاجبه ابا نصر وأمره بما يصلح في كل أمر وحمل للخزانة من عنده من الاطلس مائة ثوب واراد الخالص فلم يخل من ثوب ، ولم يكن كمال المواريث الحشرية (٣) حاصل ولا لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل من الحشرى للقاضي كمال الدين فوضحت حواده (٤) وصحت مواده وكان من قبل لا يخلو الحشرى من وصية يثبت محضرها وقضية يحرر موردها ومصدرها ، ودين يدعى وجانب يرعى فلما صار ثلثه للقاضي ازال نوابه نوابيه وصرفوا عنه شاييه ووفروه وكثروه واعذبوا عده / (١٦٧) وأعزروه وما كان نور الدين يحاسب القاضي على الوقوف وقال : أنا قد قلدته ان يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفها يأمره في بناء الاسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذة الاوامر منتظمة الامور .

(١٥) في الأصل انتهيت وكذا يجرى السياق .

(١٦) في الأصل : هياه .

(١) الشحنة وظيفة يقسم المكلف بها بالجمع أحياناً بين الحكم والقضاء ، وقد فسر لسان العرب الشحنة كالتالي — شحنة الكورة من فيهم من الكفاة لضبطها من أولياء السلطان انظر لسان العرب ٣ — ٢٣٤ .

(٢) القاضي كمال الدين .

(٣) الأموال والممتلكات التي يموت أصحابها دون وصية وليس لهم وارث تعود الى الدولة انظر قوانين الدواوين ٣٤٥ حيث يقول المواريث التي ترتد الى الديوان لعدم وجود وارث شرعى لها .

(٤) في الأصل — حواد .

عاد حديث مصر وما دبره صلاح الدين قال : ولما رُمى رسول (٥) نور الدين وهو الموفق خالد أطلعته على كل ما فيه ، أحصى له الطريف والتالد وقال : هؤلاء الاجناد فأعرضهم واثبت أخبارهم وتأمل اعتبار اقطاعاتهم ومقادير واجباتهم ولا يضبط مثل هذا الاقليم (٦) الا بالمال العظيم ، وشرع في جمع مال يسيره ويحمله بجهد ويبدله وقال : الموارد مشفوهة والشدايد مكروهة وحصل لخالد ما لم يحصل في خلده وجاء مطرف غناه اضعاف متلده .

قال : واجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية (٧) وتوازروا وتزاورا واعتقدوا منية عادت عليهم بالعقبى منية ، وعينوا الخليفة والوزير ، واحكموا الراى والتدبير وكان عمارة اليمنى الشاعر فيهم عقيدهم ودعا للدعوة قريتهم وبعيدهم وكانوا قد ادخلوا عدة من انصار الدولة الناصرية في جملتهم وكان الفقيه الواعظ زين الدين على بن نجا يناجيهم فيما زين لهم من اعمالهم ويدخلهم مطلقا على احوالهم فجاء واطلع صلاح الدين على فسادهم وطلب ما لابن كامل الداعى من العقار والدور وكل ماله من الموجود والمذخور فبذل له صلاح الدين كل ما طلبه وامره بمخالطتهم فصار امرهم يقوى وحديث حادتهم يروى فأمر صلاح الدين باحضار مقدميهم واعتقالهم لاقامة السياسة فيهم . وصلب يوم السبت ثانى شهر رمضان جماعة منهم عمارة ورجل يعرف بالعويرس وآخر يعرف بعبد الصمد وآخرون وانقطع حديثهم وهلك جريرهم (٨) وبعيئهم . وكان منهم داعى الدعوة ابن عبد القوى وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه وخفايا السر ورموزه فهلك دون اخفائها وباد ولم يسمح بابدائها وبقيت تلك الخزائن مدفونة وتلك الدفائن مكنونة وقد دمن دافنها وخزن تحت الثرى خازنها الى ان يأذن الله فى الوصول اليها والاطلاع عليها .

قال وهذه لمع من شعر عمارة فمنها قوله فى قصيدة :

ملك اذا قابلت بشر جبينه فارقته والبشر فوق جبينى
واذا لثمت يمينه وخرجت من ايوانه لثم الملوك يمينى

(٥) ساقطة فى الأصل — الضبط من الرضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٥١ .

(٦) فى الأصل — الاقاليم .

(٧) المقصود هنا انصار الدولة الفاطمية .

(٨) نسبة الى جرير الشاعر — هو أبو حرزة بن عطية بن الخطفى واسمه حذيفه من فنحول شعراء الاسلام توفى فى ١١٠ هـ — انظر ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢٧ : ١٣٠

ومنها قوله في شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من قصيدة .

لى في هوى الرشاء العذرى عذرا لم يبق لى مذ اقر الدمع ازكار (٩)
لى في القدود وفي لثم الخدود وفي ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت به او لا فدعنى وما أهوى واختار

اول كتاب فاضلى من صلاح الدين الى نور الدين : ادام الله تعالى
سلطان المولى الملك العادل نور الدين وحرس من النعم ما خوله وانهضه
بالامر الذى حمى من الكدر منهله وصان من البغير منزلته ومنزله
ولا زالت الأيام مطاياها الى بلوغ الامانى والكتب تتفتح اليه بمعانى التهاني
وزمانه مسفرا عن نيل المراد في اهل الاحاد واقامة حدود الله فيهم بالغرامات
الشداد والسيوف الحداد .

قال : وأمر نور الدين ولده الملك الصالح اسماعيل يوم عيد الفطر
واحتفلنا لهذا الأمر وغلقت محال دمشق أيما وبنيت القصور طباقا وكل
منهم رتب المغانى بأغاني وطيب الأوطان بتهادى التهاني وعاش معبد (١٠)
والغريض (١١) وشاع النشيد والقريض واتفق الطهر في أيام الورد وعصر
طرده للبرد .

قال : ونظمت في الهناء بالطهر والعيد قصيدة أولها .

عيدان فطر وطهر قسريب ونصر كلاهما لك فيه حقا هناء وأجر

(٩) أورد ابن الأثير هذه الأبيات كالآتي :

لى في هوى الرشاء العذرى عذار لم يبق لى مذ اقر الدمع انكار
لى في القدود وفي لثم الخدود وفي ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت له أولا فدعنى وما أهوى واختار
الرشا . هكذا وردت في الأصل التصحيح ابن الأثير ج ١١ ص ٤١ .
(١٠) معبد اليقطيني . شدا بالمدينة وأخذ الغناء من أهلها ومن جماعة
أخرى من عليّة المغنين بالعراق . خدم هارون الرشيد انظر الاغانى
ج ١٢ — ١٦٨ — ١٧٠ وقال أيضا معبد بن وهب وقيل ابن قطن مولى ابنى
قطن وقيل ابن قطن الاغانى ج ١ — ١٩ — ٣٠ .

(١١) هو عبد الملك المكنى بأبى يزيد وايضا بأبى مروان . والغريض
لصقت به لانه كان طرى الوجه نضر أغص الشبّاب حسن المنظر فلقب
بذلك . والغريض الطرى من كل شيء . . وكان أحقّ أهل زمانه بمكة
بالغناء . انظر الاغانى ٢ — ١٢٨ — ١٣٠ — انظر الخريدة — عراق

قال : وفي يوم العيد يوم الأحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد والقدر يقول له هذا آخر الأعياد ووقف في الميدان الأخضر الشمالى لطعن الحلق ورمى القبق (١٢) وحوله كماء الكفاح ورماة الحدق والاكابر تحت ركابه وقوف والعساكر للمثول ببابه صفوف والسوابق مضمرة والبيارق مشهرة . (واليوم يوم الزينة (١٣)) والنظارة اهل المدينة ، وكان قد ضرب خيمته في الميدان الأخضر / (١٦٨ ١) وامر بوضع المنبر وخطب له القاضي شمس الدين بن الفرائش قاضى العسكر وعاد الى القلعة طالع البهجة بهيج الطلعة وانهب سباطه العام على رسم الاتراك واكابر الاملاك ثم حضرنا على خوانه الخاص وما وضع بشره وأوضوع نشره واضحك سنه وابرك يمنه وفي يوم الاثنين ثانى أيام العيد بكر وركب وكان الفلك بتسييره جار والطود الثابت (يمر مر السحاب (١٤)) فى وقار ودخل الميدان والعظماء يسنايرونه والفهماء يحاورونه وفيهم همام الدين مودود وهو فى الاكابر الاكارم معدود وكان الى حلب فقال لنور الدين فى كلامه عظة لمن يغتر بأيامه : ترى نكون ههنا فى مثل هذا اليوم من العام القابل فقال نور الدين مامعناه قل هل نكون بعد شهر فان السنة بعيدة فجرى على منطقتها ما جرى به القندر الساكت فان نور الدين لم يصل الى الشهر وهمام الدين لم يصل الى العام . ثم شرع نور الدين فى اللعب بالاكرة مع خواصه فاعترضه فى جاله أمير آخر برتقش وقال له : باش فأحدث له الغيظ والاستيحاش واغتاظ على خلاف مذهبه الكريم وخلق له الحليم وزجره ونهره وساق ودخل القلعة ونزل واحتجب واعتزل ولا شك ان المرض تمكن منه وهو واكب عن اظهار ما به ناكب فبقى اسبوعا فى منزله مشغولا بنزله والناس لا هون بالختان فما انقضت تلك الافراح الا بالاتراح وما انقضى ما اتيح من السرور الا بظهور القضاء المتاح وما نهض الجناح الا منهاض الجناح وما صلب الملك بعده الا بالملك الصلاح .

(١٢) فى الاصل . . الطبق والضبط من الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٧٩

(١٣) سورة طه اية رقم ٥٩

(١٤) سورة النمل اية رقم ٨٨

ذكر وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله بقلعة دمشق

قال : واتصل مرض نور الدين واثار عليه الأطباء بالفصد فامتنع ، وكان مهيبا فما روجع وانتقل يوم الأربعاء حادى عشر من شوال من مرتع الغناء الى مرتع البقاء ولقد كان من أولياء الله المؤمنين وعباده الصالحين (١) وكانت له صفة فى الدار التى على النهر الداخلى الى القلعة من الشمال وكان جلوسه عليها فى جميع الاحوال فلما جاءت سنة الزلزلة بنى بازاء تلك الصفة بيتا من الأخشاب فهو يبيت فيه ويصبح ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن فى ذلك البيت الذى اتخذه حى من الحمام واذن بناؤه لبانيه بالانهدام (٢) . واخرجوا يوم وفاته الملك الصالح وهو مجزوز الذوايب مشقوق الجيب حاف حاسر واجلسوه فى الايوان الشمالى على التخت والدست الباقى من عهد تاج الدولة تتش فوقف الناس يضطربون ويضطرمون ولما كفن ودفن حضر القاضى كمال الدين وشمس الدين محمد بن المقدم وجمال الدولة ریحان وهو أكبر الخدم والعدل أبو صالح بن المعجمى أمين الأعمال والشيخ اسماعيل خازن بيت المال وتحالفوا على ان تكون آراؤهم واحدة وايديهم متساعدة وان ابن المقدم مقدم العسكر .

قال : وانشأت فى ذلك اليوم كتابا عن الملك الصالح الى صلاح الدين ترجمته (٣) ولده اسماعيل بن محمود ومفتتحه (٤) اطال الله بقاء مجلس سيدنا الملك الناصر السيد الأجل وادام سموه وعظم أجرنا واجره فى والدنا السعيد الملك العادل . ومنه واجتمع أمراء الحضرة وممالك الدولة وانشاء النعمة وأولياء الطاعة وارقاء الخدمة على البيعة المؤكدة والايمان المغلظة والموائيق المستجكمة بعقائد متعاقدة على الصفاء وأعضاء متعاضدة

(١) يضيف أبو شامة . . وصارت الى جنات عدن أعدت للمتقين .
الروضتين (٢) ١ — ٢ ٥٧٥ .

(٢) بعدها يضيف أبو شامة :

عجبت من الموت كيف أهتدى الى ملك فى سجايا ملك
وكيف سنوى الفلك المستدير فى الأرض والأرض وسط الفلك
الروضتين ١ — ٢ — ٥٨١

(٣) يعنى بكلمة ترجمة هنا — التوقيع وامضاء الملك الصالح .

(٤) يتصد بهذا بداية الخطاب .

بالوفاء وحلف الأصاغر والأكابر والغايب والحاضر والبادي والحاضر واذعنت
الرعوس (وعنت الوجوه (ه)) وسكنت النفوس وعمت بركات الوالد السعيد
رحمه الله في ثبات ملكه أوان زلزال طوده الشامخ وسكون الدهماء (٦) بعد
حال تخلخل عزه الباذخ . ومنه وما ههنا ما يشغل السر غير شغل الفرنج
خذلهم الله وقد عرف السيد ادم الله علوه ما يتعين عليه في مثل هذا
الخطب الملم واليوم الملهم من كل ما يعرف من خصوص وفائه وخلوص
ولائه وطيب المحتد وزكائه وكرم النجر وسنائه فما كان اعتماد مولانا السعيد
الملك العادل رضى الله عنه الا عليه وسكونه اليه الا لمثل هذا الحادث
الكارث فقد أدخره لكف أنياب النوايب وأعدده لحسم أدواء المعضلات اللوازم
وأمله ليومه وغده ورجاء لنفسه وولده ومكنه قوة لعضده وأيدا ليده .

قال : واتفق نزول الفرنج بعد وفاة نور الدين على الثغر وقصدهم
بائناس ورجوا ان يتم لهم الأمر ثم ظهرت خيبتهم وبان اليأس وذلك ان شمس
الدين بن المقدم خرج وراسل (٧) الفرنج وخوفهم بقصد صلاح الدين /
(١٦٨ ب) بلادهم وانه قد عزم جهادهم وتوصلوا وتكلموا في الهدنة وقطع
مواد الحرب والفتنة وحصلوا بقطيعة استعجلوها عدة من أسارى الفرنج
استطلقوها وتمت المصالحة وعقدت بعد المصافاة المصافحة .

قال : وانشأت في ذلك كتابا الى صلاح الدين بما تم من المصالحة
في ثالث ذى الحجة في الاعتذار عن ترك اعلامه بالحال ومنه . اتفق عند
الصدمة الأولى من الحادثة الكارثة نزول الفرنج على بايناس في أعداد من
الخيول والرجل خارجة عن حد القياس على حين غفلة من أهلها وقلة من
ذخيرتها وخيموا على حزينها وسهلها ولم يسمع الوقت لمكاتبة المجلس العالي
ثانية وظننت ان الأولى كافية ولأعنة عزايمة الى نجدتنا ثانية فأخبار الكفار
ليست بخافية .

كتاب بالانشاء الفاضلى عن الملك الناصر تعزية للملك الصالح بوفاة
والده رحمه الله أوله :

(٥) (وعنت الوجوه لآحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما) سورة
طه — آية رقم ١١١ .
(٦) في الأصل غير واضحة وكذا يستقيم المعنى .
(٧) في الأصل — وراسل .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٨) انزل الله الصبر وضاعف التأييد والنصر بالجناب العالى الملكى الصالحى وبيته فى محل الامتحان والاختيار وبصره بحجة التفكير والاستبصار واخلصه بخالصة ذكرى الدار والهمة تدرس (٩) قوله (انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار (١٠)) وهناه بالملكة التى اقتعد ثروتها وعلا محلها واحتلى عقيلتها وكان كفوها وبعلمها وأورثه سريره وسريره وكان أحق بها وأهلها ان تعاطى الخادم الابانة عما دهمه من الم الفجيعة الفظيعة والمصيبة التى رمت القلوب بالسهم المصيبة احتاج الى خاطر حاضر ولب حاضر وبنان جار وبيان محار وهيئات فالقلوب بأسرها فى أسرها والعقول بجمعها معقولة من سمعها والصدور بالهموم مملوءة والوجوه بالوجوم ممنوه ليوم سرت الحادثة فيه مسرى الزلزال هز أعطاف كل بلد وطلع مطلع الكسوف بذ الأنوار عن كل عين ويد واستوى الخلق فيه فمن المعزى واعتدى الحق فيه بين الحزن المجتمع والشمل المجزى ياله ناعيا فجع الاسلام باسكندره فتوحا وجنودا وبحضرة ذكر مثله فى الطيب وخلودا (انا لله وانا اليه راجعون (١١)) قول من عز جزاؤه وصدع قوله وتفرقت أجزاءه وصبر مغلوبا ويرجو أن يكون على الله جزاؤه ، ولو وقى من الحمام واق أو آخر أحد من العمر فوق المقسوم قدر فواق لوفى تلك الروح الكريمة ذلك الفعل الكريم ، وتلك اليد التى ما اظلم الخطب البهيم الا طلعت بيد كيد الكريم ولكنه القدر الذى يتجرا (١٢) على الجازع والصابر والمشرع الذى يؤلف بين الوارد والصادر والقضاء الذى يسوق الخلق الى الصعيد الواحد والمواعد الذى لا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والد حتى يرث الله الارض ومن عليها ويميد الخلق منها اليها ، واذا ودعنا الدارج رضوان الله عليه بلا حول ولا قوة الا بالله فاننا نستقبل القايم بالحمد لله شكرا على بقاء من وهب وصبرا عن لقاء من ذهب ، فان قضى أجل فقد قضى أمل ، وان صدع القلوب وجل فقد جبرها جذل ، وان خر جبل فقد علا والحمد لله جبل ، وان ثلم جانب من المجد فقد سلم جانب ، وان أفل طالع من سماء المجد فقد طلع

(٨) سورة الاحزاب آية رقم ٢١

(٩) فى الأصل — تدس

(١٠) سورة غافر آية رقم ٣٩ .

(١١) سورة البقرة . آية رقم ١٥٦ .

(١٢) فى الأصل غير منقوطة .

غارب ، وان فارقنا العز عقدا فقد . وهن منه العظم فقد استأنفناه عقد قد راق منه النظم ، وان استقل سرير الفنا بمودعه راحلا فقد استقبل بمودعه نازلا لاجرم انه سد ثلم الرزية (١٣) واطلع التهنية آخذه باعناق التعزية يلتقى اللفظان فيصطرعان ويحل الضدان في القلب وعجبا لهما في محل واحد كيف يجتمعان حتى اذا تؤمل ثواب الله الذي قدم عليه القادم وسلطان الله الذي قدم اليه القايم زادت السلوة ورجحت واحتجبت الايام به ونجحت وكادت العيون تسترجع ماءها الذي سمخت والقلوب تنسخ آية السلوة التي قال قائل الا انها نسخت وهذه الخدمة نائية عنه في العزاء بهذه النائية وفي الهناء بالموهبة الثانية وللدولة من الخادم يدان فان انقبضت فعلى قايم سيف نصرها وان انبسطت فبالعطاء الذي به قيام امرها ؛ وعينان عين تكلوها على البعاد وعين لولا استزادة طيف مفقودها ما صافحت يد الرقاد .

ومنه أصدرت هذه الخدمة يوم الجمعة التي اقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم وصرح فيه بذكره في الموقف العظيم والجمع الذي لا لغو فيها ولا تأثيم (١٤) واشبه يوم الخادم أمسه في الخدمة ووفي ما لزمه من حقوق النعمة وجمع كلمة الاسلام عالما ان الجماعة رحمة والله تعالى يأخذ ملك المولى الملك الصالح ويصلح به / (١٦٩ ١) وعلى يديه ويؤكد عهود العلماء الراهنة لديه ويجعل للاسلام باقية واقية عليه ، ويوفق الخادم لما ينويه من توثيق سلطانه وتشبيده ومضاغفة ملكه ومزيده وييسر منال كل أمل صالح وتقريب بعيدة .

قال : ولما وصل صلاح الدين ما كتب اليه من الكتب الصالحة لم يعجبه ما جرى مع الفرنج من المهادة والمهادنة وتأثر قلبه بما آثرته قلوبهم وكيف اندملت ندوبهم فكتب الى جماعة (١٥) من الاعيان بالشام كتب دالة على التوبيخ واللام .

قال : ولما توفي نور الدين رحمه الله اختل امرى واعتل سرى وفاض دمعى وغاض بحرى وغلب حسادى وبلغ مرادهم اضدادى . وكان

(١٣) في الأصل المرزية وكذا يتطلب السياق .

(١٤) - سورة الطور ٢٣ . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم .

(١٥) - اضافة يتطلبها السياق .

الملك الصالح صغيرا فصار العدل ابن العجمي وزيرا وتصرف المخالفون في الخزانة والدولة كما ارادوا وولوا وصرفوا ونقصوا وزادوا واقتصروا بي على الكتابة محروم الدعوة من الاجابة فمشيت امرهم على عرج وتجلدت على كربهم منتظر فرج وفي عزمى العود الى العراق وشاقتني اليه لاجع الاشواق ومما نظمته في تلك الايام قبل الخروج من دمشق في العشرين من ذي الحجة في الشوق والحنين ومرثية نور الدين :

ترى يجتمع الشمل ترى يتفق الوصل ترى العيش الذي مر مريرا بعدهم يخلو
ترى من شاغل الهم فؤادي المبتلى يخلو بغيري شغلوا عني وعندى بهم شغل
وكانوا لا يعملون فما بالهم ملوا وراموا سلوة المغرم والمغرم لا يسلو
ترى يرجع من طيب زمانى ذلك الفضل اخلائي ببغداد وهل لى غيركم خل (١٦)
هبوان الفيه منكم فبالارواح ما تعلوا اعينوني من الهجر فبهجرائكم قتل
لفقد الملك العادل يبكى الملك والعدل
وقد اظلمت الافساق لا شمس ولا ظلال
فايسن الكرم والعدل وايسن النافل الجزل (١٧)

قال : وكانوا لضعف وثوق بعضهم ببعض يتبعون ما ابرموه امس في يومهم بنقض ولهم كل يوم قسم جديد على قسم حدوده ويمين يمين الحالف بها لا محالة بما شرطوه فيها من المقال واكدوه وكم عقدوا ما حلوه وحلوا ما عقدوه .

قال : وكان الامير كمشتكين النايب قد سمع بمرض نور الدين فاخفاه واستأذن في الوصول الى الشام فاذن له سيف الدين غازي وخرج وسار مرحلتين وسمع النعي فاغذ (١٨) السير ونجا بماله وندم صاحب الموصل على الرضا بترحاله وكان عنده بوفاة عمه بشاره وظهرت على صفحاته منها اماره فنودي في الموصل يوم ورود الخبر بالفسحة في الشرب جهارا وزال العرف وعاد النكر وانشد قول ابن هانيء :

(١٦) في الاصل . . اخل

(١٧) قصيدة طويلة ذكرها ابو شامة وتتضمن هذه الابيات .

الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٨٨ .

(١٨) الاغذاذ في السير هو الاسراع فيه . انظر لسان العرب

فلا تسقنى سرا فقد امسكن الجهر

وقيل انه اخذ المفادى على يده دفنا وعليه قدح وزمر وزعم انه خرج بها أمر فلا خرج على من يغنى ويشرب ويسكر ويطرب وعادت الضرائب والمكوس .

واما كمشتكين فانه وصل الى حلب واجتمع هناك بالأمير شمس الدين على واخيه (١٩) مجد الدين ابى بكر وهو رضيع نور الدين وقد تربى معه ففوض اليه جميع مقاصده وحكمه فى ملكه وكانت حصونه به محصنة ومعاقده معاقله بشره مبرمة وكان يسكن معه فى قلعة حلب ، وشيئر مع أخيه شمس الدين على ، وقلعة جعبر (٢٠) وتل باشر مع سابق الدين عثمان (٢١) ، وحارم (٢٢) مع بدر الدين حسن وعين تاب (٢٣) وعزاز نوابه فيها وهو يصونها ويحميها ، وهم أعيان الدولة وأعضاها وأبدال أرضها وأوتادها فلما توفى نور الدين رحمه الله لم يشكوا فى أنهم يكفلون بولده فأقام شمس الدين على وهو أكبرهم وأنبههم وأجودهم وأوجههم ودخل قلعة حلب وسكنها وعرف ما جرى بدمشق من الاجتماع واتفاق ذوى الأطماع فكاتبهم وأمرهم بالوصول اليه فى خدمة الملك الصالح ونفذ ثم استقر الأمر المحوط واستحكمت الأسباب والشروط وحمل المال وحسنت الأحوال واستمر الأمر وسكن الدهر الى أن قصد الفرنج تلك الديار وسيأتى شرح ذلك فى موضعه ان شاء (٢٤) الله تعالى .

(١٩) فى الاصل : اخوه .

(٢٠) تقع على الفرات بين بالس والرقعة . كانت تسمى قديما دوسر . قيل سميت قلعة جعبر لان صاحبها كان يسمى جعبر بن مالك ملكها نور الدين فى ٥٦٣ هـ معجم البلدان ٢ — ٨٤ — ٨٥ . قارن حاشية رقم ٤ فى الروضتين (٢) ١ — ١ — ٢٩ .

(٢١) فى الأصل عثمان .

(٢٢) حارم حصن وكورة من أعمال حلب تجاه انطاكية ، انظر معجم

البلدان ٢ — ١٨٤ .

(٢٣) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك

معجم البلدان ٣ — ٧٥٩ .

(٢٤) فى الاصل انشاء .

فكر تيسير فتح قلعة جعبر

قال : كان صاحبها شهاب الدين مالك (١) بن على بن مالك من آل عقيل من بنى المسيب نازلا منها في مناط الكوكب سامى المرقى / (١٦٩ ب) والمرقب وهى التى قتل زكى بن اقسنقر (٢) وهو على حصارها وتحقق عند الناس ان القدر من انصارها . فاغتر برقعات عيون الليالى عنه ونزل فيها مسترسلا وقصد أن يتصيد فتقنصه بنو كلب وتقربوا به الى نور الدين وذلك في رجب سنة ثلاث وستين فلم يزل عنده بحلب محبوسا وبعين حفظه محروسا فتارة يرغبه وآونة يرهبه ، مرة يعده ودفعة يوعده . وسير فخر الدين بن مسعود الزعفرانى فحصرها ودام الحصار وابطأت في استفتاحها الاقدار ومضى مجد الدين أبو بكر أكبر أمراء نور الدين وهو رضيعه وصنيعه فلم ير له في فتحها مجالا فلم يزل يتوسط مع صاحبها حتى اصحب بعد جماعه واشتط فيما اشترطه من اقتراحه وهو سروج (٣) بأموالها والملوحة (٤) وأدوم (٥) والباب (٦) بأموالها وعشرون ألف دينار فاذا تعجل له ذلك كله وحصل من اليمين على استظهار سلم القلعة عن اختيار منه وايثار فأخذ جميع ما شرط وسلم القلعة في صورة مكره لا في صورة مختار .

قال : ودخلت سنة أربع وستين وخمسمائه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد اليها يوم السبت منتصف المحرم ووصل كتابه الى حلب فسار نور الدين وانا في خدمته وطلع الى القلعة يوم الخميس العشرين من المحرم فأنشدته هذه القصيدة قلت ومنها .

اسلم لبكر الفتوح مفترحا ودم للملك البلاد منتزعا

- (١) انظر ابن الأثير — الكامل ١١ — ٢٢٠ وما بعدها .
- (٢) في الأصل — تسنقر .
- (٣) بلدة قريبة من حران من ديار مضر معجم البلدان ٣ — ٨٥ .
- (٤) الملوحة بالفتح ثم تشديد اللام وضمها وحاء مهملة . قرية كبيرة من قرى حلب معجم البلدان ٤ — ٦٣٨ .
- (٥) بقرب العمق ويظن انه جبل . معجم البلدان ١ — ١٦٩ .
- (٦) يعرف بباب بزاعة بليدة في طرف رادى بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو ميلين وإلى حلب عشرة أميال وهى ذات أسسواق . معجم البلدان ١ ص ٤٣٧ .

كان مقيما منها على الفلك الأعلى شهابا بنسورة مسدعا
لكنها الشهاب ما تغير اذا لاح عمود الصباح فانسطعا
يدفعها طائعا اليك وكم عنها ابا بجهده دفعا (٧)

ذكر مسير الفرنج الى مصر

قال : كانت الفرنج في النوبتين اللتين استعان بهم شاور على اسد الدين
قد شاهدوا الديار المصرية واطلعوا على العورات وكشفوا المستورات
وطعموا في البلاد وتجمعوا لها بالاحتشاد وتوجهوا اليها سايرين وشايعتهم
على قصدهم من اعيان مصر جماعة ما كانت للمصريين عليهم طاعة وشاوروا
الفرنج على شاور لانهم اعداؤه وقد اعياهم (١) دواه وهم ابن الخياط وابن
قرجلة وامثالهم وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ووصلوا الى
بلبيس اول يوم من صفر واستولوا على اهلها قتلا واسرا واقاموا بها خمسة
ايام ثم اتاخوا على القاهرة في عاشر صفر واحرق شاور مصر في اليوم
التاسع منه وخاف عليها من الفرنج وبقيت النار تعمل فيها الى خامس شهر
ربيع الآخر وكان غرضه ان يأمن عليها من العدو الكافر (٢) ثم ضاق الحصار
وعرف شاور انه ي ضعف عن الحماية وان مبدا الحفظ لا يصل الى الغاية فشرع
في تمحل الحيل فأرسل الى ملك الفرنج يبذل له المودة وقال امهلتى حتى
اجمع لك الدنانير واطمعه في الف الف دينار معجلة ومنجمة ثم قال له :
ترحل عنا وتوسع الخناق وتظهر الارفاق وعجل له مائه الف دينار حيلة
وخداعا وواصل بكتبه الى نور الدين مستصرخا ومستنفرا وبما نال الاسلام
من الكفر مخبرا وسير الكتب مسودة بمدادها كاسية لباس حدادها وفي
طيها ذوايت مجذوذة ظن انها من شعور اهل القصر للشعار بما عراهم من
بليه الحصر وأرسلها تباعا ورادف بها (٣) نجابين سراعا وعامل الفرنج
بالمطال وبالارسال بعد الارسال حتى اتى الغوث ولما سمع اسند الدين
بخبر الفرنج ساق من حمص في ليلة واحدة الى حلب وقال لنور الدين
ان الفرنج قد استحكم في البلاد المصرية طمعهم ، وليس سنواك في الوجود

(٧) انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(١) في الأصل - اعداهم .

(٢) في الأصل : والكفار ، والواو زائدة .

(٣) في الأصل : بين .

من يزحمهم(٤) ومتى تجمع العسكر وكيف تدفعهم فقال له : ان خزائني لك فخذ منها ما تريد وأطلق له في العاجل مائتي ألف دينار وأمر خازنه ولى الدين اسماعيل بأن يوصل اليه كثير ما يلتمسه والقليل . فمضى نور الدين لتسلم قلعة جعبر ومضى أسد الدين وحشد التركمان ولما عاد استقل نور الدين الى دمشق وقدم صلاح الدين اليها السبق وكان وصوله اليها بكرة الأحد التاسع والعشرين من صفر وخرجنا الى الفوار وأسد الدين هناك في العسكر الجرار وأطلق لكل فارس عشرين ديناراً(٥) وعرضنا أكثر من خمسة آلاف / (١٧٠) من الرجال الأبطال وأضاف اليهم نور الدين ألف فارس(٦) من أمراء مماليكه عز الدين جريدك وغرس الدين(٧) قليج ومن أمراء خواصه عين الدولة ابن كوخات وبنال بن حسان ومن(٨) شذعنى ذكرهم واجتمع في يوم كتاب الديوان والبيوت والأمراء وركبت العساكر في تلك الصحراء في عددهم الوفرة والويتهم المنشورة فعرضناهم في ساعة واحدة بأقلام متعددة ورحلوا على قصد مصر في نصف شهر ربيع الأول وخيم نور الدين فيمن أقام معه برأس الماء نازلاً بمنزلة الفقيع(٩) على تلها مقيماً الى أن يأذن الله في تلك العقدة بحلها فوصل المبشر برحيل الفرنج من القاهرة عند وصول خبر وصول العسكر فسيرنا(١٠) كتب البشائر بالفتح والظفر .

ذكر ما اعتمده أسد الدين عند وصوله الى مصر
وكان وصوله اليها في سابع عشر ربيع الآخر

قال : ولما سمع الفرنج نهوض عسكر الاسلام اجفلوا اجفال النعام

(٤) في الأصل يزحمهم .

(٥) انظر

H. A. R. Gibb; The Armies of Saladin, Studies on Islamic Civilization, pp. 47 : 90.

(٦) فاء زائدة في الأصل .

(٧) انظر النوار ص ٥٣ — حاشية رقم ٤ . وقد ورد في هذه الصفحة اسم غرس الدين وفي الحاشية ورد عز الدين .

(٨) في الأصل — وكما .

(٩) في الأصل : الفصيح

(١٠) في الأصل : فسرنا وكذا يستقيم الكلام .

ورحل ملكهم الى بلبيس ثم عاد الى الساحل ودخل أسد الدين في التاسع (١) منه الى الايوان وخلع عليه وفي العاشر منه نزل أهل مصر الى محضر وسكنوها وتودد شاور الى أسد الدين وتردد وتجسدد بينها من الوداد ما تأكد فقال صلاح الدين هذا أمر يطول ومسألة (٢) فرضها يعول ومعنا هذا العسكر الثقيل ولا استيلاء مع استيلاء شاور ولا سسيها اذا راوغ وغارر (٣) فأنفذ (٤) أسد الدين الفقيه عيسى (٥) الى شاور وقال : أخشى عليك ممن معى من الناس فلم يكثر بمقاله وركب على سبيل انبساطه واسترساله فاعترضه صلاح الدين في الأمراء النورية فبغته وشحته (٦) وقبضه وأثبتته ووكل به في خيمة ضربها له وحاول امهاله فجاء من القصر من يطلب برأسه ، جاء الرسول بعد الرسول وأبوا ان يرجعوا الا بنجح السؤل فحم حمامه وحمل الى القصر هامة وذلك يوم السبت سابع عشر ربيع الآخر وتقلد أسد الدين الوزارة واستقل بأوزارها وعاد بالقاهرة الى دارها ونعت بالملك المنصور ولما جاء المبشر الى الشام كتبت اليه اهنيه بقصيدة اولها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحه التعب
افخر فان ملوك الأرض قاطبة افلاكها منك قد دارت على قطب
فتحت مصر وأرجو أن يصير بها ميسرا فتح بيت القدس عن كذب (٧)

(١) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ ٣٩٨ اذ يقول : ودخل أسد الدين في الرابع من شهر ربيع الآخر . . . ومن المرجح ان يكون التاريخ الذى ورد فى أبى شامة غير صحيح لأن مختصر البرق يقول : ودخل فى التاسع . . . وخلع عليه فى العاشر . . . وقد كانت وزارته شهرين وخمسة أيام تبدأ من ١٧ ربيع الآخر وتنتهى فى ٢٢ جمادى الآخرة وهذا يؤكد صحة التاريخ الوارد هنا (٢) فى الاصل : وسئله الضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٩٨ .
(٣) الاصل : غاوز . والضبط من نفس المصدر نفس الصفحة .
(٤) نفذ . هكذا وردت فى الاصل والضبط فى نفس المصدر نفس الصفحة .

(٥) هو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد ابن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمد . ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين . توفى فى ٦٣٦ هـ وقال ابن خلكان انه حضر الصلاة عليه . انظر ترجمة له فى ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٥٠٢ — ٥٠٣ .
(٦) فى الأصل : وتحتة .

(٧) قصيدة طويلة ذكرها أبو شامة . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٤٠٣ — ٤٠٤ .

وكتبت الى صلاح الدين كلمة اولها :

لو ان عذرى لك يالاح لاح ما كنت عن سكرى ياصاح صباح
وما شقائى وسقامى سوى لواحظ الغيد المراض الصباح

قال : وكتب لأسد الدين منشورا من القصر كتب العاضد فى طرته بخطه
هذا عهد لا عهد لوزير بمثله وتقلد أمانة رآك فلان (٨) أهلا لحملها (٩) فخذ
كتابك بقوة واسحب ذيل المفار بأن اعتزت خدمتك الى بنو النبوة
واتخذ للفوز سبيلا (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقسد جعلتم الله
عليكم كفيلا (١٠) .

ذكر وفاة أسد الدين

يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة
وولاية صلاح الدين فى الخامس والعشرين منها

قال : ولما تسنى امر أسد الدين وعلا سنا سلطانه وملك بملكه
زمام زمانه وقر غرار الكرى وغرار الظبى فى اجفانه فاجأه القدر وجاءه
الكدر فى صفائه وقضى القضاء لأمل بانقضائه فخدمت ناره وغاض ماؤه وتوفى
يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

ولما فرغ العسكر بعد ثلاثة ايام من التعزية اختلفت آراؤهم واختلطت
اهواؤهم فاجتمعت الأمراء النورية على كلمة واحدة وايد متساعده وعقدوا
لصلاح الدين وقالوا هذا مقام عمه والزموا صاحب القصر بتوليته ونادت
السعادة بتليته ، وشرع فى ترتيب الملك وتربيته ، وفرض ختوم الخزائن وفرق
ما جمعه أسد الدين فى حياته ، ورأى أوليائه (١) تحت ألويته وراياته وأحبوه
ولم تزل محبته غالبية على مهابته وهو يبالغ فى تقريبيهم كأنهم ذوو قرابته
وما زاده الملك الا ترفعا وما زاده (٢) الا تأصلا فى السماح وتفرعا . وكتب

(٨) يقصد الخليفة العاضد .

(٩) فى الأصل : لحمله .

(١٠) سورة المنحل . آية رقم ٩١ .

(١) فى الأصل أوليائه .

(٢) فى الأصل هاء ناقصة .

له العاضد من القصر منشور الوزارة / (١٧٠ ب) ولقبه بالملك الناصر ومن الفاظ هذا المنشور في مخاطبة صلاح الدين : فيومك واسطة في المجد (بين يديك (٣)) فامسك وكل ناد من أندية الفخار لك أن تقول فيه ولغيرك أن يمسك فبشراك أن انعمه منكم موصولة بوالد وولد وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت الأسد .

قال : وكان بالقصر استاذ(٤) له على حكم القصر استحوار ويدنا من شرار شره دخان ومن رشاش كيده رذاذ ، وتأمر(٥) هو ومن شايعه على أن يكتبوا الفرنج فكتبوا ملطفات بالاستدعاء وسيروها على سبيل الخفاء فاتفق أن رجلا من التركمان عبر بالبيضاء(٦) فرأى نعلين جديدين مع انسان فأخذهما على سبيل الامتحان . وقال : لو انهما للبسه لكان بهما اثر استعمال فأخذهما وجاء بهما الى صلاح الدين ووصف الحال فامر بنقبهما ووجد في طيهما أحرفا مكتوبة(٧) مكتومة وتأملها فإذا هي للفرنج(٨) من القصر وكان مقصودهم أن صلاح الدين إذا سمع بخروج الفرنج خرج الى القتال ويخرجون وراءه لانتهاؤه ويقدم الفرنج على لقائه ويأخذون امامه والمصريون من وراءه فأخذ الكتاب وقال : دلوني على كاتب هذا فدلوه على يهودي من الرهط فلما احضروه ليسألوه ويعاقبوه قدم التلفظ بالشهادتين والدخول في عصمة الاسلام ثم اعترف بما جناه وأن الأمر به مؤتمن الخلافة فرأى اخفاء هذا السر واستشعر الخصى فما صار يخرج من القصر مخافة وإذا خرج لم يبعد مسافة وصلاح الدين عليه مغضب وعنه مغض الى أن استرسل . وكان له قصر يقال له الخرقانية(٩) فخلف فيه يوما للذة له ولم يدر انه يوم ذلته فانهض اليه صلاح الدين من أخذ رأسه ونزع من حياته

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في الأصل .

(٤) يقصد مؤتمن اخلافة .

(٥) في الأصل . . توامر .

(٦) قرية قريبة من بلبيس — تعرف الآن بعزبة أبي حبيب ، محافظة الشرقية .

(٧) في الأصل : حرف .

(٨) في الأصل . . من الفرنج الضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ ٥١

(٩) من قرى محافظة القليوبية قريبة من القناطر الخيرية .

لباسه وذلك في يوم الأربعاء العشرين (١٠) من ذى القعدة سنة أربع وستين . ولما قتل ثار السودان وثأروا يوم الخميس يوم قتله وكانوا أكثر من خمسين ألف من كل أخضر ينظر من عينه الموت الأحمر ، وأغبر لا يجلوه الا اليوم الاغبر . وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه فحسبوا ان كل بيضاء (١٢) شحمه وان كل سوداء فحمة فأقبلوا ولضرامهم حجمة ولضرابهم فحمة فقال أصحابنا : هذا مبدأ الروع وريعانه وعنفوان العنف وعنوانه مهاجوا الى النهجاء وكان المقدم الأمير أبو الهيجاء المسمين فاتصلت الحرب بين القصرين واحاطت العسكرية بهم من الجانبين ودام الشر يومين حتى احس الاساحم بالحين وكلما لجأوا الى محلة احرقوها عليهم وحسوا ما حواليتهم واهرجوا وأخرجوا الى الجيزة واذلوا بالنفس عن منازلهم العزيزة وذلك يوم السبت النامن والعشرين من الشهر فما خلص السودان بعدها من الشدة ولم يجدوا الى الخلاص سبيلا وأين ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . وسير نور الدين الأمير فخر الدين تورانشاه بن أيوب أخا صلاح الدين الى مصر وكان خروجه من دمشق عاشر شوال ووصله اليها ثالث ذى القعدة ورأى ان يمدده به ويشد به ازره ويصون مصر (١٣) بصفوة فخره ويستديم على الكفر والبدعة ظهوره وظهره قال : وكثرت كتب صلاح الدين الى اصدقائه بالشام فمنها كتاب وضمنه هذا البيت .

وانثر الدمع من قبل أبيضاً وقد حال مذ بنتم فأصبح ياقوتا

(١٠) ذكرها أبو شامة في الخامس والعشرين من ذى القعدة . انظر الروضتين ١ - ٢ (٤٥١) . وذكرها ابن واصل في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة - مفرج الكروب ١ - ١٧٥ - ١٧٦ وهو بذلك يوافق أبا شامة ويقول ابن الأثير : في أوائل ذى القعدة قتل مؤتمن الخلافة . الكامل ١١ - ٢٢٨ . ويقول المقرئ : في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة . الخطط ٣ - ص ٣ ويرجح ان هذا هو التاريخ الصحيح .

(١١) مما يذكر هنا ان الفاطميين استعملوا عناصر غير عربية في الجيش الفاطمي . استعملوا السودان وغيرهم من الجند المرتزقة ، وقد كانوا دائما يمثلون عنصر شغب في الداخل . وقد شجعت عمه الخليفة المعاضد هذا العنصر وبلغت مكانتهم شأوا عظيما حتى ان أستاذ القصر كان واحدا منهم .

(١٢) سبيل : وردت في الاصل . وبها لا يستقيم المعنى . انظر

الروضتين (٢) ١ - ٢ ص ٤٥١ .

(١٣) في الاصل - بمصر .

ومنها كتاب آخر ضمنه هذا البيت

ما كنت بالمتظور أقنع منكم ولقد رضيت اليوم بالسموع

قال : وفي هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابنى شاور وعمهما يوم الاثنين رابع جمادى الآخر وذلك أنه لما قتل شاور عادوا بالقصر وكانها نزلوا في القبر .

قال : ودخلت سنة خمس وستين ونزل الفرنج مستهل صفر على دمياط واحاطوا بها بحرا بهراكبههم وبروا بكتاييهم فوقع اليأس والبؤس وقنطت النفوس فسبق اليها تقى الدين بن أخى السلطان وشهاب الدين خاله وتوافد اليها الأمراء فرجع اليها بعد الاشقاء الرجاء (١٤) . واقام صلاح الدين بالقاهرة في دار ملكة ينهض اليها المدد بعد المدد واتصل الحصار واستشرى الشر لكن الاصحاب اولياء اولياء الله صبروا وصابروا وتزاوروا وامسوا على القتال واصبحوا وتاجروا لله وربحوا وهدوا بنيان الكفر المرصوص المرصوف واهلكوا بالعشرات الألوف واقاموا على دمياط احدا وخمسين يوما ودب فيهم الفناء / (١٧١ ١) وهب عليهم البلاء (وذهب عنهم الرجاء (١٥)) ورحلوا عنها بالذل الاكمل والصغار الاشمل .

ولما وصل الخبر الى الشام اغتم نور الدين ولامر الأمير قطب الدين خسرو الهذباني أن يسير بالعسكر ويخوض بهم العجاج الاكدر فوصل قبل رحيل الفرنج بأسبوع فوقع روعه من الكفر في كل روع فان للنجدة قليلة كانت او كثيرة صيتنا يورث شمل العدد تشقينا وحبل ذى العتد تبتينا .

قال : وكتبت عن الملك العادل نور الدين الى العاضد كتابا منه :
اطال الله بقاء فلان ولا زالت عوادي نعمه محدقة بأوليائه أحداق الاجفان بالاحداق ، وعوادي نقمه محرقة لأعدائه احراق النيران أهل المشقاق وما أعلت رايات النصر للدين وتليت آيات الذكر المبين الخادم يهنئ بما أسناه (١٦) الله من الظفر الذى أضحك سن الايمان وحصل أهل الشرك في

(١٤) فنى الاصل : الدماء .

(١٥) ما بين الحاصرتين فى الاصل غير واضح وكذا يستقيم السياق .

(١٦) فى الاصل : سنه .

شرك الخذلان وأعاد جيش الكفر وأهى الجأش وبدا الضلالة بادية الارتعاش حتى عاد حزب الشيطان مخذولا وسيف الله فى رقاب أعدائه مسلولا وذلك ببركات الذولة التى سطع فخرها ولولا صدق اهتمامه بأهل الإسلام وحفظ الأولياء الذين يذبون عن الدين ويحافظون على الزمام لكاد ركن الحق يميل لكيد الباطل فوفق الله فلانا وأيده بنصره وأجرى قضاءه وقدره على وفق أمره ورد كيد العدو الكافر فى نحره .

قال : وفى هذه السنة كنت رسولا بخلاط (١٧) عن نور الدين وخرجت من دمشق ضحوة نهار الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة ومتوليها حينئذ ظهر الدين سكمان المعروف بشاه ارمن ودخلت خلاط ثانى صفر وعدت على طريق مازدين (١٨) ومتوليها البى بن تمر تاش بن ايلغازى ابن ارتق المنعوت بنجم الدين وعدت الى دمشق فى ربيع الأول أول فصل الشتاء وعدت الى عادتي فى الانشاء وكانت سفرتى فى الرسالة مزوجة لم يف بشكايتها شكرنا .

قال : وفى أول هذه السنة خرج نور الدين الى داريا (١٩) فأعاد عمارة جامعها وتبرك بضريح أبى سليمان الداراني (٢٠) رحمة الله عليه وعمر مشهده وأعاد الى الحالة الحالية مسجده وشتا بدمشق . ولما دخل فصل النيروز استأذن الأمير نجم الدين ايوب فى قصد ولده والخروج من دمشق الى مصر بأهله وجماعته وسبده ولبده ، وسار ووصل الى مصر فى السابع والعشرين من رجب وقضى العاضد من حقه ما وجب ، وركب لاستقباله .

(١٧) خلاط بكسر أوله وهى قصبة ارمينيا الوسطى . انظر معجم البلدان ٢ — ٤٥٨ — ٤٥٩ .

(١٨) مازدين بكسر الراء والذال وهى قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دينسر ودارا ونصيبين . معجم البلدان ٤ — ٣٩٠ .

(١٩) من قرى دمشق بالغوطة . والنسبة اليها داراني على غير قياس . انظر معجم البلدان ٢ — ٥٣٦ والروضتين (٢) ١ — ٢ — ٤٦٣ .

(٢٠) هو عبد الرحمن بن عطية الزاهد ويقال أصله من واسط . روى عن الربيع ابن صبيح وأهل العراق . توفى بداريا فى ٢٥٣ هـ وتبره معروف بها يزار . معجم البلدان ٢ — ٥٣٦ .

وقال ابن خلكان : هو أبو سليمان بن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني الزاهد . والداراني نسبة الى داريا وهى قرية بغوطة دمشق والنسبة اليها على هذه الصورة من شواذ النسب . ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٧ .

ولما عزم التوجه الى مصر شرع فى تفريق املاكه وتوفير ماله فيه شركة على اشراكه ، ولم يستصحب شيئا من موجوده وجعله نهبه جوده .

وكان نور الدين لما برز نجم الدين خرج الى راس المساء بعسكره وخيامه وارهدف للجد فى الجهاد حدد اغرامه ثم اقام بعد توديعه والوفاء (٢١) بحق تشييعه الى ان اجتمعت عليه عساكره ثم توجهنا الى بلاد الكرك مستهل شعبان ونزلنا اياما بالبلقاء (٢٢) على عمان ، وكانت الشعاب معشبة والمراعى ممرعة ، ثم سرنا على طريق الوالة الى الكرك واقمنا عليها اربعة ايام وقاتلناها اشد قتال ونصبنا عليها منجنيقين ورجونا ان اقمنا ان نبلغ الغرض ونؤدى فى فتحها المفترض لكن وصل الخبر بان الفرنج قد اجتمعوا ووصلوا الى ماعين فقال نور الدين نرى ان نصرف اعنتنا اليهم وبالله نستعين فرحلنا ومعنا امراء بنى ربيعة وقد استصحبوا من العرب المشيخة المطيعة ومقدما الفرنج هنفرى وفيليب بن الرقيق فى مائتى (٢٣) رمح والفرس من التركبولية وراجل كثير من السرجندية فلما راوا مئارا عجاجنا ولوا مدبرين وقالوا : قد حصل مقصودنا من رحيلهم عن الحصن ولما عدنا وصلنا الى حوران واستقبلنا شهر رمضان فختمنا بعشتر (٢٤) وادينا فرض الصيام .

نكر الزلزلة التى عمت بلاد الشام

قال : واصبحنا يوم الاثنين الثانى عشر من شوال وانا فى خيمتى جالس فاحسست بالأرض تحتى تموج كالبحر اذا عصفت به الرياح الهوارج فما اروعها زلزلة واصدعها آية من الله منزلة وتواصلت الاخبار من جميع بلاد الشام بما احدثته من الانهداد والانهدام وان معاهد معاقلها انحلت واختلت (والقت ما فيها وتخلت (١)) فرحل نور الدين من عشتر يوم الثلاثاء ووصل

(٢١) فى الاصل : الوفا .

(٢٢) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى مقصبتها عمان .

معجم البلدان ١ — ٧٢٨ .

(٢٣) فى الاصل : مائى .

(٢٤) موضع بحوران من أعمال دمشق . معجم البلدان ٣ — ٦٧٩ .

(١) سورة الانشقاق : آية ٤ .

الى بعلبك يوم الأربعاء وسقنا وراءه ووصلنا يوم الخميس . وقد شرع نور الدين لما تهدم / (١٧١ ب) من بنيانها في التأسيس وكانت قلعتها تعلقت فأقام بنية تشييد أركانها ثم أتاه الخبر بما تم على حمص وحماه وبعرين وحلب لأن أمر الله لا سيما بحلب غلب وزع عمارتها وسلب السلب فتقدم بترتيب أمور العمارة ، وسلم الى الثقات مالا ووكل بالعمل صناعا ورجالا ثم سار الى حمص وأظهر للم (٢) شعنها الحرص . وأما حصن بعيرين (٣) فقد كان بيد الأمير زين الدين عمر بن لاجين فلما وقع سبيته وأخذ الى مصر مذهبه فإنه كان صهر صلاح الدين فطلبه . ورتب نور الدين رحمه الله الأمير الكبير عين الدولة بن كوخات في خمسمائة فارس فإنه كان من الفرنج على خطر فجعلهم من مجاورته على حذر . وكان الهم الكبير في حلب لانهدام مبانيها وانهداد مغانيها فوصل نور الدين اليها وجد في عمارتها وأقبل عليها ورد الى أحكم القواعد بنيانها وأما سور البلد فإنه جدد منه المنهدم وكان بذلك مغرما فلم يستكثر المغرم وأخذ له في كل بلد مجلسنا حتى يكون من الزلزلة بعون الله مصونا .

قال : من مكاتبة أنشأتها الى المواقف المقدسة المستجدية في المعنى قد أحاط العلم الشريف أجله الله بهذه الحادثة التي المت بالشام من الزلزلة التي تداعت له الثغور بالانتقام والمعقل والحصون بالانهداد والانهدام ولم يكن الا (عبرة لأولى الابصار (٤)) موعظة وآية من الله لعباده منذرة موقظة وقد عمت (٥) حتى عطلت كل حال وشغلت كل بال والحققت كل جديد ببال والحمد لله على كل حال وما سكنت النفوس من رعبها الا بما دهم الكفار من أمرها فإنها وافقت يوم عيدهم وهم في الكنائس فأصبحوا للردى قرابيس (شاخصة ابصارهم ينظرون (٦)) (فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٧)) ولولا اشتغالهم بما عراهم حيث

(٢) في الاصل : لكم .

(٣) بليد بين حمص والساحل هكذا تتلفظ به العامة وهذا خطأ وإنما

هو بارين . معجم البلدان ١ — ٦٧٢ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٣ .

(٥) في الاصل : عمت .

(٦) سورة القلم آية رقم ٤٣ .

(٧) سورة النحل آية رقم ٢٦ .

انقلعت كل قلعة لهم من أساس بنياتها ورجف كل بلدة في أيديهم بهلاك سكانها لم تؤمن في نوبة هذه النبوة معرفتهم ولم تخش بعد هذه المصرة الا مضرتهم وأن بالثغور الاسلامية شدة افتقار الى تحصينها واعادة ابنية حصونها قبل أن يستفحل الداء ويتفرغ لشغلها الأعداء وما أولى المواقف المقدسة بايلاء الأيادي واستدائها واعانة من تكفل بسد ثغور الاسلام وصد أعدائها وما أحوج الخادم الى نظرة شافية وعارفة لهذا المحذور كافية ولا ينهض بعبء هذه النبوة الا بما يرفد به من المعونة وبما يشمله من بركات الأيام الزاهرة الميمونة (٨) .

ذكر توجه نور الدين

الى الموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين (١)

قال : فوصل الخبر بوفاة قطب الدين مودود بن زنكى بالموصل فأشفق من أمرها المهمل أن الخادم المنعوت بفخر الدين عبد المسيح (٢) قد تعرض للحكم وأقام أحد اولاده وهو سيف الدين غازى مقام أبيه ليتحكم في الموصل وفيه فقال نور الدين انا أولى بالبلاد والشفقة على الأولاد وسار حتى عبر الفرات عند قلعة جعبر واستصحب العسكر وادلج ليلا وسار وأسرى وأصبح على الرقة وفيها أمير يستنى كردك فتمنع فأخذ منه البلد عنوة بالسلم شببيه واطاعه لما عجز ولم يلق كريمة . قال ودخلت سنة ست وستين : يوم نزلنا على الرقة ونور الدين ساطع النور جامع الأمور مصمم العزم أخذ بالحزم جار من عدله واحسانه على الرسم قال : واستدعاني نور الدين ونحن بظاهر الرقة وقال : قد آنست بك وأمنت اليك وأنا غير مختار للفرقة لكن المهم الذى عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فتمضى الى الديوان العزيز جريدة وتؤدى عنى رسالة سديدة ستعيدة وتنهى انى قصدت بيتى وبيت والدى ومعى طريقي وتالدى فامضى وخذ لى اذننا فى ذلك . وأمر ناصر الدين محمد بن شيركوه أن يسير بى الى الرحبة فى رجال مأمونى

(٨) يضيف أبو شامة قصيدة طويلة فى مدح نور الدين تبدأ بهذا البيت
هل لعانى الهوى من الأسر فادى ولسارى ليل الصبابة هادى
الروضتين (٢) ١ - ٢ - ص ٤٦٨ .

(١) حكم من ٥٤١ - ٥٦٥ هـ بالموصل .

(٢) وزير قطب الدين ، كان نصرانيا أذى علماء المسلمين . حاول الاستبداد بالموصل لكن نور الدين قمع محاولته .

الصحبة وسرت منها على البرية غربى الفرات بخفير من بنى خفاجة (٣) وعبرت على هيت (٤) ثم عرسنا بالانبار (٥) ورحلنا منها وجزنا على نهر شيل (٦) وعقرقوف (٧) فلما وصلنا الى قرب بغداد سيرت غلامى ابراهيم ليخبر الديوان العزيز بالوصول وانتظرت ما جرت به العادة فى تلقى الرسول فجاءوا وعبروا بى الى الديوان العزيز وخصونى باسباب / (١٧٢) التمييز واجتمعت بالوزير شرف الدين بن البلدى وكانت بينى وبينه صداقة صادقة فى أيام الوزير ابن هبيرة فانه كان ناييه بواسط وانا مشرفه ثم انتقل هو الى الديوان الشريف بها ناظرا (٨) ونبت عن الوزير فمن هناك تأكدت (٩) الصداقة فما صدق كيف رأتى وبحبه وحباته حبائى وقرظنى عند امير المؤمنين وقال له بمثله لا نسمح بل يكرم ويخدم ويشرف ويمنح فاحتبسنى عنده شهرين يعدنى (١٠) من الامام بأجل منصبين من الانشاء والنيابة وشفع (١١) سؤلى فى حق مخدومى بالاجابة والاصابة فقلت له اذا قضيت حق الرسالة عدت الى عدتك فى الحلية والحالة فلما مرض المستنجد بالله ورأيت مبادئ وهنه تتجدد على مر الجديدين استأذنته فى العود فاذن وسير معى فى الرسالة

(٣) ذكر ياقوت بنى خفاجة فى حديثه عن رصافة الشام وقال : وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور . ولبنى خفاجة عليهم خفارة يؤدونها صاغرين . معجم البلدان ٢ — ٧٨٥ ويبدو أن بنى خفاجة كانوا على دراية بمسالك هذه المنطقة لذلك يقول النص : وعبرنا بخفير من بنى خفاجة . هذا ويرجع أصل بنى خفاجة الى اليمن . معجم البلدان ٢ — ٩٦٨ .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار . معجم البلدان ٤ — ٩٩٧ .

(٥) مدينة على الفرات فى غربى بغداد . معجم البلدان ١ — ٣٦٧ وما بعدها .

(٦) احدى ضواحي الكوفة فى ياقوت شيلى نهر من انهار احدى ضواحي الكوفة المعروفة بشيلى معجم البلدان ٣ — ٣٥٨ .

(٧) عقرقوب كما وردت فى الأصل وردت فى معجم البلدان عقرقوف وهى قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد اربعة فراسخ معجم البلدان ٣ — ٦٩٧ .

(٨) فى الاصل : ناظرا .

(٩) فى الاصل : تألذت .

(١٠) فى الاصل : غير منقوطة .

(١١) فى الاصل : غير منقوطة .

الفقيه مجد الدين اليزدي المدرس الحنفى وذلك فى العشر الأخير من شهر ربيع الأول فسلكتنا الشهباء على النهج الأسهل وجئنا الى سنجار ونور الدين على حصارها وهدم أسوارها ولما فتح البلد دخله وملك من نخسره منتخبه ومنتحله ثم سلم البلد الى ابن أخيه عماد الدين زنكى بن مودود ولم يزل فيه لكونه خصه (١٢) مخصصا بكل مقصود ومطلوب ثم رحل نحو الموصل وقصد بلد (١٣) واستوضح منها الجد ونزل (١٤) هناك فى دجلة على مخاضته فاستسهل من خوضها والعبور فيها ما ظن متصعبا . وجاء دليل تركمانى قدامنا وهو يقطع دجلة تارة طولا وتارة عرضا أمامنا ونحن وراءه كخييط واحد حتى عبرنا الى الجانب الشرقى برجالنا واثقالنا وأقمنا بقية ذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا فنزلنا على الموصل من شرقها وخيمنا على تل توبة (١٥) فاستعظم أهلها تلك النبوة فما خطر ببالهم أننا نغير بغير مراكب وأنا نأخذ عليهم ذلك الجانب فعرفوا أنهم محصورون مقهورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق . وتعذر عليهم الرقع لاتساع الخرق . وبسط العطاء وكشف الغطاء وتكلم فى المصلحة والمصالحة الوسطاء ومد الجسر وقضى الأمر وأنعم نور الدين على أولاد أخيه ومثلوا بناديه وأقر سيف الدين غازى على قاعدة أبيه والبسه التشريف الذى وصل من أمير المؤمنين المستضى وأعادته الى البلد ثم دخل قلعة الموصل من باب السرو وأقام بها سبعة عشر يوما وحدد مناشير أهل المناصب وتوقيعات ذوى المراتب فأمر قضا القاضى حجة الدين بن نجم الدين الشهرزورى على قاعدته ونظر فى أحوال الموصل ومعاملاتها ووجوه أموالها وجباتها فألفى معظمها محظورا محذورا فتقدم باسقاطها وإطلاق قناطها وأمرنى فكتبت بذلك منشورا .

(١٢) فى الأصل : خصه .

(١٣) ربما قيل لها بلط بالطاء . اسمها بالفارسية شهر أبان على نهر دجلة قريبة من الموصل : معجم البلدان ١ — ٧١٥ .

(١٤) فى الأصل : وذل .

(١٥) موضع مقابل مدينة الموصل فى شرقى دجلة متصل ببنينوى معجم البلدان ١ — ٨٦٦ .

نكر الشيخ عمر العلاء (١)

قال : كان بالموصل رجل من شيوخ الصالحين وأئمة العارفين يعرف بعمر العلاء وكان العلماء بل الملوك والأمراء يزورونه في زاويته وله كل سنة دعوة في أيام مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحضره فيها صاحب الموصل ويحضر الشعراء وينشدون في ذلك المحفل في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يخرج لهم جوايزهم . وكان نور الدين من أخلص محبيه وأحب مخالصيه وكان يستشير به ويكتبه ، وكان بالموصل خربة واسعة متوسطة للبلد وقالوا ما شرع في عمارتها إلا من ذهب عمره فأشار الشيخ عليه بابتياعها وبنائها جامعاً تقام فيه الجمع والجماعات فانفق فيها أموالاً جاوزت حد الغزارة ووقف عليها ضيعة من ضياع الموصل . وكان الفقيه عماد الدين النوقاني الشافعي تلك السنة من الوافدين إلى الشام وكان من أكابر علماء الإسلام من أصحاب محمد بن يحيى ومعاصريه فسأله أن يكون مدرساً في هذا الجامع فقال : وكتبت له منشوراً عند عودنا إلى دمشق بذلك في سنة سبع وستين . قال وحضر مجاهد الدين قايماز (٢) صاحب أربل في الخدمة النورية بالموصل وذلك في مستهل جمادى الآخرة وزخرت الموصل بأمواج هداياه الزاهرة . قال : وولى نور الدين سعد الدين كمشتكين بقلعتها نايباً وأمر فخر الدين عبد المسيح بأن يكون له في خدمته مصاحباً واقتطع عن صاحب الموصل حران ونصيبين والخابور والمجدل (٣) وعاد إلى سنجار وأعاد عمارة أسوارها . ونزلنا بخران في خامس عشر (١٧٢ ب) / جمادى الآخرة ثم رحلنا على قصد حلب ووصلنا إليها في خامس رجب قال ونظمت هذه الأبيات على مذهب لزوم ما لا يلزم .

الحمد لله فزنا وللمطالب حزننا حزنا السرور ومات الحسود هما وحزننا
ان الاعسادى ذلوا بنصرنا وعززنا وعاد سهلا من الأمر كل ما كان حزننا
قال : وفرض القضاء والحكم بنصيبين وسنجار إلى الشيخ شرف الدين
أبى سعد بن أبى عصرون فولى بها نوابه وحكم فيها أصحابه .

(١) انظر الروضتين (٢) ١ — ١ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢ ، ٤٨٠ وأيضا
الروضتين ١ — ٢ ص ٨٥ .
(٢) في الأصل : — قايمان — انظر النواذر السلطانية ١٢٣ وردت
ترجمة له في ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج ١ ص ٥٣٩ .
(٣) اسم بلد طيب بالخابور معجم البلدان ٤١٨ — ٤١٩ .

ذكر وفاة الامام المستنجد بالله وولاية الامام المستضيء

أبي محمد الحسن ووصول رسالته إلينا

قال : ووصل الخبر بوفاة المستنجد بالله وجلوس الامام المستضيء بأمر الله وقد بويغ له يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وكان الوزير أبو جعفر المعروف بابن البلدي ركب يوم وقوع الأرجاف في عدة معه وعدة من الأمراء فلما لم يصح الخبر تفرقوا إلى منازلهم ورجع الوزير إلى داره وقيل إن أمير المؤمنين خف ما به فأغلق أستاذ الدار باب العامة فأحس الوزير حينئذ بزوال السلامة وقرع سن الندامة وجاءه أحد الحجاب يعزيه وللحضور في المشايعة (١) يستدعيه فمضى ومعه زعيم الدين أبو جعفر صاحب الخزن فلما دخل صرف به إلى موضع كان فيه مصرعه وأمضه بالسيف من دمه تجرعه وشفع عماد الدين بن عضد الدين (٢) رئيس الرؤساء في الزعيم فبقى على سنته القويم وتولى عضد الدين الوزارة وأخرج جميع من في الحبوس ومن جملتهم مخلص الدين بن الكيا الهراس (٣) فإنه اعتقل من مبتدأ خلافة الامام المستنجد إلى منتهاها وعاش بعدها حياة في عطفة ما اشتهاها . وقيل قتل في ذلك اليوم في الحبس جماعة لم يؤثر الوزير ظهورهم ومنهم عز الدين محمد بن الوزير ابن هبيرة وغيره . وجاءنا رسل الخلافة ونحن بشرقي الموصل قصد تل توبة مبشرين بخلافة الامام المستضيء بأمر الله واتفق ذلك اليوم عبور دجلة واجتباب نور الدين تشريف الاحتباء وركب يوم النزول عن التل في الأهبة السوداء واليد البيضاء وذلك بمرأى ومنظر من أهل الموصل الحذباء وأمرني بإصدار خدمة إلى الوزير يشكر الآلاء والامثال للأوامر الشريفة بإقامة الدعوة الهادية في جميع الأقطار والأمصار والخطبة على منابرها ونقش سكة الدرهم والدينار .

قال : وكنت يوما عند نور الدين في ناديه وهو مقبل على بأيديه ويسألني عن الديوان العزيز ورسومه ثم قال : وائت تمضي في الرسالة إلى

(١) في الأصل غير منقوطة .

(٢) وهو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبسة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء . أنظر الخريدة عراق ١ ص ١٣ ، ١٤ . أنظر أيضا ابن الأثير الكامل ج ١١ — ٢٩٦ .

(٣) هو ابن الكيا الهراس الذي وردت ترجمة له في ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ — ص ٤١٢ .

مئزل الجلالة وتهنىء الامامة والوزارة وهناك الشيخ شرف الدين بن أبى
عصرون جالس وهو فى الزاوية كالس(٤) ووجهه لما يشكوه من المرض
عابس وكأنه متحيد عن نور الدين وقربه متفقد رأسه فى عبه فلما سمع حديث
بغداد رفع رأسه وحولق واستعاذ وأبل واستقل واعترض واستدل وانقلب
وما به قلبه وتكلم وكلماته مهذبة وثاب ما معناه : أنا للقيام بالرسالة
واقامة الدلالة والنصرة والادالة وجلا الجلالة فقلنا : هو شيخنا وكبيرنا
وهو الأولى فليعتمد عليه المولى وليس لهذا المقام مثله ولا دراك هذه
الفضيلة الا فضله واذا وضع الامام المذهب الى الامام فقد تسدى مرامى
المرام . واستقر أن يسير رسولا يستقبل اقبالا وقبولا . قال وعلقت انا على
شغلى من الانشاء وحررت أجوبة الكتب الواصلة مع الرسل للهنا(٥) ونظمت
هذه الأبيات وخدمت بها الفرض الأشرف قلت ومنها :

قد أضاء الزمان بالمستضىء وارث البرد وابن عم النبىء
جاء بالعدل والشريعة والحق فيا مرحبا بهذا المجىء(٦)
فهنيئا أهل بغداد فازوا بعد بؤس بكل عيش هنىء

قال : ولما وصل الرسل الى مدينة السام وعرض(٧) التهنئة التى نظمتها
تاج الدين أخى المقيم بها وسير لى تشريف بأهبة امامية ومبلغ مائة دينار
اميرية وصار التشريف والذهب مع تشريف أخى انعاما مستمرا وادارارا استمر
لاستقبال سنة ست وستين وأمضاه الامام الناصر لدين الله فى أيامه فى
كل سنة .

قال : ووصل هذا الانعام بحلب فى شعبان من هذه السنة فنظمت
مذه الكلمة وأرسلتها الى أخى تاج الدين ليعرضها وأولها :

(٤) كلس فلان على قدمه وكلس اذا جبن والكلمة فى اللون — انظر
لسان العرب ٦ — ١٩٧ .

(٥) فى الأصل لهشاء .

(٦) يضيف أبو شامة البيت التالى :

ومض ان كان فى الزمن المظلم فالعود فى الزمان المضى

الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٨٥ .

(٧) فى الأصل : وعرضوا .

(٨) فى الأصل : شرف .

هل عايد زمن الوصال المنقضى أم عايد لى فى الصبابة ممرضى
لا اشتكى الا الفرام فانه بلوى على من السسماء بهما قضى
(١٧٣ ١) لهفى على زمن الشباب فانتى بسوى التأسف عنه لم اتعرض

ومنها :

ياحسن أيام الصبى وكأنها أيام مولانا الامام المستضى
قسم السعادة والشقاوة ربنا فى الخلق بين محبه والمبغض
اصفى ظلام العدل بعد تقلص وبنى أساس العدل بعد تقوض
قال وقد عرف العالمون اننى من انشاء الدولة الامامية واحد تابعيها (٩)
وما عشت الا بعيشها ولا درجت الا من عشتها وانا الى الآن فى محاسنها
وميامنها .

قال : فى ذكر صديق له ببغداد يقال له علم الدين على بن اسماعيل
الزكائدار هذا الصديق كان ببغداد لى مصادقا وفى حبي صادقا ، وقد جمعنا
الفضل وانتظم بالموانسة بيت الشمل . وكنا متصاحبين ليلا ونهارا ومتصافيين
سرا وجهارا فلما سافرت الى الشام وحالت بيننا دواعى البين وعوادي
الأيام شق عليه التفرق وأوحشه وعدم الورد الذى اعتاد روى عطشه وتوالت
الى كتبه وبعث خاطرى على اعتياب عتبة فمن الرباعيات التى صدرت بها
الكتب اليه :

ما اخلنى وقد اتتنى الكتب تشكوا وتقول انهم قد عتبوا
هم اهل مودتى رضوا ام غضبوا ما أعظم زلتى اذا لم يهبوا

ومنها :

هبت سحرا فنبهت وسواسى نشوى خطرت عيلة الانفاس
أهدت أريج الرجاء بعد اليأس ما أطيب بعد وحشتى ايناس

قال : ومن المقطوعات التي كنت أوصل بها ذلك الصديق :

جامع الشمل بعد طول الفراق للمحبين كافل بالتلاقى
ولنعيل الأيام تسمح بالوصل وتقضى لبانه المشتاق
يا اخلائي الكرام المضاهين بطيب العروق طيب العراق
ومنها :

يا صبوراً على الصبابة بعدى لك طول البقاء ما أنا بواق
فأجبرني من النوى بالتلقى وارث لى لا لقيت ما أنا لاق

عاد الحديث الى المتجددات بمصر والشام في هذه السنة قال : فوصل نور الدين الى دمشق وأدى فرض الصيام وخرج بعد العيد الى الخيام وكان قد أخرج سرادقه الى جسر الخشب ناجح الراى راجح الأرب . وكان بها شهاب الدين الارتقى ومحمد بن الياس بن ايلغازى بن ارتق صاحب البيرة وهو ذو الرتبة المنيفة المنيرة في طريق القصد الى الخدمة وقد فارق حمص ونزل باللبوة وركب متصيداً فصادف (١٠) الفرنج قد أغاروا في ثلاثمائة راكب من كل سال عن الحياة للحياة سالب فصادفهم وصادفوه وانكروه وما عرفوه فما زال يغلبهم ويشلهم ويقتلهم بدمائهم ويعلمهم حتى تم على يده قتلهم بأسرهم وأسروهم وذلك في يوم الأربعاء السابع عشر من شوال هذه السنة .

ورحل الينا ونحن بعشترا (١١) فركب نور الدين ووقف وجاء شهاب الدين ونزل وقبل يده وشكر نور الدين جلادته وعرض عليه الاسارى المقدمين (١٢) (مقرنين في الاصفاد (١٣) مسجونين في الأغلال والاقلياد ومعهم مقدم الاسبتار الكبير الأعور بحصن الأكراد (١٤) وعدة مقدمون من أهل الشرك

(١٠) فى الاصل : فصادف .

(١١) موضع بحوران من أعمال دمشق معجم البلدان ٣ — ٦٧٩ .

(١٢) فى الأصل المقدمون .

(١٣) سورة ابراهيم ية رقم ٤٩ ، سورة ص آية رقم ٣٨ .

(١٤) حصن منيع على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان وهو بين بعلبك وحمص . وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاق فتدبروها بأهاليها ثم خافوا على أنفسهم . باعه الأكراد منهم ورجعوا الى بلادهم وملكة الفرنج — معجم البلدان ٢ — ٢٧٦

والعتاد وفرق شهاب الدين الباقيين (١٥) من الاسارى على الأمراء والاجناد .

قال : وكان بمصر حبس للشحن يعرف بدار المعونة لاقامة العقوبات وسفك الدماء فأعادها صلاح الدين مدرسة للشافعية وعمرها فنشر بها اعلام الادلة الشرعية وذلك فى أول سنة ست وستين .

وفى النصف من المحرم عمل دار الغزل مدرسة للمالكية . وعول على القاضى صدر الدين عبد الملك بن درباس (١٦) فى القضاء والحكم بمصر والقاهرة وسائر اعمالها الظاهرة وذلك فى السادس والعشرين (١٧) من جمادى الآخرة ، وخرج فى هذه السنة الى الغزاة بعساكره واغار على الرملة وعسقلان وهجم على ربض غزة وأفلت على الداروم (١٨) ملك الفرنج تجرى معه / (١٧٣ ب) الذقن ورجع فى الحادى عشر من شهر ربيع الأول الى القاهرة ثم وصل الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله فأشفق عليها وأحب ان يجمع بها شمله فخرج فى النصف من ربيع الأول وكانت بايلة قلعة فى البحر قد حصنها اهل الكفر فعمل لها مراكب وحملها الى ساحلها على الجمال وفتح القلعة فى العشر الأول من ربيع الآخر واستحلها واستباح بالقتل والاسر أهلها وشحنها بالعدد والعدد وحصنها بأهل الجلال والجلد واجتمع عليها بأهله ثم ساروا على سمت القاهرة ودخلوا اليها فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة (١٩) وسار الى الاسكندرية ليشاهدها ويرتب قواعدها وهى أول دفعة تقدم اليها فى أول سلطانه فعم أهلها باحسنانه وأمر بعمارة سورها وتجديد بنيانه .

(١٥) فى الاصل : على .

(١٦) يقول المقرئى : — ومن حينئذ اشتهر مذهب الشافعى ومذهب مالك بديار مصر وتظاهر به الناس واختفى مذهب الشيعة من الإمامية الاسماعيلية وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره . اتعاض الحنفا الجزء المخطوط ورقة رقم ٦٥ .

(١٧) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٨٦ حيث أورد أبو شامة هذا التاريخ كالتالى — وذلك فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

(١٨) قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر الواقف فيها يرى البحر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى ٥٨٤ هـ معجم البلدان ٢ — ٥٢٥ .

(١٩) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٨٦ حيث يقول ودخلوا فى السادس والعشرين من جمادى الأولى اليها .

وفي النصف من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخى السلطان منازل العز بمصر وجعلها للشافعية مدرسة واشترى البروضة وحمام الذهب وغيرها من الأملاك ووقفها عليها .

وفي النصف من جمادى الآخرة أغار شمس الدولة أخو السلطان بالصعيد ثم دخل القاهرة في عاشر رمضان .

وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة مات القاضى ابن الخلال (٢٠) وكان من الأمائل الأفاضل ولم يزل صاحب ديوان الانشاء ولما كبر جلس فى كبر الانزواء وكان الأجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقام به مدة حياته لكرم عهده وتكفله .

ودخلت سنة سبع وستين قال : استفتح السلطان سنة سبع بجامع كل طاعة وسمع وهو اقامة الخطبة (٢١) فى الجمعة الأولى منها بمصر لبنى العباس وعادت الدولة بها ثابتة الأساس ، وعفت البدعة وصفت الشرعة ، وأقيمت الخطبة العباسية فى الجمعة الثانية من المحرم بالقاهرة للإمامة المستضوية المضية الزاهرة واعقب وفاة العاضد فى عاشوراء بالقصر . وجلس السلطان للعزاء واغرب فى الحزن والبكاء ثم تسلم القصر بما فيه من خزائنه وذخائره ودفائنه . وكان قد نافق مؤتمن الخلافة وقتل وصرف من هو زمام القصر وعزل ووكل بهاء الدين قراقوش (٢٢) بالقصر وجعله زمامه

(٢٠) القاضى ابن خلال هو يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموفق صاحب ديوان الانشاء بمصر فى دولة الحافظ أبى الميمون عبد المجيد العبيدى . ذكره العماد فى الخريدة . استخدم القاضى الفاضل عند حضوره . ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى أن طعن فى السن وعجز عن الحركة فانقطع فى بيته ويقال أن القاضى الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم فكان يجرى عليه كل ما يحتاج اليه الى أن مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٦ هـ انظر ابن خلكان ٢ — ٥٣٩ هـ — ٥٤٣ . وانظر أيضا الخريدة شعراء مصر ١ — ٢٣٥ .

(٢١) لأول مرة منذ أكثر من قرنين يخطب للخلافة العباسية على منابر القاهرة بعد انقراض الدولة الفاطمية التى استمر حكمها فى مصر من ٣٥٩ هـ الى ٥٦٧ هـ .

(٢٢) وهو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدى الملقب ببهاء الدين انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٥٤٣ .

واستتابه مثاب نفسه وأقامه مقامه فما دخل الى القصر شيء ولا خرج
الا بهراى منه ومسمع .

ولما توفي العاضد أمر السلطان بالاحتياط على اولاده في موضع
خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد ، وقرر ما يكون رسمهم للكسوات
والاقوات والازواد قال : وهم الى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره
يكلوهم (٢٣) ويحرس بعين حزمه في ليله ونهاره وجميع الباقين من عمومهم
وعثرتهم من القصر في ايوان وأبعد عنهم النساء لئلا يتناسلوا وهم الآن
محصورين وقد نقص عددهم وقلص عددهم . ثم عرض من بالقصر من
الجواري والعبيد فوجدوا اكثرهن حراير فأطلقهن ، وجمع أموال لهن موات
فأعتقهن وجمع الباقيات فوهبن وفرقهن وأخلى (٢٤) دوره وأغلق قصوره
وسلط الجود على الموجود وأبطل الوزن والعد عن الموزون والمعدود وأخذ كلما
صلح له والأهله وأمرائه وخواص مماليكه وأوليائه من أخير الذخاير وزواهر
الجواهر والعقود والنقود والمنظوم والمنضود وما لا يعد احصاء ولا يعد
استقصاء فوقع فيها القضاء وكشف عنها الغطاء واسرف فيها العطاء ،
وأطلق البيع بعد ذلك في كل رخيص منها وغال ويال وأسماه ومنقول ومحمول
ومصنوع ومعمول واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وتقلت الى البلاد
بايدى المسافرين ومن جمعتها الكتب (٢٥) فاني قد أخذت منها جملة في سنة
اثنتين وسبعين وكانت خزانيتها مشتملة على قريب من مائة وعشرين ألف
مجلة مؤيدة من العهد القديم مخلدة ، وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته
الأيدي واقتطفه التعدي ونقلت منها ثمانية أحمال الى الشمام وتقاسم
الخواص بدور القصر وانتقل اليه الملك العادل سيف الدين لساناب عن
أخيه واستمر سكناه فيه .

(٢٣) في الأصل : يكلوهم .

(٢٤) في الأصل : واخا .

(٢٥) فيما يتعلق بالمكتبة الفاطمية في القاهرة وجهت تهمة تدمير الكتب
أما بحرقها أو تبديدها الى صلاح الدين ولكن لم يعثر حتى الان على نص أو
دليل يؤكد أو يدعم هذه القضية وكل ما هناك أن الكتب بيعت أو وزعت على
من لهم اهتمام خاص بناحية علمية معينة .

وخطب لامامنا المستضىء فى قوص وأسوان والصنعيد وشاعت البشائر
وسار بها البادى والحاضر وتملك السلطان أملاك المنتمين اليهم من أشياعهم
وضرب الألواح على دورهم ورباعهم ثم ملكها امراءه وخص بها أوليائه وباع
منها أماكن ووهب مساكن .

كتاب فاضلى من صلاح الدين الى المبارك بن منقذ والى قوص وكتابنا
هذا وارد على الأمير مجيد الدين : عندما كان من نفوذ قضاء الله
وقدره محتوما فيما كان منصوبا وموسوما وذلك لمرض امتدت فيه أيامه
واستولت عليه آلامه الى ان انقضت به عراه وانحلت معه قواه وأناه من
امر الله ما أتاه وحضرنا فى ايوانه ونقلنا بانتقاله أسرار الأمر الى خلائه
ليعلم أن الله استأثر / (١٧٤ ١) بوفاته وآثره وآثرنا لحسن العهد بموافاته
وبلغنا الغاية فى أحمال أمره والتوديع له الى قبره وإطابة نفوس مخلصيه
واقرارهم فى قصره وانكفأنا الى مستقرنا والامور لدينا مطردة والأحوال
قبائنا متمهدة والدهماء ساكنة والدنيا بنظرنا آمنة ، وسبيل الأمير أن يوعز الى
الخطاطىء يوم الجمعة بالدعاء لمن الكلمة عليه مجموعة
والدعوة له فى الاقطار مسموعة وهو الامام المستضىء بأمر
الله أمير المؤمنين ويلزم الناس العافية فانها أسبغ عطاء وأسبل
غطاء فى تنقل الايام عبرة « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد (٢٦) » ومن تعظه الايام من قريب « فأولئك ينادون من مكان بعيد (٢٧) » .

قال : وكان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويرجع فى جميع
النصائح الى رأيه المتين وقد كان كاتبه نور الدين فى شوال سنة ست بتغيير
الخطبة وانتزاع نكر هذه القضية وإيقن أن أمره متبوع وقوله مسموع
ونطقت بذلك السن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين ابا المعالى
المطهر بن الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون بهذه البشارة وإشاعة ما تقدم
له بها من الإشارة وأمرنى بإنشاء بشارة عامة تقرأ فى سائر بلاد الاسلام
وبشارة خاصة للديوان العزيز بحضرة الامام فى مدينة السلام .

(٢٦) سورة ق اية رقم ٣٧ .

(٢٧) سورة فصلت اية رقم ٤٤ . (أولئك ينادون من مكان بعيد)
ف : زائدة فى النص .

ذكر وصول عماد الدين صندل رسولا من دار الخلافة بالخلع والتشريفات لنور الدين ، وصلاح الدين(١)

قال : كان عماد الدين صندل هذا من اكابر الخدم المقتفوية وتولى استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين بن عضد الدين عنها وهو اكبر من ارسل وجاء بالتشريف لنور الدين بأهبتة السوداء العراقية وحلله الموشية وطوقه الثقيل وسرجه الخاص الشريف وحصانه المحصن المنيف ولواء الحمد المعقود وفرجية النسيج المعمود ومثال التقليد المشهود وكتاب التقريظ المحمود .

وعين يوم يحضر فيه الرسول ونصوا على من يحضر في مجلس نور الدين عند اجتيابه تشريف الاحتباء وأغفلوا ذكرى قصدا منهم لاغمي فلما حضرت الرسل طلبني نور الدين فلم يرني فننذ ورائي واستحضرني وقام لقيام الرسل حتى حضرت وكان مقصودة ان يعرفهم منزلي واختصاصي عنده فناولني الكتاب الشريف لأتلوه فتناوله مني الموفق بن القيسراني خالد وكان عنده في مقام الوزير وله انبساط زايد فداريته وما ماريته وتركته يقرأ وأنا ارد عليه وارشده في التلاوة الى ما لا يهتدى اليه حتى انهاء فأعجب نور الدين صمتي وسمتي واجتأب الأهبة ولبس الفرجة وتقلد مع تقلد السيئين طوقها وخرج وركب من داخل القلعة وهو حال بما عليه من الخلعة ، واللواء منشور والنصار منثور ، والركبان الشريفان احدهما مركوبة والآخر بحليته مجنوبة وسألت عن معنى تقليد السيئين فقليل هما للشام ول مصر والجمع بين البلادين وخرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى الى منتهى الميدان الأخضر ثم عاد جميل المحضر جليل المنظر لبيقا بالأعظمين السرير والمنبر .

وكان وزن الطوق مع اكرته ألف دينار من الذهب الأحمر ، ووجملوا لصلاح الدين تشريفا رايقا رايعا ، لكن تشريف نور الدين اميز منه وأفضل وأجمل وأكمل فسير تشريفه برمته اليه بمصر ليجتأبه وشرف أيضا من عنده بخلع يشرف بها أصحابه ووصلت تلك الخلعة اليه فلبسها وطاف بها في الحادى والعشرين من رجب وهى أول أهبة عباسية دخلت الديار المصرية فقضى أهلها منها العجب ، وكانت مع الرسل اعلام وبنود ورايات واهب عباسية للخطباء في ديار مصر فسيرت الى صلاح الدين ففرقتها على المساجد والجوامع والخطباء والقضاة والعلماء .

قال : وكان صلاح الدين واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك (٢) والشوبك (٣) ويتشاورا فيما يعود بالصلاح المشترك فخرج من القاهرة في الثاني والعشرين من المحرم فاتفق للاجتماع عايق ولم يقدر للاتفاق قدر موافق فلقى في تلك السفرة شدة وعسدم خيلا وظهرأ وعدة وآب الى القاهرة في النصف من شهر ربيع الأول .

قال : وكان مع الرسول لخاصتى من الامام رسم التشريف والانعام وهو مائة دينار وأهبة شريفة بجبة وعمامة .

وكان لى أيضا مع رسول الوزير عضد الدين وهو الحافظ الدمشقى (٤) آخر العجيب المائة عن مكارمه ومناقبه منبىة ولما عاد الرسول في سابع عشر جمادى (٥) الآخرة سمرت الى الوزير هذه المدحة واستزدت المنحة قلت وهى قصيدة أولها :

عسى أن تعود لىالى زرود (٦) ويقضى المنى بنجاز الوعود
وتشرق أيامنا الزاهرات ويورق فى روضه الوصل عودى

(١٧٤ ب) / قال : ولما عاد الرسول عاد معهم شهاب الدين بن عصرون بأجوبة الكتب عن نور الدين .

قال : وكان نور الدين لا يقيم فى المدينة أيام الربيع والصيف محافظة على الثغر ورعاية للبلاد وهو متشوق الى أخبار مصر وأحوالها فرأى اتخاذ الحمام المناسب وتدريبها على الطيران لتحمل اليه الكتب بأخبار البلدان وتقدم الى بكتب منشور لأربابها واعزاز أصحابها .

(٢) الكرك بفتح الراء قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين ايله والبحر الاحمر والبيت المقدس . معجم البلدان ح ٤ — ٢٦٢ انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٢٦ حاشية رقم (١) .

(٣) الشوبك بالفتح ثم السكون قلعة حصينة فى اطراف الشام بين عمان وايله والبحر الاحمر قرب الكرك . معجم البلدان ٣ — ٣٣٣ . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٥٢٦ حاشية رقم ٢ .

(٤) أبو منصور بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقى الملقب فخر الدين . وهو ابن أخى الحافظ ابن عساكر الدمشقى . ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٣٤٩ .

(٥) فى الاصل : جميدى .

(٦) فى الاصل : مطموسة ولا يظهر سوى رود من الكلمة . وزرود من أيام العرب مشهور بين تغلب وبنى يربوع — انظر معجم البلدان ٢ — ٩٢٨

قال : وفي رجب من هذه السنة فوض الى المدرسة التي بحضرة حمام القصر وعول على في التدريس بها والنظر في أوقافها وكان الشيخ فيها الفقيه ابن عبيد فلما توفي خلف ولدين واستمرا فيها على رسم الوالد ثم خدعهما رجل مقربى استهواهما بعمل الكيمياء ونهج بهما سبيل الاغواء فصاهراه وظاهراه ففاظ نور الدين هذا المعنى واحضرهما واستوفى عليهما أنواع التوبيخ فلم يجد من أحدهما لأمره سمع النصيح فقال لى : تسلم الموضع ورتبني فيه مدرسا وناظرا وكان ليلة الخميس وحضر القاضي كمال الدين وعلماء البلد بكرة التدريس فاستمرت الولاية وشملتني من الله الرعاية .

قال : ودخلت سنة ثمان وستين والأمر سديدة والثغور مسدودة والوية الأولياء بالنصر معقودة والطوالع مسنوعة والمواسم مشهودة والمواسم الحمودية محمودة .

قال : ذكر تقيضى اشراف ديوانه الى :

كان نور الدين رحمه الله كلما رتب لديوانه مشرفا وجده الى نواب ديوانه متعرضا وبتصريفهم متصرفا فمنهم من يقصر عن مطاوتهم ولا ينهض لمقاومتهم فاذا عرف انه لا يسوء ولا يسر ولا ينفع ولا يضر عنفه وصرفه وعزف عنه وتعيفه ، ومنهم من يعرف انه اذا حادتهم وناقهم لا يظفر بقبول ولا يفوز بمأمول فيوافقهم ويرافقهم فاذا عرف حاله بعد حين كان بعزله غير ضنين . وكنت قد توليت شغله وتقيأت ظله بح نوابه في خفض قدرى وضيق صدرى وأنا أحلم عنهم ولا انتقم منهم فلما كثر منهم القهاون وظهر منهم التعاون لم يخف عن نور الدين سر أمرى وعلم أن لطفى الإدارة معهم أمرى وكان ذكيا المعيا لا يخفى عليه الأحوال ولا يتهرج لديه الرجال ولم يزل لايناسه بى وإطلاعه على سرى يشمئنى بما لا يخطر ببالى عارفته وعاطفته . وأنا اذا انصرف النواب من ديوانه اجلس ملازما للخدمة فى ايوانه فاذا خرج الخادم لشغل ولا يرى منهم أحدا حاضرا عباد اليه فأخبره بغيبتهم ويقول ما رأيت الا فلانا وربما خرج وتقدم الى بكفاية ذلك المهم وأعجبه دوام تلك الشيمة منى وكان يريد تقديمى ولكنه للحزم على الثبات والتأنى . فبينما أنا ذات يوم أطلت القعود وأدمت على الباب الركود والفيت لنار حركاتى بعد الظهر الخمود منزلت الى منزلى لاتبلغ بقوت وأعود الى الباب فى وقت موقوت اذ جاء من يطلبنى وعلى النغية يغتبنى فتضجرت فى نفسي

وعدمت أنسى وقلت : ما أصعب هذه الخدمة وما أصعب هذه النعمة
أما أترك لطعامى ومتى يتسدد مرامى مرامى . وحين حضرت خرج الى
خازنه ولى الدين اسماعيل وقال : يأمرك بأن تتولى اشراف مملكته وتكون
الحافظ الأمين فى دولته فقلت يعفنى فأنا وحيد فى الغربية وبهذا العمل عديم
الدربة وهؤلاء النواب قد خلا لهم الميدان وطاوعهم على تقادم السنين
الأمكان ، ولهم خبرة بالأعمال ومعرفة بالأحوال وكأنهم على حصنهم العربية
قد حازوا قصب الرهان وكأنى على برذون أعرج فكيف أسابقتهم فى الميدان .
فبعد بالجواب وقال اتبع أوامرنا وانت على الصواب فجمعت بين المنصبين
وقسمت زمانى على النصيبين فمرة للكتب والمناشير وتارة للثبات فى
الدساتير ولم أثق بنائب وباشرت العمل بنفسى على أنهم لا يلتفتون نحوى
ولا يبالون بكدرى وصفوى ولا يجرون الا على ما ألفوه من العادة ولا يشاوروننى
فى الأبداء والاعادة . فما زلت أرد طباعهم وأصد أطماعهم حتى قويت على
العمل ورويت من عله النهل .

قال : وكان من عادة نور الدين أنه اذا أقطع أميرا اقطاعا وعين
بعبخته ضياعا قرر عليه رجالا قوى عدد لا ينقصون فى خيل وسلاح
وعدد فاذا نقص مقل الاقطاع عن المبلغ اتم له نقدا من خزائنه .

قال : وأمر أن يركب كل أمير بعدته وهيئة بأسه فى الحرب وشدته
ونحن نبكر لعرضه والأمير الحاجب ضياء الدين بكر يسان متولى هذا الأمر
وهو يجمعنا كل يوم من الفجر وكان هذا الأمير أكبر حجاب أسد الدين
شيركوه وأخص أصدقائه فلما توجه مخدومه الى مصر لم يصحبه ولم يرقه
ملك مصر بترك وطنه بالشام ولم يعجبه . فمال اليه نور الدين لزنة حصاه
وزينة حجاه / (١١٧٥) ورفع قدره الى رتبة الأمراء الأكابر واعتمد على
نهضته فى الموارد والمصادر .

ذكر ما سيره صلاح الدين من مصر من الأموال

قال : ولما عرض صلاح الدين بعد العاصد بالقصر خزائنه واستخرج
منها دفاينه سير منها عدة من الأمثلة المستحسنة والآلات المثمنة من
قطع البللور واليشم والأوانى التى لا يتصور وجود مثلها فى الوهم ومعها
ثلاثة قطع من البلخس أكبرها ثيف وثلاثون مثقالا والثانية ثمانية عشر

مثقلاً والأخرى دونها وقرن (١) بها من اللآلى مرصوفها ومكنونها وحمل معها من الذهب ستين ألف دينار ووصلت من غرايب المصوغات بما لا يجمع مثله في اعصار واعمار ومن الطيب والعطر مالم يخطر ببال عطار فشكر نور الدين همته وقال : ماكانت بنا حاجة الى هذا المال ولا نسد به خلة الاقلال فهو يعلم انا ما أنفقنا الذهب في ملك مصر وبنا فقر الى الذهب وتمثل بقول أبي تمام :

لم ينفق الذهب المربى بكثرتيه على الحصا وبه فقر الى الذهب

فناستنزره وما استنزّره واستقل المحمول في جنب ما حرزه وتروى
فليما يدبره وافكر فيما يقدمه في هذا المهم ويؤخره .

ذكر خروج الملك الناصر صلاح الدين ونزوله على الكرك والشوبك

قال : خرج في النصف من شعبان (٢) ومعه الفيل والحمارة العنابية والذخاير النفيسة التي انتخبها من خزائن القصر وقد سبق ذكر تسييرها الى نور الدين ووصلت الحمارة وكثر لها النظارة (٣) وأما الفيل فانه وصل إلينا في سنة تسع وستين ونحن بحلب فأهداه نور الدين الى ابن أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ثم سيره نور الدين (٤) الى بغداد هدية للخليفة وسير نور الدين الحمارة الى بغداد مع هدايا وتحف سنيا .

وأما صلاح الدين فانه أقام على تلك الحصون وأدار عليها رعى الحرب الزبون ولم يبرح حتى برح بها وقرق عنها عربها وخرب عمارتها وشنت على أعمالها سراياه بغاراتها ومن جملة عربائها الذين رغبهم وسيرهم الى الشام نور الدين صلخد بنوعباد فانهم وصلوا في مائتي فارس من أبطال الحرب وكماة الطعن والضرب ووصل على أيديهم كتاب صلاح الدين الفاضلي ونسخته .

(١) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ (٥٢٤) .
(٢) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ (٥٢٥) حيث يورد أبو شامة هذا التاريخ كما يلي : وخرج صلاح الدين في النصف من شوال .
(٣) انظر الروضتين ١ — ٢ ص ٥٢٦ حيث يقول أن سيف الدين هو الذي أرسل الفيل الى بغداد .

سبب هذه الخدمة الى مولانا الملك العادل اعز الله سلطانه ومد
ابدا احسانه ومكن بالنصر. أمكانه وشيد بالتأييد مكانه . علم الملوك بما
يؤثر المولى أن يقصد الكفار بما يخلص اجنحتهم ويقتل اسلحتهم ويقطع موادهم
ويخرب بلادهم وأكثر الأسباب المعينة على ما نرى أن لا يبقى في بلادهم أحد
من العربان وأن ينتقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان ومما اجتهد فيه غاية
الاجتهاد وعده من أعظم الأسباب ترحيل كثير من أنفارهم والحرص في تبديل
ديارهم الى أن صار العدو اليوم اذا نهض لا يجد بين يديه دليلا ولا يستطيع
حيلة ولا يهتدى سبيلا ولو كان هؤلاء العربان يرغبون في الديار المصرية
لكان يحمل كلهم ويسوقهم كلهم ولكن هواهم في الشام ورغبتهم في بلاده دون
غيرها من بلاد الاسلام . ولو أن المولى خلى لهم اقليما واقطعهم اقطاعا
عظيما ليقطعهم عن الكفر وبلاده ويبعدهم عن تكثير سواده لكان في ذلك
قد أحسن فعلا وحمل عن المسلمين ثقلا فكيف وهم يخدمون في البلاد خدمة
من عرف مدالجها وخبر طرقها ومناهجها فما يدعون جهدا في اضرارها وشن
الغارة عليها ومواصلة الفتك فيها .

ذكر بعض المتجددات بالشام

قال : حضرت عند الملك العادل نور الدين بدمشق في العشرين من
صفر والحديث يجري في طيب دمشق ورقة هوائها وبهجة بهائها وازهار
رياضها وانها كزهر سمائها وكل ما يمدحها ويطريها فقال نور الدين انما
حب الجهاد يسلينى عنها فما أرغب فيها قال فارتجلت في هذا المعنى فقلت :
ليس فى الدنيا جميعا بلدة مثل دمشق ويسلينى عنها فى سبيل الله عشقى

قال : واتفق أن خرج كلب الفرنج اللعين فى جنود الشياطين يقصد
الغارة على ناحية زرا (١) من حوران وأناخ بأول ليلة بقرية بسمكن (٢)
ووصل الخبر الى نور الدين وهو نازل بالكسوة اليهم وأقدم بعساكره عليهم
فلما عرفوا وصوله رحلوا الى منزلة الفوار وأصبحوا بكره السبت غرة شهر
ربيع الاول راحلين الى السواد صارفين أعنة الجياد عن أسنة الصعاد

(١) تدعى أيضا ذرع من أعمال حوران معجم البلدان ٣٢ — ٩٢١
(٢) فى الأصل بسبستكين والضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٢٨
وعن سمكين انظر ياقوت . معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٠ .

وشلتهم مقدمة عسكرينا حتى نزلوا بالثلالة ونزل نور الدين بعشترأ وانفذ سرية الى أعمال طبريه ولما عادت لحقها الفرنج عند المخاضة فوقف الشجعان / (١٧٥ ب) وثبت من ثبته الايمان حتى عبرت السرية بجمالها وعادت وقد نصرت صوارمها ونفذت لهازمها ولما أنهضنا السرية رحلنا من عشترأ وخيمنا بظاهر زرا .

قال : وكنت عند مسيرنا الى اللقاء لنور الدين مسايرا وله مجاورا وهو يقول كيف تصف نهوضنا الى الجهاد وسواد وجوههم بدخولهم في السواد وهو يبتسم وقد تقدم أمراؤه الى المعركة ويقول لم أرك قوى القلب وأقول وكيف لا يقوى قلبى بخدمتك وانا في عصمتك هذه القصيدة في وصف الحال :

عقدت بنصرك راية الايمان وبدت لعصرك آية الاحسان

قلت ومنها :

كم مصعب عسر المقادة قدته نحو الردى بخرايم الخذلان

ومنها :

وعلى غناء المشرفية في الطلا والهام رقص عوالى المران (٣)
وكان بين النقع مع حديد هسا نار تألق من خلال دخان
غطى العجاج به نجوم سمائه لتنوب عنها انجم الخرسان
ولوا وقلب شجاعهم في صدره كالسيف يرعد في يمين جبان
يمتاع من قلب القلوب دماها بالسمر منح الماء بالاشيطان
فمن العراق الى الشام الى ذرى مصر الى قسوص الى أسوان
لم تله عما في البلاد وانما الهات فرض الغزو عن همذان
اذعنت لله المهيمن اذعنت لك أوجه الاملاك بالاذعان
سيز لو أن الوحي تنزل انزلت في شأنها سور من القرآن

قال : وفي هذه السنة غزا شمس الدولة تورانشاه أخوا صلاح الدين

(٣) ذكر أبو شامة القصيدة في الروضتين (٢) ١ - ٢ ص ٥٢٩ .

بلد النبوة وفتح حصنا لهم يعرف بابريم وهى بلاد عديمة الجدوى عظيمة البلوى ثم جمع السبى وعاد به الى استوان وفرق على أصحابه فى الغنائم السودان .

ذكر وفاة نجم الدين أيوب والد السلطان

قال : وركب نجم الدين فثسب به فرسه وذلك بالقاهرة عند باب النصر وسط ذى الحجة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة وعاش ثمانية أيام بعد وقوعه وتوفى فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحجة فى الساعة الرابعة وكان ولده صلاح الدين عنه غاييا فى بلاد الكرك والثوبك فدفن الى جانب أخيه أسد الدين فى بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد سنتين الى المدينة النبوية .

عاد الحديث الى الشام قال : ودخل نور الدين دمشق وشتا بها ولما طاب الزمان تقاضاه عزمه بالحركة ، وكان قصده بجانب الشمال لتسديد ما اختل هناك من الأحوال ولتجديد العهد بتلك الأعمال فبدأ بمصر وشرع فى انفاذ من يستكفيه (١) من الرجال فى تقدير ما يحمل كل سنة اليه من الأموال .

ذكر مسير الموفق خالد القيسراني الى مصر

قال : وكان نور الدين منذ ملكت مصر يؤثر أن يقرر له فيها (١) مال للحمل يستعين به على تحمل كلف الجهاد والأيام تماطله والاقدار تحول بينه وبين ما يحاوله وهو ينتظر أن صلاح الدين يبتدىء من نفسه بما يريده وهو لا يستدعى منه ولا يستزيده فلما حمل من أخير الذخاير ما حمله وعلم مجمله ومفصله تقدم الى الموفق أن يمضى ويطلب ويقتضى . ويعمل ايضا حيازة بالأعمال المصرية وعين له ما يحمل اليه معه من الهدايا والتحف السنايا والثياب المعلمة والخيل المسومة ورحل نور الدين على سمت البقاع وخرج خالد معه للوداع فأعاده بعد أن قرر معه ما أراده وأمره بالمقام الى حين دخول خازنه بتسليم ما سبق ذكره من الاقسام فلما نزلنا بعين الجر (٢) تذكر ما عد به من الأمر فاستدعى ولئى الدين اسماعيل متولى خزانته

(١) فى الاصل . يستلفيه .

(١) فى الاصل : فيه .

(٢) عين الجر : بلد بالبقاع بين بعلبك ودمشق معجم البلدان ٣ -

وشهاب الدين أبا صالح بن العجمي ناظر ديوانه فاستدعى ولى الدين اسماعيل وعدل خزائنه وأمرهما بالعود الى دمشق وتسليم ما كان عنده ليتسلمه خالد وكلاهما بعد انجاز الشغل الى المعسكر معاود .

قال : ولما ودع الموفق / (١٧٦) خالد مستوفى المملكة النورية أراد أن يستنيب أحد اخوته ومن يثق بكفايته فقال نور الدين يقوم العماد بهذا الشغل فجمعت بين الانشاء والاشراف والاستيفاء . ووجدت الخدم الثلاث بكفالتى الوفاء . ثم تعصب فخر الدين المزعفرانى وكان من الأمراء الكبار لرضى الدين يعقوب رئيس سنجار وبذل فى منصبى خمسة آلاف دينار فقال نور الدين : أما العماد فلا نبيع كفاة الرجال بالقناطير المقنطرة من المال وأخذ عشرة آلاف دينار وولاه منصب الاستيفاء وجلس معنا أشهرا . فكتب يوما الى نور الدين أننى أريد أن يكون لى فى كل بلد نايب حتى أقدر على الوفاء بما بذلته فقال نور الدين : كأنه يريد أن يوفينى المال من مالى وفرايد أعمالى فصرفه ورد الى العمل وحقق منه بتقريره الى الأمل . قال وخرج يوما من عند نور الدين من قال : قد أمر المولى أن كل من كان للموفق عليه رسم يوصله الى العماد فإنه بعده بمحل الاعتماد وقد مال الى وعول فى مناصبه على وطالعه كل يوم بمرافق عملى ومنافع شغلى فلما اتحف بتحفه ولا أخص من أحد بعبية الا اطلعه بها (٣) واطلعه على سببها (٤) فكان يعجبه منى تلك الشيمة ويقول : تصرف فيه تصرفك فى مالك . وكانت مواد عنايته لى وأفره ومن وجوه رعايته سافرة ثم اعتمد على اعتمادا كلياً وجعلنى له نجيا واذا أراد أن يكتب الى أحد منهم يقول اكتب اليه من عندك . ومن جملة ذلك أن سعد الدين كمشتكين وكان نايبه بالموصل فى خدمة سيف الدين صاحبها أخذ من رجل الف دينار بعبلة عللها قجاء وتظلم فأمر لى نور الدين أن اكتب اليه بردها عليه فقال : ما ينفعنى الا كتابه وتوقيعه فأنهيت ذلك اليه فقال ما معناه : أما يعلم كمشتكين أنك كاتبى وأمينى وصاحبى ولا تكتب الا بأمرى فإخالف كتابك اليه قلعت عينيه فمضى اليه بكتابى فسنارع الى طاعته ورد عليه الألف فى ساعتة .

(٣) فى الأصل : به .

(٤) فى الأصل : سببها .

ذكر الوصول الى حلب والتوجه منها الى الروم وفتح قلعتي مرعش وبهنسى

قال : ووصلنا الى حلب واستغزرننا من ردها الحلب وقضينا الأرب وكان السلطان قليج أرسلان صاحب الروم وقد تعدى على بلاد قر أرسلان فكتب يشكو ويتضرر وأن مقاومته عليه تتعذر فغار من ذلك غيرة المغتاز وعزم على قصد بلد قليج أرسلان وبدأ ببلدة مرعش ونزل على حصنها في العشرين من ذي القعدة وأمن من فيها وتسلمها وما حاصرناها أكثر من يوم فما غالونا برسوم . قال ومما كتبت الى صديق لي بدمشق ومنها :

كتابي فديتك من مرعش وخوف نوايبها مرعشي
ترنحني نشوات الفرام كأي من كأسه منتشي
أسر وأعلن برح الفرام (١) فقلبي يسر ودمعي يشي

قال : فرتب فيها واليا وجدد من رثها ما كان باليا ، وتولى عنها وجاء الى بهنسى وواليها يعرف بقايماز (٢) السلطاني فاطلنا حصارها وازلنا استظهارها وقامت المجانيق على سورها (٣) ورخصت المهج الفوالى في سوقها ودام مرجوما حتى انقض الجدار فطلب من فيها الامان ودخلها نور الدين وفرعها ونعتها بعد ان صرعها وملك تلك البلاد واقطعها الاجناد .

قال : وفي هذه السنة وصل الفقيه الامام العالم (٤) قطب الدين النيسابورى وهو فقيه عصره ونسيج وحده قدوة الاسلام ومفتى الأنام فسر نور الدين بدنو نوره وحضر غايب انسه بسنا حضوره ونزل في حلب بمدرسة باب العراق فاطلعه الى دمشق ودرس وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وادركه الاجل

-
- (١) وردت في الروضتين الجوى . الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٣ .
(٢) في الاصل : قايمان .
(٣) في الاصل : سوقها .
(٤) انظر النواذر . وعنه أيضا انظر الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٥ .
(٥) في الاصل : مطموسة .
(٦) في الاصل : جاروت والضبط من الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٥ .
ويقول المحقق في حاشية رقم ١ « هي الخارجية كانت داخل بابي الفرج والفراديس شمال الجامع الاموى . بناها سيف الدين جاروج التركمانى .
انظر النعمى . الدارس في تاريخ المدارس ج ١ ص ٢٥٥ .

دون ادراك عمارتها لأجله ونقل الله قطب الدين الى جواره في الايام الناصرية
في سنة ثمان وسبعين .

قال : وعلى ذكر قطب الدين ذكرت وفادة شيخ الشيوخ عماد الدين
ابى الفتح محمد بن على بن محمد بن حموية الى الشام في أوائل سنة أربع
أو في سنة ثلاث وستين وأغفلت ذكره في موضعه فاستدركه
ههنا . وكان كبير الشأن لم يكن له في علم الطريقة والحقيقة مساو فأقبل
عليه نور الدين بكليته وأمرنى بإنشاء منشور له بمشيخته صوفية الشام
ومن جملة ما اتحفه به عمامة بأعمدة ذهبية نفذها صلاح الدين اليه فأثر
بها شيخ الشيوخ فبذل فيها ألف دينار بزنة ذهبها فلم يجد من ساهمها الى
طلبها قال :

(١٧٦ ب) / دخلت سنة تسع وستين ونور الدين قد فتح الحصون
مرعش (٧) وبهنس (٨) واربيل (٩) وكيسون (١٠) وكان مليح بن لاون مملك الأرمن
في خدمته آويا الى ظل عصمته . وقد وصل الى خدمته ضياء الدين مسعود
ابن قفجاق فخصه بالحباء والتشريف وأنزله من ظل احسانه في المحل المنيف
ووفد اليه صاحب ملطية فأجزل له العطية وهو الذى قتله أخوه وملك
البلد وحده ولم يفلح بعده . وكان في خدمته ايضا الأمراء من المجدل
فسرحهم بالعطاء الاجزل وأظهر انه ينزل على قلعة الروم على الفرات
فتقبل مستخلف الأرمن (١١) بالبراءة وحمل خمسة آلاف دينار على سبيل
الجزية والصفار ، وعاد الى حلب وقد نجح في كل ما طلب .

(٧) مرعش الضبط من ياقوت مدينة في الثغور بين الشام وبلاد
الروم معجم البلدان ٤٩٨-١ .
(٨) بهنسا هكذا وردت في معجم البلدان وهي قلعة حصينة بقرب
مرعش وسميساط . معجم البلدان ٧٧٠-١ .
(٩) غير واضحة في الاصل . وردت في معجم البلدان اربل وهي بين
الزابين من أعمال الموصل معجم البلدان ١-١٨٦ .
(١٠) وردت في معجم البلدان كيسوم وهي قرية من أعمال سميساط
وفيهما حصن كبير . وردت في ابن الاثير كيسون . ابن الاثير - الكامل ١١-
(٢٥٧) ووردت أيضا في الروضتين كيسون . الروضتين (٢) ١٠-٢-٥٤٤
انظر حاشية رقم ١ في نفس المصدر نفس الصفحة .
(١١) ذا النون بن دانشمند حكم على ملطية وسيواس وقيسارية توفى
في ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

نكر عود القاضي كمال الدين الشهرزوري الى بغداد

قال : كان القاضي كمال الدين توجه (١) من دمشق عام اول الى بغداد رسولا ووجد من الديوان العزيز عزة ودنوا واقبالا وقبولا . وأمر أمير المؤمنين المستضيء بضرب دنائير للنثار لا ينقص كل دينار عن عشرة مثاقيل واحضر لنور الدين مما وصل اليه من النضار المطبوع باسم النثار خمسين عددا وزنها خمسمائة دينار فشكر علو تلك الهمة وسأل دوام النعمة .

قال : وكانت ناحيتا درب هرون وصريفين (٢) من أعمال العراق لزكى ابن آقسنقر والد نور الدين قديما من انعام أمير المؤمنين فسأل نور الدين احياء ذلك الرسم في حقه فأنعم بهما أمير المؤمنين المستضيء عليه ووجه بهما مثاله اليه . وكان من مراده ان يستوهب ببغداد على شاطئ دجلة أرضا ويبنى فيها للشافعية مدرسة ويقف عليها الناحيتين فقبل له : ما ثم موضع يصلح لهذا (الأمر الا دار التمر (٣)) فعاقبه امر القدر عن قدرته على الأمر .

فقال : وأراد نور الدين ان يسرع الى دمشق الأوبة ويقضى فيها الشتوة فالتاث سره لالتياث سريته وشكاة جاريته فتصدق عنها بالالوف والتزم لله في شنائها بتذور ووقوف واقام حتى ترجع ترجى ابلالها ثم سيرها في محفة تحمل على ايدي الرجال وتأخر نور الدين جريدة مع عدة من مماليكه وأمرائه وتقدم الى ان انسايره واسامره في طريقه فسرنا على طريق قبه وملاعب والمشهد وسلمية ، وكان اذا سار لا يدركه من يسايره ، فوصلنا الى سلمية من حلب في يومين ، فجاءه الخبر بأن الفرنج قد اغارت على حوران ، فركب قبل العشاء وأدلىج ووصل الى دمشق والصبح قد تبسلىج

(١) قى الاصل : توجد بالهامش .

(٢) من قرى الكوفة معجم البلدان ٣ — ٣٨٦ . قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٤٩ حاشية رقم ١ . حيث يقول انهما أى درب هرون وصريفين من أعمال بغداد .

(٣) هذه العبارة بين الحاصرتين غير واضحة قى الاصل والضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٤٩ .

وسمع الفرنج به ففترقوا . وكان أخوه سابق الدين عثمان (٤) رسولا وكان رجلا بعيدا عن الدهاء ، غير خبير بتدبير الأحكام وآلايها يحمل قول كل قائل على الصدق ، ولا يتصور في ذهنه أمر سوى الحق ، وهو كما يقال ساذج سليم القلب فلما (٥) وصل الى دمشق تلقوه بالاكرام وأنزلوه في دار بعيدة عن الاقوام يبكرون اليه كل يوم للسلام واذا جاء الى القلعة تلقوه الى الباب وأجلسوه على صدر الايوان وقام بين يديه حواشي السلطان ، وهو لا يعلم بما يدبرونه وما الذي يقررونه ثم قال شمس الدين هو الموصى والولى وبأمر الملك الكفيل الملى فنريد أن يستظهر منه باليمن . وقال شهاب الدين العدل لسابق الدين أنا أصل الى حلب معك فأعطني يدك أن تنفعنى وإنفك فمضى وخرج معه . قال وخرجت الى طريق سابق الدين لأودعه وحسبته لا تخفى عليه الاشارة فاذا هو أعجمى لا توقظه العبارة ، وخلوت به وقلت احتزروا من الكيد قبل أن تقعوا كالصيد في القيد ، وصرحت له بالأمر وخوفته من الغدر وحسبته مأمونا على السر فلما سائره في الطريق العدل أبو صالح وجاذبه أطراف الكلام أمال اليه اعطاف الاستسلام ووفاه في صوره الوفا مكايل مكايده ، واراها أنه يزجى له محامل محامده حتى اذا وصل الى حلب وبعد شمس الدين على خرقه ساجدا وأظهر أنه لم يزل يتمنى المثل في خدمته مغرما واحدا واستوثق يمينه وشمس الدين لطهارة دينه يعتقد طهارة دينه ، واستقر الأمر على ان يحملوا الملك الصالح الى قلعة حلب ، وهو يتسلم ممالكه ويكون فيها أتابكه ورد أخاه سابق الدين للمضى في الخدمة ، ووصل سعد الدين كمشتكين أيضا في تلك الأيام الى دمشق ليجدد بالخدمد عهده ، ويذكر من الراى ما عنده ، واستقبلهم الملك الصالح وكنت راكبا في موكبه مسائرا الى جنبه وهو لا يسمح (٦) في ان ابتاعد عن قربه فلما أبصرنى الصدل صعب عليه قربى وسائرنى الى جنبى وقال : سابق الدين حدثنى بما حدثته ولو كان ممن يبيع لبعثته وألفيت من انفاسه دخان الجمر لفحنى منها شرر الشر فجيت الى كمشتكين اعتقد أنه صديق الدهر فمت الى بعذر الذعر . وقال : انقطع عنى حتى أصلح أمرك فعرفت انهم أدخلوا رأسه في المخلاه وأنه ليس من الامتعة المخلاة

(٤) فى الاصل : ساقطة .

(٥) فى الاصل : فما .

(٦) فى الاصل : يفسح .

فهجرتهم على قصد المقاطعة / (١٧٧) ولم اجد بدا من المسالة والموادعة لأن لى تجملا وثروة وخيلا وعدة لو تركتها ونجوت بنفسى لكسفت فى الأخذ بالحزم شمسى ، لكنى أوهمتهم أنى معهم ، ومعاذ الله أن أدعهم حتى وصلت الى حلب فى صحبتهم ثم عرجت على دار محى الدين الشهرزورى بالحاضر واقمت مدة أظهر لهم مودة . ثم أزمعت ورحلت وقطعت الفرات والجزيرة الى الموصل والقيت بها العصا لما وصلت .

ذكر مسير الملك الصالح من دمشق الى حطب بتاريخ يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى الحجة

قال ولما عزم الملك الصالح المسير بيت الجماعة التدبير ، فأقام شمس الدين بن المقدم بدمشق ، وجمال الدين ربحان والى القلعة ، والقاضى كمال الدين الشهرزورى وسار الملك الصالح ومعه كمشتكين والعدل ابن العجمى الوزير وولى الدين اسماعيل الخازن ومعهم سابق الدين عثمان وهم يستعطفونه ويتلطفونه حتى قربوا من تل السلطان ، ووصلت رسل شمس الدين على بالاحسان فخلفوا الرسل وراءهم ، ورحلوا للمسافة مساهم وأدلجوا حتى وصلوا وثوب الليل ثقه الصباح ، وصدر الفجر رحبه الانشراح فتلقاهم الكبير والصغير والمأمور والأمير . وكان شمس الدين بالقلعة راقدًا عشائشه وناشدًا انتعاشه فجاء أخوه بدر الدين الحسن متلفيا فبغته بالقبض وجاهروا سابق الدين فى مبرم عقده بالنقض واستصحبوهما محمولين ، وسبقوا الخبر ركضا حتى دخلوا القلعة ، وكان واليها شاذبخت ، وهو معهم فى الباطن مطلعا على سر الشر الكامن فما احس بهم الشمس الا وقد كسفوه وأظهروا له خفى كرههم وكشفوه واعتقلوا الأخوة الثلاثة (٧) فى مطمورة وشعثوا القلوب بما جنوه فعادت غير معمورة . وجاء ابن الخشاب مقدم الشيعة فسفكوا دمه على الحالة الشنيعة وغاز السلطان صلاح الدين هذا الخبر وتطير من حلب الى مصر من نارهم الشر ، ومن بعدها كم فاضت العبرات واستفاضت العبر .

(٧) يعنى اولاد الداية وكانوا من اخلص اصدقاء صلاح الدين وقد خرج صلاح الدين مسرعا من مصر بعد وفاة نور الدين وكانت مهمته الاولى رعاية شئون الملك الصالح كما قال وهناك فى حلب بذل الجهود لانقاذ اولاد الداية .

قال : ودخلت سنة سبعين وخمسمائة والملك الصالح في قلعة حلب
مستقر وأمره مع أصحابه مستمر وأنا في دار القاضي محي الدين مقيم ،
والى التوفيق من الله مستقيم اترقب للانفصال الوقت ، ولا أجسد من
المقوتين الا المقت . وجاعنى من أخبرنى انهم وضعوا عليك من الاسماعيلية
من يتم حيلة وتقتل غيلة ، فقلت ما مع هؤلاء سلامة ، وما على الكرم أن
فارق أهل اللوم سلامة فتحولت عن المنزل النائي وجعلت الدأب دأبى ،
وانقلبت الى حران وسيف الدين غازى صاحب الموصل قصد خيم على سروج
فقدمت على قصده العروج لأستاذن(٨) والى المركب اعرج(٩) وقصدت فخر
الدين عبد رب المسيح وانباته بعزى الصريح ورغبني في خدمة سيف الدين ،
فأبيت وقلت ما جيت بهذه النية فأخذ لى كتابا الى الموصل ، ومضيت
اليها واقمت بها على عزم العود الى بغداد لاجمع بأخى شملى لكن صدنى
المرض ، وحرف مزاج جوهرى العرض وذلك في شهر ربيع الأول . وشغف
بالتردد الى كمال الدين بن الوزير جمال الدين محمد بن على أبى المنصور
الجواد فكتبت اليه وقد عادنى(١٠) قطعة منها .

قل في الكرام له مشبه وان كـ
همة مباركة في الشـفا لها أثر
ليس في السيوف سوى للمهنـد الأثر

قال : وسأذكر خروجي من الموصل في أوانه في ريعان الملك الصالح
وعنهوانه قال : وطمع سيف الدين غازى في بلاد عمه ، وعاد فخر الدين
عبد المسيح الى خدمته وعاد عزه في مكائته ومكنته ، واستعاد الخابور
والرقه(١١) وحران وسروج والرها وأدرك في تلك الأعمال كل ما اشتهى ،
فمضى العدل ابن العجمي من حلب اليه للإصلاح ودخل له تحت الاقتراح
وتمت المصالحة ، وعلق رهن أخوة مجد الدين في الاعتقال ، وضيقوا عليهم
في القيود والاغلال ، والزموهم بتسليمه الحصون ورفضوا حكم المروة ،

-
- (٨) في الاصل : لاسنا .
(٩) في الاصل : أعوج .
(١٠) في الاصل دعانى .
(١١) في الاصل : ورقه .

ونقضوا عهد الفتوة . وكان الموفق خالد بن القيسراني قد وصل ونحن بدمشق من مصر وحمل معه لخاصته المال الوثر وأخذ أمان ملك الفرنج حتى عبر الساحل وطوى إلينا المراحل ، ولزم داره بسكون وعقل ولم يدخل مع القوم في شغل .

وأما صلاح الدين (١٢) فإنه اعتقد أن ولد نور الدين يتولاه بعده أخوة مجد الدين وهم أصدقاؤه وخلصاؤه ، وغارلهم والملك النوري ، وقال : انا أولى بحفظه وصونه ، وكتب إلى شمس الدين بن المقدم ينكر ما أقدموا عليه من تفريق الكلمة وكيف اجتروا على أعضاء الدولة وأركانها بل أهلها / (١٧٧ ب) وأخوانها وأنه يلزمه أمرهم (١٤) وأمرها ، ويضره ضررهم وضرها فكتب ابن المقدم إليه يردعه عن هذه العزيمة ويقبح له استحسان هذه الشيمة ويقول : لا يقال عنك أنك طمعت في بيت من غرسك وأصفي مشربك ، وأصفي ملبسك فما يطبق بحالك ومحاسن أخلاقك وخلالك غير فضلك وأفضالك فكتب إليه صلاح الدين بالانشاء الفاضلي : وصل كتاب الأمير أطل الله بقاءه ، واحطنا بالانشائه والمكتوب وما نريد معرفته أنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلا ما يجمع شملهم ويؤلف كلمتهم ، وللبيت الاتابكي إلا ما يحفظ أصله وفرعه ، ويدفع ضرره ويجلب نفعه ، فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة ، والمحبة إنما تظهر آثارها عند تكاثر العداة ، وبالجمللة أنا في واد والظانون ظن السوء في واد ، ولنا من الصلاح مراد لن يبعدنا عنه مراد ، ولا يقال لمن طلب الصلاح أنك قاذح ولا لمن القى السلاح أنك جارج وما مرادنا المصلحة تؤثر لا فتنة تثار ، وخدمة تنير لا مضرة تسدى وتثار فلو زرنا على غير هذا السبيل لما سلكتنا مراجعة الخطاب ومطالعة الكتاب فلا يحمل أمرنا إلا على أحسنه ، ولا يظن بنا إلا الخير الذي طبعنا أخص بوجوده من معدنه .

قال : وكان عزم صلاح الدين أن يسارع إلى التلاقي ، ويعتمد في إصلاح الدولة وإنجاح البغية اعتماد الوفي الوافي ، فاتفقت عوايق وطرقت طوارق راعت مبادئها ثم أجمدت غاياتها ، وانحلت بعد الملمات المدلهيات

(١٢) في الأصل : صلاح .

(١٣) في الأصل : أمره .

غياباتها فمنها نوبة الكنز (١٤) ونفاقه ، ونوبة أسطول (١٥) صقلية ووصوله الى ثغر الاسكندرية وأرهاقه ، وكان وصوله اليها في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين وانهزامه مستهل المحرم سنة سبعين .

قال : ووجدت كتابا من صلاح الدين الى بعض امراء الشام بشرح الحال وهو : هذه المكاتبة صادرة من الأمير بعد أن وصل الأسطول الصقلى الى ظاهر ثغر الاسكندرية حماها الله تعالى في وقت الظهر من يوم الأحد السادس والعشرين من ذي الحجة ولم يزل متواصلا الى وقت العصر وكان ذاك على حين غفلة من الموكلين بالنظر لا على حين خفاء من الخبر فأمر هذا الأسطول توالت به الأخبار وعظمت الشناعات عنه في الأفاق والاقطار وروع ابن عبد المؤمن (١٦) في البلاد المغربية وهدد به في الجزائر الرومية صاحب قسطنطينية . وكان عسكر الوالى غائبا ولم يحضر في ذلك اليوم الا العدد القليل منه وأصبحوا في يوم الاثنين الذى يليه على ما هم عليه من انتشار راجل الثغر فأنشأ جماعة من عقلاء الاتراك بأن يرد الناس من المكان البعيد ويقفوا من السور بالمكان القريب فخلا البر وأمكن الأسطول الصقلى في النزول الأمر ، واستنزلوا خيولهم من الطرايد ، وراجلهم من المراكب فأما الخيل فعدتها على ما حققته أخبار الاسارى على الانفراد وعلم بالارجاف السابق الى البلاد الف وخمسائة رأس منها رامحة الف وتركبولية خمسمائة وكانت عدة راجلهم في كل شينى مائة وخمسين راجلا فيكون ثلاثين الف

(١٤) حاكم أسوان قام بحركة مضادة لصلاح الدين والدولة الصلاحية وجمع حوله العناصر الموالية لدولة المصريين لكن أبا الهيجاء الستمين استطاع أن يردع هذا التمرد .

(١٥) كان وصول أسطول صقلية الى الاسكندرية جزءا من الاتفاق الذى تم بين عمورى ملك بيت المقدس وبين وليم الثانى لغزو مصر بناء على طلب من عمارة اليمنى وزملائه . كانت الخطة أن يتقدم عمورى بجيشة برا بينما يغزو أسطول صقلية الاسكندرية بحرا وبدأ فعلا وليم الثانى تنفيذ الجزء الخاص به من العمل أما عمورى فلم يتمكن وذلك بانكشاف أمر عمارة اليمنى فى مصر . ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسطول لم ينجح فى تنفيذ مهمته ومن ثم قفل عائدا الى صقلية . انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٩٨ .

(١٦) هو أبو محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى المتوفى سنة ٥٥٨ هـ . ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٩٠-٣٩٢ .

مقاتل عن مائتي شينى . وكانت عدة الطرايد ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وكانت عدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها ست سفن ، وكانت عدة المراكب الحمالة برسم الأزواد للرجال أربعين مركبا وفيها من الرجل المتفرق وغلماں الخيالة وصناع المراكب وأبراج الزحف ودباباته المنجنيقية ما يتم خمسين ألف رجل ولما تكاملوا نازلين على البر خارجين من البحر حملوا على المسلمين حملة لم يكن حاضرها من أصحابنا سوى محمود بن البصار فاستشهد في سبيل الله واستمرت الحملة على المسلمين الى أن أوصلتهم الى السور وجذفت مراكب الفرنج داخلة الى الماء ، وكانت به مراكب مقاتلة ومراكب مسافرة فسبقهم أصحابنا اليها فحسفوها وأغرقوا (١٧) ما احترق منها واستمر القتال الى وقت العشاء من يوم الاثنين المذكور ونزلوا بخيامهم وضربوها على البر ، وكانت ثلثمائة خيمة وباتوا على الاهتمام بآلات الحصار ولما أصبحوا يوم الثلاثاء زحفوا وضائقوا ونصبوا ثلاث دبابات وثلاثة مجانيق كبار تضرب بحجارة سود استصحبوها من صقلية . وأما الدبابات فأنها تشبه الأبراج في جفاء أخشابها وارتفاعها وكثرة مقاتليها وزحفوا بها الى أن (١٨) قاربت السور ولجوا في القتال عامة النهار . ووردنا الخبر الى منزلة العسكر بفاقوس على جناح الطائر يوم الثلاثاء ثالث نزول / (١٧٨) العدو فاستنهضنا العساكر الى الثفرين الاسكندرية ودمياط وكان الأميران بدر الدين أيوب وفارس الدين تميزك فسبقا الى الاسكندرية برجالهما وأنضاف اليهما من كان في إقطاعه بالبحيرة المجاورة للاسكندرية من المقاويز وغيرهم فلى يوم الثلاثاء والأربعاء وعاد بعض عسكر تقي الدين من برقه من الغرب واستمرت الحرب ، وقدمت الدبابات ، وضربت المنجنقات وزاحمت (١٩) السور الى أن صارت منه بمقدار الاماح فاتفق أصحابنا على ان فتحو أبوابا من قبالتها من السور ففتحوا الأبواب على غفلة ، وخرجوا منها على غرة ، وركب من كان هناك من الأمراء والخيل وخرجوا فارين من الأبواب ، وتكاثر صياح أهل الثفر من جميع الجهات فاحرقوا الدبابات المنصوبة وصدقوا القتال وأنزل الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان والقهر . وما زالت المكافحة بالسيوف

(١٧) فى الاصل وأحرقوا . وبها لا يستقيم المعنى .

(١٨) اضافة يقتضيها السياق .

(١٩) فى الاصل : زاحمت ،

الى وقت العصر من يوم الأربعاء وقد ظهر فشل (٢٠) الفرنج ورعبهم ، وقصرت عزائمهم وفترت حربهم ، واحترقت آلات قتالهم ودخل المسلمون الى الثغر لقضاء فريضة الصلاة ، واخذ ما يكون به قوام الحياة ، وهم على نية المباكرة . وكنا قد سيرنا أحد المماليك فركب فرسا وجنب فرسين فاوقف الثلاثة طاويا واخذ رابعا من ضيعته ودخل الثغر بعد العصر بعد ان أعلم كل من لقيه من الاتراك انه فارقنا على المعديه ، وسبق بين ايدينا بالبشارة ، فارتفعت الصيحة وعلت وخرجت الخلايق التي كانت للصلاة والعشاء دخلت وثابت اليها عزائمها بعد الكلال ، وتداعت رجالها وقبائل الثغر الى القتال ووقع الله في قلوب المسلمين انا في اوساطهم وبين ظهورهم ، وصار الخارج من بيته يروم ان يتسرع ليجاهد بين ايدينا ، ولنرى اثر الذي كان يرجوا ان يصل خبره الينا وقضى الأمر ونزل النصر وواقعوا الفرنج في خيامهم وهاجموهم ، وقد كاد يخلط الظلام وتسلم أهل البلد الخيام بما فيها من همم الملوك العالية وتحملاتهم الغالية وفتكو (٢٣) في الرجالة أعظم فتك ، وتسلم اصحابنا الخيالة فلم يسلم الا من نزع لبسته ورمى في البحر نفسه ، وتقحم اصحابنا البحر على بعض المراكب المذكورة فحسفوها واتلفوها فولت بقية المراكب هاربة وجاعتها أحكام الله غالبية وبقي العدو بين قتل وغرق وأسر وفرق واحتفى ثلثمائة فارس في رأس تل فأخذت خيلهم ثم غلب أهل الثغر عليهم فقتلوا واسروا وفيمن أسر رجل كبير كان عمر خمسين شينيا ، وأما المأخوذ من اليزك والنعم والآلات والأسلحة فقد ذكر انه لا يملك مثله ولا يوجد لفرنج الشام أسره ، وأما الخيل فاتها أكاديشن فحول ولم يعد معهم فرس واحد منها .

واقطع هذا الأسطول من الثغر يوم الخميس ولا يعلم أين يقصد من البلاد والأعمال على انه لا بقية فيه لحرب ولا قتال . وكان عدوا ثقيلًا وكان خطبه جليلا الا ان ذكروا ان مكيدتهم في اللقواء ضعيفة وحضر من عقلاء خيالتهم المأسورين من استجبر وأمر ان يصدق فذكر ان النفقة كانت في الفارس خمسة أشهر وهم الف فارس منهم سبعمائة نقدية من ثلاثين دينار مشاهرة الى خمسة وعشرين دينارا الى عشرين الى خمسة عشر ومنهم

(٢٠) في الاصل : قتل .

(٢١) في الاصل : وقتلوا .

من له خمسون ومنهم من له مائة من مشاهيرهم ، وأن الاقطاعية ثلثمائة فارس وان التركبولية خمسمائة فارس لكل منهم خمسة دنائير ومؤنته على ملكهم على ان فرسا لا يموت ، ومنهم من له عشرة دنائير وللقائد والرئيس عشرون دينارا وان البعده تناهز اربعة الف رجل خارجة عن جرخية (٢٢) وسرجندية عدتهم خمسة آلاف رجل وان المقدمين ثلاثة ائدهم ابن عم ملك صقلية والحمد لله على هذه النعمة التي احدثت للقلوب استبشارا وخفضت للشرك علما ورفعت للتوحيد منارا ، واظهرت للملة الحنفية على اعدائها استعلاء واستظهارا ، وأعلننا الأمير ليكون في شكر الله عليه مشاركا ويأخذ من حمده تعالى بحظ يتعين على مثله أن لا يوجد له تاركا ان شاء (٢٣) الله تعالى .

قال : وفي أول هذه السنة سنة سبعين قام من كان المعروف بالكنز (٢٤) في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد ، وكان عنده من الأمراء أخ لحسام الدين أبي الهيجاء السمين ففتك به وبمن هناك من المقطعين ففارت حمية أخيه وثارت للثأر وساعده أخو السلطان الملك العادل سيف الدين وعز الدين موسك ابن خاله وجاءوا الى مدينة / (١٧٨ ب) طود (٢٥) فأتى السيف على أهلها ، وباتت (٢٦) بعد عزها بذلها ثم قصد الكنز فسفك دمه وظهر بعد ظهور وجوده عدمه ولم يبق للدولة بعد كنزها كنز وسال (٢٧) دمه فلم ينتطح فيها عز .

(٢٢) والجرواح هكذا تجتمع وهي آلة حربية تستعمل لرمي السهام والنقط المشتعل والحجارة

انظر ابن ممتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٣ ، ٥١٠ .
قارن :

R. Dozy, Dict. Arabes., Paris, 1927. 2. Toms.

(٢٣) في الاصل : أنشأ .

(٢٤) حاكم أسوان في أول أيام صلاح الدين . عن الكنوز وهم احدى بطون (ربيعة) انظر البيان والأعراب . ٥ ، وأيضا اتعاظ الحنفاء مخطوط ورقة رقم ٦٠ ب . وقد أشار اليهم كل من أبي شامة وابن واصل . ومعظم المصادر العربية أشارت الى ثورة الكنز . انظر ابن شداد — النوادر السلطانية ص ٤٧ حاشية رقم ٥ .

(٢٥) بلدة بصعيد مصر، قرب قوص .

(٢٦) في الاصل : بات .

(٢٧) في الاصل غير واضحة .

ذكر توجه صلاح الدين الى دمشق وتملكه

قال : ولما خلا باله مهد لاستضافة الممالك ، وأوضح بعزايمة اقامة سنن المسالك وخرج الى البركة مستهل صفر ورحل الى بلبيس ثالث شهر ربيع الأول وكان رسل صاحب بصرى شمس الدين جاولى وشمس الدين ابن المقدم عنده تستورى فى البعث والبحث زنده وتستقدمه وجنده فصار ووصل اليه بالسرى الى أن أناخ على بصرى فاستقبله صاحبها بكل ما أسعد به ذخره ، وثشد أزره ، وسدد أمره ، واستضاف الى بصرى صرخد(١) ، وتفرد بالسبق الى الخدمة وتوحد (٢) وسار فى الخدمة معه الى الكسوة وركب صلاح الدين يوم الاثنين انسلاخ شهر ربيع الأول وسار واعتمد فى تعبئة(٣) عساكره الاستظهار وحسب(٤) ان فى البلد من يقوى للامتناع ويقوى بالدفاع فأقبل وهو يسوق حتى دخل دمشق وخرقها كأن الله خلقها الى دار العقيقى مسكن ابيه وبقي جمال الدين ربحان الخادم فى القلعة على تأبيه فراسله حتى استماله واغزر له نواله حتى تملك المدينة والقلعة ، وملك ابن المقدم داره وكل ما حوالىها وبذل له طلبته التى أشار اليها واظهر أنه جاء لتربية الملك الصالح وتدبير ملكه وأنه أحق بصيانة حقه . واجتمع به أعيانها واصبح هو سلطانها فزاره القاضي كمال الدين الشهرزورى فوفاه حقه من الاحترام وأجراه على ملاقى بسعادتته والسلام .

فصل

من كتاب فاضلى عن صلاح الدين : ان الله ملكنا دمشق عناية وعنوة ولم يكتب فيها بحمد الله الى خطيه خطوة ، ولا حدثت عثرة فيقال فى أمرها لعله يقال ، ولا استعيرت صفة فى ذكرها لعله يقال . وعرض فى المبادئ تعرض(١) من العسكر الدمشقى فاعلموا أن الهشيم تذروه الرياح(٢) والصريم

(١) فى الاصل : صلخد .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل : تعبئة .

(٤) فى الاصل : رجب .

(١) فى الاصل ساقطة . الضبط من الروضتين(٢) ١-٢-٦٠٢ .

(٢) فأصبح هشيمًا تذروه الرياح . سورة الكهف آية رقم ٤٥ حيث يتمثل فى أسلوبه بها .

يمحوه الصباح ، والسيف أصدق أنباء والحق أعز أنباء والباطل يضمحل عفاء . « والزبد يذهب جفاء(٣) » الا وانا رأينا العفو اقرب للمتقوى ، وامثل في سلوك الطريقة المثلى فحفظنا الدماء في اهباها وارحنا القلوب من نصبها ، ورددنا السيوف عن قرب تغيظها في قربها ، وتركنا الرماح وأطرافها تضطرم وقدما وتضطرب حقدنا ، وقتلنا لنار الغيظ « يانار كوني بردا(٤) » ونظرنا في أحوال البيت النورى اعلاه الله فاذا هو قد أطفيت مصابيح نوره ، وكاد ذكره في الذهاب يلحق بمذكوره فاستأنفنا تدبيرات نؤمل ان الله سبحانه يقيم البيت الكريم على عمده ويغنيه عن مسايده من لا يغنيه عن سنده ، وقضينا حق الملك الكريم الصالح وحق والده رحمه الله باظهار الاحسان في كفالاته ، واستشعار الجميل في خدمته . وقد كان ريحان مانع بتسليم القلعة ريثما علم ان لا يبقى بالرياح ريحانه وبقدرا احتوى ضال فكره وأبصر حيرانه فأعطيناه أمانا وبواناه منها مكانا ، وصعد الأجل الأخ سيف الاسلام فملكها وسكنها واستقر ركابنا بالدار النجمية لتنفيذ الأمور والأوامر ، وتدبير الرعايا والعساكر .

قال : ولما سمع المدبرون للملك الصالح باقبال صلاح الدين المؤذن بادبارهم حاروا في حوارهم ، ولبسوا شعار استشعارهم وراسلوا بالعنف معنفين وبالعسف معتسفين . وكان الواصل منهم قطب الدين ينال بن حسان وقد تجنب في قوله الاحسان وقال له : هذه السيوف التى ملكتك مصر وأشار الى سيفه تردك وعما تصديت له تصدك فحلم عنه السلطان واحتمله ، وتغافل كرما واغفله وذكر انه وصل لترتيب الأمور ، وتهذيب الجمهور وتربية ولد نور الدين ، واستنقاذ أخوة مجد الدين . فقالوا له : أنت تريد الملك لنفسك ونحسن لا ننزع في قوسك ولا نبني على أسك فارجع حيث جئت أو اجتهد واصنع ما شئت ولا تطمع فيما ليس فيه مطمع ، ولا تطلع حيث مالصعودك فيه مطلع . ونال من تقطيب القطب ينال ما أحال الحال وأبلى البال وأبدى التبسم وأخفى الاحتمال .

(٣) سورة الرعد آية رقم ١٧ .

(٤) سورة الانبياء . آية رقم ٦٦ . « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم » .

ذكر رحيل السلطان الى حمص مستهل جمادى الاولى

قال : ولما رأى ان القصد لا يقضى الى مقصود ، وان القوم لا يميلون الى نهج محمود عول على أخيه سيف الاسلام طغتكين/ (١١٧٩) فى دمشق وانالتها ورعاية رعيته ، ورحل ونزل على حمص يوم الاحد حادى عشر جمادى الاولى ودخلها يوم الثلاثاء . وبقيت القلعة على الامتناع الى ان اذن الله تعالى لها فى الاستفتاح (١) ورتب عليها من الأمراء من تفى حركته بسكون الدهماء وقلعتها امتنعت وعلى سيوفها ارتفعت فئسار الى حماة وأخذها فى مستهل جمادى الآخرة ومضى ونزل حلب فى ثالث هذا الشهر على قصد الحصر ، وكانت الشتوة ذات أنواء وثلوج ، وعواصف هوج ، ومضايق كربة بلا فروج ومداخل شدة بلا خروج . وجرت شدة امتدت للمساق عدوى الشقاق مدة . وعصم الله حشاشته فى تلك النوبة من سكاكين الحشيشية (٢) ، وأجرى من حفظه ما كان فى غيب من المشية . قال وسبب ذلك أن الحلبيين لما اشتد عليهم الحصار استعانوا بالاسماعيلية ، وأمينوا لهم أموالاً وضياءاً ، وبذلوا من البذل أنوالاً . فجاء منهم فى يوم بارد من فتاكهم كل عات فعرّفهم صاحب بوقبيس ناصح الدين خمارتكين . وقال لهم : لآى شىء جئتم ، وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتهم فبدروهم بسكينهم وقتلوه ، وجاء من يدفع عنه ففتكوا به (٣) وبالجراح أثخنوه ، وعدا أحدهم ليهمج على السلطان فى مقامه وقد شهر سكين انتقامه وطغزل الأمير جاندار واقف ثابت حتى وصل اليه فشمّل بالسيف رأسه ، وما قتل الباقون حتى قتلوا جماعة وأقام السلطان الى مستهل رجب ثم رحل والى حمص تحول وبحصر حصنهم اشتغل . وسبب ذلك أن قومس طرابلس ريمند الصنجيلي كان فى أسر نور الدين رحمه الله مذكراً كسرة حارم ، وبقي فى الأسر أكثر من عشر سنين ثم سعى الأمير فخر الدين الزعفرانى فى خلاصه .

(١) فى الاصل : الاستمرا .

(٢) المحاولة الاولى لقتل صلاح الدين وهو محاصر حلب فى ٥٧٠ هـ — ١١٧٤/١١٧٥ م انظر : —

B. Lewis, Saladin & The Assassins, BSOAS, XV, 1953.

وانظر ايضا لنفس المؤلف

The Assassins A Radical Sect in Islam, London, 1967.

(٣) فى الاصل : فقتلوا .

وكان فى آخر عهد نور الدين فغلب عليه وهو أكبر خواصه وخلصه بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار ، وفكك ألف أسير واتفق هلاك ملك الفرنج فى أول هذه السنة فتكفل بالملك بين يدى ولده المجذوم فلما نزل السلطان على حلب وجد فيها طلب كاتب الحلبية الحشيشية فجرى منهم ما ذكروا ثم كاتبوا القومص بطرابلس وقالوا له أنت طليقنا ، وكنت رفيقنا فى الأسر والآن أنت عتيقنا وحقنا عليك متعين وبرهان ذلك بين فجاء الخبر بتوجه القومص فى الأفرنجية الى حمص فرحل عن حلب مستهل شهر رجب فرجع الملعون ناكصا على عقبيه خوفا مما يقع فيه ويتم عليه .

واقام السلطان على قلعة حمص شهرا ، وقد استشهدت من الجانبين عدة وجرت شدة والسلطان مقيم فى بيت فى أعلى المدرسة يشاهد منه الحرب حتى هاجم رجاله يوما باب القلعة وهجم عليهم الرجال من فسوق فقبضهم أهل القلعة ثم راسلوا السلطان فى طلب الأمان فهاب لأجل الرجال المقبوضين عليهم فأعطاهم الأمان ، وسلموا الحصن وسلموا وتجاوز عما أجزموا ثم نهدها الى بعلبك وفيها خادم يعرف بيمين فسلم الموضع بسلم وهدنه وذلك يوم السبت رابع شهر رمضان .

قال : ووجدت كتابا عن السلطان الى أخيه سيف الإسلام وهو بدمشق يبشره بفتح قلعة بعلبك وهو بالمثال الفاضلى ومنه : نحن نبشر الأخ أدام الله طروق البشائر سمعه ونزول المسار ربه بفتح قلعة بعلبك بالسلم الذى أغمدت فيه السيوف وقرت به من الأولياء العيون ورغمت من الأعداء الأنوف وكتابتنا هذا اليه وسنجقنا فوق قلعتها مستقل ، ومعتمدنا من أعلى شرفاتها مطل ، فالحمد لله الذى قرب كل بعيد وسهل كل شديد وجعلنا حيثما كنا مقصودين بعادات نصره محفوظين بمعقبات أمره ، والأخ يضرب نوبة البشارة ويظهر أثر موهبتها السارة ليزيد الله العدو هوانا ويعلم كل من خالف سلطانتنا أن الله لم يجعل له سلطانا .

قال رحمه الله فى ذكر ما آل اليه أمره وهو بالموصل : قال فوصل نجاب وذكر أنه فارق صلاح الدين بالكسوة فهاجنى الطرب لقصده لسابق معرفته ، وتديم وده ، وخرجت من الموصل رابع جمادى الأولى وعبرت الخابور فى مخاضة المجدل وجئت الى الرقة ودخلت الى دمشق فى ثامن جمادى

الآخرة ، وصالح الدين نازل على حلب ، فنزلت في مدرستي ، وعدت الى منزلي ، والفيتها وفيها مدرس يتولاها وقالوا ان العماد خلاها . فدخلت اليها واخرجته وابعدته عن النهج الذي نهجه وكنت في غبر الى وعقاييله ارتقب اعتدال مزاجي ، فاقمت حتى استقمت وصبرت الى ان عاد السلطان الى حمص وانتظرت طيب الزمان ومطاوعة الامكان ، وقصدت السلطان وقد تسلم قلعتها في شعبان قال وهناته في فتح بعلبك بأبيات منها :

(١٧٩ب) فتح تسنى في الصيام كأنما شكرا لما منح الأنام صيام
من ذا رأى في الصوم عيد سعادة حلت لنا والفطر فيه حرام
باليمن هذا الشهر مشهور كما قد عم بالبركات هذا العام

قال : ولزمت خدمته أرحل برحيله وانزل بنزوله ، وأواصل حضرته وانشده شتري وأقول ليت شعري الى ما يؤول أمرى . أحضر في كل وقت على سبيل المجالسة ونهج الموانسة لا أمت بمعرفة ولا أنبس ببنت شفة ولما كثر ترددى اليه وتوددى وتصبرى على العطلة وتجلدى اقترحت على قرائحى الاكثار للسلطان من مدايحى ، واحتجت الى احياء الموات والاذكار بسابق الحرمات فهام به الفهم وكثر فيه النظم الى ان دخلت في خدمته وصرت كاتب حضرته فشفغنى انشاء الرسائل عن انشاء المدايح ، فغلب النثر وقل النظم ولو ذكرت مدايحى في هذه السنة لكبر حجم الكتاب وخرج عن حدد الاسهاب .

قال : وكنت ليلة عند السلطان وهو يذكر جماعة من الشعراء وعنده ديوان الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ ، وهو به مشغوف وقد استحسنت قصيدة له طائية ولو عاش السلطان لاقر بفضلها فنظمت في مدح السلطان كلمة اولها :

عفا الله عنكم ما لكم ايها الرهط قسطنتم وفي قلب المحب لكم انقسط
شرطتم له حفظ الوداد وخنتم حنانكم ما هكذا العهد والشرط

ذكر الواقعة الاولى مع المواسلة والحلبين

قال رحمه الله : لما تسلم السلطان قلعة بعلبك عاد الى حمص وخيم ثامن رمضان بظاهرها وخيمنا في عاشره على حماه . وكان قد وصل عز الدين مسعود أخو سيف الدين غازي صاحب الموصل نجدة لها ولما عرفوا ان السلطان مشغول بالحصون تركوا وجاعوا الى حماه فحاصروها فعرفوا انهم لا ينالون منها فرحلوا عنها . وراسل مقدموا حلب المواسلة النايب السلطاني في حماه قبل وصوله اليها اننا وصلنا للصلح والاجتماع فيما يعود بين الجانبين بالنصح والنصح فكتب الى السلطان وهو ببعلبك يحثه ويحضنه لعله يتم عقد صلح لا يتأتى نقضه فمضى السلطان في خوف وجمع غير وجف رجاء للائتلاف وتنكب مذهب الخلاف فجاء من الحلبيين الأمير سعد الدين كمشتكين وشهاب الدين ابو صالح بن العجمي واجتمعوا بالسلطان لمسا طلبوا أن يرد عليهم الحصون ، واستقر أن يقنع بدمشق نايبا عن الملك السالح وله خاطبا وعلى الانتماء اليه مواظبا ، وان يرد كل ما أخذه من الخزائنة وان يسلك فيه سبيل الامانة . فلما راوه لكل ما يلتمس منه مجيبا ، ولكل ما يستبعدونه من مرام قريبا ، وراوه في عسكر خفيف ومطمع عفيف ومجمع لفيف قالوا خبره صحيح وان الذي يعرض له من عجزه صريح ، وهو في قافلة ما أهون اخذها ، فشرعوا في الاشتطاط ، وجاوزوا حد الاشتراط ، وطلبوا الرحبة وأعمالها فقال هي لابن عمي ناصر الدين محمد بن شيركوه ، وكيف الحق به في رضاكم المكروه فقاموا متفضبين ونفروا وارتحلوا ونفذوا وراءهم من يردهم فما اكثرثوا به ولا احتفلوا وذهبوا ، وهم يقولون كيف نرتاع لقول هؤلاء والى متى نصبر على البلاء ، وفارقنا الى مخيمهم وربضوا تلك الليلة في مجثمهم ، واصبحوا على الرحيل الى جانب العاصي واطهروا انهم على المصاف وعزم الانتصاف فعبر السلطان الى سفح قرون حمصاه خيامه وركبوا في مقابلتهم لمقاتلتهم اعلامه وقد اجتمع عسكر الموصل والجزيرة وحلب والسلطان ينتظر وصول امرائه الواصلين الى دمشق من مصر قال : فوصل في ذلك الوقت لتوفيق الله ومساعدة قدره العسكر المصري في عشرة من المقدمين الاكابر وهم تقى الدين عمر وعز الدين قرخشاہ ابنا أخى السلطان ، وشهاب الدين محمود بن تكش خاله وخواص رجاله ووصلوا الى المعركة أمام الزحف واقتسموا ميمنه وميسرة تقدموا زحفا وسدا واستدنوا ما ظهر بعيدا فأبصروا أولئك ما لهم يبصروه وانكرا ما لهم يعرفونه

واسودت الدنيا فى عيونهم وأحسوا باخفاق ظنونهم ، ونحن وقفنا وراء الصفوف نبصر عجاجهم ونسمع ضجاجهم ثم رأينا القبرة تبعد عن صوبنا فقلنا أن النصر لحزينا فان الهزيمة لو كانت علينا لثارت القبرة اليينا فكان الأمر كما ظننته ، فان السلطان لما هزمهم طردهم الخيل حتى طرد النهار الليل وسار حتى زحزحهم عن أثقالهم وأعمالهم ودوابهم ورجالهم . وحقق الدماء وسكن الدهماء ونزل فى منزلتهم واستقال الدين من زلتهم ثم سرنا ونزلنا بقرا حصار (١) من أعمال حلب وهناك عيدنا عيد الفطر وشكرنا (١٨٠) الله على أداء فريضة الصوم واقتناء فضيلة النصر .

كتاب فاضلى الى زين الدين الواعظ فى المعنى اوله : لله تسبحاته وتعالى الحمد عندنا عوايدهم قد صارت كالامر المعروف ، والواقع المألوف والضياع اللازم للصباح ، والعرف المتضوع مع الرياح فلا تستغرب غرايبها وان كانت بديعة ولا تبهر عجائبها وان كانت وسيعة وشيعة . وكان الحلبيون والمواصلة قد صاروا بنيانا مرصوصا فى الخلاف ، وعقدا واحدا فى الشقاق والانحراف ، وحصروا حماة أياما وهم فيها المحصورون ، وان جندنا جند الله وهم المنصورون ثم ارتحلوا عنها ولم تزل المراسلات تكرر والمعاهدات تنقض بعد أن تقرر الى أن كان آخر رسايلهم ما بيننا الا السيف فرضينا به حكما وأرسلنا حبلمهم على غاربهم ، وعلمنا أن البقى معترض دون مطالبهم ولما كان يوم الاحد تاسع عشر شهر رمضان ركبنا والعساكر قد انتظمت عقودها والاطلاب قد اطرده مسرودها ، والسيوف قد كانت تلفظها غمودها ، والرماح ساقها الى الاوراد ورودها فلما تصافحت أطراف القنا مع النحور ووصلت صدور الرماح الى الصدور ، تخور له الصخور وانزل الله نصره علينا فلاذوا بالفرار ، وذهموا عواقب الاغترار ، واستولت على أبطالهم حلقات الاسار وحاز العسكر المنصور من القوة والعتاد وآلات الحرب والطراد ما ملأ كل يمين وشمال حتى لم يبق فارس الا قاد الجنايب ولا راجل الا سبق الراكب بما استكثر من المراكب وكان المقام كريما واليوم عظيما ، وكان هذا الفتح لفتوحنا أميرا وهذا اليوم بما بعده من سعادات الأيام بشيرا ، وكتابنا ونحن على اثر المنهزمين سايقون الى مستقر القرار الذى يسترجون سابقون

قال ونظمت فى هذه الوقعة فى مدح ناصر الدين محمد بن شيركوه قصيدة أولها :

وكتييسة مثل الرياض كأنما	راياتها منشورة أزهار
وكأنما خضر البيارق القنا	ورق وهامات العداة ثمار
وكمايم الاغمار عن زهر الظبي	فتقت فكل صقيلة نوار
وعلى شعاع الشمس لمحديدها	يبدو كما يعلو الجبين نضار
عبيتها بعزيمة مشفوعة بالنصر	منك تعينها الاقصادار

ومنها :

أهلى بخلق والعراق مراقبوا	حالى وطرف رجائهم نظار
وقطعت أبواب الملوك اليكم	ليكون منك الى النجاح بدار
بادرت نحوك بالرجاء مؤملا	والصفو تهجر دونه الاكدار

قال : فنزل السلطان قرا حصار بنية الحصار فجاءت رسلهم بالاقتياد واجابوا الى المراد وقالوا : اقنعوا بما أخذتموه الى حماة ولا تشتموا بنا العداة فاسترد عليهم كفر طاب والمعرة على انا لا نستومهم المضرة والمعرة واستوفينا عليهم الايمان المستقرة واحضرنى السلطان فى ذلك اليوم لتحرير نسخة اليمين ورآنى الحلبيون الذين فارقتهم انى الى جانب السلطان جالس وبأمره مستأنس فنظروا شزرا وعظموا ما ظنوه نذرا فما وقف السلطان فى عرض ولا ثاب صحة قوله بهرض وسألهم فى المعتقلين اخوة مجد الدين فأجابوا وفرجوا عنهم وتم الصلح وعم النجح ورحلنا ظافرين ظاهرين ونزلنا بحماة يوم الاثنين ثانى عشر شوال وهناك ألقينا العصا فما استقرت بنا النوى ونوينا الى حصار بعين .

ذكر وصول رسل دار الخلافة

قال : ولما وصل السلطان الى حماه تلقاه رسل دار الخلافة بالتشريفات السنية والأمثلة الرضوية والجنائب العربية والتحف الامامية والتقليد والتملك والتحكيم والتفويض فأفاضوا على السلطان واقارب الخلع واتبعوا فى التشيع به الاتباع والشيع ولبس الالهة السوداء كأنه بدر التمام تجلى أنواره

فى الظلام ، وكأنه انسان عين الاسلام نظر من سوادها ، وصحيفة السعادة
تلاوات امدادها من مدادها ، وركب (١) ولواء الحمد فوقه خافق والمركب
الخاص تحته سابق وافيض على ناصر الدين محمد بن شيركوه بن عم السلطان
تشریف مقارب للتشريف السلطاني منير منيف وخص من الديوان العزيز
بالتفضيل والتميز .

قال (١٨٠ ب) / ولم يبق فى ذلك الصوب الا حصن بعين مع الامير فخر
الدين مسعود الزعفراني ، ولما وصل السلطان الى الشام لجأ الى ظل
الاکرام ، ولازمه ظنا منه انه يقدمه على العساكر ويجريه على عادته فى
العهد النورى سقاه الله فان نور الدين رحمه الله قدمه على العساكر
فى آخر عمره ، وأقطع الرها وحماه وكفر طاب وحمص وسلمية وبعين
معرفة انه لا يتم له هذا المراد ولا يصح عليه الاعتماد فأصبح يوما مفارقا
ولحجاب الحجب خارقا ، فنزل السلطان على بعين فأخذها سلما فى العشر
الآخر من شوال وانتظمت تلك الفتوح على تواتر ونوال .

قال : واذكر انا عبرنا نهر العاصى عايدى وقد انكسفت الشمس
وادلهم النهار وغلب القلوب الاستشعار ، وخفيت الرسوم ، وظهرت النجوم ،
وجينا الى حمص ثم الى بعلبك ثم البقاع بعزم العود الى دمشق ، وأقطع
حماه خاله وصهره شهاب الدين محمودا ، وانعم بحمص على ابن عمه ناصر
الدين محمد بن شيركوه ووصلنا الى دمشق فى هذا الشهر برايات الفتح
والنصر قال :

نكر ما اسفر عنه حالى ومال آمالى

قال : قد قرر حسادى عند السلطان ، وقالوا : شغله الكتابة وهى
منصب الأجل الفاضل ، وهو يستنيب فيه من يراه من الأفاضل ، وهذا
(تصرفه برفد جزيل) (١) ووجه جميل ، والسلطان مع شدة رغبته فى متوقف
والى ظهور وجه النجاح فى أمرى متشوف وكنت قد آتست مدة مقامى فى

(١) اضافة يقتضيه السياق حيث انها فى الاصل ركب .

(١) ما بين الحاصرتين فى الاصل : غير واضح والضبط من الروضتين ٢

المعسكر بالامير نجم الدين بن مصال وهو ذو فضل وافضل (٢) وله يد عند السلطان في الثوب التي قصدوا فيها مصر لا سيما عند كونه محصورا بالاسكندرية ، فلما ملك احبه واختار قربه فلزمت له التردد اليه ، وجعلته الوسيط بينى وبين الاجل الفاضل والخدمة من اتجح الوسائل ووقفت خاطرى على تقاضيه نظما ونثرا فدخل الاجل الفاضل الى السلطان وعرفه انه في راغب وانه في ترتيبى حاجب فقال له انت كاتبى ومدبر ملكى . صاحبى ولو رتبت كاتباً لظن ان فى الحال نقصا . فقال انا لا يمكننى الملازمة الدائمة فى كل سفرة وغدا تكاتبك ملوك الاعاجم ولا يستغنى فى ذلك عن عقود اللطفات وحل التراجم ، وانا ما احضر فى كل اوان والدولة مفتقرة الى كافل بها غير متوان والعماد يفى فى الوفاء باختراع كل بكر واختراع كل : وان ، ولك اختاره وقد عرف فى النوبة النورية مقداره ، والجواد عينه قرار ، فوافق قوله مراد السلطان وعرف ان الاجل الفاضل اجل فضلى وحلى عطلى واخذ خط السلطان بما قرر لى من شغلى فاعتل كبد من حسد وانحاز عقد ما بسد ، وراح من الفضل ما كسد ، وعاود الروح منه الجسد .

ودخلت سنة احدى وسبعين

والسلطان فى مستهل المحرم فى مرج الصفر من دمشق بالمخيم والاسلام وافى المغنم بادی المفرم والعساكر على حظوظها من العز وذائسته والسلطان حاث ولسر عزمه باث فبينما نحن فى تصميم عزم وتنميم حزم اذا وصل رسل الفرنج وقد جنحوا للسلم وغرضوا بسوم الهدنة وضرعوا فى تقلد المنة وفيهم ماجد غلام هنفرى وهو يثق بقوله السلطان فما زال يردد هم حتى دخلوا تحت كل شرط وقربوا من المراد كل ما شحط وتقبلوا بكل ما فيه للاسلام غبطة ، فترجمت الفائدة ووضحت فى المصالحة المصلحة الزائدة . ولما تمت الهدنة اذن السلطان لعسكر مصر فى الانصراف واستجداد العبد منها والاستئناف والاقامة ريثما يستوعب المغل ويخرج فى المهام الدخيل وسار الاجل الفاضل ليزول به هناك الشواغل ولما تم مع الحلبيين الصلح ام يقطع المواصله مواصلتهم بالعتب والرسل والكتب فحملوهم بالبعث بعد البعث على النقض والنكث وحالفوهم فى الباطن وهم مستمرون معنا على الوفاق الظاهر ، واتفق ان المواصله نفذوا الى الحلبيين من اخذ عليهم

(٢) فى الاصل : غير واضحة ويحتمل قراءتها افضل .

المواثيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ للمواصلة من السلطان عهده ويكشف ما عنده فلما خلا به لخلابه طالبه بنسخة الراى المقتدح والشرط المقترح فغلط واخرج من كنه نسخة يمين الحلبين لهم فاولها اياه فتأملها وأخفى السر وما أبداه وردھا اليه وقال لعلھا قد تبدلت وما أعلمه بالقضية التي عليها اشتملت فعلم الرسول انه غلط ولم يمكنه تلافي ما فرط وقال السلطان : كيف حلف الحلبيون للمواصلة ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون أمرا الا بمراجعتهم لنا واستئذانهم ، وعرف من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفاء مرفوض والغدر عندهم مفروض .

قال : وفي أول هذه السنة وصل الى دمشق الجماعة الذين خرجوا / (١٨١) من بغداد موافقة لقطب الدين قايمار وما بدا (١) لانفسهم بالالتجاء الى السلطان والاحترار .

ذكر السبب في ذلك

قال : كان قطب الدين قايمار محكما في الدولة الامامية من أول الايام المستنجدية ، وهو الأمر والنهي ، والمفاخر والمباهى وقد بلغ في التحكم الى أقصى غايات التناهي ، والامام المستنجد توفاه الله وهو عنه غير راض واجترأ عليه والقدر عنه متغاض ، وبسط يده في الدولة المستنضية ، وصل وعقد وأصدر وأورد ، وقرب وأبعد وصوب وصعد ثم تجبر وتكبر ، وقوى على وزير الخليفة عضد الدين بن رئيس (٢) الرؤساء وأخافه ورام اتلافه حتى استعاد منه برباط شيخ الشيوخ وسلم بحمايته من أذى المذكور فارتكب مخالفة الخليفة وخرج عن أمر السنة الشريفة وعن له ان يحيط بالدار احاطة الحصار وحسب انه فاز من القوة والجند بالاستظهار فلما نجح الخليفة في ازعاجه واعجازه لم تف حقيقة عزه بمجازه وحكم باذلاله القدر الذي حكم باعزازه ، ولم ينبج لما احيط بداره الا بفتح باب في جداره وركب وخرج مفلتا غير لافت ،

(١) في الاصل : وأبدأ والضبط من الروضتين ٢ - ١ - ٢٤٤ .

(٢) هو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم كان استاذ الدار في أيام الخليفة المستنجد ووزر للمستنضيء ثم قبض عليه في ٥٦٧ هـ وقتله الباطنية في ٥٧٣ هـ ، خريدة القصر . العراق . ج ١ ص ١٣ ، ١٤ . وأنظر ابن الاثير . الكامل . ج ١١ ص ٢٩٦ .

وحل بالحلة المزيديّة في أوائل ذي القعدة سنة سبعين ففارقها متوجّها نحو الموصل متشوشاً أمره متشوراً فكره قد خلاه خلّانه وخائنه أخوانه واحاط به غمط احسان الامام وغفرانه وجذبه الى الأجل نهاية زمانه ، ومرض وعانى المضض وتوفى في بعض قرى الموصل بقريها وتحول الى تربها ، وتفرق من صحبه من أصحابه في البلاد ، فمنهم من رجع الى بغداد على سبيل السداد ومنهج الرشاد ، ومنهم من جاء الى الشام والتجأ الى ظل الاكرام ، ومنهم حسام الدين تميرك بن يونس وكان في قديم الدهر للسلطان المؤمل ففرح بلقائه وابتهج بروائه ، ومنهم عز الدين اقبورى بن أرغش، وطالما اليه تعطش فانه كان صهره قديما وعنده كريما ، وأسف عز الدين على ما تركه من ماله وكان ذا خزائن مملوءة ، وآلاف مؤلفة من بدر النصار وعقود الجواهر والخيل المسومة ، فخرج بفرشه منهل خاليا وعنهما ساليا فأواه واعز مأواه وكتب في حقه الى الديوان العزيز كتب شفاعة فما كان الذنب الذي ارتكبه مما يقبل الصفح ، وما زال السلطان يسعده ويسعفه حتى صبح وزنه ومسح حزنه وهون عليه ذهب مصر ذهاب ما سواه ولكن أين الترب الذي تولى بعدما تولاه . وكان عز الدين اقبورى عند السلطان اعز الأعزة وعزيمه في مصالحه غصب المهزة والسلطان خال بنته وهي زوجة عز الدين فرخ شاه ابن اخيه وصعب عليه من محل عزه فحاجه ولزمه بحكم القرابة والمروءة والسماحة حاجة وكثر على الديوان العزيز لحرمانه ومواته وخدماته احتجاجة .

قال : وهذا فصل من كتاب في المعنى (١) الى نجم الدين نجاح عن السلطان وهل تكون الشفاعات الا لأهل الكباير ، يسع عواطف الأيام الا لذوى الجراير وعفو أمير المؤمنين وهو أراف بأوليائه وأرحم ، ولا غنى عن جذبة من جذبات همته المباركة في التكفل بأمر المذكور لازالت مكارمه متكفلة بانجاح الأمور .

قال : ولما سار الأجل الفاضل الى مصر اعتمد على في تنفيذ الأوامر والتفرد للاصدار والإيراد بالأمر . وواظب السلطان على الجلوس في دار العدل والقيام بدار البذل لكشف المظالم وبث المكارم . ومن جملة ما حصل في خزائنه بمصر من الاعلاق النفسية دوى محلاة نضارية وفضية ثقيات

(١) في الاصل : المعناه .

الأوزان غاليات الأثمان فتسلط عليها يد أياديه وفرقها على جماعة موالية فقال لى يوما اكتب لأمين الدين قاضى حماه الى مصر بدواة محلاة فقلت بل اكتب بدواتين أحدهما للطالب والأخرى للكاتب فتبسم استبشارا بالسؤال واهتزازا للنوال ووقع بهما فى الحال .

وكتبت الى الأجل الفاضل رسالة فى صفة الدواة ، ومنها قد أحاط العلم الأشرف بأن الكاتب معظم أدواته دواته ، وبها يتوفر وتحبى حرمانه ومواته وهى صاحبتة التى لا يؤثر طلاقها ومعشوقته التى لا يحب فراقها ، المرضعة لبنها الهيف الهيم ، الملحفة النهار ليلها البهيم .

قال : ومدحت فى 'مستهل شهر ربيع الأول الملك تقى الدين وكان قد فوض اليه ولاية دمشق بقصيدة أولها :

أحاط بـورد وجنته الجنى بنفسج خط عارضه الطرى
وجال وشاحه فى الخصر منه مجال الوهم فى السر الخفى
وجاذب حقفه غصن قصيف فيا ويح الضعيف من القوى
(١٨١ب) / يواخذ طرفه بالذنب قلبى فياجور السقيم على البرى

ومنها :

يفيد العاقل اليقظ التغاى فياجور السقيم على البرى
ولم يصب السهم على اعتدال بها لولا اعوجاج فى القسى

قال : وشاع الخبر عن المواصله بالخروج فى الربيع ، وحشد الجموع وحشر الجميع ، واطلاق السنتهم بالتشنيع . وكنا فى كانون ونحر لبيوت المغانى فى دمشق بانون وأمرنى السلطان بأن أنشئ عنه الى الملك العادل سيف الدين وهو بمصر ما يشيع له السر ، ويعرفه الأمر ، وأن يلمز الأمراء بالاستعداد لوقت الاستدعاء قال ثم ظهر من المواصله الخلاف وصح عنه الأرجاف وجاءوا الى نصيبين بجنودهم وبنودهم وحشدوهم فكتب السلطان الى الأمراء بالاستدعاء والاستبطاء ، فوصل من مصر من وقع على حضوره التنصيص ، ونفذ بالأمر التعميم والتخصيص . ووصل الأجل الفاضل وشملت الفواضل ، ونجحت الوسائل . ولما تحقق اجتماع الموصلية والحلبية ،

وباتفاقهم بالهمم الأبية أيقنا منهم صدق القصد وضلالهم عن نهج الرشيد
فرحلنا من دمشق في شهر رمضان فما عرجنا على بلد ، ولا انتظرنا ما ورانا
من مدد حتى جزنا حماه ، وخيمنا بقرب بوقبيس في فرجه وبعث النصر في
أوجه وبحر الظفر في موجه فالحقينا ذلك الشعب مشعبا فاسمنا الخيول
وضممنا الذئول فركب السلطان عند استكمال امداده ، واحتفال أجناده ففرض
وفرص وحرص وحرص بالجد وعرض وجاعنا الخبر انهم في عشرين الف
فارس سوى سوادهم وما وراءهم من امدادهم وانهم موعودون من الفرنج
بالنجدة ، وانهم يزيدون كل يوم في القوة والشدة وما كان اجتمع من عسكرينا
سوى ستة آلاف فارس فقال الصواب مسيرنا اليهم والاقدام عليهم . ونحن
بالقعود لا نستزيد عددا وهم كل يوم في زيادة جموع ، وما بقى وراءنا من
انا ننتظر وبقدومه نستظهر فرتب عسكريه ميمنة وميسرة وقوى بقلبه قلبه ،
وامد الله بحزب ملائكته حربه .

ذكر الواقعة مع المواصله والحلبين يوم الخميس عاشر شوال

قال : واقمنا بقية شهر رمضان بالمرج القبيسي وبدلنا فقد الحسرب
بالنسي ونقول قد وصلوا الى حلب وما عرفنا منهم الطلب فان خرجوا في
الطلب الى حدودنا خرجنا اليهم بجودنا وذكرناهم بعهودنا . ولما وصلت
المواصله الى حلب اطلقوا من كان في الأسر من ملوك الكفر وفيهم ابرنس
الكرك وجوسلين خال الملك وقرروا معهم أن يدخلوا من مساعدتهم في الدرك .
وكان وصولنا الى مرج بوقبيس في الخامس والعشرين من شهر رمضان
فلما عيدنا ووصل الخبر بوصولهم الى تل السلطان عبرنا العاصي عند شيزر
ورتبنا العسكر وأعدنا الاثقال منها الى حماه وجردنا الكمت والكماء وسار
يوم الثلاثاء بعزم اللقاء وتفرق الخيل على الجباب والمصانع يوم الأربعاء ،
وأخذ حظها من الارتواء ثم أدلج ليلا وصبح القوم بكرة الخميس بالخميس
وعرس بقربهم الأسد مع العريس . ولما طلع الفجر نظروا واذا الخيل
عليهم مظلة وبوارق البيارق فوقهم مستهلة ، والصواهل محممة والقناطل
مذممة والجاليشية دايرة والجاوشية فاغرة والخبايا مرنة والمنايا مرجحة
فحين غامرهم الجيش خامرهم الطيش وقالوا ما أوقع هؤلاء أما عرفوا انهم
عند بحارتنا جداول وعند جبالنا جنادل وعند صقورنا بغاث وعند ذكورنا
اناث فامتطت جبالهم الرماح وهزوا بالمراح الرماح وشاموا بوارق القضب

وانقضوا بشهب الذهب ، وسلوا من النبل الجعاب ومن الزعف العباب وصف سيف الدين غازى صاحب الموصل أمام قلبه وتراكت قدماه سحب صاحبه وقد فوق اليهم السهم كأنه مستوى بيت القوس وشمس برج الأسد للفرس يخطب كفؤ الكريم لاقامة العرس ملابس وللجمال جميل اللبس ، شاب حوله شباب ' وشهاب ، تجلله من لثام الزرد سحاب بعزه معتز ويفروره مغتر ' وبعطف اللدن ، ثل رمحه الى اللقاء مهتر بجمره غير مبال لا يخطر الخطر له ببال والملك الدالح مع الحلبيين فى خلايه بارز فى اطلابه وقد جمع كل بطل كفى وأجدل ، غرعى ومن ساير قبائل الاكراد ومن الممالك الاتابكية / (١٠١٨٢) كل كمش وهجان واكديش وكان الأمير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك على يمينته وهو فى كتيبته الشهباء وداهيتيه الدعيا ودهته الحشواء ، وفى مقابله ميسرتنا وفيها شمس الدين صاحب بصرى ومعه جماعة مجمعة فحمل عليها مظفر الدين ففاجها وطحنها واوهى عقودها واوهنها وساق ائقالها ' وتل رجالها فظنوا انهم ظفروا وفازوا وكثروا وحازوا .

وكان السلطان فى قلبه وراء التل وهم لا يبصرونه فتحين اليه فل الميسرة المكسورة فهاج نحوه بالهزم الماتورة ' وساق واشرف من التل على القوم ، وقال : لا ونية بعد هذا اليوم وبدر من اصحابه أميران بالجملة واختلطا مع الجاليشية فأحاطوا بهما ولم يفلتا واتلقا ' وحينئذ ظهر البرج مبرح الفطا وكانوا حلفوا انهم لا يبقون على أحد ولا يقرون من الصلاحية روحا فى جسد .

وقويت أطماعهم بظفر المينة وقتل من لقوه فى المقدمة فحملوا حملة واحدة راكضة الينا طاردة والسلطان واقف فى صفة ألف بالفه ' واثق بزحفه ' مايح بحره فى غدير زاعة . وكانت حملتهم من مسافة بعيدة ' وشقه مديدة فقال لأصحابه تثبتوا وقفوا ودعوهم يتعبروا (٣) ويركضوا وينقضوا قواهم ويرفضوا واذا قربوا منا أبعدناهم ' واذا وصلونا (٤) قطعناهم فنحن

(١) فى الاصل : مظمها .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل : يعتبروا .

(٤) فى الاصل : مطموسة .

نعطيهم الأشواط ، ونوليهم الإفراط ، وهم يصلون متسابقين متفرقين فإذا دنوا من بنيان صفنا المرصوص انتقض عليهم جداره ، ولفح وجوههم أواره . وكانت حملتهم وقدام الألوف ماثون وامام المائين عشرات وقد سبقتنا آحاد منتشرات ، فلما حملتهم حملتنا وصدمتهم صدمتنا عكستهم وأركستهم وردت أولهم على آخرهم وسيارهم الى سايرهم ، ولم يعرف ساقيتهم ما تم على مقدمهم ، ووقع التخاذل والتفائل في ميمنتهم وميسرتهم ، وركب السلطان اكتافهم حتى أخرجهم من خيامهم ووكل بسراق سيف الدين غازي عز الدين فرخشاه ، وركض وراءه حتى علم أنه تعداه ، ووقع في الاسر جماعة من الامراء المقدمين ثم من عليهم بالخلع والتشريفات بعد نقلهم الى حمص ، وأطلقهم وأعتقهم بعد أن استرقهم .

ثم نزل في السراق السيقى فتسلم خزائنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزه ورواسخه ، والقذور على المواقد رقود ، والندامى المواعيد قيام وقعود ، والخمور مقدمة ، والزمر مقدمة ، والملحنون والمرقنون (٥) جلوس وبايدى البدور شموس ، والخيل على طايها صفون ، وما نطول الحديث فللحديث شجون ، فبسط في جميع ذلك ايدي الجود وفرقتها على الحضور والشهود وأبقى منها نصيبا للرسول والوفود، ورأى في بيت الشراب بل في السراق الخاص طيورا من القمارى والبلابل والهزاز والبغاء في الاقفاص فاستدعى أحد الندماء هو المظفر المعري الأقرع وهو مما به يتجشى ويتجشع فقال له : طب نفسا فاستبدل من الوحشة أئسا وخلع عليه وقال له : خذ هذه الاقفاص واذهب بها الى سيف الدين وأوصلها اليه وسلم عنا عليه وقل له : عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سليمة لا توقعك في المحذور .

ولما كسر القوم وولوا مدبرين ركضوا الى حلب فلم يقف بعضهم على بعض ، وظنوا أن العسكر وراءهم ركضا وراء ركض ، وما سار وراءهم عسكر لكنهم لشدة رعبهم قطعوا نياط القلب ، وما صدقوا كيف يصلون الى حلب فيغلقون أبوابها ويسكنون اضطرابها .

(٥) المرقن هو الكاتب ، وقيل المرقن يحلق حلقا بين السحور كترقين الخضاب ، ورقن الشيء أى زينه . انظر لسان العرب .

وأما سيف الدين فإنه ركض فى يومه من تل السلطان الى بزاعة (٦) ،
وجاوز فى سوقه الاستطاعة ، وفرق وفارق الجماعة .

ومن الانشاء الفاضلى فى هذه الوقعة الى الأستاذ جلدك بدمشق
كتاب منه نشعرك ايها الأستاذ الأجل بكسرة المواصلة والحلبيين والديار
بكربين يوم الخميس عاشر شوال على تل السلطان بعد أن وقفوا وواقفوا ،
وأخلف الله ظفونهم بما نكثوا وعصوا وخالفوا فأظهر الله فيهم القدرة ودمر
عليهم بهذه الكسرة ، وأخذهم من أمرهم على غرة ، وأجرأنا على أفضل
عوايدنا من الاستظهار والتصريح .

ولم تزل الجيوش بعقب المنهزمة فاذا طرح الراكب الى الأرض عفت
عنه السيوف المتضربة ، وكذلك عودنا الله أن نغفر مع الاقتدار ، ونقيل
عظيم العثار ، والحمد لله الذى مكن لنا فى الأرض ، ولم يجعلنا ممن يفعل
فى العباد ما لم يرض .

قال رحمه الله :

(١٨٢ ١) ذكر وصول شمس الدولة تورانشاه أخى السلطان من اليمن
ودخوله الى دمشق فى سابع شوال

فكتب السلطان بخطه من الانشاء الفاضلى :

« قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فإن
الله لا يضيع أجر المحسنين » (١) فالحمد لله الذى أذهب الحزن (٢) ووهب

(٦) بليدة فى وادى بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو
ميلين والى حلب عشرة أميال . معجم البلدان ١/٤٣٧ .

(١) سورة يوسف ، آية رقم ٩٠ .

(٢) اقتباس من الآية ٣٤ سورة فاطر التى نصها « وقالوا الحمد لله
الذى أذهب عنا الحزن » .

الحسن وأغاث الشام بسحاب منشؤه (٣) من اليمن ، وارضانا باللقاء اليوم
كما اسخط أمس بالفراق على الزمن .

نفسى الفداء لغايب عن ناظرى ومحلله فى القلب دون حجابيه
لولا تمتع مقلتى بلقائه لو هبتها لبشرى بايابيه

واسعد الله المجلس السامى فى مقدمه ، واسعد هذه الأعمال بموطىء
قدمه ، وأجرى الأرزاق بحكمى سيفه وقلمه وأعاد الاسلام وأهله بنعمه
وجوده عن نعمة عدمه ويقسم الخادم أنه لو جاز أن تسافر نفس
عن جثمانها ، وترحل عن أجفانها لسرت مهجته الى لقاء آمالها ، واهتدت
مقلته الى مجلسه الكريم بما أفاض من الأنوار على مسالكها ، والحمد لله
ثم الحمد لله ثم الحمد لله قول الشاكر الذى قدر النعمة حق قدرها ،
وعلم بعد الإطالة أنه عاجز عن شكرها ، وانهض الله بركاتها حمله وسقى
الله طريقا أوصله وان نحت سحب علبها فاجفانى ، وأهلا بليلة قدر لقاءه فى
صبيحتنا بقدر وصبيحة عيد فطر هلالنا فيه نير وجهه الأكبر ، ولو ان
اليوم يصام فيه الفرض لنذر كلما كررت الجمعة صيامه ، ولولا الشغل
بالعدو الذى لا مشغل للقلب الا به لالتقيناه من حيث كان فى مقامه الجليل
مقامه وما انطوت (٤) فى الغسولة (٥) ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شهر
رمضان .

عاد الحديث الى ما جرى بعد الكسرة قال : أما صاحب الموصل
فانه أسرع اليها أوبته وشكر سلامته واستأنف اللهو واللعب ، وأكل وشرب
ولعن الحرب واصطنع (٦) الطعن والضرب وأما الحلبيون فأنهم أوثقوا الأسباب
وغلاقوا الأبواب واسقطوا (٧) فى أيديهم حين أفرطوا فى تعديهم ، وتصرفوا
بالاستبصار وتهدفوا للحصار ، وأما السلطان فانه عبر بحلب ولم يعرج
عليها ولم يعج اليها ونزل على حصن بزاعه (٨) وتسلمه وفى سلك ملكه نظمه

(٣) فى الاصل : منشأوه .

(٤) فى الاصل : ومنطوت .

(٥) الغسولة : من قرى دمشق معجم البلدان ٣-٨٠٢ .

(٦) فى الاصل : واصطعن .

(٧) فى الاصل : وسقطوا .

(٨) فى الاصل : غير منقوطة وقد سبقت الإشارة اليها .

وذلك يوم الاثنين الثانى والعشرين من شوال . وأما منبج فإنه كان فيها الأمير قطب الدين ينال والسلطان لا ينال منه الأحسان ، وكان فى جر عساكر الموصل اليه أقوى سبب ولا يحفظ معه شرط ادب ، ويواجهه بما يكره فلما قرب من بلده أثر أن يثيره منه ويأخذه من يده فسلط النقبائين على حصنه فنزل مستأمنًا ، وسلم القلعة بما فيها والذخاير التى تحويها فقوم ما تسلم بلثمايه الف دينار وسأومه على أن يخدم ويأخذ بلده وذخيرته وعدده فأبى نخوته ونبت حميته ، وأنفت غيرته وغارت أنفته ، وسهل عليه عسيره وأمر أمره ، ومال عليه فى ماله دهره ، وكأنا جمع ذلك المال ليفرقه هذا الجود ، ومطل بديون المكارم ليقضيها هذه النقود . ومضى الى صاحب الموصل فاقطعه الرقة وبقي فيها الى أن أخذها السلطان منه مرة ثانية فى سنة ثمان وسبعين .

وعادته عادة منبج وصاروا بحاله الذى جمعه متفرقين ، ثم عاش بعد ذلك أحوالا وأثك أحوالا ، وجمع مالا وانتهت به صروف الدهر وأحداثه واستحقه من بعده ورائه فاقترضوه السلطان على أن يقتلوا به أملاكًا ، وينالوا به من فارطهم استدراكًا ، فانقضى عصر السلطان ونعب بالتفرق غراب البين ولم أدر كيف جرى حديث ذلك البين . قال : ثم سلم منبج الى من بجده عمرها وبجوده غمرها ، وبسياسته ساسها وأنس ناسها .

ذكر النزول على عزاز (١) فى ثالث ذى القعدة

قال : ولما كان حصن عزاز أعز الحصون ، والاسلام ضاحك عن ثغرة المصون وهو من الثغور الاسلامية التى يتعين سدادها ، ويجب بأمداد الرجال امدادها أشفق السلطان لموافقة الحلبيين للفرنج من هذا الحصن فإنه ان تسلمه الفرنج عادت معاهد الاسلام فى معاقلها الى الوهن ، فنزل عليها وقطع بين الحلبية وبين الفرنج وكان حصارها / (١٨٣) حصار حلب على الحقيقة ، وخيم عليها وأخذ بمضايقها وهى محمية بالرجال محشوة ، بالأبطال مملوءة ، بالعدة والأسلحة قوية من عراداتها وزنا يزنها

(١) عزاز بفتح أوله وتكرير الزاء وربما قبلت بالالف فى أولها ، والعزاز الارض الصلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم وهى طيبة الهواء عذبة الماء .
معجم البلدان ٣ — ٦٦٧ ،

بالقوادم والأجنحة ، وهى غير ملبية لدعاتها ولا مبالية بعداتها لا تهب
أذعانا ، ولا تهاب سلطانا فخطب السلطان كيف تسلط خطبها ، وقدم نصبه
فى تقديم منجنيقات ونصبها ، ورجم الحصن رجم الزانى الحصن ، واستشهد
عليه وفيه جماعة ، وصعب الأمر واستمر الحضر وعيل الصبر ، وضجر
المقاتل وحرض بالبأس الباسل . وأخرج السلطان مناطق الذهب ونقوده ،
وقلايد العقيان وعقوده يعنى أن من أغنى أغناه ، ومن أبلى أبلاه فقامت هناك
للموت أسواق واشتريت بأعلاق النفوس من النفائس أعلاق .

ذكر قفز الحشيشة على السلطان ليلة الاحد

حادى عشر ذى القعدة (١)

قال : وكان الأمير جاولى الأسدى خيمته (٢) قريبة من المنجنيقات ،
وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لترتيب المهمات ، وحض الرجال ، والحث
على القتال ليكون المقاتل اذا كان بمرأى من السلطان احتد واشتد وبذل
الجهد ، وهو غار يناديه باريث اياديه ، والحشيشة فى زى الأجناد وقوف
والرجال عنده صفوف اذ قفز واحد منهم فحضر رأسه بسكينه فعاقته صفائح
الحديد المدفونة فى كمنه عن تمكينه ، ولفحت المديّة خدّه فخدشته ، وساحت
قطرات دم غشته ، ففقوى السلطان قلبه وثبت لبه وحاش رأس الحشيشى
وجذبه ووقع عليه وركبه وأدركه سيف الدين يازكوج فأخذ حشاشة
الحشيشى وبضعه وقطعه وجاء آخر فاعترضه الأمير داود بن منكلان
فمنعه فجرحه الحشيشى فى جنبه بحد سكينه ، وكانت منيته بعد أيام فى
تلك الضربة . وجاء آخر فعانقه الأمير على بن أبى الفوارس وضمه من
تحت ابطيه وبقيت يد الحشيشى من ورائه لا يتمكن من الضرب فنادى اقتلوني
معه فقد قتلنى واذهب قوتى فطعن ناصر الدين محمد بن شيركوه بطن الجارج
بسيفه ومازال يخوضه حتى القاء لحقه وخرج آخر من الخيمة منهزما
وعلى الفتك بمن يعارضه مقدما فصادفه الأمير شهاب الدين محمود فتنكب
عن الطريق ووافقه حسن التوفيق فثار على الكلب أهل السوق فقطعوه
اربا اربا . وأما السلطان فانه ركب وجاء الى سرادقه وصوته جهورى

(١) المحاولة الثانية لقتل صلاح الدين .

(٢) فى الاصل : جمعه .

وزهو قسورى ، ودم خده سايلى وعطف روعة مايلى ، وطوق كراغنده بتلك الضربة مشكوك مفكوك لكن نهج سلامته بوقاية الله وعصمته مسلوک فما أفرج روع روعه حتى علم أن جرح خده سالم ، وأن صبح جده باسم فانه كان سلا سلامته وأقام القوم قيامته من بعد دين رغب ووهب واحترز واحتجب ، وضرب حول سرانقه على مثال خشب الخركاه تازيرا وأوثقه تحجيرا ، وجلس فى بيت الخشب وبرز للناس كالمحتجب وما حدث الا من عرفه ومن لم يعرفه صرفه ، وما قرب الا من يثق باعتقاده ويعتمد على سدايه واذا ركب وأبصر فى موكبه من لا يعرفه أبعد ثم سأل عنه فان كان مستشفعا أو مستسعدا أشفعه (٢) وأسعده .

قال : وانسبى فمن عرفته قربه ومن أثبت على كفايته استكفاه (٤) وندبه وقد اصطنعت اقواما فرعوا المراقب ، واقترعوا المراتب فوجدوا من بعده عارف (٥) ومعرفتى ، وانكروا صفوتى وصفتى ، وليتنى خلصت من شرهم ونجوت من ضرهم ، وكان السلطان الى مستنيما ولصحبتي مستديما حتى لا يؤثر غيبتى عن ناد يحضره وكل ما اسوغه من أمر يحضره .

ذكر مكرمة فاضلية

قال : قال الأجل الفاضل للسلطان تنبيهها له فى حقى على الاحسان ان الذى عينت للعماد من الجامكية (١) بدمشق حوالتة ولم يتسع به عندنا ضائقته ، فان الطرق مقطوعة ، والسبل ممنوعة فعين له من الخزائنة فى الصحبة كل شهر ما ينفقه فقرر لى مثل ما كان لى من قبل واستمر المبلغان وتقلدت بهذه العارفة طولى الامتتان ومن تمام انعامه انى هنيته بعزاز يوم عيد الأضحى على العادة ثم جئت اليه العصر مسلما ولبعض الأحوال مستعلما فقال ما جئت اليوم مرتين الا لأمر باعث وقد فهمت المعنى . ووقع له انى لتشريف السلطان متقاضى واننى عليه الا بما يرضاه لى منه غير راض . وارسل الى الخزائنة واخذ لى احسن واثن ثوب وعمامة واتبع ذلك نفقة مشفوعة بكرامة سوى ما قرره للعيد من وظيفة واقامة .

(٣) فى الاصل : اسعفه وكذا يقتضى الجناس .

(٤) فى الاصل : استكفاؤه .

(٥) فى الاصل : عارفنى .

(١) جامكية هى الراتب الجارى على شخص ما ، انظر ابن مباتى -
قوانين الدواوين ص ٣٥٥

نكر فتح عزاز يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة

(١٨٣ب) قال : وأقام السلطان عليها ثمانية وثلاثين يوما يسومها القتال سوما حتى وجت جنوبها ، وكثرت ثقوبها ، ونحبت قلوبها ، فاقصر من فيها. بعد طول النزال على النزول وانتهت مدة وقوفنا منها على الطلول وسلموا القلعة كرها ، قال : وقلت فيها قصيدة أولها :

سلطت المطل على نجازها وضيعت حتى فى مجازها
وصالها من الحياة منيتى من لى بالفرصة فى انتهازها
وجنتها الوردية فى احمرارها وقدها البانة فى اهتزازها
شمس الضحى فى الحسن لم تضاهها بدر الدجى فى التم لم يوازها
ومنها .

تمل من فتح عزاز نصرة أوقعت العداة فى اغترارها
اليوم ذلت حلب فانها كانت تنال العز من عزازها

نكر خلاص رجل مسلم من نكبه عظيمة بشفاعة كريمة

قال : كان عسكر حلب مدة مقامنا على عزاز يطلب من عسكرنا غرة فأغارها يوما على العلاقة وبلغ إلينا صريخ المخافة ، فركب السلطان والعساكر معه نحو الصارخ وأخذ الحلبيون ما وجدوا وعادوا فما أدرك أصحابنا إلا فارسا فأخذوه وسيرهوه إلينا .

وجاء السلطان وهو مغتاض ومعه من أصحاب الموتورين قوم غلاظ فأحضر وأمر بقطع يده ، وكان المأهون بأقامة تلك السياسة حسام الدين سنقر الخلاطى وهو كامل الكياسة فقلت له بمسع من السلطان سسهل ساعة لعله يقبل منى شفاعة ، ثم قلت هذا لا يحل وقدرك بل دينك عن هذا بحل وما زلت أكرر عليه الحديث حتى تبسم ، وشاهد عبوسى فنشبر ، ورجع

عما به ثم أمر بحبسه ، ودخل ناصر الدين بن أسد الدين وكلح وبسر ودمدم وزمجر وقال : لم لا يقتلوا إذا اعتقل فوعظه السلطان وسكن غيظه ثم أطلق سراحه وتم نجاته .

ذكر النزول على حلب منتصف ذي الحجة

قال : ولما أمنا من جانب عزاز وجدنا من الله في عدته النجاة سرنا إلى حلب ونزلنا عليها عند حاضر الياوقية ، والسلطان يركب كل يوم مع العسكر ، وربما طاف حول البلد وتأمل أسواره ، واستوضح بعيانه أسواره ، وأقمنا نتصرف في الأعمال ونصرف العمال لجباية الأموال ، والبلد في ضجيج وأجيج وأمر مريج ، وسب تشنيع وتجنيس في القد وتدابيق وتنويع فما تم إلا السنة تعيث وطبول تستغيث والمراسلة بالقول العنيف ، والمواصلة بالتنفيذ والتعنيف ، والسلطان لا يهمهم ولا يفهمهم ويزيد من حمد الناس له ذمهم ، وقد علم أنهم جاهلون (١) بنبيهم ذاهلون وأنه سوف ينبوا حدهم ويخبوا وقدهم .

قال : وكان حصن حارم قد تولاه سعد الدين كمشتكين وأشفق عليها ، ومضى إليها خوفا من النزول عليها وما ظن أن السلطان يعجل من عزاز النجاة فلم يرمنها إلى حلب الجواز فلما حضرناها وحصرناها ضاق كمشتكين بالمقام في حارم ذرعا فعاد يمتري في الضراعة إلينا ضرعا ويقول : لو فسحتم لي في دخول حلب لقضيتكم من وفائي بشرط خدمتكم العجب ، وهو يخشى أنه إن استمر هناك مقامه بطل في سلك جماعته انتظامه ، وتفردوا دونه بما يصدرونه ويوردونه ، وهو على النار الحامية وعساكرنا قد أخذت عليه الطريق فكتب إلى السلطان يسأله أن يرفع عن نهجه الحجر ، وكتب إلى الحلبيين يسألهم أن يرأسلوا في أمره فرأسلوا السلطان في شأنه وأن يقلدهم من أجازته طوق امتنائه فانه أول حضوره يبتدىء بالوصول إلى حضرته والمثول لخدمته وقرروا على انفاذ معروف رهينه تقيم عنده إلى أن يدخل

(١) في الأصل : جاهلان .

عليهم ويستوفى عليهم في اليمين عقده ونفذوا بحكم الرهن نصرة الدين (١) بن زكى حتى يدخل الرسول ويخرج فأمرنى بالدخول في صحبة الرسول وهو شمس الدين الوزير أبى المضاء فلما دخلوا أبعادوا عنا الغلمان وأفردونى ورفيقى فى مكان ضيق بغير اسراج ولا مرفق ولا بساط ولا كساء ولا خبز ولا ماء وبتنا ليلة الغدر (٢) ونحن جياع عطاش ولا لحاف ولا فراش وعندنا جماعة يحرسون قائمهم يشتمون ويشتمون ، ويلعنون ويطعنون ، وما أنسنا حتى تبسم الفجر وقتلنا لعله يرتفع الحجر . / (١٨٤) فاحضرنا عند الملك الصالح وعنده ابن عمه عز الدين مسعود أخو صاحب الموصل وكانوا عملوا نسخة يمين فما نظرت فى شرط ولا تعيين فحلفناهم كما أرادوا وسكتنا فيما نقصوا وزادوا وخرجنا الى غلماتنا ودوابنا وهم فى آخر نفس وخرجنا الى السلطان كأننا قد نشطنا من قيد وعرضنا النسخة وقتلنا له كل من حلف بهذه اليمين يمين ولا كانت حلب ولا كمشتكين .

قال : وجاء كمشتكين وعبر آمنا ولم يزل منافقا مداهنا وعاتبنى السلطان وعصب بى جرمهم والزمنى حكمهم ثم عرف الحال والان المقاتل وعاد اليهم رهنهم . وتوبتنى تلك النبوة وصحت الاتابة وما حدثت نفسى بعدها برسالة ولا تعرضت لعثار يحوجنى الى استقالة ، ورفهت قدمى ووجهت قلمى اتوسل بالخط لا بالخطى واسطوا بقلمى الذارى على نوى السطى وأرسل الرسل برسائلى ولا أخرج من فضاء فضائلى ولا أدخل فى لواذع عواذلى قال :

ودخلت سنة اثنتين وسبعين

والسلطان بظاهر حلب مقيم والمصابرة فى حصرها مستديم ، وكنا نؤثر أن تصير الكلمة واحدة ، واللسنة لسنة الجحود جاحدة ، والملك

(١) اسم « نصرة الدين » مكرر مرتين .

(٢) فى الاصل : القدر وكذا المرجح ولا احتمال لأن تكون القدر لأن النزول على حلب فى منتصف ذى الحجة ، والقدر فى العشر الاواخر من رمضان كما ورد فى الحديث .

الصالح من حكم الخارجين خارجا حتى يتولاه السلطان بالتربية ويبادر الى ندائه بالتلبية . لكن قومه قاموا بالاصرار على الاصرار ، وسدوا عن مطالعة سبيل الأنوار ثم عادوا الى السلطان مستعطفين وللإحسان مستسعفين وعرفوا أن العقوبة اليمية ، وأن العاقبة وخيمة فدخلوا من باب التذلل والتذلل ، ولاذوا بالتوصل والتوصل (١) واظهروا التودد ، واكثرُوا التردد ، وحضروا بأذهانهم بعد ما غابوا واعترفوا بأنهم أخطأوا وما أصابوا .

وصفى السلطان وصفح ، وأصلح واصطلاح ، ولما ملك انتجح وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها ، واستقرى كل عشرة فأقالها ورد اليه عزاز واعتذروا عن كل ما أسخطه وحلفوا له على ما شرطه ، وكان الصلح لهم وللمواصللة وللديار بكرية عاما ، ولشمل المصالح الجامعة ضامًا وكتبت نسخ إيمان بأسمى ملوك ديار بكر والروم وصاحب الموصل على الشرط المعلوم وهو أنه ان غدر منهم واحد وخالف ولم يف بها عليه حالف كان الباقيون عليه يدا واحدة حتى يفى إلى الوفاء والوفاء ويرجع إلى مرافقة الرفاق .

وسار بهذه الرسالة اليهم سعد الدين أبو حامد وكان جلدا كافيا وبتدبير الأمور وأفيا فمضى إلى الملوك ونظمهم من سلك نهج الموافقات في السلوك .

ذكر الرحيل من حلب

قال : ولما انتظم بحلب الصلح وتم النجح ذكر السلطان ثاره عند الاسماعيلية وكيف قصدوه بتلك البلية ، فرحل منها يوم الجمعة لعشر بقين من المحرم مصمما على الجهاد الأعظم ، وأناخ على حصنهم مصيات (٢) فانهض اليه الرجال وحرص الأبطال وأمر بنصب المنجنيقات الكبار . وأقام أياما

(١) يرجح أن تكون احداهما بالسجين عوضا عن الصناد .

(٢) حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالساحل الشمالي قسرب طرابلس وبعضهم يقول مصياف . معجم البلدان ٤ - ٥٥٦ .
وأنظر :

واستطال عليهم فريقه واستطار فيهم حريقه ، وشرع العسكر يخرب ديارهم ويقرب دمارهم حتى جساء خاله شهاب الدين الحارمى وهو صاحب حماه وشفع فيهم لأن بلده جار نواحيهم ، وأراد الأمن من خوف عواديهم وكانوا قد راسلوه وأرغبوه وأرهبوه . وكان شهاب الدين مقبول مأمول الطول ورأى أيضا من أمرائه ميلا الى الانكفاء وأبت تركهم همته الأبية لولا الشفاعة الشهابية ورحلنا وقد انتقمنا منهم .

ذكر كسرة على الفرنج

قال : كان شمس الدين بن المقدم متولى بعلبك وأعمالها ومدبر أحوالها فعرف أن الفرنج قد أغاروا على البقاع فكمن لهم عند العياض وأوتر عليهم حنايا المنايا بتفريق التوفيق فى الانباض واسر منهم سوى من قتل أكثر من مائتى أسير وأحضرهم عندنا ونحن على مصياف ، ولولا هذا الحادث لم يصرف عنها الأحداث .

وكان قد خرج الملك المعظم شمس الدولة أخو السلطان حين سمع أن الفرنج على الخروج وبأسطهم (١) عند عين الجر (٢) فى تلك المروج ووقع عدة من أصحابه فى الأسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلار واجترا (٣) الفرنج بتلك الجولة واغتروا (٤) بتلك الصولة ، وانبطحوا فى تلك العياض وانهاضوا بما قدم ابن المقدم من الانهاض .

ووصل السلطان الى حماه فاجتمع فيها بأخيه شمس الدين يوم الثلاثاء ثانى صفر وهو أول يوم لقائه بعدما أزمع عنه الى اليمن السفر ، وتعانق الاخوان فى المخيم فى الميدان وتحادثا فى الحديثان . وكان قد وصل الى السلطان من أخيه هذا عند مفارقة اليمن كتاب ضمنية هذه الأبيات من شعر أبى المنجم (٥)

(١) فى الاصل : وما سطهم والتصحيح من الروضتين (٢) ١ - ٢ ص ٦٧٠ .

(٢) فى الاصل : ساقطه التصحيح من الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٦٧٠ وعين الجر بين بعلبك ودمشق فى اقليم البقاع معجم البلدان ٣ - ٦٧٠ .

(٣) فى الاصل : واجتر .

(٤) فى الاصل : واغتر .

(٥) أبى المنجم المصرى : هونشو الدولة على بن مفرج المنجم ولد

سنة ٥٤٩ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ انظر الخريدة - قسم الشعراء المصريين - ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

المصري قلت ومنها :

(١٨٤)/ أبدى التجلد والجوانح تلتظي
وحملت من فقد الأحبة مفردا
والى صلاح الدين أشكو أننى
جزعا لبعد الدار منه ولم أكن
ولاركن اليه متن عزائى
حتى أشاهد منه أسعد طلعة
وأرى التصبر والحشى تتقطع
ما ليس يحمله الأحبة أجمع
من بعده مضى الصبابة موجه
لولا هواه لبعد دارى أجزع
ويخب بى ركب القرام ويوضع
من أفقها صبح السعادة يطلع

قال : فسألنى السلطان أن أكتب اليه فى جوابها على وزنها ورويها
فقلت أبياتا منها :

صب تولى حالتيه فى الهوى
ذو ناظر ربع الكرى فى جفنه
مولاي شمس الدولة الملك الذى
لولا ترجى قرب عودك لم يكن
قسما ببيت أمه زواره
أن لى سواك من الحوادث ملجا
جلد له عاصى ودمعى طيع
خال وحوض الدمع منه منزع
صبح السيادة من سناها يطلع
لى فى الحياة لأجل بعدك مطمع
والطايعون الساجدون الركع
أولى سواك من النوايب مفزع

قال : ولما رآنى (١) بالمخيم بميدان حماه عند أخيه مخصوصا بتوقيه
وتوحيه بشرلى وبش ، وشرع فى تقرىظى والثناء على قريضى . ثم سرنا
الى دمشق ووصلنا اليها فى سابع عشر صفر ، ووجه النجح قد سفر ،
وفوض ملك دمشق الى أخيه الملك المعظم وعزم على السفر الى مصر .

ذكر وفاة القاضى كمال الدين بدمشق فى سادس المحرم
وما آل (٢) اليه أمر القضاء

قال : كان القاضى كمال الدين بدمشق فى الايام النورية الحاكم المطلق
وكان صلاح الدين حينئذ يتولى فى دمشق أسباب الشحنة ، وكمال الدين

(١) فى الاصل : رأى .
(٢) فى الاصل : وما الى .

يعكس مقاصده بالأحكام الشرعية، وربما كسر أغراضه وأبدى عن قبوله اعتراضه وأهدى إلى صحته أمراضه إلى أن نقله الله من نيابة الشحنة إلى الاستقلال بالملك فصار كمال الدين من قضاة ممالكه المنتظمة الملك وكان في قلبه منه ما فيه وما فرط منه فات تلافيه . فلما ملك دمشق أجراه على جملة واحترم نوابه وأكرم أصحابه وفتح للشرع بابه وأذهب بحقوقه حقوقه ؛ وأعرض عن عقوبته عقوده .

وكان ابن أخيه ضياء الدين القاسم بن تاج الدين الشهرزورى قد هاجر إلى صلاح الدين بمصر في ريعان ملكه ، فأذنت هجرته في درك المراد بإدارة ملكه ، وأنعم عليه هناك بجزيرة الذهب (٦) ، ومن دار الملك بمصر بدار الذهب ، ووفر حظه من الذهب وملكه داراً بالقاهرة جميلة جليلة ، ورتب له وظائف ، وخصه بلطائف . ووصل مع السلطان إلى الشام وأمره جار على النظام ولما اشتد بكمال (٧) الدين المرض ، وكاد يفارق جوهره العرض أراد أن يبقى في ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضاء لضياء الدين بن أخيه علماً منه بأن السلطان يمضى حكمه لأجل سؤاله فيه وتوفى في سادس المحرم من هذه السنة وعمره ثمانون سنة لأن مولده كان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وفارق ولم يخلف مثله ، ومن شاهده شاهد العقل المكنون والفضل المدون ، وكان باراً بالابرار مختاراً للاخيار . وإذا كان له صاحب حفظه ونبه له ناظر حظه وأيقظه ، وقد قواه نور الدين رحمه الله وقلده الحكم في أيامه وسدد مرامى مرامه ، وهو الذى سن دار العدل لتنفيذ أحكامه بحضرة السلطان حتى لا يبقى عليه مغمز ولا ملمز لذوى الشأن فيما دبره من الشأن .

وهو الذى تولى بناء أسوار دمشق ومدارسها والمارستان ، واستقرت

(٦) جزيرة الذهب ضاحية من ضواحي الجزيرة أنظر ابن مسماتي
توانين الدواوين ص ١٢٦ .
(٧) في الاصل : كمال .

قاعدته في دولة السلطان . وتوفى ونحن لحلب (٨) محاصرون . وجلس
الضياء ابن أخيه مكانه فأثبت وأمضى وأغضب وأرضى وأشهد وسجل وجرح
وعدل .

وكان الفقيه شرف الدين / (١٨٥ ١) أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون قد
هاجر من حلب إلى السلطان وقد أنزله بدمشق ، وهو شيخ المذهب (٩)
الشافعي وأقوم العلماء بالفتيا وأعرفهم بما تقتضيه (١٠) الشريعة من مصالح
الدين والدنيا .

والسلطان يؤثر أن يفوض إليه منصب القضاء ولا يرى عنه عزل
الضياء ، وأفضى بسر مراده إلى الأجل الفاضل ، وكان الفقيه ضياء الدين
عيسى يتعصب لشيخه ويجد في رفع الحكم الضيائي بنفسه ، واستشعر
القاضي ضياء الدين من عزله وتزلزلت قدمه في شغله ولو قوى نفسه
ونفسه وثبت على الأبناء المحض اسمه لما خرج القضاء على حكمه ولا واجه
السلطان بصرفه عن منصب عمه . وأثاروا عليه بالاستعفاء ، وأنه كاره
لمنصب القضاء فكتب يستعفى فقتل لا وجه لاستعفائك فلع القول فاستقهم
عن معنى طلبه وأبداء سببه فقال : ما أوتر إلا قرأغ الشر والخلاص من
تبعات هذا الأمر فأصيب سؤله وأجيب سؤاله وهنىء بأنه مجدد قبسوله
واقباله وأبقى عليه الوكالة الشرعية (١١) عنه في بيع الأملاك واستجد عليه
الاقبال السلطاني بعطلته وعزا عنده بعزلته وزاد في اعلاء منزلته .

(٨) في الاصل : بحلب ولعله من خطأ الناسخ حيث أن الحصار
يجرى من قبل السلطان لمدينة حلب وهو خارجها .

(٩) في الاصل : غير معرفة .

(١٠) في الاصل : يقتضيه .

(١١) الوكالة الشرعية : أشير إليها آنفا عند الحديث عن ابن حيوس .

ذكر وفاة شمس الدين بن أبى المضاء الوزير

قال : كان رسولا كافيا وبما يمضى فيه من مهم وافيا ، وهو أول خطيب بالديار المصرية فى عصرنا للدولة العباسية ، وفيه ترفع وتكبر ، يعجبه الناموس ولا (١) يوحشه الا الجاه المأنوس واذا مضى الى الديوان العزيز قصده الشعراء فأكثر خلعهم وجوايزهم وبعث على مدحه سرايرهم وربما عاد وعليه ديون تراه فى هياته وهيبته كأنه وزير ، وكلامه اذا خاطبته نذر يسير وهو الذى ضوع للسلطان وعرف عرف ظهير الدين منصور العطار وشد به ظهر الاستظهار ، وحصل للسلطان بصدق صداقته الانتفاع والارتفاع ، وتزايدت له فى القوة والحظوة الاشياء والاشياع . فوصلنا الى دمشق وقد قضى نحبه وأتى ربه ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثانى عشر من صفر فحمل السلطان غمه ، وقرب ولده وجبر بتربيته يتمه . ثم تعين ضياء الدين الشهرزورى بعده للرسالة الى الديوان العزيز واستتبت له الى آخر العهد السلطاني هذه وتمهدت بتردده فى الجانبين العمارة ، وذاك بعد المضى الى مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك خاطبت فى هذا المرام .

ذكر مؤيد الدولة أبى الحرث أسامة بن مرشد (٢) بن على بن منقذ

وعودة الى الشام عند علمه بوصول السلطان

قال : كان من الأمراء الفضلاء ، والسادة القادة العلماء ، قد متعه الله بالعمر وطول البقاء ، وهو من المعدودين من شجعان الاسلام وفرسان الشام ولم يزل بنو منقذ ملاك شيزر (٣) ، ولما تفرد بالمعقل منهم من تولاه لم يرد أن يكون معه فيه سواه فخرجوا منه سنة أربع وعشرين وسكنوا

(١) فى الاصل : ساقطة وهكذا يقتضى السياق .

(٢) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن منقذ بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى . الملقب مؤيد الدولة ومجد الدين . ولد فى ٤٨٨ هـ وتوفى فى ٥٨٤ هـ ، انظر ابن خلكان ١ — ٧٨ — ٨٠ وانظر ايضا معجم الادباء ٢ — ١٧٣ — ١٩٦ ، من كتاباته الاعتبار ، المنازل والديار ، نشر وتحقيق المكتب الاسلامى . دمشق ١٩٦٥ . ترجم له ابن العديم (بغية الطلب) مخطوط رقم ٢٩٢٥ . أحمد الثالث ج ٢ . أوراق ٢٠٤ — ٢١٢ (٣) شيزر انظر معجم البلدان ٣ — ٣٥١ . وهى قلعة بالشام قرب المصرة .

دمشق وغيرها من البلاد وكلهم من الاجواد الامجاد وما فيهم الا ذو فضل
وكمال ونبل ، وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر مصنوع وهذا مؤيد
الدولة أعرقهم في الحسب ، أعرفهم بالأدب ، وكانت جرت له نوبة في أيام
الدمشقيين وسافر الى مصر وأقام هناك سنين في دولة المصريين وعاد الى
الشام فلم يمكنه نور الدين من المقام وصار الى حصن كيفا (٤) وتوطن وابتنى
هناك الدار والعقار . ولما سمع بالملك الصلاحى نبا الى دمشق وذلك في
سنة سبعين . قال : وكنت اسمع بفضله وأنا بأصفهان وأنشدنى له مجد
العرب العامرى (٥) بها سنة خمس وأربعين هذين البيتين وهما من مبتكرات
معانيه فى سن قلعه :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقى لنففى ويسمى سعى مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا لناظرى افترقنا فرقة الأبد

قال : فلما لقيناه فى دمشق فى سنة سبعين أنشد فيهما مؤيد الدولة
لنفسه مع كثير من شعره المبتكر من جنسه .

وشاهدت ولده عضد الدين أبا الفوارس (٦) مرهفا وهو جليس صلاح
الدين وأنيسه وبابن حمدون النديم (٧) لا يقيسه . وقد كتب ديوان
شعر أبيه لصلاح الدين وهو لشغفه به مفضله على سائر الدواوين ولم
يزل هذا الأمير (١٨٥ ب) العضد مرهف صاحباً له بمصر والشام الى آخر
عمره . وتوطن بمصر فلما جاء أبوه أنزله ارحب منزل وأورده أعذب منهل ،

(٤) حصن كيفا ويقال كيبا . قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد
وجزيرة ابن عمر . انظر معجم البلدان ٢ — ٢٧٧ .

(٥) مجد العرب العامرى هو الأمير مجد العرب مصطفى الدولة أبو
فراس محمد بن غالب العامرى . من شعراء القرن السادس . وردت ترجمة
له فى الخريدة ومختارات من شعره انظر الخريدة — عراق ١ — ١٤٢
حاشية رقم ٧ .

(٦) وهو العضد أبو الفوارس مرهف بن اسامة بن منقذا . ذكره ابن
الديم فى البغية .

(٧) ابن حمدون وهو أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود بن
حمدون النديم أبو عبد الله . وسمى النديم لأنه كان ينادم الخليفة المعتصم ثم
الواثق من بعده . انظر معجم الادباء ١ — ٣٦٥ — ٣٧٢ .

وملكه من أعمال المعرة ضيعة زعم أنها قديما تجرى في أملاكه وأعطاه (٨) بدمشق دارا ووظف له غيثا من فواضله مدرارا فإذا كان بدمشق جالسه وأنسه وذاكره في الأدب ودارسه . وكان ذا رأى وتجربة وخلال مهذبة يستشير في نواياه ويستشير برأيه في غياهبه وإذا غاب عنه في غزواته كاتبه وأعلمه بواقعاته ووقعاته ويستخرج رأيه في كشف مهماته وحل مشكلاته وبلغ عمره سبعا وتسعين سنة فإن مولده سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ومات سنة خمس وثمانين (٩) ومن أبيات أوردها عماد الدين لنفسه في هذا الموضوع قوله :

نفسي قُدا شـادـن	على الدل نشـا
واتى زيف قهـره	بحملهما مرتعـشـا
وخـده من أثر اللـثم	كانه قد خدشـا
وكاد يحـسو لثـمه	عذارة المنتـشـا
كأنهما وجنتيـه ورد	بطـل رشـتا
رأيتـه فكـدت من عـجبـي	به أن أدهشـا
هممت احـيـا أنا به	لولا التـقى أن أبـطـشا

ذكر تفويض القضاء الى ابن أبي عصرون

فتبين...

قال : ولما استعفى القاضي ضياء الدين لم يبق في منصب القضاء الا فقيه ينعت بالأوحد كان ينوب عن كمال الدين فأمره السلطان بأن يجرى على الرسم ويتصرف في الحكم . وكان السلطان لحياء القضاء في البيت الزكوى مؤثرا ولذكر مناقبه كثيرا وقد سبق منه الوعد للشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون ففوض اليه القضاء والحكم والامضاء على أن يكون محيي

(٨) في اصل : واعاه .

(٩) وهذا خلاف ما ذكره ابن خلكان في الوفيات ٧٨-٨٠ حيث ذكر أن سنة ٥٨٤ هي سنة وفاته .

الدين أبو المعالي محمد بن زكى الدين (١) والواحد (٢) داود قاضيان يحكمان ، وهما عن منابته يوردان ويصدران ، وتوليتهما بتوقيع من السلطان . فاستمر الأمر ولم يزل الشيخ شرف الدين متوليا للقضاء سنتي اثنتي وثلاث وسبعين في ولاية أخى السلطان المعظم فخر الدين . فلما عدنا الى الشام تكلم الناس في ذهاب بصره فقوض السلطان القضاء الى ابنه محيى الدين أبى حامد محمد كأنه نايب أبيه واستمر القضاء الى انقضاء اسمه من سنة سـ سـ سبع وثمانين .

وفوض ديوان الوقوف بجامع دمشق وغيره من المساجد الى القاضى الأجل مجد الدين بن الزكى فتولاه الى أن انتقل الى موقف من عمل (١) الأعمال وتولاه بعده أخوه محيى الدين على على الاستقلال الى آخر عهد السلطان وبعده . وبنى على قاعدة الشريعة فيها حلة وعقده ثم تولى القضاء بدمشق بعد صرف من قبله وأحى بما اعتمده بيته وفضله .

ذكر وصلة السلطان للخاتون العسمية بنت الأمير

معين الدين فى آخر صفر

قال : كانت هذه الخاتون المنعوتة بعسمة الدين فى عصمة نور الدين فلما توفى رحمه الله أقامت فى منزلها فى دمشق بالقلعة مستقلة بأمرها ونهيها ، ساكنة فى إحدى حجرها آمنة فى خفاره خفرها . صادقة فى إخراج الصدقات سالحة فى الاستكثار من الأعمال الصالحات ، فرأى السلطان أن يحلّى عطل الملك بخطبتها ، ويصل جناح النجاح بوصلتها فأحضر الشيخ شرف الدين والقضاة وأخوها لأبيها سعد الدين مستعود بن انر حاضر وعقد باذنها وتمت عقدة النكاح ودخل عليها وبات عندها ثم خرج بعسمة يومين لدمشق مودعا وعلى عزم المسير الى مصر مزمعا .

(١) وهو أبو المعالي محمد بن أبى الحسين بن محمد بن يحيى الملقب محيى الدين المعروف بابن زكى الدين تولى قضاء دمشق فى ٥٨٨ هـ . وكان أبوه وجده وولداه أيضا من قضاتها وتوفى عام ٥٩٨ هـ انظر الترجمة له فى ابن خلكان وفيات الأعيان ١-٥٩٢-٥٩٦ .

(٢) الواحد داود بن إبراهيم بن عمر بن بلال الشافعى وكان ينوب عن كمال الدين . الروضتين (٢) - ٢ - ٦٧٤ .

بعت بمصر دمشق عن غرر
منى فياغين صنفه البسائع

أعدتك يا زرقاء حمراء أنتي
بكيته حتى شـيـبـيـاؤكم بالسدم
فيا ليت شـمـري هل أعـسـود اليهم
وهل ليت شـمـري نافع للمتيم

هَجَرْتُمْ لَا عَنْ مَلَالٍ وَلَا غَدْرٍ
وَأَعْلَمُ أَنِّي مُخْطِئٌ فِي مُرَاقَبَتِكُمْ

وَلَكِنْ لِمَقْدُورٍ أَتَيْتُحُ مِنَ الدَّهْرِ
فَعُذِرِي فِي ذَنْبِي وَذَنْبِي فِي عُذْرِي

(۱) قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران بينها وبين دمشق
مرحلتان . معجم البلدان ۳-۴۲۰ .

أسير الى مصر وقلبي أسيركم ومن عجب أسرى وقلبي في أسر
تذكرت أحبابي بخلق بعدما ترحلت والمشتاق يأنس بالذكر
ومن فارق الاحباب مستبدلاً بهم سواهم فقد باع المراح بالخير

قال : وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الاول ، وتلقى السلطان أخوه الملك العادل سيف الدين ، وتلقانا خير مصر وجنت الينا ثمراتها ، وجلبت علينا زهراتها ، وحلقت أنظسارها وعلقت أقراطها ، وزينت أطرافها وأوساطها ، ودخل السلطان داره ، وراجع الفلك مداره ووفق الله في جميع الامور ايراده واصداره . قال : ولم يبق لى من الشغل الا الكتب التى الى الشام ولم يكن ذلك على الدوام فان فى كل ديوان كتابا وفى كل عمل نوابا فتوفرنا على الاجتماع فى المغانى لاستماع الأغانى والشعر (٢) فى الجزيرة والجزيرة والاماكن العزيزة والاستمتاع (٣) بالجواهر والأعراض ، والحضور فى المدارس للاستدلال والاعتراض والتدريس للطلبة ورواية الاحاديث النبوية والمباحثة تارة فى المعانى الادبية وتارة فى المسائل الفقهية ، والحضور عند السلطان فى كل ليلة للمشاورة الملكية والمحاضرة الانسية ، والذاكرة النسكية .

وكان مشغوقاً بمجالسة خواصه من العقلاء وموانسة ذوى اختصاصه من الفضلاء فإذا أراد الانصراف بعد هزيع من الليل قام الى صلاة العشاء وإذا فرغ من الصلاة جماعة تفرق الجمع ورقع الشمع فان كانت له حاجة الى انشاء كتاب أو البوح بسر صواب أجلسنى وأملئ على مقاصده وقيمت وسهرت تلك الليلة لتحرير الكتب ثم ابكر اليه وأعرضها عليه فان رأى الزيادة فيها أو تبديل شىء من معانيها وصل بى الى مقاطعها ووفقنى على مواضعها فما أبرح حتى أسوى قوامها وأروى أوامها وإذا استصابتها وقد اتممت نصابها توجهها بتوقيعه ويقول توجهها ولا تعوقها وتسدها الى الأغراض وتفقها . قال :

(٢) كذا وفى الاصل ليست واضحة المعنى ولعلها « البشرى » أو « الشعر » .
(٣) فى الاصل : الاستماع .

ذكر انموذج من انعامه على بجد .

كان لبيع الكتب فى القصر كل اسبوع يومان ، وهى تباع بالمجان وارخص الاثمان ، وخزانتها بالقصر مزينة البيوت مقسمة الرفوف مفهسة بالمعروف فليل للامير بهاء الدين قراقوش متولى القصر ، والحال والمعاقد للامر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمنيتها والفت ، ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيت الخزانة الى ارضها وهو تركى لا خبرة له بالكتب ، ولم يدر ان فى نفضها انفاضها وان فى تصحيحها امراضها ، وهى مبنوة فى مقاصيرها معينة فى محابيزها ، مثبتة بخطوطها المنسوبة واعدادها المحسوبة فى دساتيرها .

وكان مقصود دلالى الكتب ان يوكسوها ويخرموها ويعكسوها فخرجت وهى اكثر من مائة الف من اماكنها وغربت عن مساكنها وخربت اوكارها وذهبت انوارها وشئت شملها فاختلط ادبيتها بنحويتها ، وشرعيتها بمنطقيتها ، وطبيها بهندسيتها ، وتواريخها بتفاسيرها ، ومجاهيلها (١٨٦ ب) بمشاهيرها .

وكان فيها من كتب الامصار والتواريخ الكبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين او ستين مجلدا اذا فقد منها جزء لا يخلف ابدا فاختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل فن كتب متبرة فتسام بالدون وتباع بالهون . والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عدة ويعلم ان عنده من اجناسها وانواعها وقد شارك غيره فى ابتياعها حتى اذا ألفى كتابا قد تقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة . فلما رايت الامر حضرت القصر واشترت كما اشتروا ومريت الاطباء كما مروا ، واستكثرت من المتاع المبتاع ، وحسوت نفائس الأنواع ولما عرفت السلطان ما ابتعته وكان بمائتين (٤) انعم بها على ثم وهب لى ايضا من خزانة القصر ما عينت عليها .

ودخلت عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت من القصر وهو ينظر فى بعضها فبسط يدي لقبضها وقال لى كنت طلبت عينتها فهل فى هذه منها فقلت كلها وما استغنى عنها فاخرجتها من عنده بحمال . وكان هذا منه بالاضافة الى سماحته اقل نوال واهنا رفد بغير سؤال .

قال : وكتبت اليه رقعة ذكرت فيها أنني غرمت في طريق مصر ما يقارب ثلثمائة دينار وأنتى من تعويض عنه على أمل وانتظار (٥) فأمر (٦) بإطلاق ذلك من بيت المال . وشملى الانعام الفاضلى فى تحصيله وتعجيله للحال ، ورتب لى بمصر وظيفة دارة وميرة بمصالحى بارة ، واقطعنى من الانعام ما بقى بعده على الدوام ومرور الايام مستمرا مضافا الى ما هو مقرر بالشام فما يزال يتبع الانعام بالانعام ويقرن الفرد منه بالقوام ، ويعلم أن الدنيا قليلة اللباث كثيرة الأحداث فتناهر فرصه بالاغتنام وادخار حمد الكرام .

ذكر القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله

الشهرزورى (١)

قال : وكانت للقاضى ضياء الدين بالقاهرة دار جميلة ، هى دارة بدره ودائره قدره ومجال جماله وفضل أفضاله ، وبمصر له منزل هو قطعة من دار الذهب بدار الملك القديم مقيمة على قواعد المستقيمة ، فهو تارة يضيفنا فى داره بالقاهرة بمقاريه الباهرة وتارة يقرينا فى منزله بمصر بالطافه الظاهرة ، ونحن عنده فى أرب وجد وطرب وجد وسماع وغناء واستمتاع واستغناء .

قال : وعملت فى تلك الايام أبياتا يغنى بها ومنها :

ان لم تجد بالوصل مت بحسرتى	ان الفراق منيتى يا منيتى
لك ناظر ذو صراحة فى علة	ما صحتى الا لديه وعلاى
كم منة لك فى الوصال قوية	واراك فى البحران تضعف منيتى

ومنها :

قلبي العليل فكيف سـ	وصف طرفك بالعليل
وانا المحب المسـ	فما لخصرك والنحـ
سلبت شمائلك العقبـ	فما يراد من الشمـ

(٥) فى الاصل : وانتظار .

(٦) فى الاصل : فاه .

(١) فى الاصل : القسم وقد سبقت ترجمته آنفا .

وسلاف ثغرك ليس يشفى غير رشفتها غلى
ولقد ظميت فسل سبيلاً نحو ذاك السلسبيل

قال : واقترحنا على القاضى أن يفرجنا فى الاهرام فأضاء وجه بشره
لهذا المرام . وكانت له جزيرة الذهب فى طريقها فعبر بنا اليها وتحمل من
الكلف ما هو غير مطيقها فبتنا فيها ومعنا ملك ومراكب ، وملك ومواكب
وشداة وحدادة وولاة وحماه ، وقصدت تلك الليلة لطيبها ، واخذ كل نفس
بمصيبها .

وبكرنا وسيف الصباح قد شق برد الظلماء وابن ذكا قد جلا وجهه
السماء ، وقدمنا المراكب وعدينا الجنايب فلما انتهى العبر وانقضى الصبر
جزنا بالجيزة فراينا ارضا (٢) رضية وبقعة فضية فيها قوم قعود فى حلق
متطلسون وبزى فقهاءنا فى العراق والشام متلبسون فظننتهم طلبة علم
يدرسون فلما أحسوا بنا طاروا وصاروا الى حيث صاروا وقيل لهم شاربوا
المزر وحاقبوا الوزر فقلت لهم ما بال كل منهم بطرحة فقالوا هذا زى هذه
البلاد ولا لوم على العرف المعتاد .

ثم مضينا ودفعنا الى مخاض وارتفاع بعد انخفاض فحاضت بغلة
القاضى وعثرت وتوكلت (١ ١٨٧) والقلوب لاجله توجعت وتوجلت فخرج سالما
ولتطبيب أنفسنا باسمها فاستأنفنا قصد الاهرام وقد سبقنا اليها غلماننا
بالخيام فنزلنا ودرنا حول الهرمين وطاف عليها القاضى من حسن خلقه
وحسن تخلقه بكرمين .

وكان معنا القاضى شمس الدين أبو فلان فما منا الا من هو زهير وقد
ظفر بهرمين وشب لنا هناك المكان والزمان وطالما كانا فى تلك الرمال
هرمين (وقد ظفر بهرمين) (٣) ودرنا فى تلك البرارى والرمال والصحارى ،
وهالنا أبو الهول ، وضاق فى وصفه مجال القول . وراينا العجايب وروينا
الغرايب واستصغرنا فى جنب الهرمين كل ما استعظمناه . وتداولنا الحديث
فى الهرم ومن بناه فكل يأتى فى وصفه بما نقله وعقله واجتهد فى الصعود
اليه فلم يوجد منهم من يوقله وحارت العقول فى عقوده ، والافكار فى توهم
حدوده ولما أتممنا الفرجة عزمنا العوده وما أرفق تلك الشيمة واهنا واسنى
تلك الصنيعة النصيحة .

(٢) فى الاصل : أيضا .

(٣) هكذا فى الاصل .

ذكر بناء السور على القاهرة ومصر

قال : ولما ملك السلطان مصر ، واتاه الله على الاعداء بها النصر رأى ان مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعها ، ولا قوة لأهلها تحميها (١) وتردها (٢) وقال : ولوا أفردت كل واحدة بسور احتاجت الى جند مفرد ونظر مجرد والرأى أن ادير عليهما سورا واحدا من الشاطئ الى الشاطئ ثم يتكل في حفظها على الله الكالىء . فأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم فابتدا من ظاهر القاهرة ببرج في المقسم وانتهى به الى أعلى مصر بيروج وصلها بالبرج الأعظم .

ووجدت في عهد السلطان ثبنا رفعه النواب ، وتكمل فيه الحساب وهو دأير البلدين مصر والقاهرة بها فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرين ألف وثلثمائة ذراعا . شرح ذلك قياس ما بين قلعة المقسم على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة ألف وخمسمائة ذراع ، ومن الربعة بالمقسم الى حائط القلعة بجبل مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم سبعة ألف ومائتى ذراع قياس دأير القلعة بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتى وعشرة أذرع ، وذلك بطول قوسه وأبدانه وإبراجه من النيل الى النيل على التحقيق والتمديد وذلك بالذراع القاسمى (٣) بتولى بهاء الدين قراقوش الاسدى ، وبنى القلعة على الجبل وأعطاه من حقها من أحكام العمل وقطع الخندق وهناك مساجد يعرف أحدها بمسجد سعد الدولة اشتملت عليها القلعة ودخلت في الجملة .

وحفر في رأس الجبل بثرا ينزل فيه بالدرج المنحوتة من الجبل الى المعين ، وتوفى السلطان وقد بقيت من السور مواضع ، والعمارة فيها

(١) في الاصل : نحيها .

(٢) في الاصل : وترعها .

(٣) وردت في الاصل القاسمى وهى واضحة تماما . كتاب الروضتين ٢٦٨٨-٢ حاشية رقم ١ يذكر المحقق أنها أيضا في الاصل القاسمى . وصحها هو من كتاب مفرج الكروب الى الذراع الهاشمى . انظر ابن واصل . مفرج الكروب ٢ - ٥٢ .

مستمرة وأمر ببناء المدرسة بالتربة المقدسة الشافعية وتولاها الفقيه
نجم الدين الخبوشاني(٤) وأمر باتخاذ دارا في القصر بيمارستان .

وقال : وخرج السلطان من القاهرة يوم الاربعاء الثاني والعشرين من
شعبان وقد استصحب من أولاده الافضل عليا والعزيز عثمان ، وجمع
طريقه على دمياط ، ورأى في الحضور بالثغر المذكور ومشاهدته الاحتياط .

وكان له بها سبى كبير جلبه الاسطول فابتد بظاهر البلد يومين ليتبعه
النزول قال : ووهبت منه جارية اخترتها وآثرني بثمنها لما اشتريتها .

ثم وصلنا الى ثغر الاسكندرية وترددنا مع السلطان الى الشيخ
الحافظ ابي طاهر أحمد بن محمد بن السلفي الاصفهاني(٦) ، وسمعنا عليه ثلاثة
أيام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت رابع شهر رمضان . قال ونظمت
في الطريق مقطوعات ومنها .

يوما بجى(٧) ويوما في دمشق وبالفسطاط

يوما ويوما بالعراقين

كان جسـمى وقلـبى الصـب

ما خلقا الا ليقـتـسـما بالشـوق والـبين

ومنها

احبكم حب النفوس نقاها واشتاقكم شوق الظماء للورد
ترحلت عنكم والنفـؤاد بحاله صبور على البلوى مقيم على الوجد
(١٨٧ ب)

فان رمت عذرى فاني على الوفا وان خنت عهدي فاني على العهد

(٤) وهو ابو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن عبد الله . وكان
فقيها شافعيا وعول على التدريس في المدرسة المجاورة لضريح الشافعي
بمصر ولد ٥١٠ هـ وهو من خبوشان قرب نيسابور . ابن خلكان وفيات
الاعيان ج ١—٥٩٧ . وقارن الروضتين(٢) ج ٢ ص ٦٨٩ .

(٥) انظر ابن خلكان ٣٧—٣٩ .

(٦) جى بالفتح ثم التشديد اسم مدينة ناحية اصبهان القديمة وتسمى
ايضا شهرستان . معجم البلدان ٢—١٨١ .

فكر اللسان الصوفى

قال : وكان حينئذ بمصر شيخ صوفى من أهل بلخ قد جرب الدهر وعانى العقد والفسخ ، وعانى الإثبات والنسخ وجاور بغداد والكرخ ، ظريف طريف ، عفيف ، لطيف لا يأكل وحده ولو أنه رغيف . له مع نجم الدين أيوب صفة قديمة وهودة كريمة وقد ملك من قلوب الملوك قبولاً ، ولم يزل بشمول عارفهم مشمولاً فبنى داراً على شاطئ النيل وفتح باباً لمن يضيفه من أبناء السبيل ، وفيها بركة وبستان وروح وريحان ، ومن كل شىء ولذيذ السوان وللحلاوات على شيمته الحلوة حوالات ، وللحاجات عند سجيته السهولة ناجات له فيما يدخل السرور فى أنفس أصدقائه أخراجات .

وما زال يدعونا الى داره ولا يخلينا فى ليالى الجمع من انتظاره ، ويضيفنا منفردين ومجتمعين ، ويحضرنا المستمعين والمفردين . وكان محباً للادب ولدقاتره مستنسخاً ومؤثراً للفضل ولعاشره معاشراً مصرحاً فإذا عرف ميلنا الى كتاب قدمه وقدم على تقديمه قسمه ويحلف أنه لا يأخذ ثمنه وأنه لاجلنا ادخره وخزنه ثم وقف داره على الصوفية من بعده وانتقل بعد سنين الى النعيم وبخلده .

عاد الحديث قال : ولما عدنا من ثغر الاسكندرية صمنا بقية الشهر فى القاهرة ، والسلطان متوفر على نشر العدل وإفاضة الجود وسماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وهناك لسماطه سيموط وخوان مبسوط وكلنا بما هو فيه من النعمة مفتبط مغبوط ، وكان اذا فرغ من الطعام ، وخف ثقل الزحام تخلف عنده من جرت عادته من الجلوساء وخواص الأمراء ثم قضينا فرض العشاء ووصلنا بالتراويح والاستغفار والتسبيح . ثم ان شاء جلس وبمن يقربه استأنس واذا أراد البكور قاس (١) وجلا من نشره القس وبكر وركب « والصبح قد تنفس » (٢) .

(١) فى الاصل : قلس .

(٢) سورة التكويد آية رقم ١٨ « والصبح اذا تنفس انه لقول رسول

ذكر وصول الرسل ووقوع بعضهم في الأسر

قال : قد سبق ذكر انفاذ سعد الدين ابي حامد رسولا الى الاطراف للاستحلاف ورفع الخلاف وتأليف الكلمة العائدة بالاسعاد والاسعاف . ومضى ابو حامد وسرنا نحن الى مصر ثم وصل الخبر بأنه قد عاد بعد ما استفاد وبلغ في تهليغ الرسالة المراد . ووصل ومعه من صاحب الموصل القاضي عماد الدين بن كمال الدين الشهرزوى (١) والحاجب ضياء الدين أبو بكر البغدادي ورسولان أحدهما من نور الدين قرا أرسلان يقال له المظفرى والآخر من قطب الدين صاحب ماردين وهو الضياء الرحبى ، وحضروا بدمشق عند الملك المعظم شمس الدولة أخى السلطان واستحلفوه ودخل لهم تحت ما كلفوه ، واستوفوا عليه اليمين بالموافقة على ما شرطوه ووصفوه .

فأما القاضي الشهرزوى فإنه عاد الى الموصل واستبعد طريق مصر واستعمل الوقار فما خف وعاف وعف ، فأما الباقيون فإنه حسن لهم سعد الدين ركوب الخطر وكروب السفر ووعدهم بالغنى وأخذهم على طريق في بلد الفرنج ، أن قطعوه في يومين على غرة منهم نجوا فما جاء أمرهم كما رجوا بل شعر بهم القدر فأعرضهم وأخرجهم بالمضايقة وأعرضهم فسبق أبو حامد والضياء أبو بكر بمن معهما في نهج وعر ، وحصل رسولا الحصن وماردين في أسر الملاحين الماردين ووصل الناجون الى مصر وأجروا حديث حادث السفيرين الأسيرين فأغتم السلطان واهتم ثم فكهما من الأسر بعد سنين حين فتح حصن بيت الاحزان (٢) .

كتاب فاضلى الى صاحب الموصل في هذه النوبة مع رسوله : أحق المودات أدام الله أيام المجلس وأنفذ عزيمته وأعلى كلمته وأتم نعمته وشرف همته وحفظ ذمته وسدد حكمه وحكمته بأن يؤكد أسبابها ويقصد استناباتها ويحافظ وجود استقامتها مودة أرض الله سبحانه (٣) انتظامها وأتم النعمة

(١) ذكره ابن خلكان في آخر ترجمته لأخيه ابي حامد . وقال : كان لكمال الدين ابن آخر يقال له عماد الدين توجه رسولا الى بغداد عن نور الدين في ٥٦٩ هـ . انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ١ . — ٦٠٠ .
(٢) بيت الاحزان بلد بين دمشق والساحل سمى بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب . بنى الفرنج فيها حصنا . انظر معجم البلدان ١ — ٧٧٥ .
(٣) توجد بالهامشي .

على اهل الاسلام تماما وعادت على مسرات الاولياء بتخليصها وعلى جموع الاعداء بتمحيصها وعلى الملة الحنيفية بافرادها بمزية النصر وتخصيصها وعلى عباد الله ورعايا اوليائه بسبوغ ظلال الالفه بعد تقليصها ووعدت فى انتظام المصالح واتصالها ، وفل شئفة الكفر واستيصالها وسددت الى نصوص الكاشحين ما كان طائشا من مناصر الاولياء ونصالها وتلك المودة هى التى تلقى الدعوة اليها بالتأمين وتلقى الراية (١٨٨) المنصور منها باليمين . ورفع الكتاب الواصل بسببها على الجبين وعلم أن الخير ما اشتمل عليه نجواه والصواب ما دل عليه فحواه . قال سبحانه فى كتابه الكريم « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٤) . وأحلى الصفو ما تبع الكدر وأجلى الصحو ما كان غب المطر ، وأهنا الراحة ما كان فى أثر تعب السفر .

والآن قد حفظت المودة مجراها ، وألقت الثقة عصاها ، ولاح لعين السرى دجاها بل أشرقت شمسها وضحاها ، وجرت عمدة الله الايمان « وقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (٥) .

ووصل الحاجب أبو بكر كتب الله سلامته وأحسن صحابته بعد أن عاد القاضى عماد الدين الى مستقر عزه من الحضرة ، وقنع بحضوره واستيفاء اليمين الملكية المعظمية البرة . وكانت القناعة فى موضوعها والثقة فى مستقرها ومستودعها فان النفس واحدة ولكنها (٦) ساكنة فى جسدين والمصافحة لازمة واليد منها كاليدى ووصل هذا الحاجب بعد أن لقي من سفره نصبا ، وكانت سلامته مع أخذ المضيق عليه من طريقه آية عجبا فانها شقة بعيدة ومشقة شديدة وبلاد مطوحة ومسالك تكاد يكون فيها أسباب العطب مرجحة .

ولم يكن التزم من مقصده الا الكتاب الذى كان على يده فان التعظيم بحسب قدر المناسب الى قدره العلى ومجده الجلى وشرفه الأولى ، وعن الذى هو أبلا أعيان الاوصناف عين الملى ، فسرت فيه نعمة السلامة وتوفرت عليه مزية الكرامة ونظمت اليمين التى احتفل بمحضرها واقترنت الاحكام

(٤) سورة النساء آية رقم ١١٤ .

(٥) سورة الشمس آية رقم ٩ - ١٠ .

(٦) فى الاصل : لكنه .

بظاھرھا والصفاء بمضمونها وأقام الى أن استكرم له التوفيق واختبرت له الطريق ، وتوجه مصحوبا بلطف الله وأمانه داخلا في حرز كنياته وضمائه ، ونسخة اليمين على يده سايره والمشافهة له تستولى على المقاصد الباطنة والظاهرة . وقد سرى هذا الاتفاق من اللينة الى القلوب وتأكدت فيه قضايا سفره الوجوب مؤكدة الرجوب ، واستبشرت الأنفس بأن الله سبحانه يجعله أحد ما ينجز به وعد نصره المكتوب ولزم للمنة به شكران يحمله الله سبحانه وتعالى فقد « ضعف الطالب والمطلوب » (٧) .

وكذا للامير مجاهد الدين قايماز أدام الله تأييده في ذلك السعى المشكور والأثر المأثور وتجارة الخير التي لا تبور ، والعزم الذي يتوضح في ظلام الخطب منه « نور على نور » (٨) فهور شكور بلسان احسانه ، معدود اذا اتسع ميدان الفضل من سبقه وفرسانه .

وأما الكتب الكريمة الاتابكية فانها نعمة لا يخفى قدرها ، ومنه لا يمتل شكرها ، وحسنة تتقدم الحسنات ذكرها ، ولو أن المودة قد تأكدت لقل أنها مما يتأكد به عهدها ، وينتظم به عقدها ، ويشرق به في آفاق الخواطر سعدا وبجسب ذلك نرغب في أن نجعل قوت الأنفس منها ادرازا وسمايا الانعام بها مدارا مع ما يودع من أخبار نعمة الله سبحانه لديه على أنها نعمة ظاهرة آثارا متظاهرة ايثارا . لا زال الجنب السامى لتحاييل الصدور مستخلصا ، ولنهر المكارم مستفرصا ، ولصفقات المودات مسترخصا ، وللقلوب على ما يجب من الموالات مستحرصا ولا برحت الايام بحسناته موسومة وأتم الله نعمه فانها بينه وبين الخلق مقسومة وهو تعالى فاعل ذلك بكرمه ان شاء .

ذكر خروج السلطان الى مرج (٩) الفاقوس في ذي الحجة من السنة

قال : وخرج السلطان الى الفاقوس وخيم بمرجها وزخرت بحار هساكره هناك بفوجها وموجها . وكان مقصوده ارهاب العدو في ثغره .

(٧) سورة الحج آية رقم ٧٣ .

(٨) سورة النور . آية رقم ٣٥ .

(٩) في حوض مصر الشرقى وهى آخر ديار مصر من جهة الشام .

معهم البلدان ٣-٨٤٥-٨٤٦ . وهى الآن إحدى مراكز محافظة الشرقية .

وازعاجه بذعره وهو يركب للصيد والقنص والتطلع الى اخبار الفرنج
لانتهاز الفرص . ولم يخل كل يوم من انهاض سرية سرية واعتراض البرية
الكافرة في كل معقل وبرية .

وكان مرحبا رضيا ، وفضاء مضيا ، وصحارى واسعة ، وبرارى
شاسعة وهو مصطاد وسيع ومصطاف وشيع ، ومراد مريع كله ربيع ،
وشملنا فيه جميع ولكل رجاء من الجود السلطاني شفيع ، ولكل توقيع
توقيع .

ودخلت سنة ثلاث وسبعين

والسلطان بمرج الفاقوس من أعمال مصر الشرقية ، والاسلام
زاهر زاه والكفر واهن واه ، والنصر مضمون ، والعصر ميمون ، وسر
التوحيد سار ، وقلب الشرك محزون ، ونخر المال مبدول ، وكثر الحمد مذخور
ومخزون ونحن في اجتماع واتساع وارتفاع وامتناع لا شيم كهام ولا رنة
شاك ولا انة باك ، ولا شكاية مظلوم ، ولا حكاية محروم ، والايام ظاهرة
الايامن باهرة المحاسن ، وقد طابت للزمان واهله انفاس ونفوس ودارت على
الدنيا من الطاف الله كنوس . قال ونظمت في الأجل (١٨٨ ب) الفاضل
قصيدة ميمية في منتصف المحرم وأولها :

ریم هضم یروم هضمی	من سقم عینیه عین سقمی
قد نقطت شمس وجنتیه	للحسن من خاله بنجمی
واهی مناط الوشاح حلت	فلیه بوجدی عقود عزمی
نطاقه فی القیاس نطق	یدور من خصره بوهمی

ومنها

عندی مواعید للمعالی تمطل	دهری فیهنا برغمی
نتیجة النجح منسک تقضى	أن المواعید غیر عقمی

نكر علم الدين الشاتاني (١)

قال : قد سبق ذكره فى الايام النورية ، وهو من أدباء الموصل وشمرائها بل من فصائحها وظرفائها وله نتف وطرف . ووفد سنة اثنتين وسبعين (٢) الى مصر وأصطنعه الملك (٣) عز الدين فرخشاہ وأنزله فى داره ، وقرر له احسانا دارا ، وجمع له من رفقته ومن الامراء ذوى الفواضل مبلغ ألف دينار ، وأذن صبح نجح أملة منه بأسفار ، وكان عندنا فى المخيم (٤) فى المحرم من هذه السنة وقد مدح السلطان بكلمة مطلعها :

غدا النصر معتسودا براياتك الصفرا
فسر وافتح الدنيا فانت بها أحسرى

واقام (٥) حتى اجتاب خلعة الاحتباء (٦) وعقد له السلطان حبی الحباء .

قال : وكتب الأجل الفاضل من عنده مكاتبه الى عز الدين يحمد على اصطناعه ورفعته من حضيض حظوظه الى بقاع ارتفاعه . فصل منها (٧) :

لولا حق وجب على الملوك اداؤه ، وسر خدمة تعين عليه ابدائه لامتلأ الامر فى أن يدوم (٨) سرور المجلس السامى بالحباية ، وأن لا يعارض صفو عيشه بكدر كتابه . لكن لم يتسع له مع (٩) عود القاضى الفقيه الامام الرئيس الكامل علم الدين وهو . ينهى أن المذكور صايغ حليه الذكر وقارس حلية الشكر وخطيب الأيادى ، والعالم بما يورده فى كتب محاسنه (ومنهم أميون

(١) هو أبو الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بNDAR بن ابراهيم الشاتاني كان فقيها غلب عليه الشعر . ولد فى ٥١٠ هـ وتوفى فى شعبان فى ٥٩٩ هـ . ونسبته الى شاتان بلدة بنواحي ديار بكر . انظر ابن خلكان ج ٢ ص ١٧٥ . وقد ذكره العماد فى الخريدة . انظر شعراء الشام ٢ - ٢٨٤٢٦١ . انظر أيضا الروضتين ٢ - ٢ - ٦٩٦ .

- (٢) فى الأصل : وستين .
(٣) فى الأصل : المال والضبط من برق ٣ ورقة ٦ ب .
(٤) انظر برق ٣ ورقة ٦ ب .
(٥) فى الأصل : واقوم التصحيح من برق ٣ ورقة ٦ ب .
(٦) فى الأصل : وفى برق ٣ ورقة ٦ ب غير منقوطة .
(٧) فى البرق ٣ ورقة ٦ ب منه .
(٨) برق ٣ - ورقة ٦ ب يديم .
(٩) فى الأصل : بالبيع والتصحيح من برق ٣ ورقة ٦ ب ،

لا يعلمون الكتاب الا اماني (١٠) وما يرح مذ فارق الركاب العسالى فى هذه الايام التى طالت عليه ببعده فكأنها أعوام كما قصرت عليه تلك الايام بقربه فكأنها أحلام اذا ذكر المولى سبى بحمده ويادر من غير تشيع بتعفير حده وصلى على ذكره وسلم وأورد من آيات مجده ما كان بإيراده أقوم ولا نقول أعلم فان الخلق قد اشركوا فى هذا العلم وامتروا فى هذا الحكم .

عرف العالمون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد

بل لا يقول أحد بالتقليد فى فضائله لا عندهم من فواضله :

فان من يثنى عليه حقايب فانت الذى تثنى عليه الحقايق (١١)

وكل سحاب يطره فالمولى منشىء أفواجه، وكل بحر يغمره فهو باعث أمواجه، والمولى مقفو أثر الاحسان متبوعه ، ومن الذى يتبعه فيستطيعه ، فمن أعطاه أوادنا فانما عرفه بتعريفه واستشرف ناظره اليه بتقريبه له وتثريفه والمولى كما قال حبيب الادباء حبيب :

ففى كل نجد فى البلاد وغاير مواهب ليست منه وهى مواهبه

وفى هذه القصيدة بيت يليق بأوصاف بيته الكريم وهو :

الى سالب الجبار بيضة ملكه وألمسه عباد عنليه فسالبه

والملوك لا يستزيد الاحسان لانه ناقص عن غاية ولكنه يشاركه فى الشكر وان كان المذكور اشهر آياه وأظهر آية (١٢) .

ذكر بروز السلطان بقصد الغزاة الى غزة

وعسقلان ونوبة الرملة (١)

قال : وعاد السلطان الى القاهرة وأقام بها ثم تناضته عزمته واهتمت

(١٠) سورة البقرة آية رقم ٧٨ .

(١١) ورد فى برق ٣ ورقة ١٧ حقائق بدون التعريف .

(١٢) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

(١) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

بالغزاة (٢) وجد بالجهاد وجده وجهده وجردت سربجياته وأسرجت جسرده
وقلقت بغرارية أجفانه وفاضت على النحور غدرانه ، وتلبست بالأجسام
أبدانه ، وصنافحت أشاجع الشجعان صفاحه ، وأسفر في ليل المعجاج من
غرر وهمه صباحه وخرج من القاهرة يوم الجمعة ثالث / (١٨٩ ١) جمادى
الأولى بعد الصلاة وخيم بظاهر بلبيس في خامسها بخيمته (٣) لقصد الغزاة ،
ثم تقدمنا الى السرير وخيمنا بالمبرز ، قال : ونودي خذوا زاد عشرة أيام
أخرى زيادة للاستظهار ، فقلت لغلّامى قد بدأ لى وقد خطر الرجوع ببالى
وأنا صاحب قلم لا صاحب علم وقد استشعرت نفسى فى هذه الغزوة من
عاقبه ندم ، والمدى بعيد والخطب شديد والطريق كله فى الرمل وجمالى
وبغالى لا تقوى على الحمل وهذه نوبة السيوف لا نوبة الاقلام والواجب
على كل منا أن يلزم شغله ولا يتجاوز محله لا سيما ونواب (٤) الديوان قد
استأذنوا فى العود وأظهرت سرى للمولى الفاضل فسرّه اشفاقا على .

وكان السلطان أيضا يؤثر ايثارى ويختار اختيارى فقال أنت معنا أو عزمت
أن تدعنا فقلت العزم للمولى وما يختاره لى فهو أولى ، فقال تعود وتدعوا
لنا وتنسأل الله أن يبلغنا فى النصر . سؤلنا . قال وكنت كتبت الى المجلس
الفاضلى أبياتا ونحن بالمبرز يوم الاثنين العشرين من الشهر مما على سبيل
المداعبة (٥) ومنها :

قيل لى سر الى الجهاد وماذا بالى فى الجهاد جهد مسيرى (٦)
ليس يقوى فى الجيش جاشى ولا قوسى (٧) يرى موثرا الى موثور

قال : وما انقطعت عن السلطان فى غزواته الا فى هذه الغزوة ، وقد
عصمنى الله فيها من النوبة . قال : وكنت لما فارقت القاهرة استوحشت
وتشوقت الى اصدقائى وتعطشت . وكتبت من المخيم ببلبيس الى القاضى
شمس الدين محمد بن محمد موسى بن الفرائش اذكر له لواعج الاستيحاش

(٢) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

(٣) فى الاصل : نحميه .

(٤) فى الاصل : واو ساقطة .

(٥) قارن برق ٣ ورقة ٩ ا .

(٦) قصيدة طويلة وردت فى برق ٣ ورقات ٩ ٦ ب .

(٧) فى الاصل : قرس والضبط من برق ٣ ورقة ٩ ب .

وكان أصدق صديقاً واشفق شفيق وقد تصاحبنا من الأيام النورية واستشرته في التأخر عن السلطان فكتب في الجواب وقال : رافقه ولا تفارقه فإنه يعرف لك حقل فكرهت رأيه وتلوت سور الخطر وأيه وضمنت الكتاب هذه الإبيات :

إذا (٨) رضيتم بمكروهي فذاك رضا لا أبتغي غير ما تبغون لي غرضاً
وان رأيتم شفاء القلب في مرضي فأنني مستطيب ذلك المرضاً
أنتم أشرتم بتعذبي فصرت له مستعزباً استلذ بهم والمضضاً
ان رمتم عوضاً في محبتكم فحاشي لله ان أبتغي بكم عوضاً
لله عيش يقضى عندكم ومضى وكان مثل سحاب برقه ومضاً
قد أظلم الأفق في عيني بغيبتكم فان اذنتم لشخص في الحضور أضاً
ما كنت أعهد منكم ذا الجفاء ولا حسبت ان ودادي عندكم رفضاً

قال فكتب الى في الجواب ابياتا منها :

ارسلت سهم (٩) عتاب قد جعلت له قلبي وان لم تكن عينته غرضاً
لا تنسبونني الى ايثار بعدكم فليست ارضى اذا فارقتكم عوضاً
عاد الحديث قال : ثم ودعت السلطان وعدت وما تأخرت الا الهاما من
الله تعالى بالنجاة من تلك الورطة حيث حكم في تلك النوبة بالعترة ، ورجعت
وأنا بين عادل وعاذر وناه وأمر ثم رحل في سلطان مقدما ولعزمه في الجهاد
مصمما وسار في جيش مجر من سواد القتام في ليل ومن بياض البيض في
فجر ، ومن حب الغزو في وصل ومن سلو الحياة في هجر فنزل على عسقلان
يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى وسقاهم من الموت فسبى
وسلب وغنم وغلب وجمع من كان معه من الاسارى هناك فضرب منهم
الأعناق وسقاهم من الموت الكأس الدهاق ، وتفرق الفرق في الأعمال مغيرين
ومبيدين ولما رأوا أن الفرنج نايمون خامدون استرسلوا وانبسطوا
/ (١٨٩ ب) وناموا وأقاموا وتوسط السلطان البلاد وسلط عليهم البلاء .

(٨) في الاصل : لا والضبط من البرق ٣ وريقة ١٠ ١
(٩) كذا : وفي الاصل معهم :

واستقل يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة بالرملة (١٠) راحلا ليقصد بعض المعازل فاعترضه نهر عليه تل الصافية فازدحمت على العبور ائثال العساكر المتوافية فما شعروا الا بالفرنج طالبة باطلائها حازبة بأحزابها مصحرة ، حادرات اسادها في غابها ، زائرة بزئرها في مساعير سنعيرها وذلك يوم الجمعة أول الشهر (١١) وقد تفرق الجمع وأمن الروع وسرنا (١٢) والضياغ مغبرة ولرحى الحرب عليهم مديرة فوقف الملك المظفر تقى الدين وتلقاهم بصدره ، وسبك الرجالة (١٣) بنيران سيوفه ، وصدهم عن الحملات بوقوفه ثم حمل على الخيالة بخيله وجرفهم بسيله فاستشهد من أصحابه عدد من الكرام انتقلوا الى نعيم دار المقام ، وهلك من فرسان الفرنج اضعافها .

وكان لتقى الدين ولد يقال له أحمد شاب أول ما طر شتاربه وهو في ريعان شبابه الطرى فقال له يا ولدى قد جاءت نوبتك فأين سطوتك فأقر عيني بأقدامك واحسم داء الفزع ببراعتك وحسامك (١٤) ، فحمل وبلغ الطمان وراع تلك الرعان فأردى فارسا وفرسه وصد العدو وحبسه وخرج سالما الى أبيه يعتقد أن تلك النهضة تكفيه . فقال له : عد يا أحمد فان العود أحمد وقسا قلبه حتى كان مراده أن يستشهد فقدم الولد طاعة الله وطاعة والده على هوى نفسه وغامر وحشة الروع بأنسه ، وأذنت الحملة الثانية بكسوف شمسها فاستشهد .

وكان له (١٥) ولد آخر اسمه شاهان شاه في الأسر ، وسبب ذلك عزته الداعية الى الاغترار فانه خدعه بعض مستأمنى الفرنج بدمشق وقال له تجى الى الملك وهو يعطيك الملك ، وزور له كتابا واستحضر على لسان بعضهم خطابا فسكن الى صدقه وصحبه ولم يدر انه خدعه وسلبه فلما

(١٠) فى الاصل : ساقطة والاضافة من برق ٣ ورقة ١٣ .

(١١) جمادى الآخرة .

(١٢) زيادة عن الاصل والغريب أن العماد لم يكن حاضرا هذه الواقعة ومع ذلك يتحدث كشاهد عيان .

(١٣) بعدها يضيف العماد العنوان التالى : ذكر الحملة التقوية واستشهاد ولده .

(١٤) قارن برق ٣ ورقة ١٤ .

(١٥) ساقطه فى الاصل والزيادة من البرق ٣ ورقة ١٤ .

تفرد به شد وثاقه وغله وثيقه وضيق خنقه الى الداوية ، وأخذ به مالا وجدده عندهم له حالا وجمالا وبقي في الاسر اكثر من سبع سنين حتى فكه السلطان بمال كثير واطلق للداوية كل من كان عنده لهم من أسير . قال ولو ان لتقى الدين رداء لأودى القوم وأغلى السوم لكن الناس لما عرفوا الواقعة تفرقوا وراء أثقالهم ثم نجوا برجالهم دون رجالهم ، وضربوا مجملتهم على السلطان فثبت ووقف على مقدمته من تخلف .

وسمعه يوما يصف تلك النوبة ويقول رأيت فارسا يحث نحوى (١٦) حصانه وقد صوب الى مجرى سنانة ومعه آخران قد جعلتا شأنهما شأنه فرأيت ثلاثة من أصحابي خرج كل واحد منهم الى واحد فبادروه وطعنوه وقد تمكن من قربي فما مكنوه وهم ابراهيم بن قنابر وفضل الفيضى وسويد ابن غشم المصرى واتفق بسعادة (١٧) السلطان ان هؤلاء وامثالهم من فرسان العسكر وافقوه (١٨) وما فارقوه وما زال السلطان يسير ويقف حتى لم يبق من ظن انه يتخلف ودخل الليل وسلك الرمل ولا ماء ولا دليل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل (١٩) وتعسفوا السلوك في تلك الرمال والاوغاث والاعوار حتى وصلوا الى الديار المصرية (٢٠) واذن ذلك بتلف الدواب وفقد كثير ممن لم يعرف له خبر ولم يظهر له اثر .

وفقد الفقيه ضياء الدين عيسى وأخوه الظهير ومن كان في صحبتهم فاضلوا عن الطريق وكانوا سائرين الى وراء فاصبحوا بقرب الأعداء فاكتمنوا في مغارة وانتظروا في بلد الاسلام على عمارة גדل عليهم الفرنج من زعم أنه يدل بهم فأسروا وما خلاص الفقيه عيسى وأخوه الا بعد سنين بستين أو (٢١) سبعين ألف دينار وفكك جماعة من الكفار عندنا من أسار وما اشتدت هذه النوبة بكسرة ولا عدم نصره وأن النكاية في العدو وبلاده بلغت منتهاها وأدركت كل نفس مؤمنة مشتهاها لكن في الخروج من تلك البلاد تشتت الشمل وتوعر السهل وسلك مع عدم الماء والدليل الرمل ، وقبض من ضل به الطريق الاسر والكبل . ومما قدره الله تعالى من أسباب

(١٦) فى الاصل ويجرى والتصحيح من البرق ٣ ورقة ١٤ ب .

(١٧) فى الاصل السعادة والتصحيح فى البرق ٣ ورقة ١٥ ا .

(١٨) فى الاصل واقفوه والضبط من برق ٣ ورقم ١٥ ا .

(١٩) فى الاصل والقليل والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٥ ا .

(٢٠) لا توجد فى البرق قارن برق ٣ ورقة ١٥ ا .

(٢١) اضافة يقتضيها سياق الحديث .

السلامة استظهار الأجل الفاضل في دخوله الى بلاد الأعداء باستصحاب
الادلاء (٢٢) وانهم ما كانوا يفارقونه في الغداء والعشاء وينفق عليهم ويقوم
بكل ما يحتاجون اليه فلما وقعت الواقعة بدوابه وغلماؤه وأصحابه واثقاله
وجماله وثب أصحابه في تلك الرمال والوهاد التلال حتى أخذ خبر السلطان
فقصده وفرق ما كان معه من الأزواد على المنقطعين وجمعهم في خدمة
السلطان / (١٩٠) أجمعين وكان الناس في مبدأ توجه السلطان ودخول
الأجل الفاضل معه الى البلاد ربما تحدثوا وقالوا لو قعد وتخلف كان أولى
به فان الحرب ليست من دأبه . ثم عرف ان السلامة والبركة والنجاة في
استصحابه .

قال : وجاء الخبر الى القاهرة مع نجابين فخلع عليهم وأركبوا وأشيع
بأن السلطان نصره الله وأن الفرنج خذلهم الله ، وانهم كسروا (٢٣) وغلبوا
وركبت لاسمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين ، واذا هم يقولون
ابشروا فان السلطان وأهله سالمون وانهم واصلوا غانمون فقلت ما بشر
بسلامته الا وقد تمت كسرة وما تم سوى بسلامته نصره وكان كما حررته .

ولما قرب خرجنا الى تلقيه ودخل الى القاهرة يوم الخميس منتصف
الشهر ونابت سلامته مناب النصر وسيرنا بها البشائر وانهضنا ببطاقتها
الطاير لآخراس السنة الراجيف وأبدال التأمين من التخويف ، فقد كانت
نوبتها هائلة ووقعتها غائلة .

كتاب فاضلى عن السلطان الى بعض الأمراء يذكر ما دفعه الله في
نوبة الرملة (٢٤) من البلاء ، نعم الله سبحانه في كل ما تصرفنا عليه توجب أن
نصرف اليه شكرنا ، والطافه الجميلة في كل ما يفضى بنا اليه يقتضى أن نبلى
في حبها عذرنا . ومكاتبتنا الى الأمير صادرة في يوم الخميس الخامس عشر
من جمادى الآخرة عند قفولنا من الغزاة التى صرفنا الله فيها عن الكفار
ليبتلى صبرنا . والعساكر المنصورة سالمة بجمهورنا مقسومة نعم الله في
الكافة بين أمرها ومأمورها .

(٢٢) برق ٣ ورقة ١٥ ب يضيف قبل الادلاء : الكنائية .

(٢٣) فى الاصل : كثروا والضبط من برق ٣ ورقم ١٦ ١ .

(٢٤) وفى الاصل : الرماية .

وقد كانت هذه العساكر جاست خلال ديار الكفار وقاتلت البلاد وأهلها بالسيفين الحديد والنار ، وحكمت القتل تحكيما عجل فيه الارتياح الى أمر الله عن مهلة الاسار واستباحته لهم معاقل واصابت لهم مقاتل ، وشغلت العساكر كسرتها وفيها للعساكر دوما شغل شاغل (٢٥) .

وكانت العدو رامها مستيقظة فلم يطقها وبارزها (٢٦) على باب عسقلان فلم يثنها من غاية ولم يعقها بل ولاها ظهره عجلا وفر تحت الليل وجلا ثم طرقها في حال انبثاث منها وانتشار وشغل بالنهب والاغترار (٢٧) وتباعد من الأطلاب وخفة من رجالها وخلو من الأسلحة التي احتاجت في لباسها الى ائغالها فقتل من العدو أضعاف المقتولة من المسلمين وكانت البادرة للكافرة والعاقبة كما وعد الله للمتقين ، وسلم الله الخلق من المهالك الموحشة والمجاهل المعطشة ، والظلم المدهشة والافتراقات التي منها تفل الجيوش المجيشة حفظا لدينه ونعمة يجب شكرها على كل مسلم والا فان الأعمال موبقة والسيئات موثقة والكثرة أعجبت وأعجلت والثقة (٢٨) بغير قادر اخجلت . ولم يفقد مع البعد في المسافة والتتبع بالمحافظة فقد المآء في القفر وعدم الأدلاء وكثير من أظهر من أمراء العسكر وأكابرها واصاغرها الا نفر قليل أكرمهم الله بالشهادة مقبلين غير مدبرين ومتقدمين غير متأخرين وليس منهم من لاسمه في الأسماء شهرة ولا من يعتقد العدو ان له بقتل مثله كثرة وعدنا فحملنا الضعيف والمنقطع ورفقنا في السير حتى لحق المفترق بالمجتمع والأمير يتلو كتابنا على بياض الثغر وذوى هيأته ويستدعى شركتنا في شكر الله الذي هو أيسر واجباته ليسكنوا أن الأمور قائمة والعساكر سالمة والغزوات تتصل ولا تنقطع والطلبات للعدو باذن الله تسهل ولا تمتنع وراية هذا الدين ترتفع ولا تنخفض ، وأنوار هذه الملة تتسع ولا تنقص . ولا فلت لنا والحمد لله هذه النبوة عزيزا ولا أحالت منا عن طلب الكافرين غريما وما عدونا ما قال الله سبحانه (وما زادهم الا إيمانا وتسليما) (٢٩) .

(٢٥) كذا وفي الاصل : مطموسة .

(٢٦) وبأدرها هكذا وردت في البرق ٣ ورقة ١٧ ١ .

(٢٧) في الاصل : واغترار .

(٢٨) في الاصل : ثقة والتصحيح من البرق ٣ ورقة ١٧ ١ .

(٢٩) سورة الاحزاب آية رقم ٢٢ .

ويسقط بعدها البنداري ٤ أوراق وردت في برق ٣ ورقة ١٧ ب ، ١٨ أ ،

١٨ ب ، ١٩ أ ، ويتصل الكلام في ١٩ ب .

قال : وحيث كانت للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في هذه الفزوة اليد البيضاء أنشدته قصيدة في سابع (٣٠) رجب وأولها :

جفون البيض أم بيض الجفون	وسمر الخط أم هيف الغصون (٣١)
الا ياعاذلى دعنى وثباتى	وما يجرى المدامع من شئونى
فان صبابتى داء دفين وكم	أبقى على البداء الدفنسين
وحائلة الوشاح رأت جمالى	على هوجاء حايله الموضين
(١٠٠ب) بكت شجوا وأرزمت المطايا	وهاج انينها الشاجى انينى
فلى ولها وللانضاء شجوا حنين	فى حنين فى حنين
وقالت ما ظننتك قط تقوى	مفارقتى لقد ساءت ظنونى
فقلت سراى للعليا وانى	تخذت لها امينا من امونى
الى عمر بن شاهنشاه قصدى	ثقى بغنىاى منه وارقبينى
ولست أرى سوى عليك (٣٢) تاجا	يليق بدر مدحتى الثمين

واهتم السلطان بعد ذلك بإفاضة الجود وتفريق الموجود وانتقاد الناس بالنقود والنسايا الصادقة الوعود وتعويض ما وقف من الدواب ونفق من الغراب حتى حصلوا على أحسن منها وأجود وأحمى وأحمد .

ذكر ما تجدد في هذه السنة بالشام

قال : وقعت المنافسة بين الحلبيين مدبرى الملك الصالح واستولى على أمره ابن العجمى أبو صالح ، وكان مرهوب الشدة مشيوب الشبهاء مخوف البطش مخشى النهش ولا يلزم طوره ولا يعرف أحد غوره ولا يرض أمرا فوق أمره ولا يريد الا الاستبداد بخيره وشره .

.....

وكان سعد الدين كمشتكين الخادم مقدم العسكر وأمير المعشر وكبير المحشر وهو صاحب حص حارم وقد حسده أمثاله من الأمراء لأنه مستقل

(٣٠) فى سابع عشر رجب هكذا وردت فى البرق ٣ ورقة ١٩ ب .

(٣١) قصيدة طويلة اختار منها البندارى هذه الأبيات .

قارن برق ٣ أوراق ١٢٠ ، ٢٠ ب ، ٢١ أ ، ٢١ ب ، ٢٢ أ ، ٢٢ ب .

(٣٢) فى الأصل : علياء . الضبط من برق ٣ ورقة ٢٢ ب .

بالادارة فسلموا للعدل الاستبداد والتمكين من منافسة كمشتكين فصار
يبرىء ويقسط ويرفع ويحط ويرأيه يتسلط وفي المخاوف يتهور ويتسوط
فقفزت عليه الاسماعيلية في جامع حلب بعد الصلاة وقجعوه في الحياة وشغلوه
بمرارة المتون عن المتى الحلوة المشتهاة .

ومن بعده انبسط كمشتكين بعد انكماشه ، واغتر بوفور ريشه
وريشه ، وترك المبالاة باوشاب الملك واوباشه فقالوا هو الذى قتل
العدل وحسن للاسماعيلية الفتك به والقتل ، وحسنوا للملك المصالح وهو
صبى وعلومه وهو غبى وقالوا : أنت السلطان ولا حكم الا لك وقد استكملت
الحجر وارفع عنك الحجر وهذا كمشتكين يحتقرك وأنت كثير ويستصفرك
وأنت كبير وبالأمر تقلد وزر وزيرك وأشار بالفتك بمشيرك ، وما زالوا
به حتى بسطوا يده على قبض المذكور وطالبوه بتسليم قلعة حارم وارتكبوا
فى تعذيبه المحارم فكتب الى نوابه بها فنبوا واصروا على الامتناع وأبوا
فحملوه ووقفوا به تحت القلعة فلما طال أمره قصر عمره فتركوا رقبته وفكوا
رقبته واستبد الصغار بعده بالأمور الكبار وامتنعت القلعة عليه ونزل عليها
الفرنج ودافع عليها الكمشتكينية ولزموا فى حفظها النخوة والحمية ثم رحل
الفرنج عنها بقطيعة بذلها لهم الملك الصالح ، ونزل (٣٣) اصحاب كمشتكين
هناهم وهم رزايا طلايح ، وولى بها مملوكا لأبيه يسمى سرخك .

ذكر نزول الفرنج على حماة يوم الاحد العشرين من جمادى الاولى ورحيلهم عنها بعد أربعة أيام

قال : قد وصل فى هذه السنة الى الساحل من البحر كند كبير
يقال له كند أفكنت من أكبر طواغيت الكفر . ونائب السلطان بدمشق أخوه
الملك المعظم شمس الدين فخر الدين تورانشاه وقد بذل الفرنج ما أمنت
به البلاد من معراتهم وسلمت الغلات من غاراتهم ، وهو خايش فى أمره
وانفاده غايض فى بحر ملاذه ، واشتغل كل من الأمراء فى ثغره بهزله وجده
ويدا للكافر الواصل ضعف المعازل وخلوها من الجند المقاتل ومن جملة
شروط هدنة الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك كبير ما لهم فى دفعه تدبير

(٣٣) برق ٣ ورقة ٢٥ ١ واستنزل .
(١) برق ٣ ورقة ٢٥ ١ يضيف ونزولها على حصن حارم .

انهم يعاونونه ولا يباينونه ويحالفونه ولا يخالفونه فاذا عاد عادت الهدنة كما كانت وبحكم هذا الشرط حشدوا الجنود وجندوا الحشود (٢) .

ونزلوا على حماة في العشرين من جمادى الاولى وصاحبها شهاب الدين محمود محمود ، والملك بمرضه مهموم مهموم . وكان سيف الدين على بن أحمد المشطوب بالقرب فدخلها وخرج للحرب ، واجتمع اليه رجال الطعن والضرب وجرت ضروب من الحروب ، وكاد الفرنج تهجم على البلد فأخرجوهم من الدروب وواصلوا الاشتجار وقطعوا الأشجار ، وكشفوا الأسوار وأبعدوا (١١٩١) في الانجاد والأغوار ، فأعجزهم القدر الغالب وتجمعت على كتبهم الكتائب ، وهم في كل يوم يقلون ، والمسلمون يكثرون ثم سقطت مهابتهم فما صدقوا كيف يرحلون ، فكسفت ادبارهم وكسحت آثارهم وكثر قتلهم وأسارهم ثم تجمعوا بعد حين ونزلوا على حارم وقالوا رجالها على صاحب حلب عاصية ، وهي من نجدة المسلمين قاصية ، وصاحبهم قد قتل وهم موتورون فحاصروهم شهرين وجرح أكثر من في الحصن وغلب وهن الوهن .

ثم تسامح الحلبيون برحيلنا من مصر لقصد الشام ، وقالوا أول ما يصل صلاح الدين يتسلم حارم فراسلوا الفرنج وأرهبوهم وقالوا صلاح الدين واصل فتنزلوا عن النزال بما قرروه من قطيعة المال وعدة (٣) من الأسارى فرسان القتال (٤) ورحل الفرنج وما انفصلوا عن حارم الا بعد انفصالنا عن مصر .

وأما الحلبيون فانهم راسلوا من بقى بحارم ، وقد قتل وجرح مقاتلوهم ، ولما فرج الله عنهم تركوا في طاعة الله العصيان ، وخرجوا ، ومضى كل واحد في طريقه (وحصلت القلعة للحلبيين) (٥) .

قال : وقد مضى ذكر شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي خال السلطان وصهره ومرضه عند نزول الفرنج على حماه وقد مرض أيضا ولده

(٢) قارن البرق ٣ ورقة ٢٥ ب .

(٣) في الأصل : مدة .

(٤) في الأصل : لقتال .

(٥) هذه الجملة غير موجودة في البرق ، قارن برق ٣ ورقة ٢٧ ا .

الأمير تكش (٦) وهو شاب فى ريعان أيامه (٧) وعنفوان حسنه واحسانه فمات يوم الاربعاء سنابج جمادى الآخرة ومات شهاب الدين يوم الاحد بعده بثلاثة أيام وانتقلا الى جوار الواحد الأحد وافق ذلك وقت وقعة الرملة فأصيب السلطان فى الشام بخاله وابن اخته منه وكان هذا شهرا طويلا أورث عويلا وحزنا طويلا ، وسلم السلطان الى قضاء الله وقدره وعلم أن كل صفو مردف بكدره فانفق أموالا استوعبت الآمال ، وأعادت بعد الاعوجاج والاعتلال الصحة (٨) والاعتدال فشد الرحال وعزم الترحال .

ذكر الخروج من القاهرة والتوجه الى بلاد الشام (١)

قال : وخرجنا لقصد الشام من القاهرة يوم السبت السادس والعشرين ورحلنا بالخميس بعد صلاة عيد الفطر يوم الخميس . وكان الخبر قد وصل بأن الفرنج حين انفصلوا عن حماه نزلوا على حارم فحث السلطان العزائم سنابج الشهر وقطعنا عقبة ايله يوم السبت العاشر واروينا الخوامس (٢) والعواشر وهناك على الساحل يحفر الرمل فيخرج الماء العد العذب ويروى منه الركب وتحمله الصحب . وههنا سألنى السلطان ان اعمل ابياتا خفيفة لطيفة يكتب بها الى اخيه بدمشق فارتجلت .

الشوق أبرح ما يكون اذا دنا أمد اللقــــــــــــــــاء
وتزيل أيام التدانى جور أيام التناى
العبد يخدم بالسلام وبالتحيــــــــــــــــة والدعاء
للسيد الملك المعظم ذى الجلالة والمــــــــــــــــلاء

قال : وكنا سايرين فى رفقة من أهل الأدب فعبّر بنا مرهوق فى صورة ملك اسمه شاه ملك فاقترح على لغز فى اسمه فارتجلت .

(٦) فى البرق ٣ ورقة ٢٧ ب دكش .

(٧) فى الأصل : أمامه .

(٨) فى الأصل : الفقه .

(١) غير موجود بالبرق وانما وردت العبارة التالية : ذكر الرحيل من المخيم بالبركة الى الشام يوم عيد الفطر بعد صلاة العيد يوم الخميس . انظر برق ٣ ورقة ٢٨ ب .
(٢) فى الأصل : الخواس .

اسم محبوبى سد اسى اذا سقط الثلث فمكس الكلمة
واذا قدم ثانى شطره فهو سلطان لنا ذو عظيمة
عربى عجمى نصفه كله معنى لمن قد فهمه

قال : وانما اوردت هذه اللمعة لأعلم انى فى طعننى واقامتى ما خلوت
ممن يقترح زناد قريحتى ويقترح ما ينشره من فضلتى .

قال : وما زلنا نسير حتى وصلنا الى دمشق يوم السبت الرابع والعشرين
من شوال فاستقبلنا أهلها بنعم ذات نوال ، وامدنا من فواكهها برخايص
وغوال وجددنا العهد بلقيا أصدقائنا من أديب ولبيب وطبيب وأمين وأمير
وواله (٣) قال :

تذكرت فى جلق داركم بمصر فيا بعد ما بيننا
وما أتمنى سوى قريكم وذلك والله كل المنى (٤)

(١٩١ ب) كتاب فاضلى الى السلطان : ورد على المملوك ادم الله
أيام المجلس العالى الملكى الناصرى ونصره على أعدائه ، وملكه أرضه بعدل
حكم سمائه ، ولا أخلى من نعمتى نظره وخيره قلوب وعيون أوليائه ، واعز
الاسلام ورفع عن أهله البلوى بلوائه . الكتب الكريمة التى تسر الناظرين
بشعارها الأصفر وتبشر الأولياء ان كانوا غايبين مع الغيب بأن خطهم حاضر
مع الحضر .

وقد كانت الفترة قد طالت أيامها واستطالت آلامها ، والطرقات التى
سبق الى الانفس اتهامها (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) (٥) وأولى من
الثمة ما اشترى الحمد عنا بلا ثمن ، وذلك من فضل الله علينا وعلى
الناس ، ووعدده سبحانه منتظرا اذ يقول فى كتابه (وعد الله الذين آمنوا

(٣) هنا يستقط الاصل الأوراق : ٣٠ ب ، ٣١ ا ، ٣١ ب ، ٣٢ ا ،
٣٢ ب ، ٣٣ ا ، ٣٣ ب ، ٣٤ ا ، ٣٤ ب ، ٣٥ ا ، وجزء كبير من ٣٥ ب .
يتحدث العماد عن كتبه التى ألفها خزينة القصر وجريدة العصر الى
آخر سنة اثنتين وسبعين ووردت فيه من بعد سنة خمسمائة وهو قلى عشر
مجلدات ضخمة . والف أيضا الذيل على الخريدة .

(٤) قصيدة طويلة اقتبس منها البندارى هذه الأبيات من ٣٥ ب - حتى
٣٦ ب .

(٥) سورة قاطر آية رقم ٣٤ .

مئكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا (٦). وصدق صلى
الله عليه وسلم واله في قوله : ان اختيار الله للمؤمن خير من اختياره ،
وان مواقع أمله خير منها مواقع أمضية الله واقداره (٧) .

فقد كانت حركة احتاجت اليها البلاد التي انفصل عنها ، والبلاد التي
تقدم عليها اما المصرية فبكونها على عدة من نجدته آجلا ، واما الشامية
فبكونها على تقدة من نصره عاجلا فقد تماسكت من المسلمين الارماق (٨)
وقد انقطعت عن المشركين الأعناق .

تهاب بك البلاد تحل فيها ولولا الليث ما خيف العرب

وعرض المملوك جميع ما وصل اليه من مكاتبات المولى على العلم
العادلى ، فأدركها تحصيلا وأحاط بها جملة وتفصيلا . والمولى خلد الله
ملكه فكل ما أشار اليه من عزيمة أباها ونية أمضاها فهو الصواب الذي
أوضح الله مسالكه ، والتوفيق الذي قرب الله مداركه ومن أطاع الله أطاعه
كل شيء ومن استخاره بين الرشد من الفى فالله يجعله من كل حادثة بنجوة
ويكتب أجره في كل حركة ونفس وخطوة .

ومنه قد كان العدو خذله الله نهض ووصل الى صدر (٩) فوجدها أمنع
من عقاب لوح الجو ، وعاد متخلف النية مخلف النو وكفى الله أمره
وصرف شره . ومنه المملوك ينهى أنه وقف على نسخ الكتب العراقية المباركة
وهى دالة على جميل النية ، ووقوع الاهتمام بهذا الجانب وحمل اليهم بما يجرى
له مع الأعداء ، والمشاركة المشكورة في (السراء والضراء (١٠)) وأوهب
ان يتلقى هذا الاحسان بغاية الاعتداد ، ويجرد فيه لسان الشكر والاحماد
وتوسع القول في أن جميل الآراء الشريفة هو العدة والعمدة والمرجو في

(٦) سورة النور آية رقم ٥٥ .

(٧) قارن مسند ابن حنبل ج ٣ - ١١٧ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت للمؤمن ان الله لم يقض قضاء الا كان خيرا له .

(٨) في الأصل : الأرمان .

(٩) في الأصل : صور والتصحيح من البرق ٣ ورقة ٣٨ ب .

قارن الروضتين ٢ ج ٢ ص ٨٠٧ .

(١٠) ما بين الحاصرتين ورد كاتالى فى برق ٣ ورقة ٣٩ ١ : فى
الشدة والرخاء .

الدنيا والآخرة ، والعاجلة والآجلة ، وتعجل إعادة الرسول فما يكون كلفته
الا واسعة والمطالب باقامته متشقة .

ومنه في صفة الرسول ومن يختار للرسالة وشروطها ، وان كان ولا بد
من رسول فيلمح المولى من أمره النزاهة حيث لا يثقل تثقيلا لا ينفعنا ، ويستثقل
به من نفذ اليه ، والعقل حتى يعرف ما يأتي ويذر ، والصدق فانه لا رأى لكذب
والاستقلال بالقول فان غيبة الحجة في وقتها خذلان عظيم والمولى يعرف كل
من طلب فما ينبغي أن يقال مع معرفته بخذ فلانا ودع فلانا ولو أن عندنا
عرضا مهما كان انهاض الفقيه قطب الدين النيسابورى واجبا لأن حرمة
كبيرة ومعرفته ثاقبه فلا يعدل عن استشارة ظهير الدين فقد تجرد لقضاء
الحق والانصباب الى هذا الجانب والتشهى بمحبته والخطب في جله .

ومنه في معنى شرف الدين بن عسرون وكان قد كف بصره ، وحديث
قناص دمشق لا يعجل في أمره ولا يستبدل به الا بعد ظهور الخيرة فيمن
تقدمه فالمنصب كبير وجمع شروط الاختيار عسير وايلام قلب رجل شارف
ينتهى عمره مع كونه لم يظهر منه ما يذم من أثره مما لا يحتاج اليه .

ومنه ونوبة العدو في الرملة فقد كانت عثرة علينا ظاهرها ، وعلى
العدو باطنها ولزمنا ما نسي من اسمها ولزمهم ما بقى من عزمها ، ولا دليل
أدل على القوة من المسير بعد شهرين من تاريخ وقعتها الى الشام نخوض
بلاد الفرنج بالقوافل الثقيلة والحشود الكثيرة ، والذي تضمنه صاحب
منبج عن الحلبيين والمواصلة فما هو الا ظن توهمه او نقلة ناقل يجب ان
يتفهمه فأى سبب يحمل قوما أفردتهم الايام بلذاتهم ، وقام المولى بينهم وبين
أهل معاداتهم يسهر وهم ضاجعون ويتعب وهم وادعون ، ثم أنهم قد جربوا
ولدغوا وطلبوا فما بلغوا ما هو عنها بالحديث المرجم .

عاد الحديث قال : لما دخلنا دمشق وجدنا رسل دار الخلافة قد
وصلوا بأبواب العاطفة والرافة ، وكان حينئذ صاحب المخزن ظهير الدين
(١٨٢) أبو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوى الاخطار وله التحكم
فى الايراد والاصدار وقد توفر على محبة السلطان وتربية رجائه ، وتلبية
دعائه فوصل كتابه ورسوله بكل ما سر السراير ، ونور البصائر ، وكان
الكتاب بخطه واقترح على السلطان أبياتا يكتبها فى كتاب اليه بخطه فقلت
ما ضمنه الكتاب وهو :

وأفاض في شكر العوارف عارفا بقصور باع الشكر عن نعمائه
وتأمل الخط الكريم فأشرقت أنوار حسن العهد من أثنائه
أضحى ظهير الدين أفضل صاحب يستمسك الداجي بصدق ولائه (١١)

مكاتبة فاضلية في التهئة بمولود . المملوك يقبل الأرض بالمقام
العالى الناصري ، نصر الله الاسلام بمقامه وأهلك أعداء الحق بانتقامه
ويهنئ المولى بنعمة الله عنده وعند الاسلام وأهله من زيادة في ولده وكثرة
شئ عدده وهو الأمير أبو سليمان داود انشأه الله نشوء صالحى خلقه ،
وجعله كما جعل أباه من أنصار حقه ، وكانت ولادته في الساعة الرابعة
من ليلة الاحد لسبع بقين من ذى القعدة ومن الله بكمال خلقه ووسامة
وجهه وسلامة أعضائه وتهلل عزته وابتسام أسرته ودل به على أن هذا
البيت الكريم فلك الاسلام لا يطلع فيه الا البدور كما دل على عناية ربه بأبيه
فانه تعالى قال : « يهب لمن يشاء أناثا ويهب لمن يشاء الذكور » (١٢) .

وهذا الولد المبارك هو الموفى لاثنى عشر ولدا بل لاثنى عشر نجما
توقد فقد زاد الله في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما ورآهم المولى
يقظة ورأى هو تلك الانجم حلما ورآهم ساجدين له ورأى الخلق له سجودا ،
وهو سبحانه قادر على أن يزيد حدود المولى حتى تراهم آباء وجدودا (١٣) .

ومن كتاب فاضلى آخر . أدام الله دولة مولانا الملك الناصر وخصه
بتشييد بناء السلطان ولا أخلى منه عيون الاولياء فاما القلوب فانه لها ساكن
وانها له أوطان ، وأوزعه أن يشكر ما به من نعمة والهمه أن يخلف محمدا
صلى الله عليه وسلم بأحسن الخلافة في أمته ، وحفظ عليه كل عمل ، بيده
قاضيته ، ولقاء كل خير بيده ناصيته :

وإن أكثر الداعون فيما دعوا له فلا تلحين من بات يدمو لنفسه
كتبت هذه الخدمة بعد انقضاء عيد النحر على ما شرع
فيه من سنة واستحب من قريه وعلى نيابة المولى الملك العادل أوفى نيابه
وعلى هذا فان الخلق لغيبة المولى .

(١١) يسقط البندارى الاوراق التالية ٤١ ب — ٤٧ ا وقد وردت في
البرق ٣ وهو عبارة عن مراسلات بين السلطان والجهات المختلفة .
(١٢) سورة الشورى آية رقم ٤٩ .
(١٣) يتبع ذلك في البرق اشارات مختصرة الى أولاد السلطان قارين
أوراق : ٤٨ ا : ٥٠ ا .

تراهم كبيت غير الكسر وزنه
فالفاسطه نثر ومغناه قائم

دنا العبد أو تدنوا به كعبه المنى
وركن المعالي من ذوابة يعسرب
فيا عجباً (١٤) للدمع يرمى جماره
ويا بعد ما بينى وبين المحصب

كتب المولى عند الملوك كالجنة التى قال الله تعالى واصفائها : « وفيها ما تشتهي النفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون » (١٥) وان لم يخلد الملوك فيها جسماً فقد خلده الفخر فيها اسماً ونعمة المولى بها وبخيرها تجل عن الوصف .

وما علمت لسنانى كل عن صفة وما علمت الا فوق ما اصف
والله ما يهيج البروق اللامعة والحمائم الساجعة والنسيم فى الاصال
والخواطر اذا خطر بها ايام الوصال ما يهيج هذه الكتب وانها لتلفح من سحب
العيون ما تلفحه مראقات (١٦) السحب وبالجملة كل دم حقنة المولى لجهاده قد
أجراه دماً ببيعاده وذكر المولى انشودة وانها ربما كانت للقاء ميعادا :

متى ان يكن حقاً يكن احسن المنى يا برد ذاك الذى قالت على كبدى
فسوغونى المنى حتى اعيش بها

وقد ينعش الفتى بعد عشيرة ويصطنع الحسنى سراة بنى عجل

سقى الله داراً شوقتك بعيرها واذنتك نحوى يا زياد بن عامر
اصائل قرب ارتجى ان اناها بلقياك قد زحزن برد الهواجر

والمملوك الان يعالج من الاشواق غريمين كريمين غريم ينزع به الى
كعبة الحزم وغريم يرجع به الى كعبة الامم .

(١٤) فى البرق ٣ ورقة . هـ ب قياويلتى .

(١٥) سورة الزخرف آية رقم ٤٣ .

(١٦) فى برقي ٣ ورقة ١ هـ ١ وردت هذه الكلمة مؤلفات .

لو سرت من ذا الى هذا وكيف به ما ما سرت من حرم الا الى حرم

وحديث ما يلزم الخزانة من المغارم فقد قال أحد وزراء الرشيد له وقد
أراد سفرا الى إحدى غزواته يا أمير المؤمنين تكثر الكلف قال ومتى قلت :

(١٩٢ ب)

لا يستقر بكفه أمواله فكأنما هي عابرات سبيل

وما ضاع مال ورث الحمد أهله . ومنه للمولى أولاد صاروا رجالا
ويجب أن يستجد للقلاع رجالا كما فعل السابقون أعمارا وأعمالا ، وقيل
القلاع أنوف من حملها شمع بها ما فى الرجال على النساء أمين .

وزهدنى فى الناس معرفتى وطولا ختيارى صاحب بعد صاحب
ولا كنت أرجوه لدفع مله من الدهر الا احدى النوايب

ومنه عز الدين أقبورى يطول المولى عنان صبره ، ويودعه بلطف خلقه
وتحمل جفوة ظاهرة ، مع العلم بسلامة باطنه ، ومن كان يخص أيادى الموت
عنده تفسيره بسنة آلاف دينار فلا بد من احتماله لتناسب أسباب المعروف
عنده ومنه من أبيات فى ذكر السلام وتبليغه الى ولده الملك العزيز عثمان :

وغريبة قد جئت فيها أولا ومن اقتفأها كان بعدى الثانى
فرسولى السلطان فى إيصالها والناس رسلهم الى السلطان

ومن اجابة السلطان عن بعض الكتب الفاضلية بالانشاء العمادى .
وردت المكاتبات الكريمة الصادرة عن الحضرة السامية الاجلية الفاضلية
ضاعف الله سمو ظلالها ونمو أفضالها وبلوغ آمالها وسبوغ ظلالها مؤرخات
بثالث عشر شوال ورابع عشر ومنتصفه نظام سطور الطرس وظلام ديجور
النفس فى صدفة وسدنة متضمنات شكر ما من الله به من سلف الاحسان
مبشرا بما أعده لنا من مونية مهديات للنصائح الفصائح ، فأضاعت بطلو عن
مطالع المطالب عن سنا النجح ، ووصلت مناهج المسار ومباهج المبار سفره
الوجه مسفرة الصبح وتضاعف من الانس بمطالعة الكتب الوحشة لما ينوب
من مشاهدة طلعة القرب . فأما ما انهاء المجلس السامى تغذ رحيلنا من
بزاعة المقيم فانه شرح ما تجدد لنا بغيته ، وأوضح طرفا ما وجدناه من

الوجد عند عدم الاستيناس بكريم حضرته أحاط علم الكريم بأن اليمن مقرون بحضوره وأن استقامة الملك في أموره بحسن تدبيره ولولا متابعة ارادته ومطالوعة بغيته لما سمعنا على الكرة بغيته ، ولكننا ضننا به لكننا ظننا أنه يجد من ذلك التعب الدائم راحة ويكون حمام موارد الاحجام له مستباحة مستمحة . انى والملكة بارئه وآلائه متسقة العقود ، مشرقة السعود ، فائزة العهود ، ناجزة الوعود لا زالت أقدامه لمقاصد النجاح محررة وأحكامه لقواعد الصلاح مقررة والايام بميامنه المبكرة مبكرة والممالك لمشاركة تدبيراته المشكورة مشاركة .

ومنها وتلقينا رسل الخلافة المعظمة بالطف البشري وأصناف اليسرى والرسالة المباركة مشتملة على ثلاثة فصول ضامنة لاجابة كل سؤال واصابة كل سؤال .

فأول الفصول اظهار الاغتمام بها جرى من نبوة تلك النبوة ، وثانيها عرض المال والرجال الذين بهما مال الرجا الى دار الخطوة ، وثالثها قبول الشفاعة في عز الدين اقبورى والاعتداد بها وعددها من المنن الخطوة والمنح الصفة .

عاد الحديث قال : وخرج السلطان للصيد في ذى الحجة نحو قارا فشكوت ضرسى وعدمت أنسى ، واتفق رجوع عز الدين فرخشاه لحمى عزته ورجعت معه أحاضره وأسامره ليلا ونهارا واجتنتى من رياض أخلاقه المونقة أنهارا فانشدنى بيتى المتبى .

وزائرة كان بها حياء فليس تزور الا على الظلام
اذا ما قارقتنى غلستى كانا عاكفان على حرام

فقال : وحماى بالصمد منها قانها لا تزور الا نهارا ولا تهجم الا جهارا ولا بفرقتى يفرق ولا أخلص من نارها بعرق فنظمت فيه كلمة طويلة في صفة الحمى .

(١٩٣١) وزائرة وليس بها حياء فليس تزور الا على النهار
ولو عرفت لظي سطوات عزمي لكانت من سطاى على حذار

أحماك استعارت لفح نار لعزمك لم تزل ذات استعار
وما أحمى مزاجك غير لطيف ليوقد ناره عند الفوار
ولفح العارض السارى دليل من الغيث المثلث على انهمار
وما أن حم ليث الفباب الا لخلقك سالب لب العقار

ذكر استشهاد عضد الدين وزير الخليفة

فى العشر الاولى من ذى القعدة فى هذه السنة

قال : ولما صفى للوزير عضد الدين أبى الفرج بن المظفر رئيس
الرؤساء موارد النعماء ، وأمن من صروف الدهر نوايب الاعتداء تفرد بشغله
وفاض عدله وفيض فضله واستكمل الرى من نهله وعله ، وتغاشت أبصار
الملوك عن الصعود الى محله . وزهل والدهر غير ذاهل وغفل والخطب غير
فافل وعزم على الحج لاداء فرضه وارتنى بحركته الى سمائه وقد قرب
سكوته تحت أرضه وكان من أمره فيما باح القضاء بسرّه أنه سير الاثقال
وقدم الرجال ، وحسب الارزاق ولم يحسب الآجال وخرج فى موكب تعنوا له
وجوه نجوم الاملاك وتخبروا لشمسه نجوم الافلاك وهو يتجلى فى بهو جلاله
وهو فى حليته حالته كالبدر فى هالته . وأمر أن لا يحجب عنه مظلوم ولا يمنع
منه مهضوم ولا يبعد ذو غصة ولا رافع قصة . فانه قد خرج من بيته الى الله
مهاجرا والى بيته الحرام سايرا فوقف له فى مضيق غربى دجلة كهل فيه
جراة وكفر وجهل ، وفى يده قصة عليها يتجدث وبها يتغوث وهو يصرخ
ويقول لا أسلم قصتى من يدى الا الى يد مولانا الوزير فهو كهف المضميم ،
ومويل المستجير . فقال : دعوه ولا تمنعوه فأوما ليوصل قصته فانتهزا
فرصته وقرب نحوه وضربه بمديّة وهتك حجاب روحه وغادره لقى بجرحه .

وبدر كمال الدين أبو الفضل بن الوزير فقتل قتال أبیه بسيفه وكان مع
ذلك الجاهل رفيقان فخرجا ومعهما سكينان فجرح أحدهما صاحب الباب
بموافقة الوزير فى شهادة الوفاة فنعثا الملاحدة وقطعوهما وأحرقوهما قبل
دخولهم النار بالنيران وختم الله للوزير بالشهادة وفاز فى عليين بالشهادة
فاستقل ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار صاحب المخزن بالدولة
وكان لسلطاننا ظهيرا ، وللملك الناصر نصيرا وكان الرسل قد مضوا الى
الوزير فلم يصادفوه وتولى ظهير الدين أمرهم فالفوه فى الاعتناء بالأمر

كما الفوه . وكان المندوب فى الرسالة القاضى ضياء الدين الشهرزورى فانه كان لها يترشح وبأدريتها يتوشح ورأى السلطان فيه يترجح فتعين للرسالة وسار بقوة القلب والبسالة فلقى من ظهير الدين ما دنا به من الظهور وحصل منه على الوفر الوفور والعرف المشكور واقتضت المهام مقامه هناك عدة من الشهور ' وكانت من الانعام الامامى وظيفه داره ، ومبرته به وبمن معه باره . وكانت ميأومته بالدفانير الامامية تبلغ العشرين فاذا انقضى الشهر تضاعف مائين وذلك سوى وظائف الطعام والعلوفة والاغنام وسوى التحف والهدايا والتشريفات وما وصله من الصلات سفر به وشرف من نقود النفقات كان السلطان قد نفذ معه على عادة انفاذه كل سنة الى اعيان العراق وأمثاله واكارمه وافاضله والعلماء والشعراء والمتصوفة من الفقراء عطايا وهدايا وخلعا وتشريفات وسنايا . وربما بلغ المبلغ الوفا يسرى بها الى ذوى المعروف معروفا .

فكرى مكرمة ههنا

قال : جئت الى الصفى بن القابض المتولى والخازن وقلت له اطلعنى على اسماء الذين سيرتم اليهم العطايا على يد الرسول فتلقى قولى بالقبول فلما تأملت الدستور فقدت فيه اسامى جماعة من الاصدقاء قد أهملت فى العطايا فقلت له : ههنا خمسة اسماء لم يجر لها ذكر (١٩٣ ب) ويغتنم لهم حمد ودعاء وشكر فقال : كم نصيبهم فقلت مبلغ مائتى دينار فلم يقابل قولى بانكار فوزنها وحدها وسلمها الى عدنان النجاب وقال : الحق بها الرسول وخذ منه بها الوصول . فقلت له هلا استأذنت السلطان فقال قولاك المتيول والسلطان لا يقول فى هذا ما لا تقول .

فصل من انشاء الفاضل فى مطالعة الى السلطان : النوبة الحادثة للوزير عضد الدين نوبة نايبة راجعة فاجعة واعظة رادعة « وما ريك بظلام للعبيد » (١) فقد كان عفى الله عنه قتل ولدى الوزير ابن هبيرة رحمه الله وازهق انفسهما وجماعة لا يحصى .

من ير يوما يريه والدهر لا يغتر به

وهو من ذرية لم تزل قاتلة مقتولة وما زالت السيوف عليها ومنها
مسلولة فهم فى هذه الحادثة المسمعة المصمة كما قال : دريد أبى القتل الا
آل صمة والأبيات المولى يحفظها وهى فى الحماسة ومنها :

أبى القتل الا آل صمة أنهم أبوا غيره والغدر يجرى الى القدر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى الا ونحن على شطر

وقد ختمت له السعادة بما ختمت به له الشهادة لا سيما وهو خارج
من بيته الى بيت الله قال سبحانه « ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » (١) .

ان المساء قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشفأك كان وزيرا

هذان البيتان قالهما شاعر فى أيام السفاح أبى العباس أول خلفاء
بنى العباس فى وزيره أبى سلمة بن الخلال ، وكان دعامة دولتهم وقائم
دعوتهم ولذلك قصة طويلة .

ذكر عز الدين اقبورى وعوده

قال : قد سبق ذكر الامير عز الدين اقبورى بن ارغش وأنه فى نوبة
قطب الدين قايمازا خرج وخلق ببغداد من أمواله ونحايره القناطر المقنطرة
فاعتنى به السلطان وكرر الشفاعة فى حقه ورد سناه من رضاء الديوان
العزیز الى أفقه ، وسفره بأمواله وسيره باجلال ، وسمع فى طريقه
بلاستشهاد الوزير فجنبنت نفسه وزال بالعود الى بغداد أنسه فلما وصل
كتابه اخلف فى أمره حسابه .

من كتاب فاضلى فى معناه . وما للمماليك حاصل الاهتمام به واستثبات
النظر فى أمره أمر الامير عز الدين اقبورى وعودته وضعف نفسه وكان
سبيله أن يتوكل ويقدم فان ثمة المولى ما كانت تخفر فيه والقيام الان مقام
الماضى صاحب غير متهم المودة وبالجمله المخاطر كثير الخواطر ومالى غير
هذا الرأس رأس .

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد احدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التى عودتنا أولا فارشدنا الى من نذهب

وقال :

فلو كنت تحصى ما وهبت من الندى تبينت ما تجنى عليك المكارم
قال : ولما وصل الرسول الى الموصل بلغه استشهاد الوزير فتوقف
ووافق وصوله اليها وفاة ابن عمه القاضى عماد الدين أحمد بن القاضى
كمال الدين الشهرزورى .

فصل

من كتاب فاضلى : فى ذلك كله مكاتبة ضياء الشهرزورى بالاتمام
لطيته والنفوذ لوجهته صواب ، وعلم أيضا وفاة ابن عمه فسبحان من قارب
بين الخلق فى الارزاق والآجال .

يدلى ابن عشرين فى قبره وتسعون صاحبها راتع
افتبط الولد مع نضارة الشباب المقتبل
وعمر الوالد مع ذبول المشيب المشتمل
ليعلم ان الشيب ليس بمسلم وان الشباب الفص ليس بمائع
وليكون العبد حذرا من نعيات الآجال فى كل الاحوال ، والله تعالى
يطيل للمولى العمر كما أطال له فى القدر ويسمع منه ولا فيه ويبقيه سندا
للدين الحنيفى فان بقاءه (١) يكفيه .

(١٩٤) ذكر الامير شمس الدين بن المقدم

قد سبق ذكره وانه من اكابر الامراء المقدمين وله سوابق ومساوات
وشوافع وحرمات ، وهو السابق الى مكاتبة السلطان فى تصويب رأيه الى
الوصول الى الشام وتدارك امر الاسلام ، وان السلطان لما تسلم قلعة بعلبك
انعم بها عليه فأقام بها مستقرا ، ولما وصلنا فى هذه نوبة الى الشام

(١) فى الأصل : بقاء .

لم يحضر كما جرت العادة للخدمة والسلام فانه انتهى اليه أن الملك المعظم شمس الدولة طلبها من أخيه وأنه لا يمكنه الرد في نحر مباغية وعلم أنه اذا أحضر حظر عليه العود وكوتب مرارا سرا وجهارا فأبى إلا الالباء وشارف السلطان منه ومن أخيه الحياء ، ومكث طويلا عسى أن يجمع بين القلوب ويدفع ما لزم من الخطوب وهو في ذلك يستعين بالله في هدايته الى الصواب . وفي هذه السنة اربعنا عن مخيم السلطان بتل حارم من الشعراء ونزلنا منها بالعراء والعشب واصل والخطب قاص والزمان غير عاص ، ونجح الآمال غير متعاص والمرعى مريع وشمل المسار جميع (١) ولله في الاحسان الينا صنيع نصيع وروض لنا وسيع وشيع .

ودخلت سنة أربع وسبعين

والسلطان في أمر بعلبك مفكر ، والرسل بينهما اليها رايح أو مبكر وشمس الدولة أخوه (١) لا يقبل عذرا ولا يرى عما طلبه صبيرا ، وكانت سلطنة الشام له فلما وصل السلطان أخذت عقوده في الانحلال وأموره في الاختلال فأراد موضعا ينفرد بحكمه ، ويجرى فيه من طيب عيشه على رسمه فلم يتعين له سوى بعلبك فطلبها والسلطان يريد أن يحفظ قلب ابن المقدم فكما رفق به عنف ، وكلما استأنف معه لاستتمالته عزف فما زالت الموارد (٢) الصافية تتكرر والضمائر السهلة تتوعر حتى استأذن الملك المعظم في التوجه الى بعلبك فأذن له وعقد بها أمه وقصر على تسلمه عمله . وتوجه عز الدين فرخشاها الى حوران لحفظ الثغور ورعاية الجمهور وسرنا (٣) الى حمص ونزلنا على العاصي لاستدناء الآمال القواصي العواصي (٤) .

فصول من كتب فاضلية وردت في أوائل هذه السنة . فصل له من كتاب : فأما المتحصن (٥) بقلعة بعلبك فقد ضرب بينه وبين السعاد بحجاب ،

(١) في الأصل : وجميع .

(١) في الأصل : أخو .

(٢) في الأصل : المواد وكذا يستقيم السياق .

(٣) في الأصل : وصرنا .

(٤) في الأصل : العاصي .

(٥) في الأصل : المتحصن .

وصرف عن باب الخير وهو باب مولانا الذى ما بعده سوى لله باب وقد خدعه الراى الذى تبعه وولاه النظر الذى دله . ولو هدى لصوابه ووفق لرشاده فتحت له أبواب الانابة ومهدت لدعائه أسباب الاجابة قبل أن يحق عليه الكلمة وتشدد عليه حذب الحكمة ، وتخطه الارجل خبط السلمة .

فصل آخر من كتاب آخر فى المشورة والفكر: المملوك يقول: ان كثرة الشك محامة عن اليقين المعتقد ، وكثرة الفكر أمان من تطرق الراى المستنقد وأنه لا تنال الزبدة الا بالمخض ولا يتأكد الإبرام الا بعد النقض ، واذا تكرر صقل السيف كان التكرار أظهر لجوهره ، واذا تكرر سقى الفصن كان أخرج لثمره (٦) ولا سيما وكل أمر ابتدا به المولى واستدركه ونهى عنه ثم أمر به لم يفت منه فابت ولا خرج عن اليد منه خارج .

فصل آخر : لا شك ان المولى تفرق الجبال فى بحره ، وتضيق (٧) العظام فى سعة صدره ، وهذه عادة الخواطر والله سبحانه قد اشرك بين الخلق فيها ولكنه عند الصواب أفرده . والملك فيما يرد عليه منها بماثلة الشجرة فيما يرد عليها من مائها ما يتنقى صفوه تستسيفه فينبو عن قذاه فتمجه وتلفظه . ومن أمثال العرب رب عجلة تهب ريثا . وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ما كان الرفق فى شىء الا زانه ولا كان الخرق فى شىء الا شأنه (٨) . ولعمرو الله ان الفرص اذا لاحت لا يحمد الرفق فيها وانما يحمد الى أن يلوح مضاربها ويحمد مطالبها . والله تعالى يقدر المولى على نيل أغراضه ويسدد سهمه لمطابقة أغراضه .

فصل آخر : المولى عفيف الا أن نوابه والمشارف مأمون الا أن كتابه الا انه غير متصرف (٩) .

ولكل شرع آفة موجودة نور السراج على سراه يدخن

فصل آخر : واما سور القاهرة فعلى ما أمر به المولى شرع فيه والله يعمر المولى الى أن يراه نطاقا مستديرا على البلدين ، وسورا بل سوارا يكون

(٦) فى الأصل : الثمره .

(٧) فى الأصل ويضيع وكذا يتطلب السياق .

(٨) حديث أبى داود جهاد ١ — ابن حنبل — ٦ ص ٥٨ ، ١١٢ ،

١٢٥ ، ١٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ .

(٩) قارن البرق ٣ ورقة رقم ٦٧ ب حيث يقول : « الوالى عفيف الا

الا أن نوابه ، والمشارف مأمون الا أن كتابه ، وفلان ثقة الا أنه غير متصرف .

به الاسلام محلى اليدين محلا الضدين والأمير بهاء الدين قراقوش ملازم الاستحثاث بنفسه ورجاله لازم لما يعنيه بخلاف أمثاله قليل الثقل مع حمله لاعباء التدبير وأثقاله .

فصل آخر فى حق نقل القضاء : (١٠) (١٩٤ ب) من شرف الدين الى ابنه . أما ما أورده المولى دفعة أولى وثانية فى معنى الحكم بدمشق فالمولى متوقف فى مقام التوقف متردد فى مكان التردد ولن يخلو الامر من قسمين والله يختار للمولى خير الاقسام . أما ابقاء الامر باسم الوالد بحيث يبقى رأيه ومشاورته وفتياه ويتولى النيابة ولداه ويشترط عليهما المجازاة لاقل زله وترك الاقالة لاقل عشرة فطالما بعث حب المنافسة الراجحة على اكتساب الاخلاق الصالحة وأما أن يفوض الى الامام قطب الدين فهو بقية المشايخ وصدر الاصحاب ولا يجوز أن يتقدم عليه فى بلد الا من هو ارفع طبقة فى العلم منه .

فصل آخر من كتاب فى معنى أخيه شمس الدولة : وأما المولى المعظم وما قام به من المغارم الجليلة وحمله من التكاليف الثقيلة فالمولى لا يحاسبه فيما يعطيه فإنه اذا أعطاه فقد جعله واسطة بينه وبين سايليه . وقد كان معاوية أجاز عبد الله بن جعفر بعشرة آلاف ألف درهم (١١) فقل له فيها واستكثرت فقال : انما اعطيت بنى هاشم وبنى أمية وأهل الحرمين فلم يعد عبد الله بن جعفر الى بيته الا بعد أن تحمل خمسة (١٢) آلاف درهم ديناً والدين داء يصيب الكرام ويسلم منه اللئام ولو كان ما يفعل المولى المعظم فعل صديق لوجب أن ينفدى بالاحداق فكيف فعل أخ لا يجرى الممالك مجراه فى التوفيق والوفاق .

فصل فى ذم ماء دمشق : عرف المملوك من الكتب الواصلة التيسات المولى الامير عثمان والحقير مما ينال ذلك الجسم الكريم يؤثر فى قلوب الاولياء الاثر العظيم وقليل قذاة العين غير قليل وماذا يقول فى بلد لو صحت الحمية من مائة لكانت اكثر من أسباب صحة المحتمى وشفائه فإنه

(١٠) قارن الروضتين (٢) ج ٢ — ٢ .

(١١) برق ٣ ورقة ٦٨ ب عشرة ألف ألف درهم .

(١٢) برق ٣ ورقة ٦٨ ب خمسة ألف ألف درهم . انظر الذهبى . تاريخ

الاسلام ٢ — ٢١٨ .

ماء يوكل وبقية الامواه تشرب ويجد وخامته من ينصف ولا يتعصب ونرجو أن يكون هذا المولى قد أمسك عن الفاكهة الدمشقية التى لا يخفى كثرة فضلاتها وعن أكل اللحوم المجلوبة التى نقلها سير الطريق الى شر حالاتها .

فصل آخر . والعرب جنس كالحنظل كلما زيد سقيا بالماء المذب أفرطت مرارة ثمره وعزت نضارة خضرته .

فصل آخر : وأما حديث ملك النوبة فإنه أقل من أن يسخى بحجر لنباحه أو يشمر (١٣) عن ساق لخوض ضحضاحه ولو أن شرارة من زند العزم (١٤) أو ريشة من ريش السهم هتفت اليه لذاق وبال أمره وعرف بقدر وجهه الذى هو أشد سوادا من قدره .

ومنه اذا وصلت من المولى رفقة نجابين فكأنهما عسكر نجدة قد بشرت واذا فض منها كتب فكأنها الوية فتح قد نشرت ورسله وكتبه بالاضافة الى شغله ، ومهمات كثيرة ولكنها بالاضافة الى تطلعنا وتشوقنا قليلة . وما استكثرت فى اليوم منها الوفها وواحدها فى الحول منك كثير

وكتاب المولى الى الملوك مزينة سماؤه من حروف خطه بمصاييحها ، ومفتوحة له ابواب السعادة من اسطره بمفاتيحها .

فلا عدمت عيناي كاتبه الذى له الفضل مكتوبا اليه وكاتبها
صحبت به والله أعظم نعمة فلا زال مصحوبا ولازلت صاحبها

فصل آخر فى معنى ازالة المنكرات : وأما المأمور به فى معنى المنكرات الظاهرة وازالة أسبابها وغلق أبوابها وتحصين كل مهتوكة من عصمة وتطهير كل موصومة فالله يثيب المولى ثواب من غضب ليرضيه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شرعه وأدبه . وقد استدعى الملك العادل أحد الواليين وسلم اليه ما كوتب به من مولانا وأسمعه الانكار العنيف . وأشار المخاطب الى جهات تحمى بيوت المنكرات . فقال : لو استقام العود لما أعوج ظله ولو تنتهى أنت لانتهى غيرك ، ولكنك ملجم عن أنكارها لانك شريك فيه

(١٣) فى الاصل : ويشمر .

(١٤) فى الاصل : الغسرام .

وأجيب الى أن يرتب من الاصحاب العادلة من يغلط مواضع الخنا ويحجر على فواسد النفس . وما وقفت خواطر العصيان عند الزنا الا أن زادت مصحفة وهو الربا فلا حول ولا قوة الا بالله من محارم فيه منتهكة ، ومكاسب قد نزع الله منها البركة ، ومروا قد سقطت ووجوه قد توقحت وأموال قد تحرمت وشريعة منه قد خولفت نشكو الى الله دنيا لا نحن نتركها ولا نحن ندركها .

غدارة بالناس غرارة قربة العرس من المأتم

(١٩٥ أ) وليس لحوادثها ونوايها قرن الا التقوى والله المسئول أن يوفر منها حظ المولى وأما فلان فإنه بطل كثير السر والحيلة والمال والرجال (١٥) فلا يحتقرنه وبعد أن أيقظه فلا ينم عنه والحيلة في بعض الاوقات ترجح على القوة على أن الساعى مخذول ومن سل سيف بفي فهو عما قليل به مقتول وواجب أن يظهر العذر .

فما أحسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

وإذا اقترن بكل ما يريده المولى حسن النية كانت العاقبة للتقوى على أن المولى ظاهر عذره والمشار اليه ظاهر ذنبه ومكره ، قال الله سبحانه وتعالى في مثل المولى « ولمن انتصر بعد ظلمنا أولئك ما عليهم من سبيل » (١٦) وقال حاله مثل حاله : « ولا يحق المكر السيء الا بأهله » (١٧) ورب سبيل بدؤه مطير ونعم السبيل الى الخير نية الخير قال : وإنما أوردت الفصول الفاضلية لأن في كل فصل منها ذكر سيرة وفيها فوايدة كثيرة وبواعث للخواطر مشيرة ، وفيها أحاديث للحوادث وأعاجيب الاوهات والدمايث .

ذكر ما أسقطه السلطان من المكوس بمكة شرفها الله

قال : كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرعوس ما ينسب الى الضرائب والمكوس فإذا وصل حاج حبس حتى يؤدي مكسسه

(١٥) في الاصل : الرجل .

(١٦) سورى الشورى ، آية رقم ٤١ .

(١٧) سورة فاطر ، آية رقم ٤٣ .

ويفك بما يطلبونه نفسه وإذا كان فقيرا يحبس وتفوته الوقفة بعرفة . فقال السلطان نريد أن نعوض أمير مكة عن هذا المكس بمال ونغنيه عنه بنوال وإن أعطيناه ضياعا استوعبها ارتفاعا وانخفاضاً ولا يكون لأهل مكة فيها نصيب فقرر أن يحمل إليه في كل سنة مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح يحمل في جلابها إلى ساحل جده ويهدى بها إلى أهل الحجاز وجدة فإن الأمير بها يحتاج إلى بيعها للانتفاع بأثمانها وأهل الحرمين يثقسون من الدولة (١) بدوام إحسانها (٢) وقرر أيضا حمل جلاب الغلات إلى المجاورين والفقراء بها من الشرفاء فسقطت المكوس واغتنبت النفوس واستمرت النعمة ومر البؤس وذلك في سنة اثنتين وسبعين .

فصل من كتاب فاضل في المعنى : ومن البشائر النى لا عهد ملك من ملوك الديار المصرية بالحصول على فخرها وأجرها انقطاع المكاسين عن جدة وعن بقية السواحل ويكفى أن تمام هذه المثوبة موجب للاستطاعة مقيما لحجة الله في الحج فقد كانت الفتيا على سقوطه مع وجود الحامل ووصلت كتب من مكة تضمنت أن القمح وبه وربيع بدينار مصرى وأن الفنى في شدة وأن الفقير هالك وإن هذه الجلاب بمشيئة الله قدرة من قدره « يحيى العظام وهى رميم » (٣) وفرج عظيم انتهى إلى البلاد بعد أن تنافى الكرب العظيم والله تعالى يفرج عن أهل دينه ضايقات الكرب ويفك عن أهله (٤) حيرة حلقات الكرب قال : واستمر مقامنا بالمخيم بظاهر حمص والسلطان يصمم العزم للجهاد ويجد الحرص قال :

نكر الحوادث في هذه السنة ونحن بحمص

ومنها وفاة المذهب أبى الحسن على بن عيسى المعروف بابن النقاش البغدادي بدمشق في المحرم . قال : وكان المذهب كنعته مهذبا ومن المملوك لتفرده بفضله مقربا وهو في وقته مبرز وملك الشام بمحاسنه مطررز ومنها وفاة نجم الدين بن مصال في الثامن عشر من جمادى الاولى وقد جاعنا

(١) في الأصل : الدواب والضبط من الروضتين ١ — ٢ — ٢٣ .

(٢) في الأصل : اختانها والضبط من نفس المصدر نفس الصفحة .

(٣) سورة ياسين ، آية رقم ٧٨ .

(٤) في الأصل : أهل .

نعيه ونحن بحمص فزاد اغتمام السلطان برزئه (١) حتى جاز (٢) حده وجلس في بيت الخشب مستوحشا وحده وقال : لا يخلف الدهر لى مثله صديقا بعده واجرى ما كان له جميعه لولده وحفظ عهده وكان لجماعة من الاعيان والشعراء والادباء بعنايته من السلطان رزق فأبقاه (٣) عليهم كأنه عليه حق مستحق ومن جملتهم رجل من اولاد أبى حصينة فلما توفى المذكور قصدنى فقلت للسلطان لو أن نجم الدين بن مصال كان حيا وشفع اليك فى رزق مستحق أما كنت تقبله فقال بلى فقلت فاقبل شفاعته وهو فى دار البلى ثم ذكرت له ابن أبى حصينة وصداقته النجمية فضاعف ادراه واذهب عنه اقتاره .

ذكر الظفر بخيل ورجل للفرنج أغارت على بلد حماة

فى العشر الاول من شهر ربيع الاول (٤)

(١٩٥ ب) قال : وكان متولى عسكر حماه الامير ناصر الدين منكورس ابن الامير خمارتكين صاحب حصن بوقبيس ، وكانت طائفة من الفرنج ومن انضم اليهم من ذويان الكفر قد ألهبوا الاعمال بنارهم والهبوها بغوارهم . ولكم اغاروا على غرة وامتاروا مرة بعد مرة .

وكانت لحماة مع ناصر الدين عدة معدودة لا تبلغ مائة فعرف القوم أن أعمال حماه شاغرة فنهضوا فى جمع جم فخرج اليهم ناصر الدين فى عدته وعدته وتوكل على الله فى نصرته ونجدته وصحنهم بثقاله ونطحهم بكباش رجاله وأخذ عليهم المضايق وصوب اليهم البوابق فوقعوا فى فخاخه وفنيت شغلهم جاء الى الخدمة السلطانية بمنقبته مستقلا وينهضه مذلا وساق أولئك الاسارى والاغلال فى اعناقهم والآجال آخذة بأرماقهم فركب السلطان فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر ووقف راكبا ووقفنا راكبين وحضر الامير منكورس وترجل ولثم الأرض وتقدم وصافح السلطان وقبل يمينه بعد أن عفر بقدمه جبينه ثم أحضر الاسارى من الفرنج والنصارى « كأنهم سكارى

(١) فى الأصل : برزه والضبط من الروضتين ١ ٢ — ٥ .

(٢) فى الأصل : جاء .

(٣) فى الأصل : فارقاه والضبط من الروضتين ١ ٢ — ٥ .

(٤) قارن برق ٣ ورقة ٩٦ ب حيث أورد العماد هذا التاريخ كالتالى

فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر . وهذا هو المرجح .

وما هم بسكارى» (٥) فأمر بفتح أغلافهم وضرب أعناقهم وأن يتولى ذلك أهل التقى والدين من الحاضرين وأن يكون هلاك المشركين بأيدي الموحدين «فأعنى أمامه الضياء الطبرى الى برى عنق وتلاه الشيخ سليمان الدينى» (٦) المغربى وتلاه آخرون وكان الأمير اقطفان بن ياروق حاضرا فتقرب الى الله بضرب رقبة أحد أعدائه . قال : وجاعنى فى تلك الحالة رسول من السلطان يدعونى فظننت انه لهم لا يكفيه غيرى ولا ينهز به دونى ولما أجبتة وهو يقول جرد سيفك لهذا الكافر وخذ به ما يشتمل على سمعه وبصره فقلت انا للقلم ولا أراحم السيوف ، وانشر الفتوح ولا انشئء الحتوف ولكن هب لى ذلك الصغير لأمك رقة وغيرى ينوب عنى فى ذلك الاسير فيضرب عنقه فتبسم فعاننت منه الضحوك القتال وأقالنى وأجاب فى النوال السـؤال فقال : هذا الصغير نستفك به من المسلمين أسير ونهب لك من سـببى الاسطول بمصر مملوكا كما تؤثر أثيرا فانتهزت الفرصة وأحضرت دواتى ودرجى واستعنت بالأمير عضد الدين مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فكتب لى توقيعا وأخذت فيه علامة السلطان . ولما نزلت حررت الى المولى الفاضل رسالة فى المعنى ووصفت المملوك المطلوب بأوصاف يتعذر وجودها فسير لى فى جوابه مائة دينار مصرية عن المملوك عوضا . وقال رأيت تحصيل غرنسك مفترضا والرقيق الذى أحضره الاسطول ما فيه ما يوافقه وأجودهم يساوى ثلاثين دينارا وما رأيت ذلك مختارا وقد أخذت من الديوان عن المملوك خمسين وعن الخزانة العادلية ثلاثين ومن خاصتى عشرين فاشمر قلبى بما عف عنه السيف وما ضيعت اللين لما جاء السيف ولو أرقى الاحمر وانما أعرضت عن ذلك مخافة أن يضحك منى ذلك الجمع كما ضحكوا منى الباقيين .

قال : وعاد السلطان ذكر بعليك واشفق عليها وأزمع أن يسير اليها ودخل فصل الخريف ومالت الطباع الى التحريف وأصفرت الاوراق وأغبرت الافاق وقد تشاجرت عواصى العواصف مع الاشجار وألقت حواملها أجنة الأثمار ونشأ النشاص وربا الرياب وسحب ذيل نيله السحاب وارتجت

(٥) سورة الحج ، آية رقم ٢٢ .

(٦) قارن برق ٣ ورقة ٩٨ أ حيث وردت الربوى وما بين الحاصرتين

ورد هكذا بالنص .

ويضيف البرق (فاعنى أمامه الضياء الطبرى الى برى عنق وزهقت

علاقته بازهاق علق) .

الأرض وارتجزت السماء ووصلت النار وهجر الماء وقال الأمر للسلطان
هذ أو ان الانصراف ووقت الانحراف فقال قد بقيت فى النفس حاجة بعلمك
نقضها وعزيمتنا فى تسليها نمضيها فان المتحصن بها بحكم هواه متصرف
وعن أمرنا متوقف فنحضره ونحصره ونعظه ونوقظه وأن أهملنا أمره فربما أطمع
فينا الفرنج وأفضى بسر الشر الى الجهر على أن حق ابن المقدم متقدم
ولا شك أنه متقدم ودينه قوى وبقينه روى ولعله لا يحوجنا الى (٧) المطاولة
ولا يخرجنا الى المنازلة فسرنا على طريق الزراعة وجينا وراسلناه بالاستعطاف
والاستعفاف وداريناه لشيخوخته كالاطفال بالالطاف . وكان نزولنا بظاهر
بعلمك على رأس عينها وطالت الإقامة عليها أشهراً . وادلج المذكور فى ليل
لجاجة فلم يبد فى سفارة منه واليه صباحا مسفرا ونحن نشفق من نزاله ولا
نصدق (١٩٦ أ) فى قتاله ونرفق (٨) به على عنقه فى أحواله فتارة نخوفه
فيتجلد وتارة نرعبه فلا يجيب بل يتبلد .

ودخل الشتاء ووقع الثلج وامتلاً به ذلك المرج واصبحنا وصباحنا
أبيض ، وجناحنا لا ينهض والعروق لا تنبض والبروق لا تومض والنيران
مقرورة وشباه الجليد مطرودة والزناد كابية والاجناد آيبة ونحن كأنا من
ضيمنا فى حبوس وقد جمدنا كأنا بلا نفوس فلبدنا على المرائب فى مضارب
اللباد وكنا فى الاكنان حول الكوانين كأنا فى صوامع العباد نظرى أفلاذ
الأكباد بشى أفلاذ الأكباد فعلى المناقل الشيشيات شرايح ، وللاقتراحات
على الطهارة قرايح والسلطان فى كل بكور ركوب للصيد وله طرايد وطرايح
فما الذها شتوة وأهناها نوبة لم نر لها نبوة لكأنها كانت غفوة لم تذكر للدهر
لولا انقضاؤها هنوة وهيهات أن نرى بعدها فى طيب عيشها عشية أو غدوة .

ذكر مكرمة السلطان

قال : كتب اليه النواب بدمشق أن الاموال ضايعة وان الاطماع فيها
زايفة وقد أفنى الجود مجموع الموجود ، وأنا عند الاحتياج الى كف لم
ودفع مهم لا نجد ما ننفقه وان فى أرباب الصدقات أغنياء لا يستحقونها
وما لهم رقبة من الله يتقونها وان المصلحة تقتضى أفراد جهات لما تسنح
من مهمات فأمر بهم فى كتابه يكتب مؤامرة فجاءت مطالعة مكملة بالاسماء
مفصلة . فقال لى السلطان : أقرأها على قبدات بذكر أرباب الصدقات .

(٧) فى الاصل : أن

(٨) فى الاصل : ونرفق .

وقدمت ذكر جهتهم على الجهات ، وكان مبلغ أحد عشر ألف دينار للصدقات
وقدمت ذكر جهتهم على الجهات ، وكان مبلغ أحد عشر ألف دينار للصدقات
في مثل دمشق قليل والعطاء بحمد الله جزيل والصنع جميل فقال أكتب عليها
جميعها بالأمضاء ولا يكدر على ذوى الآمال موالى العطاء . فقلت أما أتلو
بقية الأسماء فقال بل نزهنى عن هذه الأشياء فبقيت تلك الرسوم دارة
والآمال سارة بل تضاعفت على السنين أضعافا واستضافت آلافها آلافا
ولما طال المقام على حصر بعلبك لم ير السلطان مقابلة المسلمين فيه ولا كسر
الناموس فرتب طفرل الجاندار وجماعة معه يكفون من الرجال ووصاهم
بالأ يتعرضوا للقتال بل يمنعون من الدخول والخروج ووصلنا الى دمشق
في العشر الأواخر من رجب ، وتمادى الأمر الى أن رضى ابن المقدم بحصن
بعرين وأعماله وببلد كفر طاب وأعيان نواح وقرى من بلدة المعرة ، وكان
الذى أخذ أكثر وانفع مما خلاه وما خطر بباله وما حصل له ولا ترجاه
ولا تمناه . قال : وسألنى السلطان أن أعمل أبياتا يكتبها الى مصر فقلت :

يا ساكنى مصر لا والله مالكم شوقى الذى لذعت قلبى لواعجه
أصبحت أطلب طرق الصبر أسلكها هيهات قد خفيت عنى مناهجه

ذكر المقياس بمصر

هذا المقياس موضع مبنى في عهد خلفاء بنى العباس ليعرف زيادة الماء
ونقصانه بالمقياس ، وهناك عمود في الماء مقسوم بالأذرع ، والأذرع مقسومة
بالأصابع في مسجد ينوب في الجزيرة عن الجامع تصلى فيه الجماعات والجمع
ويتولاها من العهد القديم متولى من بنى أبى الرداد (١) من هو معروف
بالنزاهة والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وقرار وخلع وتشريفات في
المواسم وحرمة متوالية المعنى سامية المعالم .

ذكر حديث حصن بيت الأحزان

قال : كان السلطان على بعلبك (٢) نازلا ولتسلمها محاولا وطال مقامه
عليها فانتهاز الفرنج فرصة الخلو واستخلوا عصر البعتو وجاءت الداوية

(١) قارن البرق ٣ — ورقم ١١٢ .

(٢) في سنة ٥٦٤ هـ هكذا وردت بالبرق . انظر البرق ٣ — ورقة

١١٢ ب والصحيح في ٥٧٣ هـ .

منهم وشرعوا في بناء حصن على مخاضة بيت الأجزان وأحكموا بناء ذلك المكان وكان يقول للسلطان متى أحكم هذا الحصن تحكم على الثغر الاسلامي الوهن وغلق الرهن فان بينه وبين دمشق مسافة يوم فيقول اذا اتموه رحلنا اليه وهدمناه الى الأساس وجعلناه من المرسوم الادراس فندعهم الان حتى يستنفذوا بقية احوالهم وينفقوا عليه اموالهم ويتعبوا (١٩٦ ب) رجالهم فاذا قصدناه عكست اموالهم والحين مالهم فنقول منعهم من الابتداء أسهل من الدفع في الانتهاء . واذا فات الفارط لا يستدرك وهو الان هين فلا يترك وهو صابر بقوة دينه ، ساكن بنور يقينه فان العاقبة الحميدة بعد سنة كانت كما جرت على لفظه من عدة حسنة . فلما انفصل أمر بعلبك لم يزل أمر الحصن من همه وقصد حصاره في عزمه وكان العام مجدبا والجذب عاما والشام لروايح (٣) الحوايج شاما وللأسعار أسعار وللأسرار استشعار وللضر استضرار وللشر استشرار ، وعلى العباد من ثقل المحل أعباء وللرجال من لطف الله تعالى رجاء على أن الأيادي السلطانية نابت عن الأنواء ونادت في الأندية بالانداء فترتعا من احسانه في مرعى مريع وشرعنا في سلطانه من منبع منيع .

نكر وصول رسول دار الخلافة

قال : ووصل في هذه السنة رسول دار الخلافة بالعارفة والعاطفة والرافة ، وهو الأجل فاضل أفضل الخدم ، وهو خاص الجهة الشريفة مخصوص بالمنزلة المنيفة ، وسر السلطان بوصوله وحل كل نجح بحلوله وببركات ذلك رخصت الأسعار ونقص الاعسار وتفرجت العيون وتفجرت العيون وسكن القرار ، وقر السكون .

كان الرسول كريما كانه في سواده انسان عين كله نور وبالحسن والحسنى مشهور وزرته فالقيته طلق الوجه بشرا واليد برا فلما خرجت من عنده سير لى من هداياه وتحفه والطافه وفرا ، ولم يدع احدا من اكابر الدولة الا وجباه بحباته ، وحياه من حيا سحبه . وكانت الجهة الامامية مالكة قد ملأت يده بمال واقر ليصل ويعود بوجه سافر فلما رايت رسولا وجه في وجاهته ونباهته وهمته ونزاهته وشغف السلطان به وكلف بقربه

(٣) في الأصل : لزوات والنضبط من البرق ٣ ورقة رقم ١١٣ ،

واستصحبه معه الى الغزاة وشن الغارة على بلاد العداء ووقف به على الحصن الذى استجده الفرنج على المشهد اليعقوبى وكان السلطان بهذا الرسول الامامى مفتبطا واليه فى كشف أسرارہ منبسطا ولما جهزه ليعود بالعطايا السنايا والخيول السبايا فرقها قبل قفوله ومن جملة ما حمل له بغلة شهباء موصوفة لا يوجد لها نظير كأنها تحت السرج هضبة من ثبير (١) .

وكان رسولنا ضياء الدين بن الشهرزورى عنده حاضرا . وقال كنت على عزم طلب هذه البغلة من السلطان وقد فرحت لك منه بهذا الاحسان فقال : انت أولى بها وبما معها . فأخذتها (٢) منه بما تبعها وفيها حصان عربى منسوب وحجرة ما لها قيمة وكان اذا أهدى له باقة ريحان حزاها بخلع حسان ، وانفصل منتصف ذى القعدة بالاكرام موصولا وبالأعظام مشمولا .

ذكر نوبة هنفري ومقتله فى اواخر هذه السنة

قال : وكانت الأخبار قد توالى على السنة جواسيس الفرنج أنهم على عزم الخروج فتقدم السلطان الى ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه وقد قدمه على عساكر دمشق أن يخرج على الثغر فى عسكره ويرتب كلا فى مركزه محترزا فى مورده ومصدره . وأقام مدة واستكمل عدة وعدة فلما كان مستهل ذى القعدة من هذه السنة تواترت الأخبار بخروجهم على الألسنة فجرى من النصر الذى لم يحتسب والنجاح الذى لا يعمون الله لم يكتسب ما وصفته فى كتاب أنشأته عن السلطان الى الأجل الفاضل ومنه :

قد سبقت المكاتب بما سناه الله وأسناه من النصر الحلو وذلك يوم الاربعاء مستهل ذى القعدة فانه فضل بنصرة خميس الاسلام على كل خميس وضيق على الأسود السود من بنى الأصفر كل عريس وخيس ، وأثمر من ورق الحديد الأخضر فى مريع الموت الأحمر منهم برأس كل رئيس . وكان الأرجاف قد شاع بخروجهم منذ أيام والظنون مرتابة والقلوب مرتاعة ، والفكر غير حاضر لأن السنة جذب ومجاعة وليس فى مقابلة الفرنج فى ذلك

(١) والثبير جبل بمكة . انظر لسان العرب ٤ — ١٠٠ .

(٢) فى الأصل : فأخذها وكذا يستقيم المعنى .

الثغر الا ولدنا عز الدين وهو في عدة من عسكرنا المنصور لا تبلغ ألفا وهو معرض بارسال الحمام. عند علمه بخروجهم لنخرج الى لقائهم فأمرناه أن يجفل البلد وأن ينور الاكام وينذر وأنه لا يلقاهم بل يتوقاهم ولا يخاطر بالجماعة الذين معه بل يحميهم ويتحماهم وفي كل يوم يرجف برجفتهم وهم متمادون متباطئون وعلى مجافلة البلد متواطئون فلم يشعر مقدموا الطلائع ذلك اليوم الا وقد خالطوا القوم فتحيروا عنهم الى الفيئة وهم دون المائة فأخرج ولدنا الرماة (١٩٧) الكماه ، وقدمهم الى العداة العتاة ليشغلوهم ساعة ويحولوا بينهم وبين طعان الحرب الجافلة ، ولم يكن في زعم العزم أنهم يستدرون أخلاف النصره الحافلة واستمرت المراماة عند تل الجارة وطلب أصحابنا طلب الملك فما تركه ممالكنا الترك حتى طرحوا حصانه وجرحوا فرسانه فحمل طلب هنفري ليحميه وأبى الله أنه كما رمى الملك الا أن يرميه وقتل دونهما برهان صاحب الناصرة ونجا الملك يجر معه الذقن وقد تجرع كأس المشجب والشجن ، وحمل هنفري جريحا وأودع بعد يومين ضريحا وما زالت الرماة يرمونهم ويرامون ويدنون ويدانون حتى نقصت الكماين وانقضت الضغائن وكانت نصره أثيلة ونوبة أثيرة ، وثورة من أعداء الله في تلك الفورة مستثيرة وحالة صدقت قول الله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) (١) وتم هذا الفوز ولم يتم مدد العسكر الغربي ورجع الفرنج من الخزي بذلك الزى وأذنتنا بطاقة الطير في دمشق ذلك اليوم بكرة بكرتهم وبادرنا الخروج لدفع مضرتهم وكشف معرفتهم فما وصلنا الى الكسوة الا ورعوس رعوسهم متوافية والبشائر دانية والطف الله كافيته والشغف بحمل السعف الينا زايد والواحد لثلاثة وأربعة من الاسارى قايد .

ذكر مسير شمس الدولة الى مصر

قال : وكان الملك المعظم فخر الدين توارانشاه بن أيوب قد ملك اليمن فلما ملك السلطان دمشق بعد نور الدين رحمه الله كتب اليه في اليمن بالتشوق والاستيحاش بالوحدة فجاء سنة إحدى وسبعين فسر بقدومه . ولما عزم السلطان المسير الى مصر في سنة اثنتين وسبعين لتجديد العهد بملكها عول على أخيه هذا في السلطنة بالشام وفوض اليه الأمر وولاه تولية مطلقة وكان بحرا في الجود مواجا يغنى بفواضله من الوفود

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٤٩ ،

بعد الأفواج أفواجا وراسله الملوك وتواصل اليه من الأطراف والأوساط السلوك . وكان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين رحمه الله مستقرا في حلب فيمن بقى معه من ممالك أبيه فجرى معه شمس الدولة على الوفاء والوفاق وسبيل الاشفاق . وأقام السلطان بمصر الى يوم عيد الفطر من سنة ثلاث وسبعين ثم رحل عايذا الى الشام ولما عاد الى دمشق جرى على عادة سلطانه وأمره ونهيه وانقطع شمس الدولة الى مواصلة لذاته وانتهت أحكام سلطنته فاقترح على أخيه تسليم بعلبك اليه والانعصام بها عليه فتسلمها له من شمس الدين بن المقدم على ما سبق فانتقل اليها يتصرف فيها ولما عن الحل رأى السلطان أن يستدعى من عسكر مصر مقدمين يتقدمون في عدة منتخبة ورأى أن الشام لا تحمل أثقال العساكر الكثيفة فرغب أخاه شمس الدولة بما زاده من الديار المصرية في قصدها وأنه يجدد بسعده سعادها وكان رحيله من دمشق بعد صلاة العصر في قصدها وأنه يحدد يوم الجمعة لست بقين من ذى القعدة وصحبه كثير من التجار والرجال والنساء والأطفال .

قال : وكتبت عن السلطان كتابا منه قد بان له وجه الصواب في استدعاء عدة متوسطة من أنجاد العسكر المصرى الانجساب بحيث يخف وطؤها وتثقل في العدو نكاؤها فتكتب الى أخينا الملك العادل بمصر أن ينتخب لنا من الأقوياء بالخييل والعدة ألفا وخمسمائة فارس وأشرنا على الملك المعظم بالتوجه الى مصر مستصحباً معه من طال بالشام بيكاره وبيان انماضه واقتاده ورأينا المصلحة في مسيره لمنافع كثيرة وفوايد أثره منها التخفيف عن الشام في مثل هذا العام وذلك بعد أن رتب في بعلبك نوابه وأقطعها أصحابه . ومنها أن في وصوله الى مصر وقد خرج منها عسكر اسما كبيرا وصيتا عظيما فان الأرجاف شايع بأسطول صقلية المخذول وخروجه ووصول أخينا يكسر من عزم العدو ويحطه من ذروة العتو . ومنها أنه اذا أقام بالقاهرة تصرف أخونا الملك العادل في البلاد بعسكره وعذب صفو مقصده في مورده ومصدره .

قال رحمه الله : وفي هذه السنة غدر ابرنيس انطاكية وأغار على خشير شيزر (١) وغدر القومص بطرابلس بعد الامان بجماعة من التركمان

(١) في الأصل : جشار شيزر والضبط من برق ٣ ورقة ١١٢٢ .

فان الافرنجية اجتمعوا وقالوا : الصواب ان نفرق عسكر الاسلام في ثغوره
بالارغالب والارهاب فاننا ان هادناهم من جانب توفر عسكرهم من الجانب
المجانب وتجرد لاصابتنا بالمصايب فاقضى الامر ان رتب السلطان ولد اخيه
تقى دين في ثغر حماه ومعه شمس الدين بن المقدم وسيف دولة على
المشغوب وصاحب شيزر بعسكره محتاط في مورده ومصدره وأمرهم
بالاستكثار (٢) من (١٩٧ ب) الرجال واستخدام نخب الإبطال ورتب ناصر
الدين محمد بن شيركوه في حمص في مقابلة القونص . وكلهم مأمور بالتنبيه
بكل صوب والاصاخة الى كل صوت رابض في مكانه واذا أحس بدناة وثب
عليها ممسك بعنائه واذا سمع هيعه طار اليها . قال : وبعد توديع السلطان
أخاه شمس الدولة أغار على بلاد الفرنج لمشاهدة الحصن الذي بنوه .

فصل في معناه : قصدنا البرج ونازلناه وما زلنا نقاتل حتى أزلناه
واحتموا بباطنه فما أخرج أحد رأسه وسنعود اليه بعون الله ونقلع أساسه
فصل آخر : وأما الاطراف فان ملوك ديار بكر اليينا ملتجون ولنا مرتجون
ومن سلطان الروم مستشعرون وبسلطاننا مستظهرون ووصل رسول
سلطان الروم قلج أرسلان يعف لنا صفاه ويوفينا وفاه ويعرض وده ويعرض
بما عنده وقد توافر اجتهدنا على أن نستميل كلا الى الجهاد ونجمع شملهم
على الاتفاق والاتحاد والله تعالى يوثق لنا موثق رضاه من أمر رحيل هذا
المرام وأمر أع مراد هذا المراد .

قال : وانتقل السلطان الى الشعراء وخيم في مروجها وسام الخيل
في أكلاء خرونها وخروجها ولما تطوخت الاعشاب وصوخت الشعاب وانتقل
الى بانياس وقد وفد من البوادي من جرى بسيله الوادي فرام أعتاب البرية
وأعراب البرية وقال : هؤلاء اذا اكتالوا السنة من الشام بلى العام بالمحل
العام وجمع عنده الجموع فبلغت الخيم الى حدود بلد الكفر وكان في كل يوم
يركب وفي خدمته الخواص ويظهر ان غرضه الاصطياد والاقتناص ثم ينزل
على النهر ويجرد فرسان الجلاذ والمقهر ويسير قبائل العرب الى بلد صيدا
وبيروت حتى يحصدوا غلات العدو ويجمعوا القوات وما يبرح مكانه حتى
يعودون (٣) بجمالهم وأحمالها موثقة بأنقالها حتى خف من زرع الكفار بالقرب

(٢) في الأصل : بالاستكفار .

(٣) في الأصل : يعود .

ولم يحصل من ذلك كفاية الغرب . وأشفق على الناس وجمع الأمراء وشاورهم في الأمر وقال : قد علمتم غلات الغلات واقلال الأتوات وظهور أعراب البادية وخفاء الأعشاب البادية وما كان بالقرب من غلات العدو وزروعه استجنائه واجتحنائه ولم يبق الا أن تنهض عساكرنا بالنوبة ونقيم بقوتها الى حين الأوبة فأجابوه بالسمع والطاعة وما زالت المقائب تنهض والطلايع على مراكزها تربض والمزارع تحصد والمواضع تقصد والثمار تصرم والضرام تضرم قال :

ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

والسلطان صلاح الدنيا والدين نازل على تل القاضي بيانياس وقد عم بالايُناس الناس وفي كل يوم يصباحون بلد العدو ويماسونه ، ويداوون جرح الجذب بما ينقلونه من الغلات ويأسونه حتى لم يبق هناك الا اليسير واجمعنا على أنا نستبيحه في يوم واحد ونسير . وكان المقدم على العسكر عز الدين فرخنشاہ بن أخى السلطان شاهنشاه وكان مخيمه على بعد من السراشق السلطاني وقدامه فلما استهل محرم هذه السنة حضر عند السلطان عمه وقال ان المقام ههنا يصعب لا سيما والحر قد تضرم ، والزرع قد تضرم وأهل الشرك هاجمون واجمون ولظنونهم فيما هم راجون راجمون فنتحول الى حيث نتبدل من الضيق بالسعة فقال السلطان ما أنجب الراى الذى رأيتموه وأنجح السعى الذى سعيتموه وقد بقى لكم أن تنهضوا الليلة أجمعين وعالى بلاد الكفر مجمعين فتجمعون منها ما بقى في مواضعها المتفرقة واذا عدتم سالمين غانمين رحلنا صوب البقاع واستأنفنا ما يعود للاسلام بالارتفاع والانتفاع .

ذكر وقعة مرج عيسون

قال : ولما نهض أصحابنا وأدلجوا وخاضوا بحر الظلام ولججوا أصبح السلطان يوم الأحد راكبا ومعه صمصام الدين أجك(١) والى يانياس فى موكب خفيف وجمع غير كثيف ووقف على الطريق وسأل الله حسن التوفيق فرأى فى تلك العياض أبقارا جافلة ، وسروجا عن مراتعها زائلة . وجاءه بعض الرعاة وأخبر أنه شاهد عسكر العداة وانهم عبروا بالقرب على قصد

(١) وردت فى الأصل : أجكره والتصحيح من برق ٣ وريقة ١٣٨ ١ .

المتعلقة فعجب السلطان من هذا الخبر واستبعده وقال : لو كان للفرنج قصد لجاننا الجاسوس فما صدق الخبر حتى جاء (١١٩٨) من أوائل العسكر من ارتاع وعجل في العود الاسراع فجاء السلطان الى المخيم وقت الظهر ونادى في متخلفى مماليكه بالحضور . وكان في اصطبله خيل عراب شددت للتضهير وجياد عتاق أعدت ليوم النفير فبدل مصونها وأصفى لخواصه صفونها وقال : اركبوا وادركوا العدو وما زال ينهض مجربا وينقب منقبا حتى انتظمت له كتيبة شهباء وساروا والخضراء من وقع الحوافر ونقع الحوافر غبراء وقلقت في أشباح الغمود الأرواح وجرت بالجمال الرياح وطارت العقبان مع أمثالها من الرايات ، وتنزلت الملائكة من نص النصر بالآيات وجرى سيل الخيل وجر القتام على النهار ذيل الليل والسلطان في موكب جلالته كالقمر المبدر في هالته ، ورايد النصر يرشده بدلالته فلم يزل يعتق ويعب حتى ترأى الجمعان ودنا الرعان من الرعان وصافحت الصفاح أشاجع الشجعان ، وطلعت في أبراج العجاج نجوم الخرسان .

واتفق أن الفرنج حملوا وبرز ابن بارزان مقدما من مقدميهم وحمل لحملتهم وقادوا يكسفون الأنوار ويكشفون الاستار فثبت السلطان أمامهم وردهم وراءهم وتضاعف المدد وترادف العدد فحملوا حملة كادت تتم ، وسر الشر متم ، وطمعن فيها صمصام الدين أجك وخشى أنها لا تتدارك فردهم خسوف الردى الى الجبل وضاق عليهم واسعات الحيل ثم أهدت بهم أسودنا أحداق النار بالجان وخاضت غمرة الهيجاء فأسر الفرنج بأسرهم وصح النصر من كسرهم ، ودخل الليل فأخفى (٢) بسواده سوادهم وقيده بخواتم الذل قوادهم وما فرس فرسانهم ، ولا شجى وشجب الا شجعانهم فان الرجال لما شاهدوا عسكر الاسلام تبدد شملهم في الوهاد والأكام فما ضغم الا كل ضيغم ولا أقدم الا كل مقدم ولم يفلت من بينهم الا الملك المجذوم وقيل ان أحدهم حملة (٣) على قفاه ثم نجا به ونجاه . وعاد السلطان الى مخيمه بعد هده من الليل ووافقت البشائر الى المعسكر المنصور بالنصر من العصر فجلس في سرادقه ونحن عنده جلوس وحول شمس من الأفاضل شمس وهو يحدثنا ويقول لولا التأييد من الله سبحانه لكان الخطب

(٢) برق ٣ ورقة ١٣٠ أ ، وردت كالتالى : فما أخفى .

(٣) فى الأصل : حمار .

خطيرا فانهم لو بدلوا بالمعسكر الأعجلوا عن الألجام والأسراج وسدوا على الكرب مناهج الأفراج ووجدوا الفرصة بادية والعرضة خالية لكن الله تعالى صد قصدهم وأعمى لخطاياهم عمدهم ثم أذن في تقديم الأسارى وهم يتهادون كأنهم سكارى فأول من قدم ابن بارزان بادوين وقد أسره من أمرائنا الأكراد محمد بن خوشترين . ثم قدم أود مقدم الداوية الكبير وأحضر هو ابن القومصية وقيد أخو صاحب الجبيل وجماعة من مقدميهم الأكابر وأنا جالس بجانب السلطان منفردا استعرضهم بقلمى فى الدستور فأجلسهم من حوله وأنسهم بقوله فأقروا بتطوله وطوله . ومن الطاف الله أنا وخواصه الحاضرون لم نزد على عشرين والأسرا قد أنافوا على سبعين وقد أنزل الله علينا السكينة وخصهم بالذلة والمسكنة فطلع الصباح ورفع المصباح فقمنا وصلينا بالوضوء الذى صلينا به العتمة (٤) ثم جلسنا حتى تم عرض المأسورين فبلغوا مائتين ونيفا وسبعين من الفرسان المتقدمين سوى من أسر أسروه فى خيمته وسوى من لا يذكر من الاتباع فانهم عدوا من سقط المتاع ثم نقل الأسرى الى دمشق واعتقلوا وبالحديد أوثقوا فأما ابن بارزان فإنه بذل بعد سنة فى نفسه مائة وخمسين ألف دينار وإطلاق ألف أسير من المسلمين وكان الفقيه ضياء الدين عيسى من نوبة الرملة عندهم فالتزمه راكمه وان يودى من قطيعته المذكورة القطيعة التى عرف بها فكافه وأما هو فإنه استفتته أمه بخمسة وخمسين ألف دينار صورية وأما أود فإنه انتقل من عيشته الى سجين فطلبت جيفته بإطلاق أسير من مقدمى المؤمنين وطال أسر الباقيين فمنهم من هلك وهو عان ومنهم من خرج بأمان .

قال : ومن حسن الاتفاقات أن الأسطول المصرى المنصور غزا فى أول هذا العام وتوغل فى الجزاير على أهل الجزاير وظفر ببطشة كبيرة فلقبها بالبطشة الكبرى واستولى عليها وعلى أخرى وعاد الى الثغر المحروس مستصحباً ألف رأس من السبى وكان تاريخ استطالة الأسطول على الفرنج بمصر فى البحر تاريخ بطشتنا بالشام من غير تأخير بحزب الكفر .

(١٩٨ ب) فما أقرب بين النصرين فى المصريين وما أعذب عذاب الفئتين وتجريعهما الأمرين من الأمرين .

(٤) البرق ٣ ورقة ١٣١ أ العشاء .

ذكر منقبة لعز الدين فرخشاه

قال : ذكر عز الدين اننى فى تلك المعركة والجولة الحالية اما عن المملكة وأما عن المهلكة تذكرت قول المتنبى :

فان تكن الدولات قسما فانها لمن يرد الموت الزؤام تؤول
ومن هون الدنيا على النفس ساعة وللبيض فى هام الكماة صليل

فهان الموت فى عينى فما أفرق بين حياتى وحينى وحكى الأمير حسام الدين تميرك بن يونس وكان مع عز الدين فى الواقعة اناكنا فى اقل من ثلاثين فارسا فقد تقدمنا من اهل الفتك فشاهدنا خيل الفرنج فى ستمائة فارس واقفين على جبل وبيننا وبينهم الماء فقال نعبر النهر اليهم ونحمل عليهم فقلت له كيف تقول هذا ويمتى تحمل عليهم فقال اذا عبرنا النهر اليهم ذلوا وتبعنا من رأنا من عسكرنا وان وقفنا لهم طمعوا فينا وجاعوا وعملوا ما شاعوا فصار اليهم وعبر الماء فما وصل الى القوم الا فى عدتهم ونل من حد عدتهم ووافق ذلك رجف السلطان ونصر الايمان .

ذكر غيبة تقى الدين عن هذه النبوة

قال : كان سلطان الروم قلعج أرسلان أرسل فى طلب قلعة رعبان(١) وادعى انه من بلاده وانما أخذه نور الدين رحمه الله على غير مراده وان الملك الصالح ولده قد أنعم به عليه ورضى بعوده اليه وأبى ذلك سلطاننا فعقد قصده ومنعه ورده وكان مع شمس الدين بن المقدم وفيه نوابه فانهض قلعج أرسلان عسكرا مجرا نزل على حصاره وشرع فى تشعيث نواحيه وأقطاره فندب السلطان ابن أخيه تقى الدين ومعه سيف الدين على المشطوب ليتوليا ازالة رعب رعبان ويرسلا الروع على روع(٢) عسكر قلعج أرسلان فنهضا وهما فى ألف وكانت تلك الحشود فى الوف مجمعة فلما شاهدوا أصحابنا قد جرى بسيل خيلهم الوادى أجفلوا من عدوى تلك

(١) فى الاصل : سبيل . انظر ابن الاثير . الكامل ج ١١ ص ٣٠٢ .

(١) رعبان مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة

فى العواصم ، معجم البلدان ج ٢ ٧٩١ .

العداوى وزال عن رعبان رعبها وأمن سربها وعذب شربها وأرجت بأرجائها
مهابة المهابة وطافت بها الطاف عصمة الله الذابة بالاصابة ، وكتب تقى
الدين توبتها الدايلة وبنوتها الزايلة وأنه فتح لم يحتسب ومنح من الله
الا بفضل له لم يكتسب وغزو الا الى تأييده لم يعز ولم ينتسب ولم يزل تقى
الدين بهذه النصر المبتكر فانه هزم بأحاد الوفا وأرغم بأعداد من الأعداء
أنوفا .

فصل من كتاب سلطاني الى مجاهد الدين قايماز (٣) بالموصل وكتب
تقى الدين باذن الله ثلاثين الفا من عسكر المذكور بألف وكانوا ضعف وقد
علم الله تعالى انه شاء فأكسرنا من سهم المهيب ومؤاخذته على رأيه المخطى
المصناب لا المصيب فان المذكور يمشى زمانه بناموسه ويؤسى نهاره من أشعة
الافلات من شموسه .

ذكر النزول على حصن بيت الأحزان

وتيسير فتحه في أقرب زمان

قال : لما ضعف الكفر بالنوب التي نابته بالبأس الاسلامى قوى العزم
السلطاني في قصد البرج وسير الى التركمان والى البلاد لجمع الراجل
فأمر بأعداد الدقيق وتكثيره للتركمان فخرجنا في جيش فضل بالقضاء ختام
قتامه وورد على الأصباح باظلامه ودارت بفوز القداح أقداحه ولاحت
غرره وأوضاحه وحملت الآلات وكملت الحالات ووصلنا الى مخاضة بيت
الأحزان يوم السبت والحصن مبنى دونها من الغرب فخيمننا منها بالقرب
ورفعنا على تلك الاكام أكاما من الخيم ورمينا من الحمايم والعمائم مسامع
الآفاق بالصمم وقلنا حصن ومكان مكين ولا بد من نظم ستار لنصب المنجنيقات
وجمع الأخشاب والآلات فركب السلطان بكرة الأحد الى ضياع صفد (٤)
وكانت قلعة صفد يومئذ للداوية وهى عش (١٩٩) / البلية وأمر بقطع
كرومها وحمل زرجونها وأخشابها واستكملت المنجنيقات كل ما يتم به
أسباب أسبابها وعاد الى المخيم بعد الظهر وخرج بعد العصر ، وجمع

(٣) فى الأصل : قايمان .

(٤) صفد ، مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، معجم
البلدان .

أمرأه (٥) وعارض بأرائهم آراءه (٦) فقال له عز الدين جاولى الأستدى تأذن لنا فى الزحف قبل نصب المنجنيق حتى نذوق (٧) قتالهم ونجرب نزالهم . فقال : استخيروا (٨) الله حيث اخترتم فنودى فى البوادرى بالاقدام والحضور فى مقام الانتقام فثاروا الى الثأر وطاروا الى الأقطار ودنوا من الباشورة وباشروها وشاقوا معاشرها كأس المنية وعاشروها .

وعهدى بشاب من العوام فى جرة الضرغام عليه قميص خلق وفى يده قضيب (٩) ودرق وقد فرع الجدار وهو يدافع ويقارع ويجالد ويماصع فتبعه ضرب من اضرابه فى الضرب وشيعه آخر على حزب الحرب فتخاذل القوم ودخلوا الحصن وأغلقوا الأبواب ووقفوا وراءها على شرافاته وأشرفوا على شرفاته وملك أصحابنا الباشورة وملأوها وانتقلوا بكليتهم اليها وكألوها . وباتوا طول الليل يحرسون والسلطان يمددهم بالامداد وينجدهم بالانجاد ويشفق من فتح الأبواب وكبسهم الناس فقيل لنا أنهم وقدوا خلف كل باب نارا ليأمنوا على أنفسهم اغترارا ولا يلقوا غوارا فقر قرار الأصحاب وعاد الجراح الى الأصحاب ثم جمع الأمراء والكبراء وفرق عليهم البناء فأخذ عز الدين فرخشاه الجانب القبلى وجمع عليه الصنائع النقبين وأخذ السلطان النقب فى الجانب الشمالى وأخذ ناصر الدين محمد ابن شيركوه بقرية نقبا وأفرد تقى الدين قسما وكذلك كل كبير شرع فى طرف وأخذ العمل فيه بسرعة والفرنج من فوقهم على السور وراء الستائر يرمون القوارير (١٠) وكان الحصن شديد البناء فحسر على النقبين اخراج حجره وظهره مضرة ثم تم النقب السلطانى وغلق وحشى بالحطب ليلة الاثنين واحرق وظن انه يقع والنقب فى طول ثلاثين ذراعا وفى عرض ثلاثة أذرع فى المقدار وكان عرض السور سبعة أذرع فما تأثر بالتعليق والتحريق فأصبح يوم الاثنين والقلوب قد أشفقت والظنون قد أخفقت ولا سبيل الى تعميق النقب للنيران الملهبة فيه فأخرج السلطان صره فيها ثلثمائة دينار مصرية وتركها على يد عز الدين وأمره أن يعطى كل من جاء بقرية من الماء دينسارا

(٥) فى الأصل : أمراؤه .

(٦) فى الأصل : آراءه .

(٧) فى الأصل : نؤوق .

(٨) فى الأصل : استخبر والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٤٠ ب .

(٩) فى الأصل وإضافى البرق غضب وكذا من المرجح .

(١٠) فى الأصل : الفواقير .

فرأيت الناس للقرب حاملين ولأوعية الماء ناقلين حتى أغرقوا النقب فعاد نقابوها فخرقوه وعمقوه ثم علقوه واستظهروا فيه يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ثم أحرقوه ووصل الخبر بأن الفرنج قد اجتمعوا بطبرية وانهم ملئوا بخيلهم ورجلهم تلك البرية فحصن الصنع .

ولما كان الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول أصبح الخميس قد حمى الوطيس وقد عض بالأسد الخيس والدنيا تضطرب والبلوى تضطرم ونحن ننظر الى السور وقد طال الانتظار ووقع من بطنه وقوعه الاستشعار ولما تعالى النهار وعيل الاضطراب وزال القرار انقض الجدار وتباشر الأبرار وتسابق الناس الى الثلثة وكان الفرنج قد جمعوا وراء الواقع حطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فيها فعادت عليهم النار وأحرقت البيوت الدانية منها في الجوانب وبلوا من كل صوب بالمصابيح فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وقد لفحهم وهج الاستعار وصاحوا بالأمان واظهروا الأذعان وجلس السلطان وقد حمد الله سبحانه وحده فمن أحضر من الأسارى عنده استنطقه فان كان مرتدا أو راميا يخرج ضرب عنقه .

وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع الحجارة . وأكثر من أسر قتله الغزاة المطوعة والرعاع الجمعة فكان فتحا هنيا ومنحا سنيا وما ظن لتوثيق بنائه وتوغير سبله يتأتى افتتاحه أو يتصور اجتياحه وكان قد بذل في هدنة لهم ليأمن الناس منهم مبلغ ستين ألف دينار فلم يذعنوا بالقرار وبلغ بالمبلغ مائة ألف فثبتوا على الاصرار .

وقال : ورأيت السلطان مستبشرا يتلألا وجهه بنور السرور وعنده رسول القومص معافى وهو يشاهد بلية أهل ملته ، وكان الحر شديدا لا يطاق ودم الشرك مباحا يراق ، وقد وقد القيظ وآن وقد الغيظ وسير من أبقاه الأسار الى دمشق فأقام السلطان في مخيم والأموات قد جافت والأحياء قد عافت وقال : لا أبرح حتى أهدم الموضع من أساسه وأعيد الرجاء في اعادته الى بأسه فقسمناه أذرا على البأس حتى / (١٩٩ ب) هدوه الى الأساس وعاد المشهد اليعقوبى مزورا وأرى الابتهاج بزيارته منشورا . ودخلت الحصن فشاهدت العجب ورأيت فارسا قد القى على النار حصانه وهو راكبه فانظر الى هذه الحمية والانفس الأبية ، وأقام

السلطان في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب ورحلنا يوم الأربعاء وعند الوصول الى دمشق مرضنا من وباء ذلك الوباء وبتن ذلك الهواء وانتقل الى جوار الرحمة أكثر من عشرة من الأمراء ومن الله على بعد الأثقاء بالشقاء (١١) .

قال : وهنا الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فمما بقى على ذكرى من ذلك ما أنشدنيہ الفتى أحمد بن نفاذه :

هلاک الفرنج أتى عاجلا وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها لما عمرت بيت أحزانها

ولأبى الحسن على بن محمد الساعاتى الخرسانى من أهل دمشق قصيدة أولها :

بجـدك أعطاف القنـا تتعطف وطرف الأعادى دون مجـدك يطرف
وقفت على حصن المخاص وأنه لموقف حق لا يوازيه موقف
أيسكن أوطان النبیین عـصبة تمين لـدى إيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح فى الدين واجب نروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ولأبى الفتح سعادة الضير الحمصى من قصيدة :

وقدت الى الأعداء جيشا عرمرما اذا أبرقت فيه الصوارم أرمدا
خميسا كسوت الجو ثوبا ممسكا به وكسوت الأرض ثوبا موردا
لها ما يريك الشمس ثاير نغمه يقلب مطرفها من الطرف أرمدا
ترى الليث فيه بالحبائب مؤبطا نزا البدر فيه بالشهاب مقلدا
طما بالمحاصر الصواهل بحرره الخضم وبالبيض المباتير أزيـدا
وأبدى من الخرصان لمعا مفضضا يعود بوشك الطعن لمعا معسجدا
فلم تبق للطغيان شملا مجمعا ولم تبق للإيمان شملا مبددا

« (١١) يستمر عماد الدين فى البرق ٣ فى ذكر هذه الواقعة وينتهى بالعبرة التالية :

« والحمد لله الذى نصر الحق وأهله وأذل الباطل وأذله تم الجزء الثالث من كتاب البرق الشامى بحمد الله وحسن توفيقه . . . ويتلوه الجزء الرابع وهنا الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن » ولكن ليس لدينا كما

هو معروف الجزء الرابع . وإنما يوجد فقط الجزء الخامس .

وللامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان (١٢) العراقى من اهل
الحلة المزيديّة فى السلطان (١٣) أيضا من كلمة :

وأوردت بيض الهند ماء رقابهم وأصدرتها تختال فى حل حمر
جلوت بها صمصامة الدين بعد ما علا متنها من بفيهم صدد القسر
هى للفتكة الغراء لا زلت (١٤) قاىما بأمثالها للدين فى السر والجهر
فأصبح فى أقصى خراسان ذكرها وفى كل قلب منه جيش من الذعر

قال : وفى هذه السنة كان طهر الملك العزيز أبى الفتح عثمان (١٥) ولد
السلطان وسمّيته يقول مولد عثمان بمصر ثامن جمادى الأولى من سنة
سبع وستين وخمسمائة . وكان أحب أولاده اليه وأعزهم وأثناهم لأعطاف
سروره به وأهزهم وهو ريحان ثمه وفينان ضمه ورأس ماله وأساس
اقباله . وكانت فراسته فيه من علم الغيب الذى أطلعه الله عليه فهو الذى
من بعده نظم سلكه وضم ملكه وجمع شمله وأبقى أفضاله وفضله ولزم
احسانه وعدله . ولما وصل من مصر الى الشام فى سنّى سبّعين برح به
اشتياقه وأزعجه فراقه فاستقدمه اليه فطلع قمره وينع ثمره وثاب أنسه
وبلغت المنى نفسه وقال : وأنشدت السلطان تهنية بقدومه كلمة منها :

(٢٠٠) / يا أسدا تحمى عرين العلى هنيئ جمع الشمل بالشبل
يا طيب الثمر بلغت المنى ثملياً بالطاهر النجل
يحكيك أقداماً ويأسا فما أشبه هذا الفرع بالأصل
ملك قضى الله له أنه على ملوك الأرض يستعلى
شملة المجموع آمالنا بنجمها مجموعة الشمل

فلم يفارق الملك العزيز أباه واستصحبه الى مصر فى سنة اثنتين
وسبعين ثم عاد به الى الشام فى سنة ثلاث وسبعين . قال وقال السلطان
عند قرب رحيله من مصر : أطلب لولدى هذا معلماً يصحبه ويتسنّى به
تأدبه وتهذبه وكان نجم الدين يوسف بن الحسين بن الجاور الى متودداً

(١٢) فى الأصل : سان .

(١٣) فى الأصل : السلطا .

(١٤) وزالت ، هكذا وردت فى الأصل .

(١٥) فى الأصل : عثمان .

ولشكوى الزمان معددا ويحب الفضل الى أهله مترددا فملت اليه ودلت عليه ورغبته في الصحبة ، وأخذت له مركوبا ونفقة ، وجاءت أسبابه موافقة موافقة فتولى الصنفى بن القابض وكان متولى الخزانة والديوان والأعمال بدمشق . أسباب **ختان الملك العزيز** : ولقد كان على الهمم من أهل التمييز فوسع الإنفاق وصاغ النحوت والأطواق وأطلق الأموال ونمق الأحوال وأول من وجد بركة هذا الطهر المبارك المؤدب فقد سعد نجمه وصح شيمه ووضع غيمه وتحلى في اللباس الذهبى باللباس الأدبى والمركب النصارى والمركوب العربى وزين المزينون وأعيدت عليهم الخلع السنية وبالسنة أعيدها وخلع السلطان علينا في المخيم تشريفاً لأحوالنا مناسبا وأمسى كل منا لذيل الاعتزاز مصاحبا ومن جملة ما حبانى به حجرة عربية وعدة لها ذهبية وعز الملك العزيز في ختام ختانه وعم الفضل والحسنى بأفضاله وإحسانه .

قال : وفي هذه السنة خرجنا الى بعلبك لتسلمها الى عز الدين فرخشاه ابن أخى السلطان وكانت الشتوة صعبة ، وكان طريقنا على الرواديف وهى عقاب يتأوها عقاب وطرقها صعب وفي ذى القعدة من هذه السنة جمع عز الدين فرخشاه من رجال بانياس وما حولها من الأعمال من جرب عادته واجتذرات عدته فصبح صعد صباح الأربعاء ثامن عشر الشهر فسبى وسلب وغنم وغلب وأحرق ما شاء الله وأخرب ومر مر السحاب وعاد بالسببا والنهاب وأبت عناية الله نصر النصارى وإسلام الإسلام ، وشق بالاصباح سراير الاظلام . قال وفي العشر الأخير من شوال من هذه السنة خرج الأجل الفاضل من دمشق الى الحج وعاد الى مصر وكان عام أول سنة أربع وسبعين حج من مصر على البحر وجاء الشام .

نكر وفاة الامام المستضى وخلافة الامام الناصر

رضى الله عنهما

قال : وفي هذه السنة وهى سنة خمس وسبعين توفى الامام المستضى بأمر الله فأظلمت الأضواء وبويغ لولده الامام الناصر فأضاعت الظلماء ، وكانت البيعة صبيحة ليلة النفاة وذلك مستهل ذى القعدة فأقرت القواعد وأمرت المعاهد وقد حضر الحبيج من المشرقين وأمثلاً الملائكة باللوين ، وتولى

عقد البيعة المباركة ظهر الدين بن العطار ولاح بشره وفاح نشره وظن انه قد تم أمره وعرفته مرضة أقعدته وعادية عدوى فأعدته وانتقل الى جسوار الرحمة التي أعمال الخير بها وعدته وتمكن من الأمر على الخلافة الناصرية مجد الدين بن صاحب وكان رسولنا ضياء الدين الشهرزورى حاضرا فحضر وبايع وأخبر بحلية الحال وطائع وبادر السلطان الى الخطبة فى جميع البلاد واهتزت بالسمة الشريفة أعطاف الأعواد ومضى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل من بغداد الى بهلوان رسولاً والزمه حتى خطب بهمدان واصفهان وعمت الدعوة الهادية بلاد خراسان ثم لما رجع شيخ الشيوخ جاء الينا رسولاً فى سنة ست وسبعين وأخذ السلطان معه الى مصر وحج منها وركب البحر وأنعم مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين/ (٢٠٠ ب) بأجراء رسمى وادرارى وهز أعطاف فخارى ، ومدايحى فى أمير المؤمنين قد سارت فى آفاق الاشراف انارات ومن جملتها كلمة سيرتها سنة فتح القدس ومنها :

ورثت من سلفى رقى لطاعته	وذلك الرق للأسلاف احساب
ما كان لولا الرضنا والسخط منه	لنا خصب ومحل واحداً واحداً
قد قلت لولا التقى ما غير صارمه	للمعمر والرزق مناع ووهاب
معمد بممود الصبح بينهم	له من الشهب أوقاد وأطنا
أبشر بفتح أمير المؤمنين أننى	وصيته فى جميع الأرض جواب
ما كان يخطر فى بال تصوره	واستصعب الفتح لما أغلق الباب
وحام عنه الملوك الأقدمون وقد	مضت على الناس أحقاب وأحقاب
نصر أعاد صلاح الدين رونقه	أجازه مبلغ فى القول اسهاب
نفى من القدس صليباً كما نفيت	من بيت مكة ازام وانصاب

قال ودخلت سنة ست وسبعين : وفى هذه السنة توجه السلطان الى بلد الروم وبلد الأرمن .

تكر السبب فى ذلك

قال : كان نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن أرتق صاحب حصن كيف تزوج بابنة السلطان قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان وهوى بغيرها وقد تزوج بمقنية وهو عليها يستخيرها ، وهى فى سر سترها وفى ضمير خدرها زهراء فى أوجها صابرة على جور زوجها تخفى بلبائها

ولا تبدى شكواها وما ذلك لوجود شين أو لعدم زين فانها تالية القمرين وثالثة النيرين سلجوقية التجار سلطانية الفخار . وكان زوجها للنساء المغنيات زيرا فغلبت عليه فمنهن نصف هو بحبها منصف ومن عيشه بملازمتها منصف وبمنادمتها مع الندماء منتظم مرتصف فاختر العجوز على الشابة وحسب أن الخطأ عين الاصابة ولكن الهوى ما عليه قياس ولا يتحكم من رجائه بأسى ولله في التوفيق مواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب .

فعرف أبوها ما هي فيه من الضرة وأبت له عزة الملك الرضا بذلة المعرة فسرّح أهل الارغاب وأوضح سبل الارهاب وأبدل الأعصار بالأعصاب فبان قرار ابن أرسلان وعزب واضطرم بتوقى التوقع واضطرب .

وكاتب سلطاننا صلاح الدين يستدنى اصلاحه ويستجدي انجاده وانجاحه وأرسل وتوسل وأعتذر عما يقال عنه وتنصل فأرسلنا الى قلع أرسلان رسلا لاستكفائه وتحذيره عاقبة خلافه فكتب يهدد ويذكر الذنوب وينشر العيوب ويقول أبيت الحكم بينى وبينه ولا بد أن يدين ويؤدى دينه ولما صاهرته جعلت له قطعة من مملكتى فاذا لم ينزل على حكمى فليعد الى ما كان بأسمى ولينزل عن تلك الحصون ليتحصن منى بالسكون فأجبناه بأنه لا سبيل له الى قصده وقد عاهدناه ولا يحسد عن الوفاء عن عهده فان تركته قبلنا المنة وان قصده ثنينا لنصره الأعنة وكان ابن قرا أرسلان لقربه من بلاد حمية يخشاه ولا يرى من يحميه ورسله وكتبه الينا متواصلة متراسلة وهم جيرانه وأقاربه الأرتقية وغيرهم عنه متفاصلة متناصلة فحميت حمية سلطاننا وتحركت همته وتصممت عزيمته وكان الفرنج قد جنحوا للسلم ودخلوا له في الحكم فهادنهم وفدى ابن بارزان نفسه من الأسر (١) بمبلغ مائة وخمسين دينار صورية واطلاق ألف أسير من المسلمين وأحضر ما تهيأ له من المال والأسارى وأحضر رهائن على الباقي والباقيين وقرر على هو ابن القومصية قطيعة مبلغها خمسة وخمسون ألف دينار وخلص الأسارى المقدمون كل واحد بقرار فلما فرغ سره من جانب الشام سار بصدق (١٢٠١) / الاعتزام وعبرنا على حلب والملك الصالح بن نور الدين رحمه الله مالكا فمنعتنا من طروقها مسالكها فجزنا على قرا حصار وعبرنا على

(١) في الأصل : بالاسنة وكذا يستقيم المعنى .

تل باشر فأضافنا صاحبها بدر الدين دلدريم وهو سخي له الجود والكرم
ووصلنا الى رعبان وخيمنا على نهر يقال له كوك سو (٢)
وزخرت بحار معسكرنا بأمواج القباب وانباح الفسراب
وجاء نور الدين بن قرا أرسلان واخوه وامتزجت النفوس وابتهجت الوجوه
ودارت الأفلاك وتزاورت الأملاك واحتفل السلطان بضيافة القوم في سراحه
وتوشيع نسارقه فكون الأكوان ولون الألوان وجمع من مكارمه البكر
والعوان، وبسط الخوان وسنماهم الاخوان وشرفهم بنفائيس الخلع وحمل لابنى
قرا أرسلان من الحصن والحجور الغريبات والأطواق والشخون والصياغات
وأحمال الثياب المستعملات المصريات ما قوم بمائة ألف دينار وأما ما أخرجه
من الخيل فلم يحرزا بمقدار ولم يبق في معسكرهم راجل الا ركب ولا عايل
الا أترب وقد نقلنا اليهم كل ما أصبحنا من اثاث ومتاع ومركوب وكراع ثم
عمل ناصر الدين محمد بن شيركوه بن عم السلطان دعوة واقتدى بسلطانه
في اظهار حسنه واحسانه ثم اختار عز الدين فرخشاه بن أخى السلطان يوما
للقرى وأجزل جوده وبذل مجهوده بل موجوده . واعتمد ما دخل في الامكان
من الاحسان وقرت بما أبداه وأبدعه عين عمه السلطان وما زلنا مدة المقام
في سماح ورباح وارتياح للمنى وارتياح الى أن وصلت رسل قلع أرسلان
ببذل الاذعان وجاء الأمير الكبير اختيار الدين الحسن بن غفراس وكان الملك
الروم الركن والاساس وأحضرنى السلطان وهو عنده وأنشأت باتفاقها
عهدا أكدت بالشرايط عقده وانصرف هو وأصحابه بخلع سنيا وحسنت
السجايا ، وأمنت الاذايا بتحف وهدايا ووثقت الأليا ووفقت القضايا .

(٢) في الأصل : كوك سو . انظر الرضتين ١ - ٢ - ١٦ . وقارن النوادر

السلطانية ص ٥٤ يقول بهاء الدين : عرف ياقوت النهر الأزرق بانه نهر
الثغر بين بهنسا وحصن منصور ببلاد الروم من جهة حلب ثم قال : نهر
الأسود قريب من الذي قبله طرف بلاد مصيصة وطرسوس .

ذكر دخول بلاد الأرمن وفتح حصن المانوية

قال : وكان ممتلك الأرمن بن لاون (١) فاستمال (٢) قوما من التركمان حتى يرعوا في مراعى بلاده بالأمان ثم صبحهم بغدره وحصلوا بأسرهم في أسره ، وكثرت شكاية المسلمين من نكايته فرأى السلطان ان الأولى دخول ولايته فسرنا بعساكرنا المنصورة وخيمنا على النهر الأسود ودمرنا على دياره بالدواير وبالقرب دنا على الجبل قلعة شامخة الذرى على رأس رأس محفوفة من نبات الافلاك بأحراش ، وهى من عقايل المعقل محصنات الحصون ، وكانت في ضمير الجبل كالسر المصون فأضرمتها الأرمن نارا ولم يحسب مع استفزادنا بداره قرارا فقصدناها وبأدنا الى اخراج غلاتها وأبرازا مودعاتها فأشفع العساكر منها بالزاد والعلف وارتفع عنهم مدة المقام أثقال المون والكف وخاف الأرمنى ودخل الرعب قلبه فأرسل باطلاق الأسارى مذكنا وبذل من مجهوده في الاسترضاء والاستعطاف ما كان ممكنا وكان الوقت متعسرا والقوت متعذرا وكان من لطف الله اذعان الأرمنى حتى مجئنا رحيلنا بالنصر السننى والعز الهنى .

وعملنا على أعمال حلب ، ووصلنا الى حماه في العشر الأوسط من جمادى الآخرة ، ووصلنا الى حمص وخيمنا على عاصيتها ، ودانت لنا عواصى الأمور ودنت قواصيتها ، والمطالب قد أشرقت مطالعها ، والمآرب قد ملكت نواصيتها .

قال : وجاء الفقيه المذهب بن أسعد الموصلى بمديحه على الرسم وكان غزير الفضل وافز العلم ، ورسمه كلما عبر السلطان بحمص مائة دينار مصرية وخلعة مئنة فمما مدح به السلطان قصيدة مطلعها :

أما وجفونك المرضي الصبحاح	وسكرة مقلتيك واثنت صباح
وما في فيك من برد وشهد	وفي خديك مسن ورد وراح
لقد أصبحت في العشاق فردا	كما أصبحت فردا في الملاح
يقرب جسوده أقصى الأماني	ويضمن بشيره أسنى الفجاح

(١) في الأصل : لازر .

(٢) في الأصل : استمال .

ومبسوط بنبايلة يداه اذا انتبضت به أيدي السباح
فمن هرم وكعب وابن سعدى رعا الشاء والنعم المراح
(٢٠١ ب) /جواد بالبلاد وما حوته اذا جادوا بالبيان القداح (١)

ذكر وفاسة شمس الدولة أخى السلطان

فى هذه السنة

قال : وتوفى الملك فخر الدين شمس الدولة تورانشاه أخو السلطان
بثغر الاسكندرية فى المجرم سنة ست وسبعين ووصل الخبر والسلطان
بظاهر حمص فجاء مزن خزنه بالقطرات ، وفاضت عين عينه بالعبرات
وتقلص ظل صبره وتنقص ورد عمره وخلا ذلك اليوم فى بيت خشبة يندب
فضل أخيه فى كرمه وحسبه واستدعى كتبا فى المراثى متألما يتأملها ، وكان
كتاب الحماسة على حفظه فدام ينشد أبيات مراثيها ، وينشد ضالة معانيها ،
وهو يتأسى ويتأسف ويتلهب ويتلهف .

وكان شمس الدولة أكبر أخوته قد فضلهم بجوده وفضله ومروته ،
وهو لا يبقى مالا ولا يذر وكم اقتضت من غرايب رغايبه وأبكار مواهبه
العذر .. ولما ملك صلاح الدين مصر رأى أن تلك الممالك لا تبقى بمكارم أخيه
وان كل من يدخر لهم جوده لا يبقيه فجهزه الى اليمن فى سنة سبع وستين
ففتح بلادها وحازا طرافها وتلادها ثم لما ملك الشام استدعاه وجرى من
الأمر ما ذكرناه ونوابه فى زبيد وعدن وسائر بلاد اليمن جارون على السنن
ويحمل اليه من أمواله ما يجمله عن خزائنه الجود على أنه يضيق عن همته
السحة الوجود .

وودعه فى آخر سنة أربع وسبعين وسار الى الديار (٢) المصرية وحكمه
فى أعمال ثغر الاسكندرية واتفقت وفاته بها . قال : ولقد كان مقبلا على

(١) قصيدة طويلة وردت فى الروضتين ١ ٢ — ١٧ والكلمة الأخيرة فى
البيت الأخير وردت اللقاح .
(٢) فى الأصل : ديار .

ومايلا الى زولى فيه (١) مدايح ومنها مدحة خدمته بها عند وصوله من اليمن ولقائه للسلطان في حماه يوم الثلاثاء ثمانى صفر سنة اثنتين وسبعين وانشدت يوم السبت سادسه بالمخيم فى الميدان وهى التى اولها :

صب لتذكرك أهـل الجزع ذو	جزع اطاعه دمعـه والصبر لم يطع
وكان يطمع فى طيف يلم وقد بان	الرقـصـاد قـمـا فى الطيف من طمع
يا لا يما يدعى نصـح المحب ولم يترك	له وجده مسـمـعا ولم يدع
اتعبت نفسك تنهى غير متبع	حكم الملام ويلحى غير مستمع
أن يجدى لومى فكم فى الجود عاشقه	تورانشـاه كـلـنا غير مرتدع
هو الجواد الذى عشق السماح به	أفضى الى امد فى الجود مخترع
يارايدا للخصب أن تقصد ذراه تجد	فى ظله خير مصـطـاف ومرتبـع

قال : وكتب شمس الدولة الى السلطان قبل وصوله بخطه كتابا ضمنه هذين البيتين :

كتبت ولولا أن قلبى واثق بقرب التلاقى وما حوته الاصابع
ولو لم أعد انسان عيـنى فاته يراكم سريعا غرقته المدامع

فسألنى الملك الناصر أن أجيزهما ليكتب اليه فقلت :

بنفسى وما أحوى وروحى ومهجتى	كتاب لأسباب الفضائل جامع
يخبر عن قلب حوته أضـمـالـع	ويوم النوى قلبى نفته الاضـمـالـع
ومن عجب انسان عيـنى ظاميا	وقد غرقته فى الميـاه المـدـامـع

فلما وصل شمس الدولة الى تيمـا وقرب من الشام نظم شاعره المعروف بابن المتـجـم جواب الـابـيات وكتب :

ولبيته لما دعـانـى منـازـعا	بنفسى ومـسـالى والمشوق منازع
وانى بيوم واحد من لقائه	على عظم المـزـية بايع
(١٢٠٢) وما الملك الا راحة انت	زندها يـضـم على الدنيا ونحن الاصابع
فيا برق طالعه بائى واصل اليه	وان طـال التردد راجع

فأجضرنى السلطان عند وقوفه على الكتاب وحثنى على نظم الجواب
وذلك يوم أول (١) شوال واعتمدت لسرعة أمره الارتجال فكتبت قصيدة
طويلة كتبتها اليه ومنها :

تألق برق مى تهامة لأسمع يبشر أن الله للشمل جامع
يحساكى خفوق القلب منى خفوقه فهل راعة مثلى من البين رابع
لقد طال ليلى لانتظار صباحكم فهل لتباشير الصباح طلائع
صفت وضفت فى الجود منك وفى العلى مشارع بالحسنى لنا وبدائع
كانك شمس الدولة البدر بيننا ونحن حواليك النجوم الطوالع

قال : ولما أقام بدمشق وفد الى جنابه الوفود وأمنى موجوده الجود
وشفه بالواردين بحر عطائه المورد ، وما زال يفكر فى اطلاق ما يليق الى
من الجائزة ففرض لى من فرضه عيذاب مواهبه الغراب وأمر فى توقيعه
بها النواب وحسب ما أعطانى العطاء الحساب ، ولم يكن قط فى توقيعه
تعويق فقلت : قد أحالنى البحر على عيذاب ودونها مهامه اذا قطعها
الحديد ولم يع ذاب ومن لى بها ومن لاستدنائها وتقريبها فقييل لى
أدنى هباته من أقصى اليمن وعيذاب على كل حال أقرب من عدن فأدرجت
التوقيع فى كتاب الى المولى الفاضل وأودعته الخريطة السلطانية وثوقا
بالوصول فوصلت الى مصر وقد سار على عزم الحج على طريق البحر
ففسرت اليه تلك الخريطة فاتفق وصولها ساعة ركوبه بحر عيذاب فتسلم
الكتاب وأحضر النواب وعرض التوقيع وفض الجميع فما رأيت عطاء منه
أهنا ومن المن والأذى أبرأ وما عرفته الا من العوارف الفاضلية .

ذكر وصول الرسل من الديوان العزيز

قال : وفى رجب سنة ست وسبعين وصلت رسل الديوان العزيز
الامامى الناصرى وهم صدر الدين شيوخ الشيوخ أبو القاسم عبد الرحيم
ومعه شهاب الدين بشير الخاص بالتفويض والتقليد والتشريف الجديد
فتلقيناه بالتعظيم والتمجيد . وقد عرف السلطان ما بينى وبين شيوخ
الشيوخ من الأواصر الموشجة المتمازجة واللحمة المتمازجة فان أولاده من
ابنة عمى العزيز فأمرنى بالوصول اليه والمبيت عنده ليلة وصوله الى

(١) فى الأصل . من وكذا يستقيم الكلام .

القصر فخرجت أوان العصر. ودخلت اليه وسلمت عن السلطان عليه وبس طول ليلتي أسامره وركبت سحرا من عنده لأسبق بالدخول وأخبر بالوصول فجيئت الى السلطان وقد ركب للاستقبال ولما ترأى الرسل الكرام ووجب لهم الاكرام والاعظام نزل وترجل وأبدى الخضوع وتوجل ، ونزل الرسل اليه وسلموا عن أمير المؤمنين عليه فتقبل الفرض وقبيل الأرض ثم ركبوا ودخلوا المدينة وانزلوا بنزلهم السكنية وأنشروحت الصدور واستشجرت الوجوه بصدر الدين وبشير وظفر السلطان من صدر الدين بصديق صدوق مثبوق. مبشور. وكان قد عزم على قصد الديار المصرية وسلوك طريق ايله والبرية فحبس لبشير الشيخ الشيوخ صاحبته ، ورغبة في زيارة الشافعي فقال قد عزمت على الحج فأقبلوا عذر المحتاج المحتج ثم قال : أصل معكم الى القاهرة بشرط اقامة يومين ولا أدخلها وانما أسكن التربة الشافعية فأنزلها وأسير منها الى بحر عيذاب وأركبه الى جده فلعل أدرك صوم رمضان بمكة وأغتتم وأقيم وأقضى الحج اذا حل موسميه فأجيب الى المقترح وأعاد السلطان أصحابه الى بغداد ليأتوه من أيتها الى الحجاز ، وسير السلطان شهاب الدين بشيرا في جواب رسالته على رسم غبطة الديوان العزيز وجلالته وسار معه رسولنا ضياء الدين الشهرزوري لهدايته الى المراتبة ودلالته واستنصحننا شيخ الشيوخ معنا الى مصر فأقام يومين كما ذكر وتوجه منها الى مكة على البحر فأدرك بها الصوم .

(٢٠٢ ب) / ذكر الرحيل الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب

والوصول الى القاهرة ثالث عشر شعبان

قال : ولما عزم السلطان على التوجه خص ابن أخيه عز الدين فرخشاه بالنيابة عنه بالشام وقلده أمر أجناده وأعماله بسبائر أحواله وشجذ عزمه وأنفذ حكمه . ولقد كان عزيز المثل عزيز الفضل معقود الضرب محمود الضريبة مخصوصا من قبول القلوب بالمهابة المحيوبة والمهية المحبة .

ولقد جرت مدة ايلاته أحوال دمشق على أحلى حالة وله عنقذى آياد وغايات في المكارم ومبادى في مديح طالت قصائدها وجالت في الأعناق قلايدها وأذكر في هذا الكتاب ما هو شرطه ورسم شرحه وبسنته وكتب

اليه يوم توديعه كلمة شينية عظم شأنها وتمم بالاحسان احسانها وسير
لى مع فزوة واكديش عطاء لم يترك اسراعه للحمد ابطاء ومن أبياتها :

اسأل الله العلى ان نعيش الف عمام لفرة مستجيشا
رعبكم يقلع القلاع ويضحي الرعب ههنا للحمد من بأسكم منقوشا
ما اكرى شيئا سوى فزوة منك وأبقى لسفرتى اكديششا
كيف يخلو من ذى ظهر وظهر سالك طرق ايله والعريششا

قال : ولما نزلنا ببصرى الى مصر متوجهين جلست فى خيمتى وحولى
أصدقائى المودعون مجتمعون فقال أحد الجمالين قد وقف لى جمل وما لنا
فى صحبتته أمل فأبغ جملا نبتاعه والا فقد حصل على الأرض متاعه . وعندى
صديق قام وغاب وتركنى أخاطب فى ثبرى الجمال الأصحاب ثم عاد سريعا
ومعه ثلاثة من حجاب ثلاثة من الامراء المودعين وقالوا سمعنا بابتياحك
الجمال لحمل الأثقال ، وقد أتينا بخير ما عندنا من الجمال فعرفت أن ذلك
الصديق قام وقصدهم وقال : ان كنتم تريدون ان تتقربوا الى فلان بما
يقبله فسارعوا الى اهداء الجمال له فشكرته على هذه المكرمة ونسقتها
فى عقود مكرماته المنتظمة وهذا الصديق المعروف بموفق الدين أبى يعلى
حمزة العنزى من أعيان حماة وأماثلها . وكان ذا همة تروى المكارم من
مناهلها وأراد فى تلك التوبة أن يصحبنا الى مصر فاحتاج السلطان الى من
يعول فى الرسالة عليه الى الموصل فنصصت عليه واحضرته للمشافهة بين
يديه فكتب له وودعته وسرنا وسار وشب شوق الأجابة فى القلوب النار
ووصلنا القاهرة على طريق ايله ثالث عشر شعبان واستقبلنا أهلها والملك
العادل أخو السلطان حينئذ بمصر نايه وتلقئنا مواكبه ومواهبه وخدمته
بكلمة منها :

أحبة قلبى طال ليلى بعدكم أسى فمتىلقى بوجهكم الفجرا
فقدت حياتى مـذ فقدت لقساكم فهلا أخذتم فيه من تاره حسرا
لقد عاد أنسى وحشة بفراقكم فهل لحياتى منكم نشأة أخرا
سكنتم فؤادى وهو فى نار شوقكم كما عاد عرف الدهر بعدكم نكرا
وقد كنت مفقرا بأيام وصلكم ولا يأمن الأيام من كان مفقرا
قطعنا الى بحر النداء بحر قلزم ومن قصد بحر النداء يقطع البحرا
الى عزمة فى المجد غير قصيرة وكان قصارى امرنا ان نرى القصرا

تال رحمه الله : وفي أوائل سنة ست وسبعين توفي صاحب الموصل وهو سيف الدين غازي بن مودود بن زكي ونحن مقيمون على كوك سو من حدود بلد الروم وجلس مكانه أخوه أحمد عز الدين مسعود بن مودود بن زكي فجعنا رسول مجاهد الدين قايماز وهو الشيخ الفقيه فخر الدين أبو شجاع ابن الدهان البغدادي يلزمنا بحكم اليمين مع سيف الدين وقد سير معه بنسخة اليمين التي حلف بها السلطان وفيها إبقاء سيف الدين على ولايته وأنه لا يغير على نوابه وأخوته . وقال هذا أخوك (١) الذي حلفت أنك لا تغير عليه فبأي تأويل تقبض ما في يده فقلنا أما تلك اليمين فانها منوطة باتمام الحياة ولا يلزمنا الوفاء بها بعد الوفاة / (٢٠٣) ونحن نرى رأينا فيما نعتمده ونحله في الأمر ونعتقد ، ونطالع الديوان العزيز النبوي أعز الله نصره ونمثل في ذلك أمرنا واعدنا الرسول على عادة الأكرام بالثشريف والانعام ، وشرعنا في العود الى دمشق واليقين من الله بتسديد مرامي المرام .

قال : وأقام السلطان بمصر مشغلا بمصالح الدين والدولة مشغلا من نعم الله على التفضيل وبالجملة محتفلا بمجالسة العلماء ومذاكرة الفضلاء والجلوس في دار العدل للمظالم وكسر المحامد بالمكارم ونحن في لهية وعيشة رغدة بل هنية . قال : وفي هذه السنة عريت كتاب كيمياء السعادة (٢) تصنيف الامام أبي حامد الغزالي في مجلدين وفزت من تعريبه وعلم ما فيه بسعادتين وذلك بأمر فاضلي لزماني امثاله وشملني في اتمامه اقباله . قال : وفي سنة ست وسبعين مات صاحبي المعتمد ابراهيم (بدمشق وأنا بمصر) (٣) وفجعني مصاب كمصابه وفل شسبا نصبري لفل شسبا شبابه وقد كان بمصالحى كافلا وجهده في صتون حوائجى باذلا خدمنى في أول أيامى بالعراق وفراسة والدى رحمه الله دلت على ما وجدته فيه من الاشفاق ومما رثيته به قصيدة أولها :

أرى الحزن لا يجدى على من فقدته ولو كان فى حزنى مزيدا لزدته

(١) فى الأصل : أخوه وكذا يتطلب السياق .
(٢) قارن الروضتين (١) ج ٢ ص ٢٠ . انظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية (٢) مقال الغزالي .
(٣) فى الأصل ما بين الحاصرتين مطموس والضبط من الروضتين ج ٢ ص ٢٠ .

تغيرت الأحوال بعدك كلها فلست أرى الدنيا على ما عهدته
عقدت بك الآمال بالنجح واثقنا فحلت يد الأقدار ما قد عقدته
أردت لك العمر الطويل فلم يكن سوى ما أراد الله لا ما أردته
فيا وحشتنا من مؤنس قد عدمته ويا وحشتنا من صاحب قد فقدته
فقدت أحب الناس عندي وخيرهم فمن لا يمي فيه إذا ما أنشدته

قال : ودخلت سنة سبع وسبعين

والسلطان مقيم بالقاهرة ، والايام ظاهرة الليالى زاهرة ، والدولة
العالية ضاحكة المباسم مالكة المرايم مهتزة الاعطاف ، معتزة الأطراف ،
سنية اللطاف ، والانعـم مستمرة مستقرة ، والأعين قريرة والألسن مقرة ،
وأفـامل الأنام بالدعاء الى الله مرفوعة ، وأدعية الصالحين فى ذمام دولته
مسموعة ، ولرواية الأحاديث النبوية رواء ، وللأرواح من أورادها أرواء .

وكان البندهى المسعودى فصيح الحجة ، صبيح البهجة ، عالى
الرواية ، حالى الدراية يؤدى بقراءته رواية الصحاح صحيحة ، وتسمع من
الفاظها الفصاح فصيحة وتسمع من ألفاظ السلطان قد عين له
للسماع ميقاتا وجمع به من العلم والعلماء اشتاتا فما أحسن شـمـايله
وأشمل محاسنه وأزين محاسنـه وأحفل مزائنه وأمكن فضائله وأفضل
أماكنه .

قال : وفى هذه السنة ورد كتاب عز الدين فرخشاه من الشام يذكر
ما من الله تعالى به على الأنام من الأنعام ، وإن ولادة التوم كثرت فى هذا
العام فأنشأت رسالة توامية أصدرتها الى الأجل الفاضل فانه يعرض فى
سوقه بضاعات الفضائل ومنها :

لئن أتمم العام بالحنين وأتى بالحسنين فمزال لكل قد توأمان فللعـدل
العمران وللدهر القمران وللمسماء سوى توأميها الفرقدان وللأرض « مرج
البحرين يلتقيان » (١) لكن الزمان لم يزل بمثل مولانا الفاضل عقيما ولسولا
صحة فضله وحصاة أفضاله لكان الدهر سقيما فهو واحده وأوحده وماجده
وسنـيده وبراعته أم البراعة (٢) قد أتممت ملكى مصر والشام وعززت من القن

(١) سورة الرحمن آية رقم ٢٠ . (٢) فى الأصل : البراسة .

بثالث بيمن الاسلام ، والملك تواما الناصران نبأس الباسل العباسى بالامانة
كفيل وجود الماجد الايوبي فى نيابته وكيل ، والمال والنصر تواما نعت فخره
وتميما نحت نجره ، وكوكبا سعد فخره ومركبا جاش حزمه وموكبا جيش
عزمه وكذلك النظم والنثر (٣) تواما الفضل ومولانا الفاضل مربيهما ، وهما
نجيبا بنانه وجنيفا عنانه وانسانا عين بيانه فلا جوار لهما من جور عنساد
الدهر الا عنده ولا رواح لرجائهما بين كرام العصر الا فى سوته ومجده .

(٢٠٣ ب) ذكر وفاة صاحب حلب الملك الصالح رحمه الله

قال : قد سبق ذكر الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل نور الدين
رحمه الله ، وانه اقام مقام ابيه واقام عند وصول السلطان الى الشام
على تأبيه . وكان قصد صلاح الدين اصلاحه وان يضمه اليه ويضمن نجاحه
وفلاحه فصده عنه مماليك كفلوه فأخذت بلاده كلها بلجاجهم وفرضت دولته
لسوء علاجهم فامتنع بحلب ويعد عليه من استعادة البلاد ما طلب ولم يزل
بحكم المسئولين عليه مكفولا ولا يجد لحلف رأسه عقولا فأسرعت شمس
البازغة افولا وسعت سعادته عنه قفولا .

ووصل صاحب الموصل عز الدين مسعود الى حلب فجمع ظاهره
وباطنه وأخذ خزائنه وأخرج دفاينه وأخلى كئائنه ثم عرف أنه لا يستقر له
بها أمر فرغب أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فى تعويضها له بحلب
فمال الى بذله ورغب وتسلم حلب وسلم سنجار واقام فى رغد لو أمن الجار .

ولما سمع السلطان بوفاة الملك الصالح فى مصر تحرك عزمه واحتد
أواره وندم على النزوح من الشام مع قرب هذا المرام وشرع فى جد الاهتمام
وصدق الاعتزام وكتب الى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو
يتولى له المعرة وحماه وأمره بالتأهب والريوض لفرصة التوثب وكان نايبه
بدمشق عز الدين فرخشاه قد نهض فى مقابلة الفرنج فان الابرنس الكركى
كان يحدث نفسه بقصد تيمنا فى البرية وأعد لذلك الأزواد والروايا مع
السرايا السرية فحركت عز الدين دواعى الحمية وبواعث النخوة الدينية
فعرف السلطان اشتغاله بذلك المهم وانه لا يتفرغ لدفع الملم فشحن عزائم
نوابه بالشام بتجديد المكاتبات لهم وبعثهم على الاستعداد وحملهم (١) وكان

(١) فى الأصل : وحمايم .

الأمير معين الدين عبد الرحمن بن صاحب راوندان (٢) في حضنه وهو يشتد بركته فكاتبه بما أرفف حسه واستشف في المساعدة جده .

فصل من كتاب اليه من مصر في أواخر شعبان سنة سبع وسبعين وقد عرف ما تجدد من وفاة صاحب حلب وهي ولايتنا التي لا نثنى عنها عنان الطلب فانها في تقليدنا بأمر أمير المؤمنين وما تركناها للملك الصالح بعد التصرف فيها وحصول حصونها ومعقلها في أيدينا الا رعاية لحقوق أبيه ورغبة فيه ، ولا مانع اليوم عنها الا من يمين معقودة ولا عدة معقودة ، وقد وثقنا المتوفى بعهدده والآن فقد سفر لنا وجه الحق وبان ودنا لنا مصعبه وأصبح ودان . وولدنا تقى الدين هناك بالقرب وعساكره جارية على حكمه وعزيمتنا معقودة بما هي عزمة فلتكن ايديكم متساعدة متعاقدة والقلوب واحدة .

ومنه ومعين الدين ينهض بنفسه وبعسكره ويؤثر في هذا المقام حسن اثره ويعمل عمل المرء لنفسه وينتصف ليومه من أمسه .

وقال : وحررت في المعنى مكاتبة الى صاحب مجد الدين استاذ الدار العزيزة في منتصف شهر رمضان سنة سبع وسبعين . ومنها أصدر مملوك الدار العزيزة ثبت الله قواعدها وشدها بعري النصر معاقده سعدتها مطالعاته التي أعرب فيها عن صاحب الموصل فانه طمع في جانب وطمح اليها ومد يد التعدي بالاحتواء عليها ونكث الإيمان البرمة ونقضها وترك المراقبة التي فرضها الله ورفضها وأن حلب وأعمالها داخله في ولايتنا التي يشهد بها شريف المثال وينطق بحقه المنشور العالي الموقع له من به العظمة والجلال . ومنها ورسوله الى الفرنج يستجديهم في شغلنا وينغريهم ويبذل لهم الرغائب ويضربهم وقد راسل الحشيشية والمراد من الرسالة غير خاف والعلم بالمعتاد منها غير كاف وما تهيأ للمذكور الوصول الى حلب الا بسبب غيبة ابن أخينا في أقصى بلاد الفرنج في أول برية

(٢) الراوندان . قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة من نواحي حلب ، معجم البلدان ٢ - ٧٤١ .

ثيماً (١) وهى دهليز المدينة على ساكنيها أفضل السلام واغتتم كون البرية معشبة فى هذا العام قفنا ابن أخينا أثره ومنع الكافر المخذول وصد قصده ولم يعلم بوفاة ابن نور الدين رحمه الله الا بعد عودته ومن العجب أن نحامى عن قبر النبى صلوات الله عليه مشتغلين بمهمة والمذكور ينازع فى ولاية هى لنا ليأخذها بيد ظلمه وكم بين من يحارب الكفر ويحمل اليهم قواصم الآجال وبين من يتخذهم بطانة دون المؤمنين وتحمل اليهم كرايم الاموال وبين بعيد من دار الخلافة المعظمة يفترض الطاعة / (٢٠٤) ويستفرغ فى مراضيتها الاستطاعة ، وبين آخر يدعى انه اقرب جيرانها ولا يمت بل لا يموت الا بعصيانها وكل يعمل على شاكلة أصحابه فهو يمرى بيد المرير اخلاف اخلافه ونحن لا ندين الا بطاعة الامام ولا نرى ذلك الا من أركان الاسلام هذا مع ما نعد من سنابق فى الملة الحنيفية والدولة الهادية العباسية لا يعد مثلها أولا لآبى مسلم لأنه أقدم ثم عام وأمال ثم آلام ولا أحرا لطفر لبك فانه نصر ونصب ثم حجر وحجب وقد عرف ما فضلنا الله به عليهما فى نصر الدولة وتطهير المنابر وحسن الادعياء واطلاع أنوار السمات الشريفة كاشفة لظلمة تلك الاسماء وإنارة صباح الهدى بعد امتداد رواق الضلالة والمذلومة الظلماء ولم يفعل ما فعل لأجل الدنيا فأجزا منه بالحسن طولع فى الأخرى غير أن التحدث بنعم الله واجب والنجاح بالخدمة الشريفة والافتخار بالتوفيق فيها على سجيته غالب ولا غنى عن بروز الأوامر الشريفة الى المذكور بأن يلزم حده ولا يتجاوز حقه فلا ولاء بذله من خليفة يقترب بها المضاد ولا وراثة له فى أرض الله فان الأرض لله يورثها من يشاء ، فان أطاع وأتاب ورجع عن الخطأ وعاد النصاب والا فما قضدنا الا أن نقاتله وهو لأمر الخلافة المعظمة مخالف ونحن طايعون والمشار اليه متصامم (٢) ونحن سامعون .

ومنها فان جنى جان على الدولة العباسية بالنيابة عنه فى ذلك لا يقرب من دخل معتقده وتنكب نهج الحق وجوده فالأولى تقليد المذكور جميع الولاية فان دخول الأيدى المختلفة من الأعداء شاغل ويحتاج الى مفرم ينفق فيه العمر بغير طایل وبقاؤنا فى هذه الدار القليل اللبث القصير

(١) بليد فى أطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام معجم البلدان ١ — ٩٠٧ .
(٢) فى الاصل : متصامم .

المكث يؤثر أن نغتنمه في الخدمة الشريفة النبوية والطاعة الامامية في مجاهدة العدو الكافر الذي صار له البيت المقدس محلا للارجاس ومضيت عليه دهور وملوك لم يحصلوا من رجائهم تطهيره الا على الياس . هذا وما بنا بحمد الله قصور عن أن نصده عن قصده ونرديه ثوب العجز برده ونكيل له بضاعة ونعثره في عثير اسراعه وقد طالع الديوان العزيز بطيحه مستشفعا ولشرح قصته مستوفيا ولعذره في جميع الاحوال مبليا ولا غنى من نظره السامى ليكون للاحوال متوليا ولراية الحق معليا لازال لذخاير الحمد مقتنيا ولقواعد المجد مبينا ورايه اسمى .

قال رحمه الله : وفي هذه السنة سنة سبع توجه الابرئس بالكرك الى تيمنا وتقرب من المدينة النبوية على ساكنها السلام فشد عز الدين فرخشناه واستعد ووجد التوفيق الالهى وجد وتوغل في البرية وما زال على مقابلة الابرئس حتى نكص ذلك اللعين على أعقابيه وأذله عز الدين بحق باسه فبطل ما كان في رأسه (١) .

وقد جرى ذكر ذلك في الكتاب الذي انشئ الى الديوان العزيز وأعرب عنه باللفظ الوجيز . قال وفي هذه السنة توجه السلطان الى ثغر الاسكندرية وخيمنا عند السوارى وشاهدنا بسنا قدومه أشعة زند الاقبال الدارى وشاهد الاسوار (٢) التي جددوها وأمر بالاتمام والاهتمام بالاحكام .

وقال السلطان : نغتنم حياة الشيخ الامام ابى طاهر بن عوف وهو اسمعيل بن على بن عوف فحضرنا عنده وسمعنا عليه موطأ مالك بروايته عن الطرطوسى في العشر الاخير من شوال . وتم له ولأولاده ولنا السماع والوالى بالثغر المحروس فخر الدين قراجه وقد ارتفعت بحسن سيرته عن تلك البلاد السماجة . وفرعنا منارة الاسكندرية وقضينا منها عجا وخرجنا من البلاد ولم نقض على الكمال اربا وعدنا الى القاهرة في ذى القعدة وشرع السلطان في الاعداد لسفر الشام واستصحب العسكر الهام وضربت على البركة بالبركة مضارية وكتب بحركته الى الآفاق وتحركت كتايبه فكتبت مفاشير البلاد وقسم عسكر مصر قسمين فقسم في ثغورنا بحكم الملك المعادل

(١) في الاصل غير واضحة وكذا من المرجح .

(٢) في الاصل : الأسواق .

وقسم في الصحبة ووصى كلا من المقيمين بملازمة الثغر الذي هو فيه ، وأمر بهاء الدين قراقوش باتمام السور الدائر على مصر والقاهرة ، وأمره بمواد العدد الوافرة وأقام الى آخر السنة للحل والعقد والابرام والنقض وسيأتي ذكر رحيله في آخر السنة ان شاء الله تعالى .

ذكر آفة ضيافة

قال رحمه الله : كان الامير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ لشمس الدولة نايبا بزييد ثم استقاله وانفصل وناب بزييد أخوه حطان وكان قد ابتاع من السلطان الناحية المعروفة بالعدوية وعدل أحوالها بالعمارة السوية وهو من أهل (٢٠٤ ب) المجد والأبوة والفضل وال مروة وكانت بينى وبينه صداقة بصدق العقيدة معتودة ومقاربة بزمam النسب الأدبى والجسب العربى مقودة وربما أقام بالعدوية أياما وهى ذات جفان وعيون وأفنان وحدائق فاخرة ، وهى على الحقيقة جنة القاهرة فدخلنا اليه بها يوما وذلك فى أول السنة فمضينا فى جمع من الأفاضل منهم شمس الدين ابن الفرائش قاضى العسكر ، وموفق الدين أبو يعلى حمزة بن الحسن العنزى وجمال الدين الفقيه والشاعر أبو على الحسين بن رواحه حتى قربنا فقربنا القاضى واستقبلنا وتلقانا فوفى كلا حقه من السلام والترحيب والاكram وترجلنا ودخلنا دارا دارت له الاقدار بالاقدار ووردنا عذبا عدا لم تطرقه يد الاكدار واجلسنا فى الرواق كالمالك والماليك فى الروق قيام واستيقظ لحظنا ناظر الدهر وصروفه عنا نيام ، وما زلنا فى جد ومراح حتى طما على نهر النهار من الليل السيل وجر على الآفاق من جلابيب غياهبه الذيل فازهرت نجوم الشموع فى أبراج تلك الأروقة واشرقت شمسها للشموس المشرقة وما منا الا من زكت أثمار غرسه وذكت أنوار شمسه ونثرت عقود نظمه وكثرت نقود فهمه حتى تبسم الصباح وسعت ينابيع النور من ساحل لجة الديجور فأصبحنا على ما أمسينا عليه من جوار وار وشعار من العار عار . وقال الامير الأديب : ما تقولون فى نزول النيل فقلنا : لأمرك الاتباع وحكمك المطاع فركبنا عثساريا مخضت بالمحاسن عشاره وأغرب من نجاره العربى نجارة فتوسطناه شمسنا والبدور على الاطراف والماليك محيطة بشرافاته المحيطة بالاملاك والاشراف ، وأنفاس الصبا تصبى النفوس وشموسه الحجال تحجل الشموس والمركب صاعد ونازل والراكب جاد وهازل ، وعندنا كل طيب وطاهر وبهى وباهر وزاه

زاهر ثم استوت السفينة واحوتت عليها السكينة وملنا للخروج وعدنا الى الجاوس وقلنا : قد اطلنا واحجرنا وأملنا واضجرنا فان اذنت فحلف اننا لا نقوم بل نقيم وانه يتكلف بكل ما نروم ولا نريم ، فذبح من الغنم قطيعا ، وصنع قرى وسيعا ، ثم راينا اننا نستريح بالقيلولة لعزم البيوتة فقمنا وقلنا ومال بنا الكرى وملنا ولم ندر ان النور غيور والأصل عثور فما شعرنا حتى ايقظنا الارتياح والارتياح وتقطعت بالتواصلين الاسباب وأصحاب الامير تشاوروا وتشاوروا فقلنا ما الخبر وهم غشا صفونا الكدر فقالوا هذا الامير قراقوش قد احدث ببسيطة هذه الحديقة لقبض الامير وقد شغلته مسامرة الحادثة عن الحادثة السمر ففرقنا وتفرقنا وركبنا اذ انكبنا ونتقنا ولا عطف احد على احد ، ولا اخذت يد بيد حتى عدنا الى القاهرة متأسين متأسفين ملتهبين ملتحفين ، وكل من يلقتنا من اصدقائنا يغطبنا بالداعية ويقول كنتم على الامير مبارك مباركين فلم لما اخذ كنتم له تاركين وهلا كنتم في المكروه له مشاركين فنقول : هذا قدر محتوم وسر للغيب مكتوم ، وشاع عند سلطاننا سره وأعجبه امرنا وأمره ونقول ما اسفنا على تلك الحلاوة التي مرت ومرت والطلاوة التي سادت يوما بعدما سرت واجمدت العقبى ووجدت العقبى .

ذكر السبب في القبض عليه

قال كان خواص السلطان اذا خلوا به ذكروا المذكور وان له الذخر الوفور وانه استوعب اموال زبيد واقنى الاماء والعبيد ، وكثر كنوزا تأبى ان تبيد ولو حضرت ملأت البيد فيقول ما عليه بسبيل ولا لما تذكرون دليل ، وقد اغناه الله في دولتنا فلا نفقره ، وعظمه بعظمتنا فلا نحقره ، فكانوا يتمتعون من هذا الحديث ، ويتقولون عليه الأقاويل ، ويحققون فيه الاباطيل الى يوم الدعوة العدوية ، واشتغاله باشغالها وتحوله اليها لاجوالها ، واستدعاء آلات من البلد واحتفاله بجمع المطرف والمتلد . فقالوا للسلطان ان سيف الدولة اليوم في همة عظيمة وحث عزيمة ونهز هزيمة ، فان لم تدركوا مات ، وهيئات هيئات ، فأمر بهاء الدين قراقوش بأن يعدى الى العدوية العدوى وان يركب (١) الجد في احضاره وجدوى فجاءه فجأة على تلك الحالة ولما رأنا عنده عرف اختلال تلك المقالة فأركبه على عادته الجميلة

(١) في الأصل ركوب وكذا يتطلب السياق .

وعزته الجليلية ونحن معه/ (٢٠٥-١) وللأمير قراقوش عاتبون وسرنا إلى
العصر حتى وصلنا إلى القصر فأفرد الملك العادل له فيه داراً ورتب له
والأضياف من وصايف الطعام والشراب ادراراً فسمح السلطان خاصته
بثمانين ألف دينار ولم يظهر فيها بيع متاع ولا استدانة عقار وعزم لاخوى
السلطان الملك العادل وتاج الملوك ما حافظ به على نهج كرمه المشكور (١)
وخرج مشرفاً مكرماً وزاد السلطان في تكريمه ورفع مرتبته ونفذ اليه خط
يده بأن المبلغ دين في ثمنه ثم باعه أملاكاً بمصر بثلاثين ألف دينار وبذل له
كل ما طلب عن ائثار واختيار.

وكان هذا الأمير من رجاحة عقله وحصافة فضله ما سمعت منه قط
شكوى ولا حكاية فلى بلوى ، وقتل أخوه حطان بزبيد وأخذ ماله فلم يظهر
للسلطان منه كراهة وكل شيمه نراهة ونباهة قال ومما أنشدني لنفسه قوله
في حال أحضرت .

وهيفاء ما زالت عساكر حسنها	تغير على العشاق ثارة ثائر
لها في احمرار الخد خال مورد به	خضرة شفافاة للنواظر
فقلت لها ماذا النجيع الذي أرى	وهل صيغ خال قبله من جواهر
فقاتل وقد لاح الخياء بوجهها	حالت جيوش البحر بين المجاهر
سفتك دماء واشتتقت مزائرا	فما ذاك الا من دم ومزايير

قال وفي هذه السنة تقرر مع سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن
أيوب أن يمضى إلى بلاد اليمن وزبيد وعدن ويقطع (٢) بها الفتن (٣) ويتولاها
ويولى ويعزل ويستثبت ويستبدل . فصار بعد منسليها إلى الشناسام
وجرت مملكته فيها على أحسن النظام وذلك في سنة ثمان وستين
ووصل إلى زبيد وخط حطان عن رمحته فاستشعر وأوى إلى بعض الحصون
في ذروته وأمنه وبنيكه وزال مخافته وأظهر له رأفته ومأرجه ومأرجيه

(١) في الأصل : المشكوك وكذا من المرجح .

(٢) في الأصل : مطبوسة وكذا من المرجح .

(٣) في الأصل : القين .

(وناغقه وأمنه) (١) واثّر له في داره وأدخله الجنة وهو في ناره وهو يقول :
أمرى بتمشية مشيتك يتمشى وملكى بتوشية تدبيرك يتوشى وأنا في مراد مرادك
اتغدى واتعشى فقال له حطان : أنت السلطان ومنك الاحسان وفي تخلية
سبيلي لك الامتنان وقد تأكدت منك بالامان الايمان فقال له ما أردتك عندي
الا ليري رأيك زندي ثم أذن له في الانفصال الى الشام وهو يبدي الكراهية
ويريه أن لعيشته بمقامه لديه الرفاهية فجمع حطان كل ماله من سبب ولبد
ولجين وعسجد وياقوت وزبرجد وآلات وعدد وحصن وحجور غراب ومال
أنفذه من اليمن بغير حساب ثم قدم أمامه أحماله وأثقاله وظن أنه نجا وفاز
وركب الاوقات فورد اليه ليودعه ثم يشيعه ويركب معه فلما دخل اليه
اعتقله وسير وراء ماله من أقفله والى خزانته نقله ثم أنفذه الى بعض
معاقله فحبسه ثم قتله ومما ذكر السلطان عن خبر ذهابه أن نيفا وسبعين غلافا
من غلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الاحمر المنقذة وقوم المأخوذ بالف الف
دينار ، وأما صاحب عدن الامير عثمان الزنجيلي (٢) فانه لما سمع بسيف
الاسلام تجهز الى الشام قبل ان يحطم كتطم حطان بالخطام .

ذكر عاطفة مستغربة

قال : اقام الملك عز الدين فرخشاه بعد أن صار السلطان الى مصر
بالشام فهاب ورجى وأمل وخشى فعن للفقيه العلم خطيب مرة أن يزور
على السلطان مثالا يتضمن له مثالا شبه فيه بالحظ السلطاني وخطى ووقع
له أن يصيب بالتوقيع وهو المخطى فعرضه على عز الدين فما خفى عليه
تزييره ودار في الايقاع به مع انه من اهل العلم تدبيره ، وهابه العلم وارتاع
وارتاب وأجاب غراب البين ونوى الاغتراب ووصل الى مصر وهو مرتعد
ومرتعب وقد سير عز الدين بالتوقيع المزور الى مصر نجانا وترقب في امره
بالعنف جوابا فما تحدث السلطان / (٢٠٥ ب) بحديثه بل أذن للعلم في الدخول
وأجلسه الى جانبه وأكرمه وسأله فيما وقد الأجله من مطالبه وأسنه بالبشر
والطلاقة وصان ماء وجهه من الأراقة فقال له : أية حاجة أوعدتك وأية ضرورة
من قرب الأهل بعدتك فهل كتبت اليها بالغرض فكنا نعد قضاءه من المفترض
فقال له : اصدقك عن حالي وأخلى بالي المشغول عن بلبالي قد جرى مني

(١) كذا . ما بين الحاصرتين غير واضح .

(٢) في الاصل : الزنجاني .

كيت وكيت فضاق بى بعده البيت فقال : هذه القضية تعزى بك الى التفريب
وانت تثرى بمأمولك ولا تثريب ونحن نحقق ما عدوه مزورا ونودع روح
المعلى فيما احضر مصورا وامرنى بأن اكتب له توقيعا يضعف ذلك الادرار
وكتب له بخطه الاشرف وشرفه بالكسى والمسال واعاده الى الديار فتعجب
الناس من هذه الرغبة الغريبة والصنيعة البديعة فعادة السلاطين الانتقام
ممن يزور على توقيعهم بالايقاع الشنيع والعقاب الفظيع فخالف تلك الطباع
وخرق ذلك الاجماع وابدع مع عفوه الاصطناع .

وقال ومن كرمه وحلمه انه كان له امام يصلى به وهو يكتب مثل خطه
فاطلق به اموالا واصلح وانجح بتزويره لاصدقائه احوالا وآمالا ولا يشك
صاحب ديوان ولا متولى خزانة فى انه صحيح وبالجود صريح فلما دام سنين
انكشف وشارف عند السلطان التلف وجلس خواص السلطان وامراؤه عنده
يغرونه به فمنهم من يقول تقطع يده ومنهم من يقول يقتل ويعلق جسده
فلما فرغوا من حديث العقوبة جذبتة المثوبة وقتلت له بالعجمية سرا تهبه
للقرآن فقال وهبته مرضاة للرحمن فتنفس خناقه وعجل وكاد يحبس اطلاقه
وابقى عليه خيره حين استبدل به غيره وصار بعده للملك العادل اماما وبقي
شغله معه مستداما وعزم ذلك الامام على الحج ذلك العام فودع السلطان
وقال له اجعلنى فى حل فقال السلطان : بل انت تدعوا لى فى حلك والاحرام
وثق منى عند عودك بالبر والاكرام .

ذكر سهوة تطير

قال : كان السلطان عشية توديعه لأهل مصر جالسا فى سرادقه آنسا
بفيالقه والمجلس غاص وعارض فضله بتلك العراض عراض وكل واحد
منا ينشد بيتا فى الوداع ، ويورد أحسن ما قيل فى برج النزاع وهو يقول
ما أعبق هذا الشميم وأطيب هذا النسيم ، وما أزهى هذه الأزهار وما أسحر
هذه الاسحار فأخرج أحد مؤدبى أولاده رأسه وصوب للتنفيس كرية أنفاسه
وأنشد مظهرا لفضله :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فلما سمعه خمد نشاطه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض وكأنه نطق بما هو كائن فى الغيب فانه ما عاد بعدها الى الديار المصرية حتى انتقل من دار الغفران الى غرفاتها العلية .

قال : ومن جملة نسج المعلمين فى القول ما حكاه لنا شيخنا أبو محمد ابن الخشاب بالعراق قال : وصلت الى تبريز وقد أحضرني رئيسا فى داره وقد احتفل فى رابعه بمباراه وأجلس ولده بين يدي ليقرا بعض ما تلقنه على فقابلت احسانه باحسانى وقرظت ذلاقة لسانه بلسانى وقلت فرخ البسط سباح فقال معلمه وكان حاضرا نعم وجرو (١) الكلب نابح فخجلت من خطأ خطابه ومقصوده ان يذكر قرينه ولا يبالى بعينه قريرة أم سخية ودأب آداب اولاد الملوك والرؤساء لاجترائهم على أعزة اولادهم الاجتراء على الآباء وانما يصلح لجالسة الملوك من يتحفظ فى كلامه ويتيقظ حتى فى منامه ويوافق محبة مرامه ويلازم مهابة مقامه ويجرى فى عقود النقود وخصوص الفصول على نظامه وختامه .

ذكر بطشه فرنجية وقعت الى البحر (٢)

فصل من كتاب الى الديوان العزيز بشرح ذلك : وجرى عند ذلك من الاتفاقات الحسنة فى هذه السنة ان بطشة كبيرة من مراكب الفرنج مقلعة من بلد لهم يقال له يوليه تحتوى على ألفين وخمسمائة نفس من رجال القوم وأبطالهم وهم على قصد زيارة القدس فى الساحل فالتقتهم الريح الى ثغر دمياط المحروس بجدهم المنكوس فغرق منهم الشطر / (٢٠٦) وشمل الباقيين بأسرهم الأسر وسقط الفرنج فى أيديهم وحصل منهم فى الأسر زهاء ألف وستماية وستة وسبعين نفسا ذل لها جانب الكفر وقامت بها على الكفرة الفجرة حجة النصر . قال : ودخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة والسطنان لمضاربه (٣) مبرزاً والايما لعساكره مجهز ومصر قد أبرزت أثقالها وحقت « وألقت ما فيها وتخلت » (٤) وقد خفقت قوايب الدوابل وانتظمت بحار

(١) فى الأصل : جره .

(٢) فى الأصل : بحر .

(٣) فى الأصل : مضاربة واللام لازمة الاضافة لاستقامة السياق ،

(٤) سورة الانشقاق : آية رقم ٤ ،

السوابح وأطردت جداول الصفايح وخرجت المعارف للتوديع والاششيع
للتشيع ونحن على العزم الصريح السريع وما منا الا من استكثر من الطهر
والزاد واستظهر بوفور الامداد وعزمنا على الرحيل من بركة الجب خامس
المحرم على طريق صدر وايلة ثم كانت منازلنا على الجسر ووادي موسى ووصلنا
السير بالسرى حتى قطعنا بعد خمس ليال الى ايلة العقبة وسمعنا بأن
الفرنج مجتمعون بالكرك لقصد الطريق فصممنا العزائم على جمعهم بالتفريق
وشحذنا الجدود وأنفذنا الى اطرافنا الجنود ثم فرضنا عقبة شتار وذكرنا
الاورار وشددنا بالقسى الاوتار فلما وصلنا الى القريتين اقمنا لتدمير العدو
واغرنا تلك الايام العشرة على طرف بلاد العدو ونواحيها وأزلنا نقوش عروشها
بمواحيها وأنبتنا فى ثنايا تلك الثغور من بيضها بيض أفاعيها فمكثنا على
أنهم بغارتنا يسمعون وفى غزوتنا يطمعون فما برحوا من وراء جوارهم ورأى
جدواهم فقال السلطان ازوادنا ما تفى بالمقام ومعنا خلق كثير من الخواص
والعوام فأقام فى كماته المجردة وقال لآخيه تاج الملوك بورى : خذ الناس
معك واقصد بهم على طريق مأمونة يمينة فسارت آلايه منتظمة واتخذت الدجنة
جنة وأدلجنا وسار (١) السلطان على سمت الكرك وبيننا وبينه وهو مقابلنا
فى العرض مسافة يجمع ويقصر فيها الفرض فوردتنا البشائر بنصر عز الدين
فرخشاه وظفره وأنه غنم وعاد بكرم مآثره وحسن أثره وسأذكر شرح هذا
الظفر بعد انتهاء هذا السفر . ثم اجتمعنا بالسلطان بعد اسبوع على الاردن
ثم جئنا الى بصرى وهنا استقبلتنا أنعم الشام وتلقتنا أيام من الايام وجاء
الملك المنصور عز الدين فرخشاه وقال قد نال الاسلام باقباله ما كان يرجوه
والكفر ما كان يخشاه وأقرت بجماله وجميله الأعين والألسن وشهدت له
شواهد فضله بأنه المحسن المفضل وجنت الينا دمشق ثميراتها ووجبت بحكم
الشوق المسارعة الى دخول جناتها ووصلنا الى دمشق يوم الاثنين سابع
عشر صفر ووجه الدولة قد سفر ودخلنا منها الى جنة النعيم وفزنا منها
بالمقام الكريم .

ذكر ما تم بنهضة عز الدين فرخشاه

قال رحمه الله لما عرف الفرنج رحيلنا من مصر وجمع من الناس ومن
التجار وأهل الشام الذين تغربوا خوف الغلا من الشام اجتمعوا الى الكرك

(١) فى الأصل : وصار .

للقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة التهويق أو يتفنون على بعض العقاب ويتطرقون للأطراف والاعقاب فعرف عز الدين فرخشاه بدمشق هذا الخبر فنفر وجمع جموع الشام واغتنم خلو بلادهم من حمايتها وفراغها من كماتها وتسببها على رعاتها فنهض اليها نهضة شمري مشمر وصحبها صباح مدبر على الكفر مدمر وأغار على دبورية (١) وجاز الى حبيس جلدك بالسواد وهو شقيف طالما شقى باشقيائه أهل البلاد فأسعد الله عز الدين فرخشاه بفتحة المبين وتم به ذل الكفر وعز الدين ، فجاءت خيبة الفرنج من ورائها وقدامها وتنوعت عليها في صحة عزمه أقسام سقامها ولما استقر بنا المقام مدحت عز الدين فرخشاه بقصيدة طويلة اذكر فيها سعادته بهذه الغزوة ، ومطلعها :

الى الاحباب ذنب
له جفن وجنب
فيكم وعلى صعب
الحشا فالبعد قرب
لدر الدمع ثقب
وجيران وصحب
اقمار داجية وشهب

حتى متى يجفى المحب اله
والام تثبوا في محبتهم
(٢٠٦ ب) /سهل عليكم ما الاقوى
يا ظاعنين وهم نزول في
من شوقكم ابدا بأهدابي
لى بالعراق فديتهم أهـل
بهم ارى الدنيا فهم

ومنها :

وديارهم شرق وغرب
لغيث الجود سحب
اكفهم للبيض عقيب
وله معز الدين قطب
وبعض مدح الناس كذب

كيف اللقواء ودارنا
من آل أيوب السذين هم
القوا صوارمهم كأن
فلك يدور من العلى
المدح صدق في علاء

ومنها :

لها قلوب القوم قلب
من حوله الارماح هـدب

وكان أرشمية الرماح
وكان سيفك ناظر

(١) دبورية بلد قرب طبرية من أعمال الأردن ، معجم البلدان

وعرفت أن وكيدهم إلا لسيفك لا يرب
بأس وجود أن ذكرتهم فمن عمرو وكعب
عليك علمت الفصاحة كلنا فالعجم عرب

قال : ونعت عز الدين بمعز الدين تميزا له وتفضيلا ، وقد حسنت البلاد بمحاسنه وزينت بمزائنه ، وأخصبت بوجود جوده وسعدت مطالعه بمطالع سعوده ، وله مهابة ومحبة في قلوب القبول وتناسب وتناسق في عقود العقول .

ذكر نهوض السلطان الى طبرية وبيسان

قال رحمه الله : ولما ألقينا بدمشق عصا النوى عاد لنا الى ذكر الغزاة الهوى وقال السلطان : لا راحة الا في التعب ولا دأب لنا غير الدأب ، وكيف لا نغتنم طيب الزمان وفرصة الامكان ، والعساكر بحمد الله ماضية الغزائم مضية الصرايم ، وبرز بجموع العساكر والبحور الزواجر وأغار على طبرية وبيسان (١) وفتك وهتك وكسر وأسر وسل السيوف وقتل الالوف وأذل الانوف ، وكانت وقعة شديدة ونوبة للهداة مبدية وللعداة مبيدة . واستشهد من المؤمنين رجال الى حمى الحمام عجال وعاد السلطان ولحزبنا القاهر قبول واقبال ولحرب الكفر الباير أوجال وأوجاع (٢) وكانت عودته من غزوة طبرية رابع شهر ربيع الأول ، وكان مخيم السلطان في هذا الفوار وعاد اليه في الغزو والفواز ، وطال مقامنا به وبلينا بأحبتنا بمكروه ، ولم نقدر على اجتيابه فان ماءه ثقيل وهواءه وبى وبيل وجوه عاقد وجواه واقد وعيونه أجون (٣) وما لساكنه سكون فالحيات أتراب أترابه والضفادع جازات ضيائه والاساور أساور أحجاره والافاعي مشاجرات أشجاره ، فخفت على مزاجي من انحرافه ، وأشفقت على نشاطي من انصرافه وأنشأت رسالة وعرضتها على الاجل الفاضل في تلك المنازل وسميتها برسالة الحيات من الرسائل وهي التي من الفاظها : المملوك في منزلة عيونها سخينة وقطافها ثخينة وفوارها فوار وانجادها أغوار وساكنها غير ساكن،

(١) في الأصل : بنيان .

(٢) مراعاة السجع تقتضى أوجاع وأوجال .

(٣) في الأصل وشجون .

وقاطنها غير آمن وجدا جداولها علاقم ، وخبا جنادلها أراقم ، وحياتها موحيات وناقثاتها نافذات ، تسعى ملتويات وتلتوى ساعيات كانها ترك الترك سهامها والقسى ، وألقت السحرة حبالها والعصى أو نبذت السرايا بالعراء السراء وقيدت الغزاة بأذاهم/ (٢٠٧) أساورها الاسراء ، ساعيات بالشرك كالاقلام السعيات ، تاليات بالسنتها آيات النكيات ، كانها صاغت من سنابلها الخلاخل أو أراغت من لوازمها الغوايل أو رمت للمساوى مساويكها للنسك ، ووضعت للعصيان غضبها الفتاك أو حذفت للقارع وراء الغيظ الفرسان وناورت في المأزق على ايمان الشجعان المران ، ثقال الرعوس فانها قصب الغرور ، وهى حطب الخطب وخشب الاشيب وخراعات المحن وقذافات الاحن وحذافات السفن وجاريات القدر وحادثات العبر ، من طوال كحراب الزنج وقصار كبيادق الشطرنج ، واوساط كاسواط العذاب ، سراع كأنامل الحساب ، وخاطفات كبارقات السحاب ، ومارقات النشباب ، مشجرات في الأشجار كأنها أغصانها مستكنات في الاحجار ، كأنها خباتها نواظر بعيون كالجمهر أو كالشرار ، كوامن تحت الصخور كأنها أسرار قلوب الاشرار ان صعدت في الصعاد فالاسنة ، وان اشفقت في اجهاد الجياد فالاعنة وان تعلقت بقوايمها فاشباه الاشباح ، أو قيود القيود كالرياح ، وان التفت على اذيابها فكالامطار ، وان نشبت في سبورها فكالأسبار من خضر كضغابيس الخضر وهم كفرايس الحضرة ، تخفف كصوائح الاصداع أو كنافخ الصواغ أو كباشق الاتراك أو كألوية الافلاك وبتير كأيدى السارقين ، وسود كأعمال المجرمين ، قوابل كأطماع المغيرين ، فواتك كأسياف المغيرين مخذولات كالأزمة في الهرين بهامات كالكرين وقامات كاتساع الوضين ، تنساب كجداول البساتين وتنثنى كأغداق العراجين وتعدم في دار الديموم كانما تسبح وتعم كالاساطين كان البطاح بها أجم واوهاد بها أكم والرمال منها غروق ، وكالنبال لها مروق ولذوى الاودية منها أقلام ولرعوس الجبال منها أعلام ، وكأنها مكاحل كحالفنا الشريف وانيساطه ، وصفارته أشباه العهود واهب الفهود أو حنك الشهود أو سكك اليهود أو نكل ذوات النهود أو أذئاب النمر وأعضاب الخيول وأنياب الفيول ، أو طوامير الكتاب أو مسامير الأبواب من كل غليظة متعطفة على دقيقة منوقة ، رشيقة كالخوص وأسهم الوتر على الحقيقة ومن كل رقشاء اذا استلخت من جلدها ، ألقت كم درع وأبقت حديد ذرع وسوداء كصحيفة المجرم كصفحة المتلوم ، قصيرة مقصرة الأعمار ، دقيقة جليلة الاخطار ، رشيقة كسهم الراشق ، نحيلة

كجسم العاشق خفيفة كخفافة الباشق ومن كل صل شجاع كلص شجاع
ومن كل اسود سالح وابتر نافح واثم شامخ واصم باذخ وأرقط كالوشى
المتنم كأنه رشا المائح أو قصبه الماسح أو صعدة الرامح ، أو كأنه سجل
الحاصد أو مبضع القاصد ، أو كأنه مزمار الزاط أو زنار القبط ان استدارت
فدركه التارس ، وان استقامت فخشبة الحارس ومن كل أقرن كان فى رأسه
سنابق سنائين أو فى حجاجه سراجين ، أسود تفرق بين المرء وحياته فهو
غراب البين ، حنش فى أنفه خنس فى خيشومه فطس فى عقه قعس ،
ناظره نار أو دينار انقرب فتوار ، وان تلوى قصم سوار هامته مستديرة
كالرحى وأنياه عضل كالمدى مدرع بنظر عيناه من وراه قيتر ، أو كأنها
النسيم عض وجه الغدير ، لسانه كذبالة الشمعة عند النضنضة وشدقاه
كفكى عجوز عند المضمضة تكش كشيش البكر ، وينش نشيش القدر ،
أهابه لاذ ونابه فولاز ، وعطفه مايل ، ووشاحه حایل ومنه خایل سمة قاتل
فهذه حالة هذه الحلة فى همامها وهومها وسمومها ، وهواؤها وبى وبيل،
كل صحيح غير النسيم عليل بها نفقت سوق الأطباء وخفقت سوق (١) الاحباء
وضعت جسام الأجسام وتضاعفت أقسام الاسقام .

نكر مكرمة للملك عز الدين قرخشا

قال : ولما رحل السلطان من الفوار الى رأس الماء (٢) والأرض طيبة
الهواء أرجه الأرجاء والخيم قد نزلت بواورها وانتظرت أوایلها ليصل بها
أواخرها وأنا ساير فى موكبى صاير الى مصرى ، وقد نزل الملك معز الدين
فى مقدمة السراشق السلطانى على مرج بهيج ، وروض أريج وعين
تعرف بأمر الدنانير وقد بسط عليها قدام مضاربه من البسط الموشاه الموشعة
التخير فلما أبصرنى قال : هذا العماد ساير وهو علينا عابر فنادى بى الى
ناديه ووردت حلول واديه فوثب لى مكرما ورحب بى منعا وأجلسنى الى
(٢٠٧ ب) / جانبه معظما ، وقد أحضر عنده بطيخ أعدت بدوره أهله ، وأقامت
صدوره على طلاوة ظاهرة وحلاوة باطنه أدله ، ومكث ساعة هوأنا مجالسه
ومحاوره ومؤانسه فقلت له : هل عرف المولى أن هذه العين تعرف بأمر الدنانير

(١) هكذا فى الاصل ويرجح أن تكون قلوب .

(٢) ميدان فسيح للحرب فى حوران على بعد نحو عشرين ميلا من

Damascus Chronical, p. 306.

انظر :

ولا نظير لنضرة رياض دولتك فى هذه الروض النضير فاعتقده منى بطلب الدنانير تعريضا واخفاه فى نفسه الكريمة ، ثم تعجل رحيلنا صوب الشرق ، ولما خيمنا على بعلبك عابرين خرج الينا صارم الدين خطلخ واليها وأخرج الى مائة دينار مصرية فى صرة وواصل أيدى بره بميرة من حنطة ودقيسقى وشعير ومن الاغنام والطيور كل كثير ، وناولنى كتابا من مخدمه معزا الدين مضمونه تبريح لوايح الاشواق والتصريح بلواذع الفراق أننى ما نسيت عين الدنانير فسيرتها وعينت المحمدة وتخيرتها فكتبت فى جوابه ما أكرم من اتيت فى يدى وأقر ما قر من عان أبى الطبيب ولله در الجود البكر المولدى ولا سيما وبكر حمدي واسطا فألبثت وأطلت الرسالة بذكره وخلدت ذكرها كتخليد ذكره ثم تعجبت من تيقظه للمكارم وتحفظه من المكاره وما بينه للكرم غير الكريم التائه وجمعت فى مدحه وحمده نظما ونثرا بين المحكم والمتشابه.

نكر مكرمة مشتركة

قال رحمه الله : كان السلطان بمصر زوج احدى خطاياهم أمهات أولاده لامير كبير من اكبر أمرائه ، وكانت عند السلطان فى موهبة متسعة ومرتبة مرتفعة ، وكانت لها فى الخزانة رواتب ممضاة ، ووظايف مجراة ولها نفقات وميراث ورسوم وكسوات فلما وصلنا الى الشام قال لى السلطان: فى بعض الايام اكتب الى مصر بقطع ما لفلانة من صلة ورواتب (١) متصلة فقلت له ما يستحسن ما نكارى ووافق ايثاره ايثارى وشكرنى على التنبيه شكر النبى للنبيه وبقيت تلك النعمة مدة عمره عليها داره وتلك المسيرة بها بارة هذا على أنه لم يكن لى بها ولا بزوجها معرفة الى حسن المناب عنها داعية ولم تعها منى فى القضية اذن واعية ، ولا ذكرت هذا الاحسان ولا عقدت به الامتنان وانما ذكرته الآن من المكارم السلطانية ومنايحه السنية.

نكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات

قال : ولما وصل الى الشام اظهر الى قصد حلب صدق الاعتزام وانه لا بد له من استضافتها للامن من آفتها ، ولما عاد من غزوة طبرية وبيسان توجه على سمت بعلبك وخيم بالبقاع . وكان قد وعد اسطول مصر أن يتجهز الى بعض بلاد الساحل ليوافقه عليه ، ويسير بعساكره اليه فجاءه الخبر بأنه

(١) فى الأصل : وراتب وكذا يستقيم السياق .

وصل الى ساحل بيروت (١) فبادره السلطان بعسكره جريدة فلما وصل رأى أن أمر بيروت يطول ، وكان قد سبى الاسطول منها وسلب ، وظفر من غنيمتها بما طلب ، فأغار السلطان في تلك البلاد وأتى في تخريبها واحراقها بالمراد ورجع وأعاد الملك معز الدين (٢) الى دمشق ليقوم في سد الثغور وتسديد الأمور بالنيابة .

وسرنا لقصد الشرق وجينا الى بعلبك وخيمنا بمرج عدوسة أيما ، وأحكمنا أسبابا ، وسببنا أحكاما ، ورحلنا على حمص على طريق الزراعة ونزلنا على العاصي مذهبين لله بالطاعة ورحل السلطان ووصل الى حماة وكانت حماة للملك المظفر تقي الدين عمر وهو معه فأمره أن يرتب أمور ذلك الثغر لئلا يتبعه فامتثل الأمر وما فارقته ونقل الأمراء ورافقه وسار فلما قرب من حلب تردد عزمه في المسير اليها والعبور عليها فما شئعنا الا برسول مظفر الدين كوكبوري بن علي كوجك يشير بعبور الفرات وحضور تلك الولايات . ووصل مظفر الدين واجتمع بالسلطان وخلا به لخلابه واغرائه بالممالك وارغابه وقال له : أنا مواليك والمعالي فيك وصديق صديقك ومعادي معاديك ، وهذه البلاد لك وليس من النصيح أن لا أدلك وأنا لديك وبين يديك ، فإذا ملكت تلك الممالك ، وسلكت تلك المسالك فحلب تبقى من ورائك وأنت بعد ذلك على إثار عزمك ورأيك والا فحلب تشغلك عن الأمور ومهماتنا والجزيرة وولاياتها ، ولك المحبة العامة والمهابة التامة فإذا عبرت الفرات سلم لك الأقاليم أقاليمها ، وجمعت لك طاعات العباد صناديدها (٣) ، وما زلت شوقا اليك على حران حران وإلى الرق من ورد خدمتك ظمان ، وهي لك مبذولة وبأوليائك مأهولة . والرها لا تعتبر أمرها والركة لرقك والخابور في انتظار خبرك ، إودارا دارك ونصيبين / (٢٠٨) نصيبك اذا ظهر استظهارك وملك الموصل يوصلك الى الملك وما هذا أوان الونا وهل يقدم أحد على عصيائك وأنا أنا ثم عبر مظفر الدين الى بلدته عايذا وبنصرته واعدا وحليت صورة اجتهداه ، وتليست سورة (٤) أحماده ، ووصل البحر الى الفرات وتبدل بالغنى فقر المقفرات

(١) في الأصل : غير منقوطة الباء والياء .

(٢) عز الدين فرخشاه . وقد أطلق عليه لقب معز الدين بعد حربه مع الفرنج في بيسان وانتصاره عليهم .

(٣) في الأصل : عناديدها .

(٤) في الأصل : صورة .

خيمنا على الفرات من غربى البيرة ، وارتاعت العدى من عدوى سطوتنا
المبيرة ، ومد الجسر كما امتد على الطريق السطر . وكانت البيرة قد طمع
فيها صاحب ماردين واستولى على مواضع من أعمالها فلما سمع بنا تخلى
ابن الياس الارتقى وشرعنا فى تهيئة أسباب العبور وبدأنا بنقل الاثقال تلى
السفن ليحصل من مخاطرة الزحام على الأمن ، وضرب كل منا خيمته بالجانب
الشرقى يحول اليها رحله وامددنا من معاقل الأرض بعدة من السفن .
والخلق كثير والجمع جم غفير فلما جزنا الفرات وجمعنا من الرجال والرجال
الشتات وتسلمنا البيرة والعرق كاتبنا أصحاب الاطراف بالوفود للوفاق
والتنحى عن مذهب الخلاف فانه من جاء مسلما وللامر مستسلما سلمت بلاده
وصينت طرافه وتلاده على انه يكون من أجناده لغزو (٥) الكفر وجهاده .

وعاد رسولنا من نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا
يذكر انه مذعن بالطاعة مؤذن بالتباعة واصل برجاله ورحاله وأشياعه
وأشيائه وطلب عند وفائه بالعهد وقيامه بحسن البلاء ان يعان على صاحب
أمد فانه تجرد فى عداوته وكان العائد العامد فشكره السلطان وأجاب سؤاله
وأصاب سؤاله ورد اليه مع رسول رسول .

ثم رحلنا من البيرة والميرة مبرة ، والطف الله مستدرة وفى كل يوم
قوم لهم فى بحرنا عوم وفى كل فجر فجر ولكل جمع جمر وعسكر وأفد
وعثير عاقد وبيارق تبرق وبوارق تخفق . ونزلنا بالرها واستمر أياما
حصرها . وفيها الأمير فخر الدين مسعود بن الزعفرانى فتثمر وتذمر وتربض
وتصبر ثم رأى انه لا طاقة فاستبدل (٦) من عبوسه الطلاقة وأرسل اليها
بتسليمها لسلامته ووفيناها حق كرامته ، وتسلمها مظفر الدين والى حران
مضافة ووجد بهما فى رتبة العلاء أنا قد جئنا (٧) الى حران ظافرين ظاهرين
قادرين قاهرين وسحب البأس بارقة راعدة، ومثارات القتام من تحت الصلاد
فوق الصعاد صاعدة وأقمنا حتى أقمنا الشعار وأتممنا الاستشعار فرحنا الى
الركة وتم الحصر والنزال وفيها الامير ابن حسان قطب الدين ينال فدارت

(٥) اضافة اللام هنا يقتضيها السياق .

(٦) فى الأصل : فاستبدل .

(٧) فى الأصل : رجينا .

على قطبه الرحى ورأى من النازلين عليه جنح الذجى فى زاد الضحى ثم عرف
أنه لا يطيق ومن مكر خطبه لا يفيق فبذل اذعاناً وسأل أماناً وسلم وسلم
وعصم المال والدم وخرج بنفائس أمواله بعد ترك ذخاير عدده وغلاله وفارق
وما رافق ووفى لصاحبه وما وافق ورفقنا ريثماً أصلحنا الفاسد ، ووفقنا
الكاسد وولينا فى البلاد من أهل الجلد من يفى بحفظ المطرف وصون المتلد .
ولما أتممنا المصالح وأجملنا المناجح هزنا معاطف الزمان الى مشهد الرمان
وأثنيينا أعنة العراب الى عرابان (٨) وحين قربنا منها تلقانا قضاتها ورؤساؤها
ورجالها ونساؤها وخيمنا على ظاهرها فرفعنا منهم الرعوس ووضعنا عنهم
المكوس وضربنا على الضرايب وقللنا بنوب النوايب وتواصلت أخبار وصولنا
الى الخابور وهبت فيه قبول اقبالنا أدبار الدبور وشاع العدل وذاع ورتبنا
على قانون المعدلة الاوضاع وفتحت من عين رأسها عينها وأصلحت بالطاعة
والتباعة بيننا وبينها . وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التين وأخذنا
الطريق الى نصيبين يسرة ونصبنا بنصيبين خيامنا بعد ثلاث وسلكنا مسالك
سهول وأوعاث ودخلنا المدينة وانزلنا بها السكينة ، وجئنا الى القلعة وقد
تحصنت وبمنعتها تحسنت وأشفقنا فى حصرها من سفك الدم وهتك الحرم
ووكلنا من يمنع من الدخول والخروج وسلطنا الى اللجاج على واليها
اللجوج فأرسل بعد برهة من الأيام فى الاسلام والاستسلام ، وتسلمناها
بما فيها من أخاير الذخاير وعولنا فى تولى نصيبين على حسام الدين أبى
الهيچاء السمين وكنا قد ولينا الخابور جمال الدين خوشترين . ولما توفر
نصيبنا بنصيبين واختلينا من مشرق الظفر النصر المبين وكانت الحشود
مجتمعة والوفود مزدحمة والعقود منتظمة والسعود ملقمة وقطعنا أعمال
بين النهرين وأزرنا الرعية زور الرعاية وأمرنا بالعدل والاحسان فى تلك الولاية
ثم حزنناها الى أعمال البقعة ووصلنا الى بلد وأشرفنا على دجلة وكنا
أوردنا خيلنا فى أشهر من تلك السنة فى أسفارنا الحسنة / (٢٠٨ ب) نيل
مصر والفرات ودجلة فأصغت إلينا المسامع ومالت نحونا المطالع ، وتواصل
إلينا مقطعوا البلاد وترادفوا أمداداً بعد الامداد ومن ثم صممنا عزم الوصول
الى الموصل وبشرنا الصوارى بقرب المنهل وأطرنا الاطراد برياحها الأربع
وسرنا اليها بقصد المصيف والمربع وقربنا منها فى مراحل متقاربة وقد دمدمت

(٨) أوردتها ياقوت عريان وهى بليدة بالخابور من أرض الجزيرة .
معجم البلدان ٣ - ٦٣٢ .

بما اثارته الاسد عين القراءة (٩) وبطشت من ليل العجاج بصءو النهار يد
الازالة وعادت تلك البراري (١٠) من مراكز رماحنا بسساتين و من مراكز
جياننا ميادين والليوث معتقات ثعابين ممتطيات سراجين وكانها رياض
تخلوا بأيديها من القواصب رياحين قال : ولما قربنا من الوصول كبرنا تكبير
من ظفر بالسؤال وتقدم السلطان في الامراء ذوى الآراء ودار حول السور
وعين لكل مقدم مقاما ولكل مقدم اقدا ما فنزل هو وراء البلد وتقى الدين
من شرقيه بأهل الجلد وأخوه تاج الدين بوري مند باب العمادية ، وضائقنا
الأسوار أشد المضايقة وصاحب الموصل حينئذ اتاك عز الدين مسعود بن
مودود بن زنكى وتولى نايبه مجاهد الدين قايماز حفظ البلد بأحسن تدبير
وتلقى كل ما قابله من العسر بوجه يسير . وكان قد كاتب الديوان العزيز
للإيعاز بأعزازه وأعانته على أعوازه وله موعد انجاح وانجاد عند صاحب
مجد الدين فتقاضى بانجازه .

ذكر وصول رسل دار الخلافة (١)

قال : ووصل اليينا الخبر بأن رسل دار الخلافة المعظمة واصلون ،
وفي أمر الموصل شافعون وهم شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير ومعهما
من خواص الديوان العزيز جمع كثير فتلقاهم السلطان بالصدر الرحب
والبشر العذب والخطاب المتوجه لصرف وجه (٢) الخطب وكنت الى جنب
السلطان له مسائرا وفي المهام ناظرا ومناظرا والموكب مشهود والطالع
مسعود وشاع أن شيخ الشيوخ قد وصل فى الصلح واغلاق باب الفتح
واطفاء الوقود واخفاء الحقود . ووصل مظفر الدين قزل أرسلان حسن
الجائدار واجتمعت رسل الآفاق داعين الى الوفاق فقال الذين لاذوا بنا
من اهل البلاد من الأجناد الاتراك (٣) والاكراد هؤلاء غدا يصطلحون ونحن

(٩) فى الأصل : القراءة .

(١٠) فى الأصل : الراى .

(١) برق ه ورقة ١١ ، ١١ ب يضيف : للشفاة ورد المواصله
بالمصلحة فى المصالحة الى الطاعة .

(٢) فى الأصل : وجد والضبط من البرق ه ورقة ١١ ب .

(٣) فى الأصل : النزال والتصحيح من البرق ه ورقة ١١ ب .

لحظى بالاخفاق وحرمان الارزاق ونبوء (١) بالشقاق والشقاء (٢) وأخذوا
امان البلد ودخلوا واعتذروا بأننا نشبنا ووافقهم جماعة من اصحابنا طمعوا
في الخلع وهذه من ايسر جنيات الطمع ونحن نصرع باب (٥) المصلحة
والاستواء على المكافحة وترك قبول الشفاعة واهراق المجهود في تسفل
الحصر وبذل الاستطاعة وفي كل يوم تناوب القتال ونعاقب النزال ، والملك
المظفر تقى الدين يحمل من جانبيه ويلى ويجرى في مضمار النضال وهو
السابق المجلى وتاج الملوك اخو السلطان يبارز ويحاجز وجمرات اللظى (٦)
تضطرم وغمرات الرغى تقتحم وشيوخ الشيوخ ينهى وينكر ويقول انا جئت
في التوسط والمنع من التورط وهذا الفعل الممقوت اذا غبت لا يفوت فان
كان لى قبول فاصبروا حتى ارسل من اليوم الى القوم واتكفل في متاع
هذى المتاعب برفع السوم فقلنا له :

السمع والطاعة والحب والكرامة وما احسن مرادك اذا اردت السلم
والسلامة . وتحولنا الى جانب لا يبعد على الرسل طريقه وارسل شيخ
الشيوخ اليهم صاحبه وذكر مطالبه فشرعوا يندبون في كل يوم رسالهم
ويمألون بالمراسلات الخادعة سبلهم فخرج اول يوم جمال الدين محاسن
مع اخ الشريف النقيب واستفتحوا فيما عراهم بالتقريع والتأنيب وكان
حضورهم في خيمة شيخ الشيوخ فأنفذ الى السلطان من عرفه وصولهم
واستدعى من ثقاته الذين يسمعون فصولهم فتقدم الى الاجل الفاضل والى
والى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري (٧) بأن نحضره ما يقولون ونحصى
فأذهبوا ذلك اليوم بالشكاية ولم يواصلوا مبدأها الى الغاية ثم قالوا ندخل
نخرج غدا بالحديث المبين والاثر المعين وجاعوا ضحوة الغد وذكرنا
مطالب متكررة وما رب متعذرة واقترحوا اعادة البلاد المأخوذة وقصدوا بها
تقليل الجدود المشحوزة وأنا نعود الى الفرات ثم نتكلم بما يعود بجمع
الشتات ومكثنا (٨) على هذا السنن قريبا من شهر ولا ننتهى الى امر مستقر
وشيخ الشيوخ ينسبنا الى انا لا نؤثر الفضل فدخلنا في كل ما اراده وانفصل

(٤) هذه العبارة وردت في البرق ٥ ورقة ١٢ ب الشقا والشقاق ووردت

الشقاوة والشقاق في :

H.A R. Gibb, al-Barq al-Shami W.Z.K.M. 1952, pp. 55 : 111.

(٥) في الأصل : بابا .

(٦) في الأصل : الظبي وكذا يستقيم السياق .

(٧) في الأصل : الهكاري . (٨) في الأصل : ومكثنا .

الأمر علي. أنهم يردون إلينا حلب ونرد على صاحب الموصل كل ما طلب وكان قد عرف الأجل الفاضل فحوى مقالهم ودعوى / (٢٠٩) مجالهم فانقطع بعد أيام عن الحضور وكتب أحضر والفقير عيسى للسمع والانهاء والتحمل والإداء ثم انقطع الفقيه عنهم وتأنف منهم واستمر ترددي ولم أجذب عن المهم يدي فوجدوا بذلك مهلة وهم يستهدون الأملاك وينصبون الحبايل ويطلبون المقاتل والمخاتل ويظهرون الوفاق ويذهبون في الشر إلى الخلاف حتى استقر أن يدخل إليهم شيخ الشيوخ في إبرام العقد المنسوخ فظن أن وردهم صفو وأن وعدهم من الخلاف خلو فمضى إليهم وراهم (٩) متفرقين في طرف التلون والتلوم غير مجتمعين على سلوك النهج الأقوم وانكروا كل ما ذكره رسولهم وأن سوى ما شاء سؤلهم وأن صلاح الدين أن أراد وفاقنا رد بلادنا ورحل عنا ونحن نخلى بينه وبين حلب ولا يطلب أيضا استعادنا عليها فان لعماد الدين زكى أخينا معنا يمينا فكيف يجد منا عليه معينا فان رضيت بما سألنا والا فما سمع الناس وما قلنا .

وكان المقرر مع الرسل أنهم يسلمون إلينا حلب ويستعيدون منا البلاد ويحضرون معنا الجهاد ثم ندموا على ما قدموا من التقرير وأخذوا في غيره من التدبير فأنصرف مغضبا وخرج إلى بغداد متوجها وعلى نكر (١٠) مكرهم متنبها (١١) فحلوا إليه وتضرعوا وتشفعوا وقالوا : تعود وتعيد ما سمعته وتحلى من المعنى ما استملحته فلعلك ترد بلطفك ما صعب إلى المنهج الأسهل ويأتى بالعل بعد النهل فرجع بغير مارجا واستكشف عندهم حجاب الحجب فلما اجتمع بالسلطان استعفى من الكلام واستوفى حديث ما سمعه وأبصره من الأقسام فقال له : هذه أشنهر شراف وقد عزمنا أن نرحل ونهب لوصولك الموصل وكان نزولنا عليها في رجب ودخل شعبان وامتد الزمان .

(٩) في الأصل : وراهم .

(١٠) في الأصل : مكر .

(١١) في الأصل : منتها والضبط من برقي ه ورقة ١٦ ب .

ذكر الرحيل الى سنجار وفتحها (١)

قال : كان من بسنجار (٢) من عسكر الموصل مدة مقامنا عليها يقطع دوننا الطريق ويمنع السير فأمر السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر أن يمضي لحصر سنجار وقصر من جار فسار في الأسد والغاب والجيش الغضاب فنهض في بحوره وأمواجه وجموعه وأفواجه ، وخفقت كواسره ورعدت قساوره وترتبت ميمنة وميسرة ، وقلبا وجناحا عساكره وصبح بمنزلة بارنجان (٣) قريبا من سنجار عسكرا من الموصل اليها مجردا فأخذ خيلهم وعددهم وثقت عدوهم ووكل بهم من ردهم الى الموصل رجالة ونالوا من عثرتهم منه اقالة واحتبس عنده مقدمين محترمين مكرمين وكتب بخبرهم اليها وقال : قد وفينا بما علينا فافتنموا استضافة سنجار فانها غنيمة وخير ما تصمم له عزيمة فرحلتنا ومعنا رسل دار الخلافة ومطالع المطالب مؤنة بالانابة والانافة ولاح سنا سنجار بعد ليل وفزلنا على عيوونها ، وطرقتها الخيل طروق خيال واقتسمنا المنازل حوالينا وولينا الوجوه اليها . وفيها شرف الدين أخو صاحب الموصل فاحتفى منها بالمعقل ، وكان معنا نور الدين بن قرا رسلان صاحب حصن كيفا فأنزلناه في أنزه الرياض وأنضرها وأفرج البساتين وأعمرها فأذن نزولهم بنوازلها والحاق معالمها بمجاهلها فقطعوا أشجارا ووصلوا أشجانا ورموا جدراننا وخربوا عمراننا . وأنهى الى السلطان اجترأ القوم واجتراحهم ومرامى فسادهم وكان المرام اصلاحهم فيغتم ويمتعض ويرتقى الى ذروة الالباء ويرتمض ويبعد ويمتنع ويوبخ ويقرع .

فصل من كتاب انشأته الى الديوان العزيز عن السلطان : وقد ترك الموصل في العاجل اكراما للشفاعة والتزاما للتباعة واشتغل بسنجار لينظمها في السلك ويضمها الى بلاده الداخلة في منشور الولاية .

ومنه : ومن جملة نعم الله التي نحمده على اتمامها وصول المبشر من اليمن بفتح زبيد وان حطان ابق اباق العبيد وان الكلمة فيها قد اتحدت

(١) برق ٥ ورقة ١٦ يضيف : وحصارها وفتحها وسبب قصدها .

(٢) في الأصل : سنجار . الاضافة من برق ٥ ورقة ١٦ ب .

(٣) قرية وبها خان وعين قرية من سنجار . معجم البلدان

والقلوب قد اتفقت . وكان الخادم قد جهز اليها جيشا من مصر لتمهيد أمرها
واخراج من خرج بها منها فجرى الأمر على وفق المراد وانتظم في سلك
السداد .

ومن جملة البشائر الواصلة من مصر عود الاسطول المنصور نوبة
ثانية اليها كاسرا كاسبا غائما غالبا بعد نكايته في أهل الجزائر بالخسائر (٤)
وبعد اضرار ما وجده فيها من الاعمار والعمائر ومن جملة ما ظفر به في
طريقه بطشة (٥) كبيرة من مراكب الفرنج تحمل أخشابا منجورة الى عكا
ومعها نجارون ليبتنوا منها سوارى (٦) فأسر النجارون ومن معهم وهم نيف
وسبعون وأما / (٢٠٩) / الأخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفى شرها
المؤمنون وللخادم عسكر في المغرب قد بلغ أقصى افريقية فتوجه وعاد به
بهاء الدين (٧) في تلك البلاد روجه .

قال : ولما اتخنا على سنجار واستفتحنا الاستفتاح بالرسائل وقربنا
من السور من يكلمهم فكلموه وافهمناهم الرشد فما فهموه وناظروا بالسنة
النصال ونظروا بأعين المصال فقدم المنجنيق وهدم النيق الوثيق وأغرينا
النقابين برفع نقاب السور وهتك حجاب المستور . ودخل رمضان فقلنا
شهر مبارك وبر متدارك ففترنا ونحن في زى الارهاب وسكنا مظهرين
التحرك للارعاب فطال عليهم الأمد وضائق بهم الجلد ، وتمادت المدد
فسكنوا الى السكون وركنوا الى الركون فجاءنا ليلة من أخبرنا بأن الحراس
نيام فندب اليهم منا انداب نجازهم ونجادهم وضبطوهم وربطوهم وانقضوا
عليهم انقضا البزاة (٩) على القنص (١٠) ، واغتنموا في قبضتهم انتهاز
الفرص ، وهم من المقدمين واعلام المعلمين فأصبح الذى بسـنـجـار بـادى
الانكسار قد عرف العقبى واعترف بالعقبى واحسن في التقاضى واقتضى
الحسنى واجيبت دعوته ورعيت أزمته وسيرت اليه هدايا وتحف وعطايا

-
- (٤) في الأصل : الخزائر .
(٥) في الأصل : بطنه .
(٦) كذا وقد وردت في الأصل سذاء .
(٧) في الأصل : شمس .
(٨) في الأصل : كما الضبط من برق ه ورقة ١ ٢٧ .
(٩) في الأصل البراة .
(١٠) في الأصل : القبض .

وزلف لكونه من الأولاد الاتابكيه ، وشرف أصحابه وخرج عن العطساء الحساب حسابه وخرج من سنجار بكوسه وعلمه وحشره وحشمه وعبيده وخدمه وأخلى لنا المدينة فأسكنها السكينة ، وخرج إلينا أعيانها وحسن بنا ظهورها وظهر احسانها أقراح رعاياها فرحين برعايتنا منتصفين من الليالى بأيامنا مستسعين الاء انعامنا . وما أسرع ما أعدنا عمارتها واستجلينا بالمباهى مباهجها وأخلينا من المناهى منهاجها والفينا رياستها لصدورها بنى يعقوب فأتيناهم من كرامتهم سؤلهم المحبوب المخطوب . وعول السلطان فى قضائها على نظام الدين نصر بن المظفر فإنه كان أعرفهم بحكم الشرع المطهر .

وكان (١١) الأمير سعد الدين أنر (١٢) مسعود أنار سعده وسار بالذكر الحسن مجده والسلطان يعتمد عليه فى اعلانه وأسراره وإيراده وأصداره واخته ابنة معين الدين أنر فى حيالته فلم يعتمد الا عليه ولم يسلم مدينة سنجار وقلعتها الا اليه وولاه وقدمه وحكم سيفه وقلمه وأبقى عنده من خواصه من استحمد شيمه واسترشد فى النجح ديمه (١٣) . ولما قضينا بسنجار الآراب شاورنا الأمراء فقالوا قد توسطنا الشتاء والصواب الإقامة بمكان حتى ينقضى فصله وحينئذ نستأنف الفتوح ونستزيد من الله بزيادة الشكر بره الممنوح فرحلنا الى نصيبين فأقمنا حتى ودعنا شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشيراً وركبنا معه حتى توجه سائرا الى العراق وشكى أهل نصيبين ما هاج من نصيبهم بأبى الهيجاء فاستملنا اليه بصرفه رجال الرجاء واستصحبنا المذكور معنا ورحلنا الى دارا وتلقانا أميرها صمصام الدين بهرام الارتقى فأكرمناه واحترمناه وأرغدناه وأفدناه ووصلنا الى حران (١٤) فى أوائل ذى القعدة والقينا بها الحران . وسار الملك تقى الدين بعسكره وعبر الفرات الى حماه وعاد كل متغرب من بلده الى مثواه

(١١) البرق ٥ ورقة ٣٠ ب يضيف العنوان التالى : ذكر تولية الأمير سعد الدين مسعود بن أنرقى سنجار .
(١٢) فى الأصل : أبر .

(١٣) برق ٥ ورقة ٣١ أ يضيف : ذكر الرحيل صوب نصيبين وانفصال شيخ الشيوخ صدر الدين وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين .
(١٤) يضيف البرق ٥ ورقة ٣٢ ب : فصل من الكتاب الذى انشأته اليه بتاريخ خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين من حران .

وأقمنا بالمخيم بظاهر حران في الخواص من قوى الاستخلاص في أحلى حالة وأجلى جلاله وقلنا أن الدهر قد أطمأن والأمر قد أرجحن ، وأهل الموصل مع من وأزرهم في حشد وحشر وطى ونشر وأظها . أيد واضمار (١٥) كيد وقد اغتتموا لتفرق جموعنا الجموع واعتزموا إلينا لرجوعنا الرجوع ونحن منع قلنا ثابتون وفي حلتنا ثابتون وهم يعتقدون أنا إذا سسمعنا بجمعهم نتفرق وإننا نتأخر ولا نتقدم وعلى ما فرطنا في حقهم نتقدم فاستحال تخيلهم واختل تحيلهم على ما سيأتى ان شاء (١٦) الله تعالى .

ذكر وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشاه بدمشق في

جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين

قال : وبعد انفصالنا عنه بالشام لازم الجهاد بجد الاجتهاد وصدق الاعترام فوعك في نهضة من نهضاته وأعضلت خلاف ما اعتاد من أعضائه، ونهك بمرضة (١٧) اشتدت عليه فعاد إلى دمشق منيبا إلى الله في طلب مرضاته وانتقل من حومة الشهادة إلى حمى السعادة ومن غار الاغترار إلى مقر الاستقرار ومن الرتبة إلى التربة ومن الوطن إلى الغربة فتبا للدهر ما تبقى بقاته على بنيه ولا يلى بكبواته بالسوء سوى مواليه . لقد فجعت الدين والدولة به ملكا هماما ماجدا ماجد في الأمر الا بلغ وغلب ولا سعى لنجح الا ظفر بها طلب ولم يزل المستشار المؤتمن والمستجار المتمكن وكان السلطان / (٢١٠ أ) يقطع برأيه ويصل ويكلأ الثغور إليه ويكل . قال : رأتى يوما بين يدي السلطان وهو يأمرنى بفصول أكتبها ومقاصد في مجاوبات مكاتبات أرتبها وأنا سناكت مصغ وساكن غير لاغ ولا ملغ فعجب منى في السكوت والسكون واطراقى (١٨) وترك استفهامى عن طرق تلك الفنون فلعبت به مرجمات الظنون فقممت وكتبت الكتاب ونظمت تلك الآراب وكسوت كل معنى لفظ الفضل وختمت كل قضية بنص الفصل وزنت وزنت وعبرت بحصا الحصافة ما وزنت وجئت بالكتاب مسطورا وبالأدب منشورا فأقراه معز الدين فرخشاه فقال لله درك من فضلاء الكتاب وتلا « وترى الجبال

(١٥) في الأصل : اظمار . (١٦) في الأصل : انشاء .

(١٧) في الأصل : بمرض . قارن برق ه ورقة ٣٧ أ .

(١٨) في الأصل : واطرائى .

تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب « (١٩) ولقد كان له فى عقودى اعتقاد
ولأمورى افتقاد وهو من أهل الفضل ويفضل على أهله ويفنى الكرام عن
الابتذال بكرم بذله وكان من أخص خواصه وذوى استصفائه واستخلاصه
الصدر الكبير العالم تاج الدين أبو اليمن الكندى أوجد عصره ونسيج وحده
وقريع دهره ، وهو علامة زمانه وحسان احسانه ووزير دسته ومشير
وقته ورفيق درسه وشناع شمسه يروى بصوب روائه صواب
آرائه . قال : وكانت منايح عز الدين بواعث القرايح ودواعى المدايح ولى
فيه قصايد منها كلمة هائية موسومة مدحته بها فى أول سنة صحبت فيها
السلطان الى مصر وهى سنة اثنتين وسبعين وعارضها تاج الدين أبو اليمن
بكلمة بديعة فى وزنها ورويتها فأما كلمتى فهى :

بين أمر حـلاوة العيش الشهى وهوى أحال طلاوة الزمن البهى (٢٠)
وصبابة لا أستقل بشرحها عن حصرها حصر البليغ المـدره
أما عقود مدامعى فلقـد وهت وأبت عقود الود منى أن تهى
ومنها فى المدح :

أنتم بنى أيوب أكـرم عـصبة هذا الزمان بفضل سؤددكم زهى
ان الملوك تخلفوا وسبقتهم ابن السـوام من العتـاق الفره
(٢١)
أن يجحد الثانى علاك فهل ترى اشراق عين الشمس عين الاكمه
بك أصبحت راياتـه منصـورة ياسيدا عنت الوجوه لوجهـه

(١٩) سورة النمل ، آية رقم ٨٨ .

(٢٠) قصيدة طويلة تقع فى الاوراق ٣٨ ب : ٤٠ ب اختار منها البندارى
هذه الأبيات . وهى واردة فى الخريدة كما يقول العماد فى ورقة ٤٠ ب .

(٢١) هذا البيت ورد فى البرق ه كالتالى :

ان يجحد النسابة علاك فما ترى اشراق عين الشمس عين الاكمة
قارن برق ه ورقة ٣٩ ب .

وأما الكلمة التاجية (١) فهي التي أولها

هل أنت راحم عبـرة وتـوله ومجير صبب عند مأمنه دهي
من بل من داء الغـرام فائني مذ حل من مرض الهوى لم انقه
يامفردا بالحسن انك منتـ فيه كما أنا في الصبابة منتسه
تد لام فيك معاشرا فائتهى باللوم عن حب الحيوه وانت هي
كم آهة لى في هواه وانه لو كان ينفعنى عليـــــــــــــــــه تأوهى
ومأرب في وصله لو انها تقضى لكنت عند مبسمه الشهى (٢)

ومنهاقنى المدح :

فليحجج العلياء منه مجرب يوم الجلال وفي الجلال بمدره
متنبه للمكرمات ولم يكن يوما ينسام فيبتدى يتنبه
انى على شرف القريض لهاجر للنظم هجرة آف متنزه
اضحى واهلوه كمهد وحيهم في جهل قيمة ذى الحجى والاوره
كل الميزا سامعا ومنشدا فى الناس بين مفهه ومفوه

(٢١٠ ب) / ذكر نصره الاسطول المتوجه الى بحر قلزم وكانت فى شوال
سنة ثمان وسبعين والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ (٣)

قال : لما صنع على الابرنس (٤) صاحب الكرك ما توالى (٥) عليه من
نكاية اصحابنا المقيمين بقلعة ايله وهى فى وسط البحر لا سبيل اليها (٦).
لاهل الكفر افكر فى اسباب احتياله ، وفتح ابواب اغتياله فبنى له سففا
ونقل اجسامها على الجمال الى الساحل ثم ركب منها مراكب وشحنها
بالرجال والآلات ووقف منها مركبين على جزيرة القلعة يمنع اهلها من
استسقاء الماء ومضى الباقون فى مراكب نحو عيذاب فقطعوا طريق التجار

(١) نسبة الى تاج الدين أبى اليمن .

(٢) قصيدة طويلة تقع فى الأوراق من ٤٠ ب الى ٤٢ ب .

(٣) قارن برق ٥ رقة رقم ٤٢ ب . حيث يضيف لطلب الفرنج السالكين
بحر الحجاز .

(٤) فى الأصل : الأرض .
(٥) فى الأصل : تولى .
(٦) فى الأصل : عليها .

وشرعوا في الفتك والنهب والاسار ثم توجهوا الى ارض الحجاز فتعذر على الناس وجه الاحتراز فانه لم يعهد في ذلك البحر طروق الكفار فنعظم البلاء وراعزل الداء وأشرف أهل المدينة النبوية على خطر ، ووصل الخبر الى مصر والملك العادل متوليها ورافع اعلام الاسلام ومعليها فأفكر فيمن يسلك الى القوم في البحر ويفتك بأهل الكفر ووقع على السهم المختار والليث المغوار (٦) الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فعمر في بحر القلزم مراكب وملاها بالرجال البحرية ذوى التجربة والتحرية من أهل النخوة للدين والحمية وسار الى ايله فظفر بالمركب الفرنجى عندها فحرق السفينة وأسر جندها ثم عدى بأهلها الى عيذاب وشاهد بأهلها العذاب ، ودل على مراكب العدو فتبعها وظفر بها بعد أيام فأوقع بها وأوقعها فخرجت الى بعض سواحل البرية بشعابها مجتمعة في تلالها مرتقيه ولم يزل الحاجب لؤلؤ ناكب مراكبها ومراكب مناكبها حتى أزالها وهجم على كثرتها فاستقلها ، فما استقرت وفرت وتفرقت وما بدا بالسفن فأطلق المأسورين من التجار ورد عليهم كل ما أخذ منهم من المتاع والدرهم والدينار . . ثم صعد الى البر فوجد أعرابا قد نزلوا منه شعابا فركب خيلهم وراء الهاربين فحصرهم في شسع لا ماء فيه والحاهم بالانضاء حتى استكانوا واستهانوا واستأمنوا واستسلموا فأسرهم بأسرهم وكان ذلك في أشهر الحج فساق منهم أسرى الى منى كما يساق الهدى ، وعاد الى القاهرة ومعه الأسر والسبى ، وقد بذل وسع النجح ونجح السعى وجاءت البشرى بما من الله تعالى به من النصر فكتب السلطان اليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يعلم طريق ذلك أو يعرف .

ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشاه

قال : لما وصل الينا بوفاة معز الدين النعمى فتر منا الى البلاد الشرقية السعى وكنا عبرنا الفرات على قصد الرها وقد دنا منا دارها ودرها . فتقدم السلطان الى شمس الدين بن المقدم بالعوذ الى دمشق أخذا بالأحوط الأحزم وهو أكبر الأمراء المقدمين ، وأكرم الأكابر المكرمين ، وهو

(٦) في الاصل : الغوار والضبط من البرق ه ورقة رقم ٤٣ ب .

القرم الذي لا يوجد قرية . والقرن الذي الذي لا يستقل في الوغى صريعه
وأمرنى بإنشاء منشوره وتحكيمه(١) في أحكام أوامره وأموره .

ذكر مكرمة لمظفر الدين كوكبوري(٢)

قال : لما وصل السلطان حران عند عبوره الفرات وبعد تسلم الرها
أبلغ في اكرام مظفر الدين المنتهى المشتى وقام المذكور بما وجب عليه من
حق الخدمة وشكر النعمة واحتفل بنزولنا على بلده وسخا لنا بسبده ولبده
ومن غرايب رغاييه أنه نفذ الى صاحبه بالطفاه وانه يعتذر عن المقدر المنقود
بوعده أضعافه ويقول(٣) ههنا بحران قرية من قراها وقد جعلت برسم وفادتك
قراها ولم تزل هذه الضيعة المسماة ضرعا(٤) باسم كاتب الموصل وأنت
أولى بها فأنت يمين الدولة وأجل كتابها ، واستأذن السلطان في كتبها
الى ملكية شرعية معقودة مرعية فأشهدت عليه وعلى السلطان بإجازتها
وتفردت بحيازتها عشر سنين الى آخر العهد السلطاني سقاه الله العهاد .

قال : وفي هذه السنة انعم السلطان على نور الدين بن قرار ارسلان
بأعمال الهيثم ثم سلمها اليه دون أعمالها تحلة ليمينه ووفاء بوعده لكرمه
ودينه ، ولما جاء لمساعدتنا في هذا العام خصه عاجلا بهذا الانعام ثم وهب
له قلعة الجديدة وهي من نصيبين (١٢١١) / قرية ولاستصراخ من يدعو
أمنها مجيبه ووعده بفتح آمد له وان ينجح بتسليمها اليه أمه فقد كان أبوه
فخر الدين قرار ارسلان درج على حسره آمد وكان الرئيس على بن نيسان
مرتبا لحصافتها ومزينا لحصانتها ، ولم يزل منها الإبلق(٥) الفرد(٦) راكبا ولكل
من يقاربه فيها مجانبا ، وكان يضرب بأحكامها المثل ، وفي تيسير فتحها يحقق

(١) في الأصل : تحكيمهم والضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٤٦ ب .

(٢) ورد في الأصل بعد هذا العنوان العبارة التالية :

(ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشاہ
صاحب حران) وهذه العبارة زائدة وليس لها علاقة بما جاء بعدها . ولا توجد
أيضا في البرق ٥ .

(٣) في الأصل : وهو والضبط من البرق ٥ ورقة ٤٨ ١ .

(٤) انظر معجم البلدان ٣ — ٤٦٩ .

(٥) في الأصل : للإبلق .

(٦) في الأصل : للفرد .

الأمّل ، وابن نيسان متغور في كهفه (٧) متكفّف في غاره ، آمن من النوازل والدواير بمنزله وداره ، وكان لآمد أمير قديم يقال له ايكلدی (٨) من أيام السلاطين القدماء ، وولده محمود شيخ كبير عنده يطعمه ويسقيه ويدعى أنه من غلمانه ومصطنعيه وأنه يحفظ البلد له ولا يغدر به ولا يؤثر بدله وإذا جاء رسول يحضره عند أميره ، ويسند ما يديره الى تدبيره ، ويقول : انه غلام وما معه كلام ولا عليه فيما يجري مالم .

وكنّت عبرت في سنة خمس وستين بآمد ، وقد سيرني الملك العادل نور الدين رحمه الله (٩) في مهم ، ودفع لم ، وأتفق نزولي بظاهر آمد بكرة جمعة وحسبت صلاتها على غير ممتنعه فقيل لي تحتاج الى استيذان الرئيس وذلك محتاج الى مقدمات ونتائج ومواصلات ووشايح فقلت : هذا عذر وقد ضاق الوقت ثم تقدمت الى غلماني بابتياح ما لا بد منه للطريق من الطعام والعليق فقيل هذا أيضا مشروط باذن الرئيس فأسرعت الرحيل ازالة للكربة بالتنفيس فقدر الله بعد سنين في الدولة الصلاحية انني دخلتها بالسيف وحللتها حلول المالك لا الضيف ، وانما شرحت هذه الحال استدلالا بها على حزم ابن نيسان . قال : وتوفى وتولى مكانه ابنه مسعود على رسم أبيه وجرى على عادة ثابتة ولم يخطر ببال أحد من الملوك الطمع فيه حتى جاءت الأيام الصلاحية ، وصار ابن قرار ارسلان من أشياعها وتدين باتباعها ، وأطعمته في اقتناص ايكار الفتوح واقتراعها وعرفته أن آمد لا يبعد وأنه عن القيام بمساعدته فيها لا يقعد ، وحلف السلطان له على هذا الوعد ، وأنه يحقق في حقه صدق القصد .

قال : وكان جمال الدين عيسى صاحب السويداء (١٠) مسائرا لي في طريق ومذاكرا في جليل ودقيق ، وفي جملة ما قاله هذا سلطانكم يحلف على المستحيل فان فتح آمد ممتنع الدليل فقلت له : سعادته من الله تذلّل المصاعب ، وتسهل المطالب . ولما خيمنا بحران بعد العود من الموصل تقاضى ابن قرار ارسلان بانجاز عدته فأذن في تفرق العسكر للاستراحة

(٧) في الأصل : كهف الضبط من البرق — ورقة ٤٩ ١ .

(٨) في الأصل : ايللده .

(٩) برق ٥ ورقة ٤٩ ب يضيف الى خلاط .

(١٠) في الأصل : التعويدا الضبط من برق ٥ ورقة ١٥٠ .

ووعده بتحقيق الوعد عند العود استمر على هذا العهد الى أن وصل الخبر
باجتماع شاه أرمن صاحب خلاط ، وأنه اتصل به صاحب الموصل عند
ماردين (١١) وأنهم خرجوا على نية أن يكونوا لنا طاردين ماردين .

نكر السبب في ذلك

قال : كان عند نزولنا على الموصل وصلت رسل شاه أرمن فيها
شامعين ولأسياب الحرب رافعين ثم استتب الرحيل عنها اظهارا لقبول
الشفاعة الامامية واعلانا بسر (١٢) الطاعة الناصرية . ونزلنا على سنجار
ووصل سيف الدين بكتمر وهو أعز أصحاب شاه أرمن وبذل للسلطان
في الشفاعة في سنجار كل ما أمكن فاشتربنا شرايط ما قبلها فنفر سيف الدين
وسار مغيظا وأبدى خلقا خشنا ، وقال قولا غليظا ، ولم يقبل خلعه ولا نفقه
ومضى الى صاحبه ونحاه ونقله عما توقاه الى ما توخاه ، وشاه أرمن ظهير
الدين سكران هو خال صاحب ماردين قطب الدين ايلغازي بن البي بن
تمرتاش وهذا ابن (١٣) خال صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود بن
زنكي وكتب اليه واستدعاه وخرج واجتمع به وأتاه الياروقية وغيرهم من
عسكر حلب ونزلوا من ماردين الى ضيعة يقال لها حرزم (١٤) وموج قصدهم
يرزم . وجاءنا خبرهم فلم يندبه أكثرنا ولم يظهر لصحته التياثا ، وكتبنا الى
أمرائنا الغائبين فبادر الملك المظفر تقي الدين من حماه الى حران في خمسة
أيام ووافانا بجد اهتمام وصدق اعتزام وقال : قوموا بنا الى القوم فلا تعود
بعد اليوم فقلنا أنهم في كثرة ولا بأس بالاحتراز من عثرة وهو العشر المبارك
من ذي الحجة والنصر مع الصبر واضح المحجة (٢١١ ب) / فأبى الا الرحيل
موافقة لرأي السلطان ومتابعة لأمره ومشايعة لسرور سره . وأقمنا حتى
صلينا العيد ، واستقبلنا الطالع السعيد ، وقدمنا الازماع وأجلنا الاتساع
وسرنا بالأسود في غابها ، والبروق في سحابها ، وقدمنا من الرعب جيشا ،
وأبدينا من الحلم طيشا وعلونا الجدد بعزائم صحيحة غير علية ، وتلونا كم

(١١) في الأصل : مادين .

(١٢) ساقطة في الأصل الضبط من برق ه ورقة ه . ب .

(١٣) في الأصل : ساقطة الضبط من البرق ه ورقة رقم ه . ب .

(١٤) حرزم اسم بليدة في واد ذات نهر جار وبساتين بين مادين

ودنيسر من أعمال الجديدة وأكثر أهلها أرمن نصارى ، معجم البلدان

من فئة قليلة (١٥) ، ونزلنا برأس عين فطار الخبر الى القوم فطاروا شعاعا وتفرقوا ولم تدر لما در من شوموسهم شعاعا وذلك يوم عرفة فتركوا الوقوف ، وعزموا العزوف ونفروا قبل يوم النفر ، ونحروا أضاحي جلدهم قبل النحر ، وعاد الخلاطى الى خلاط باختلاطه ، ورجع الموصل الى الموصل بمواصلة احتياطه ، واعتصم الماردينى بحصنه المارد (١٦) ، وهتكوا حرز حرزم للمصادر والوارد ، وهاب عسكر حلب العود اليها ، ونحن على طريقه فأذن جمعه بتفريقه ، ومضى معظمهم الى الموصل فعبر الفرات عند عانة (١٧) ولم يجدها اعانة الاعانة ونسفتهم ريحنا وهم جبال وذهبوا بقلوب النساء وجاعوا وهم رجال ووصل اليها خبرهم ونحن للقصد سايرون ولجناح (١٨) النجاش مطايرون ، واكملنا المسير ، وقلنا هذا اخطى المشاه وقعته ببيارقه وافراسه ورخاخه وخاف وقوعه فى الشرك قبل نصب فخاخه ، واستصرخ صاحب الموصل به فلم يظفر باصراخه ، ولم يصغ الى نصايح اشيائه فان مجاهد الدين قايماز ما يزال يثبىر بالثبات ويحذره مخاوف الزلازل ومواقف العثرات ، وعرف بنور فراسته عاقبه الحال ومغبة الاستعجال . ولما نزلنا فى منزلة القوم لم نسمع لهم خبرا ، ولم نعاين لهم اثرا وهناك بحرزم لصاحب ماردين قصر مشيد على حسنه مزيد وقد زوجه (١٩). وصوره وحاله جنة (تجرى من تحتها الأنهار) (٢٠) ويترنم من فوقها الأطياف ، وتترنح من حولها الأشجار فأبقينا بأسه الاثر الاثيل واشفقنا بنبته الكثيف الاثيب ، وعصمنا عمارته من التشيعيث ، واقام فيه تاج الملوك أخو السلطان برسم التنزه ووكل بحفظه عين (٢١) التنبه .

(١٥) سورة البقرة ، آية رقم ٢٤٩ .

(١٦) فى الأصل : الماردين .

(١٧) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد من أعمال الجزيرة ، معجم

البلدان ٣ — ٥٩٤ .

(١٨) فى الأصل : يحتاج .

(١٩) فى الأصل : زوره .

(٢٠) سورة النساء آيات ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ . وسورة المائدة ١٢ ، ٨٥ ،

١١٩ (جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

(٢١) فى الأصل : عن والتصحيح من البرق ٥ ورقة ١٥٣ .

ذكر المسير الى آمد وفتحها وكان الانزول عليها يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة وفتحها يوم الأحد

قال : ولما أحمدا المقاصد وقصدنا المحامد واغتنمنا آمد القرب من
آمد وقتلنا ننجز(١) لنور الدين المواعد ، وكنا لما رجعنا من الموصل كتبنا
نطلب الاذن في قصد آمد بتقليد أمامى نجعله أمامنا ونتخذة أمامنا فوصل
التقليد بملكها والاذن بفتحها فقوى العزم وتحقق بالصدق القصد الجزم
وما زالت قلوب أهلها صادرة(٢) الى وردنا ، والسنتهم صادحة بحمدنا
فتصدينا لها لنعتقها من الرق النيسانى ، ونوثقها بالحق السلطانى . وأعدنا
الى الشام من اكابر أمرائنا من يسد الثغور ويسدد الأمور ، وتوجهنا فى أيام
التشريق وتأيد الله معنا فى الطريق وجزنا على قلعة البارعية فتلقانا بالبر
البار الرعية وما اعترضنا بلدا ، ولا عارضنا أحدا ونزلنا على آمد فنصبنا
المنجنيقات ، وكان معنا منجنيق يقال له المفتش لان حجره يدور فى الزوايا
بدواير المنايا ويشوش وشرعنا فى أدوات الحصر وحصر أدواته واشتغل
الجمع واشتعل الجمر ، ووقع الحجر على البلد الحجر .

قال : ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

والعسكر السلطانى للنصر فى حصر آمد وآمل والشمل جامع والجمع
شامل فصبحناهم بالسلايم وطمعنا منهم فى التسلى من البلد بالتسليم ،
وصعد فيها الرجال وحالت فى قلوب الخصوم الأوجال ، وملك أصحابنا بين
السورين قطعه من الفصيل وتعمدوا عقد بنائها بالتحليل ، وتطرقوا فيها
فاذا : هى مسدودة السبيل فشرعوا فى النقب وابن نيسان فى البلد قد جمع
الرجال وفرق الأحوال ، وحررض الكماه وحض الكماه وانتهض الحماه وظن
أننا نكل ونمل وكلما(١) شددنا العقد ينحل فآلفوا كل يوم جدنا حديدا ووجدوا
من بأسنا عليهم مزيدا ، وكتب فى اعداد من الشباب فصولا للارغاب
والارهاب نعددهم تارة ونتوعدهم ونهديهم مرة ونهددهم ففترت عنه مساعدة
الاستطالة وشرعوا معه فى الاستقالة فبدأ له وجد الخذلان وخيانة الاخوان

(١) فى الأصل : ننجزها والهاء زائدة . وهذا وفقا للبرق ه ورقة

٥٣ ب .

(٢) فى الأصل : صادية .

(٣) فى الأصل : ساقطة وكذا يستقيم السياق .

أهل المدينة وحصلوا منا على الوثوق والسكينة (٢١٢) / وقد كانوا تضجروا بولاية ابن نيسان ، وعدموا العدل وألفوا العدوان فتقاعدوا عن الاستطالة وشرعوا معه في الاستقالة فبدأ له وجد الخذلان وخيانة الاخوان وخطاب الخطوب وحدث الحدثان . فعرف أن سلامته في السلم فأرسل في الاستعطاف والاستسعاف قبل طلب الأمان وأصبحنا بعض الأيام ومواضع النقب نخشى عليها من الانهدام ، والعمل منته الى التمام اذ خرج نسوة من المدينة ذوات جاه وقدر قد أخرجن فأخرجن من أعز خدر لا عهد لاقمارهن بالتبرج من البروج ولم يحوجهن الا صرف الزمان الجافى الى الخروج فارتدين على الاضراب برداء الأضرار وطلعن سحرة طلوع كواكب الأسحار معتمرات الى حرم الكرم الفاضلى معتقيات نصره العفو الناصرى مستشفعات بشفيع كريم لا ترد شفاعته بل تراد لطاعة الله طاعته فأواهن الى فناء خيمته وعرف السلطان أن القصد لحرم حرمة وان المعتصمات بعزة عزه وعصمته وانهن نسوة الأمير والرئيس يسألن(٤) ما خربهن بالتنفيس فأكرمن واحترمن وشفعن وشفعن فيما له شفعن وأعطين الأمان على انهم ان قاموا توفرت عليهم الأملاك والأموال وان تحولوا سهل عليهم الانتقال ولم يسألن في البلد لعلهم انه لا يخلى وانما سألن الا تسلم المدينة الى ان يفرغ من نفائس اعلاقهم وتخلى فأعطين الأمان على انهم يخرجون بكل ما يقدرون عليه مدة ثلاثة أيام بلياليهن وأنا نعينهم بدوابنا وأصحابنا على اخراج جميع ما لهم فيها وعدن بما وعدن وما سعدن كيف ما أسعدن وأن قرين أبعدن وان شفعن في استتبات أمورهن فقد رجعن بخراب معموهرن وهذه عادة الليالى العادية ، وقضية الأقدار القاضية في أرخاء الطول وانقضاء الدول وإيقاظ النواظر بشوك أقذايها وإيقاظ النواظر بشوك أدوائها .

قال : ولما استقر تسليم المدينة بعد ثلاثة أيام تقدم السلطان برد النساء باكرام واحترام فنفذ ابن نيسان يخبر بأن غلمانهم خرجوا عن طاعته وأنه لا يقدر على نقل ما له ان وكل الى مجرد استطاعته فندب له من خواصه من يراعى باعائته أحواله ودواب من اسطبلاته تنقل أمواله ونزل في غير منزل وضربت له خيمة بمعزل فشرع بنقل درهمه وديناره ويحول اليها من كلا الجنسين أوقاره ويعجل منها ما خف حمله وخيف عليه اذا لم يعجل نقله ، ونقل المصوغات النضارية والفضية والمنسوجات الذهبية والجواهر والفرايد

والعقود والقلائد ولم يقدر فى المدة المضروبة الا على تحويل الأمتعة الكريمة المحبوبة ، وكم نشبت الطوارق فى طرقه بنشبه وكم ذهبت أعوانه فى مذاهبه بذهبه ، وكان من أصحابنا جماعة ندبوا لاعانتته فاستغنوا بما أصابوه وذكر أنه كان يحمل من داره عشرة أحمال بأثقال الأموال فربما وصلت اليه من تلك العشرة ثمانية فيسأل عن الباقي فيقال دوابها وافية وهى فى الوصول متدانية ، وما تزال تدخل جملة فى جملة وقد عبثت بها أيد جانبية وهو لما به من روع وكره بغير طوع يحصر لدى التكلم ويقصر عن المتظلم فلما انقضى الاجل خامره الوجل واعترف بأنه عن نقل ذخايره عاجز وان غدر الزمان بينه وبين ما غادره حاجز فتركها من غير أن فركها وفاته دركها وما أدركها ولو استزداد مهلة لاستفاد نيله لكنه هاب وارتاع وارتاب وفى مظنة الرجاء خاب وعلى مطية التجاء نجا وغاب ولو رشد لنشد ضالته فى ظل السلطان وأوى احسابه الى مأوى الاحسان لكنه بعد فبعد ولو أسعده لستعد .

ذكر تسليم مدينة آمد الى نور الدين محمد بن قرار ارسلان

قال : ولما انقضت مدة الأمان فتحت لأولياء الله أبواب الجنان ، وذكرنا ان النزول على آمد فى سابع عشر ذى الحجة وكان الاشتغال بالقتال باقى السنة فما استهلكت السنة الا وقد سمرت الحسنة ونطقت بالبشائر الالسنه ، وقيل للسلطان هذه آمد فيها ذخاير تربي على ألف ألف دينار ، وما دخلت عند الوعد بآمد فى شرط ولا قرار فاقض بها المهام وخص وعم بها الخواص والعوام ، وابن قرار ارسلان يقنع بآمد فارغة ويعدها حجة بالغة ونعمة سابغة فقال : نور الدين صار من اشياعنا فلا نضن عليه بهذه الاشياء ولا يظن بجحود هذه النعماء وهبنا له الأصل مع الضفة بالفرع فما يليق بما سننته مكرماننا من الشرع . فأما ما كان فى الاهراء من اجناس الفلات وانواع الحبوب فما يحويه علم المظنون وعلم المحسوب (١) وأما الامتعة والأسلحة (٢١٢ ب) / والعدد فما يحصره العدد ومنها ان برجا من سور المدينة يحتوى على ثمانين ألف شمعة ، وأما المستعملات الامدية من البسط والفرش والخيام فلا يدخل حصرها تحت الأوهام وكان من جملة المستودعات القطن فقد امتلأ به البلد ولا أقول الخزن وذكر أنه بيع منه سبع سنين فما فنى مع أن متولى البلد ببيعه غنى قال : وانما ذكرت ذلك ليعلم

(١) فى الأصل : المحبوب ، وكذا يتطلب السياق .

أن الدنيا ما كان لها عند السلطان قدر وأنه لم ينطو منه على قلبها صدر فأول يوم فتحها نصبت على سورها أعلامه ونفذت فيها أحكامه ثم نسلمها إلى نور الدين بن قرا أرسلان وكتبت له بها وبأعمالها التقليد وتسلم منى لمغاليق المعامل التقليد واستعبد السلطان منه حرا وفاة ثمنه ووفى له ومكنه .

قال : ودخل السلطان إلى المدينة وجلس في دار الإمارة فهي على أحسن ما يمكن من العمارة ، عالية الأبواب حالية البنيان رايقة الرواق شايقة الإشراف يحدث ربيع ربوعها بنيسان وتحدث ذكر نباهتها بناء نسيانها وهذه شيمة الدنيا لا يبق وأما ولا يرمق رامقا من جنى منها جنت عليه ، ومن علت يده فيها علت عليه وقد ظهرت آثار غدرها بابن نيسان حيث غادرته وقد رجا نصرها مخذولا ، وتركته وقد اعتصم بها مبتذلا لليالي مبذولا ، وهكذا نور الدين امتد زمانه وامتد إلى داره بعد سنين مكانه وسيأتي ذلك في موضعه ويشرح شأنه . ولما استقر السلطان في الدار استحضر نور الدين وأخذ يده واستوثق معه بحلف أكده وعقد ميثاق عقده وعاهده من طاعته على ما عهده وأقامه ملكه وفي دسته أقمعه وشرط عليه طاعته وفي كل غزاة متابعته ومبادرته عند الاستدعاء ومساعدته وأنه يعمر البلد وأعماله ويعمها بأحسناته ويعيد ما تشعث منها إلى عمرانها ويسقط المكوس ويفبط النفوس ويبقى السعود ويمحي الفحوس ثم استودعه وودعه بعد أن نور العيون مطلعته وأوضح وأعذب منهجه ومنهله وأتاه بجميله تفصيله جملة .

ذكر القوام أحمد بن سماقة وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان

قال : كان صدرا رحيب الصدر جليل القدر متحببا إلى القلوب بكرمه متقربا إلى الملوك بخدمته ناصحا في خدمة مخدمه مدبرا بقلمه لأقليمه ، وهو الذي عطف قلب السلطان على صاحبه باستعطافه ونال مراده منه باستغفاره . ولما سأل السلطان في مبتدا سفارته ومفتتح زيارته عن مشتهى مخدمه ومنتهى مرومه وما العمل الذي يقترحه وما الذي يستجحه فقبال : أن أباه فخر الدين قرا أرسلان درج على جبره آمد فان فتحتها له استعبدته للأبد وأرشدته في الجد لخدمته إلى أوضح الجدد وأخذ اليد الناصرية لاتخاذ يد نصرته وحسر لثام الحرص على تحصيل ما هو في حسرته فسبق الوعد وصدق واتفق من الفتح ما اتفق وكان الوزير المنعوت بقوام الدين قوام دولته ونظام مملكته . ودخل إلى سلطاني من باب عرفاني وانتظم

مع اخواني ولم يزل نحوى مترددا والى متوددا حتى أخرجنى بمننه وأثقلنى بمنحه ، وشغلنى بفروضه وسننه ، وجعلنى فى مقاصده مقصدا واتخذ عندى بصدق صداقته يدا ، ونجحت له عند السلطان وسهلت حجابيه وصوبت لديه آراءه وآلايه وقرر لى على مخدمه وظائف عطايا ورواتب هدايا استمرت من احسانه واستقرت الى آخر زمانه وسيأتى ذكر ذلك فى مكانه :

ذكر الرحيل عن آمد والتوجه الى الفرات لقصد حلب والولايات

قال : ولما تسنى الغرض وتؤدى المفترض وحصل المقصود رميت النوبتية وقد دنت العشية فعرفنا دليل الرحيل ، ونهجنا سبيل التحويل وشرعنا فى ضم نشر الأحمال وجمع شتات الأثقال ، وتفويض ذات العماد وحمل الأطناب وقلع الأوتاد فاستقلت الجمال نصف الليل آخذا فى الاعناق كأعناق السيل ، وأصبحنا على الركوب وملأنا الشعب بالشعوب والصواهل فى الأعنة تمرج والذوابل بالأسنة (١) تلمح وبحر البر بالجيش جایش وقلب الجو من جوى (٢) النقع طایش (٣) والأرض قد تنقبت من وقع الحوافر فما تحرك الخميس حتى صار بالأسد العريس ، وتعينت المنازل وتبينت المراحل . وكان عندنا رسل ملوك الأطراف قد وصلوا على اختلاف المقاصد باتفاق الاستعطاف وكل يسأل فى سؤال بكتاب منه ورسول . وأحضرنى السلطان تلك الليلة عنده (١٢١٣) / وأفردنى بخطابه وحنده حتى أنجزت الكتب وجهزت الرسل فمنهم من أحلت على رسوله بسؤله ومنهم من بشرته بأقباله وقبوله ومنهم قطب الدين ايلغازى بن البى بن تمرتاش الأرتقى رتقى فتقه ورعى فى اعتذاره حقه وكان أمره كما ذكر فى فصل من كتاب وهو لما رأى صاحب ميافارقين أن أخت صاحبته قد ابنتى بها ابن عمه خاف أن يجمع له بين الأختين فراسل يبذل الخدمة ليكون فيها لنور الدين ثانى اثنين وقرر أن ينهض عسكره فى أوقات الملاقات وينتقل عن حكم النفاق الى حكم الثقات .

فصل من كتاب آخر : كان الملك نور الدين بن قرا ارسلان فى الخدمة منذ عبرنا الفرات بنفسه وعسكره ملازما لنا لحرصه على المناصحة وتوفره فأنجزنا له فى آمد مواعده لدينا وحملته انشاء بالأعمال والبناء . ورأى صاحب

(١) فى الأصل : ساقطة والضبط من البرق ه ورقة ١٧٥ .
(٢) فى الأصل : جرى وكذا يتطلب السياق .
(٣) فى الأصل : النائر ، والضبط من برق ه ورقة ١٧٥ .

ماردين أن ابن عمه قد فاز بالسبق وقد حاز الفضيلة فدعانا بالاذعان وابتغى
الينا الوسيلة وقد كنا فتحنا من بلاده طرفا وحركنا من قلبه شغفا فحين عاد
الى الحمد شملته عاطفتنا بالاصطناع والاختصاص وملكاناه ما ملكناه عليه
واعدنا كل ما أخذناه من ولايته اليه واستمسك منا بحبل العصمة واستقر
ايضا أن يكون عسكره معنا في الخدمة .

ذكر القفول وعبرنا الفرات وفتح تل خالد

قال : ووصلنا الى الفرات في مراحل وعبرنا (١) ببحر الجيش اللجى
وغزونا النهار بليل العجاج الدجوى وأسدلنا على الخضراء ستر الغبراء
وسلونا عن السوداء بحب الشهباء ونزلنا على تل خالد يوم الثلاثاء ثانى عشر
المحرم وكان قد تقدمنا تاج الملوك أخو السلطان اليها واناخ عليها . ولما
أطلت عليه راياتنا ألقى من فيها بيده وانجز النصر صادق وعده .

فصل من الانشاء الفاضلى فى المعنى

فإن راياتنا المنصوبة المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها
بجلبعها ، وسيوفنا مفاتيح الامصار نفتحها بنصر الله الأخذها ولا يقطعها ولما
قطعنا الفرات بعثنا سرعات العسكر المنصور الى تل خالد فنزلوا
بعقوبتها (٢) ورفع المنجنيق يده الى ثروتها فلما نزلنا بها نزل من فيها على
حكمنا واجزيناه من الاحسان على رسمنا واستجار من حربنا بذمة سلمنا
وطوينا الى أخرى بمشيئة الله قريبا كتاب فتحها ويقر الله بها العيون أسرع
من لمحها .

قال : ثم نزلنا على عين تاب حائزين فنزل صاحبها الينا وهو ناصح
الدين محمد بن خمارتكين وتبرع بطاعته وشرع فى بذل استطاعته فمكناه فى
مكانه وأحسننا اليه لاحسانه فهنأنا له النحلة وعجلنا عنه الرحلة ووصلنا الى
حلب وعماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ثاقب سمائها وراكب شهابها
وآمرها وناهيها وزاهرها وزاهيها وهو مع ذلك على ما فى يده متخوف والى
سفنجار بلده متشوف ومن استئناف الحرب مع امكان السلم آتف لكنه بأمر

(١) فى الأصل : الخضر .

(٢) فى الأصل : بعقو ، وبتها فى الهامش .

الأمراء النورية مستنير ولرايهم مستشير وهم أوقدوا للحرب نارا وخرجوا لاسلافهم وأخلافهم على الاسلام الحقوق والسلطان لا يؤثر جراحهم وخرجوا مدججين ودفنوا عن مقاربة النور وهم على كل حال أجناد الجهاد واجلاد الجلاد ومنهم النورية الانكاء القارية الرماء ومنهم الياروقية الروق وقد سلفت اجتياحهم ، وقد راقه بأسهم وبسالتهم وترجحت في نظره استمالتهم ، وكان هو مع عقلاء العسكر يتقى (٣) واليزكية مع جهلاء المعشر تلتقى (٤) . وكان تاج الملوك فارس ومعفر الأقران بحكم شبابه الطرى وشبهه الطير ولما سبق حكم الله في التقدير يسرع الى الحملات ويشرع الاسلات وما زال به الاقدام حتى توقظ وسنذكر شرح ذلك مع النزول بظاهر حلب في منزلتين :

المنزلة الاولى :

قال : نزلنا بالميدان الأخضر في الزمان الانضر والربيع في ريعانه والزهر في زهوه والروض في ضوعه وضوئه فضربت سرادقات السلطان في صدر الميدان وضربت خيمتي عن يمينها على اللعادة في البستان ، ولقد أسفت على تلك المستنزهات كيف تشعثت (٥) وايدى التمدى بها قد تشبثت . ثم للعساكر على كثرتها من بعيد بالبلد احاطت واشتطت في حب الكريهة واستشاطت ، وفي كل غدوة وعشية وكرب الى كرب وهبوب الى وثوب وتاج الملوك موقد نارها وخايض تيارها والسلطان لاشفاقه على رجال الاسلام وابطال الشام (٢١٣ ب) / يأمرهم بالكف وينهاهم عن الزحف ، والشباب يشبون الضرام ويحبون الاقدام فاصابت تاج الدين طعنة لم يكثر بها وفكت ركبتة وقلت ركبتة وقضت بفلول شبا شبابه ودبول جنى جفائه ومؤول رتبته الى ترابه .

المنزلة الثانية :

ثم رأى السلطان ان مقامه بالميدان الأخضر لا يقضى بتضييق حصر ولا ينضى الى تحقيق نصر فصبحتنا بعد ايام على عزم الرحيل وازماع التحويل وعبرنا بمن معنا من العساكر على بيوت الحاضر ولما وصلنا الى جبل جوشن ضربنا عليه الخيام واطلنا به المقام واحضر السلطان بنائين

(٣) في الأصل : شقى .

(٤) في الأصل : يتقى .

(٥) في الأصل : لا تشغفت ولا زائدة وكذا يقتضى حذفها ،

وصناعا وأمر بحفر أساس لقصر يبنيه ونصر يجنيه وقال : نحن نتصرف في البلاد والأعمال ونقطعها للرجال ونترك حلب على ما بها من الحال وأمر بترك القتال والاعفاء عن النزال وسكنا ماكثين وركنا لابثين ولرسل الترهيب باعثين وفي عقد الترغيب نافئين ونذكر أنا من عباد الله الصالحين الذين جعلهم الله للأرض وارثين ولقد صفت (١) حلب بحلبها وضنت ببيضاها ويلبها (٢) وسمع شفاه شفاعها وقطع فحسن أفواهاها والسلطان يحمل ويحلم ويتغابى وهو يعلم ويعاود الاستمالة ويواعد بالاقالة وكان عماد الدين صاحب حلب للأسوء عايفا ويعواقب الأمر عارفا راغبا في التحدى بالاتحاد والاعتداد بالاعتضاد اماطة للبلاء عن البلاد فافكر ووجد عليه في كل شهر ما ينفقه ثلاثين ألف دينار على الأجناد وكان يعتمد على رأى الأمير حسام الدين طمان وهو قديما يوالى السلطان ويؤثر المرافقة والموافقة ويحب فى مضمار الولاء المسابقة فأشار على عماد الدين بما كشفه من ضميره ووعدده اذا سفر فيه باذكاء الفرس وتثمينه وتسهيل الصعب وتيسيره فخرج ليلا من باب السر سرا وبر بالحضور وأحضر برا وقد قر بقريه السلطان وخلا لخلابه وشفى عتابه بأعتابه وسامه أصحاب الأسد الحادر من غابه وأعطاه يمينه مع سطر يمينه فى كتابه فعاد الأمير طمان مطمئن الجنان مرجح الميزان وأفضى الى مخدمه بسر مكتومه فأصبحنا بكرة بىكر الفتح وقد جلبت وراية النصر قد اعليت وعروس القلعة قد حليت والأبواب قد فتحت والاراب قد نجحت وعرف الأمراء فمنهم من خجل ومنهم من وجل فأرسل اليهم السلطان واستزال روعهم وخوفهم واستزاد طوعهم وشوقهم ومدح لجاجهم وحمد ارتياحهم وشفع انكسارهم بجبرهم وقرضهم على صبرهم وحدثهم بما طيب النفوس بعد الحادث الذى شيب الرعوس وأزال ببشره العبوس وأوجد النعمى وأعدم البوس .

(١) فى الاصل : ضنت .

(٢) واليلب الدروع ، وقيل هى البيض تصنع من جلود الابل وهى نسوج كانت تتخذ وتنسج وتجعل على الرعوس مكان البيض . وقيل جلود تصنع منها دروع وقيل اليلب خالص الحديد ، قال عمرو بن كلثوم :

عليها البيض واليلب اليماني وأسيف يقمن وينحنيا

قال ابن السكيت سمعه بعض الاعراب فظن ان اليلب أجود انواع الحديد . قال الجوهري : واليلب كل ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد . لسان العرب ١ : ٨٠٦ .

ذكر نكتة : قال ومدح القاضي محي الدين بن الزكي السلطان بأبيات
مقها :

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

لفوافق فتح القدس كما ذكره فكأنه من الغيب ابتكره ففنى صفر سنة
تسع وسبعين كان فتح حلب وكان فتح القدس سنة ثلاث وثمانين في رجب .
قال : ويشبه هذا أنني في سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية
من سبى الأسطول المنصور بأبيات وهي :

يَوْمَ الْمَلُوكِ مَمْلُوكَةٌ	تَبْدُلُ الْوَحْشَةَ بِالْأَنْسِ
تُخْرِجُهُ مِنْ لَيْلٍ وَتَوَاسِيهِ (٣)	بِطَلْعَةِ تَشْرِيقِ كَالشَّمْسِ
فَوَجَدَ الْقَرْيَةَ قَدْ حَرَكَتْ	سَوَاكِنَ الْبَلْبَالِ وَالْمَسِ
فَلَا تَدْعُ يَهْدِمُ شَيْطَانُهُ مَا	أَحْكَمَ التَّقْوَى مِنَ الْأَسِ
فَوْقَ الْيَوْمِ بِمَطْلُوبِهِ مَا	سَبَى الْأَسْطُولِ بِالْأَمْسِ
وَأَنْتِ أَمَلٌ بَعْدَهَا كَرَامِ	السَّبَى مِنَ الْقُدْسِ

قال : فجاء الأمر على وفق الأمل كما قلت ووهب لي تلك السنة
ما سألت وأعطاني عام فتح القدس ما أملت . عاد الحديث قال : وخرج عماد
الدين إلى خيامه التي ضربها وشرع في استنجاز الموعد في البلاد التي طلبها
ولم يزل وزيره شمس الدين بن الكافي مترددا في الطلب وأمر السلطان
بإنشاء عهده وإيجاب عقد يتأكد به الميثاق ويتمهد به الوفاق فلازمي
(١٢١٤) / أيما حتى حررت نسخة حكمها المحكم لا ينسخ وعقدها المبرم
لا يفسخ وأنعم عليه ببلدة سنجار وزيد الخابور ونصيبين والرقعة وسروج .

قال : ولما فتحنا حلب ودانت لنا معاقلها بقي حارم مع أحد (٤) المماليك
الصفار النورية وقد طمع أن يحميها ثم أن أجناد حارم اتهموه بمراسلة
الفرنج ومداخلتهم فأخرجوه وأكرهوه على النزول ونزل به المكروه وأعلنوا
بشعارنا فسرنا إليها وتسلمناها ودبرنا أمرها وأحكمناها ووقرنا من الأحسان
قسط أولئك المسلمين وتلوننا في حقهم « ان الله لا يضيع أجر المحسنين » (٥)

(٣) في الأصل : وسواسه .

(٤) في الأصل : حد .

(٥) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٠ .

فراسل صاحب انطاكية ضارعا وللعجز عارضا والى الانقياد الينا مسارعا
وسير الينا من أسارى المسلمين جماعة وافية وأظهر أسكاته فيه لأسباب
الإيقناع نافية .

فكر عبرة

قال : وعين السلطان يوما للضيافة العمادية وكان ذلك بالمخيم (١) قبل
انتقاله الى البلد فكملت له أسباب وشروط ونظمت للسماط سسموط وترنم
الشادى وترنح النادى وكأئنا اجتمع القمران بجلوس عماد الدين بجانب
السلطان وبنياهم فى أحظى حضور وأحبى حبور وأتم نشاط وأتم اغتباط
اذ جاء بعض الحجاب وأسر اليه بنعى أخيه تاج الملوك فلما تنكب عن منهج
ثباته السلوك ولم تتغير طلاقة وجهه وأمر سرا بتجيزه ودفنه ، وأعطى تلك
الضيافة حقها وبسط بسنا انبساطه أفقها ثم انتقل السلطان الى حلب وأقام
بالقلعة ووظف المكارم وكشف المظالم وأسقط المكوس وكتب الى أصحاب
الأطراف والأوساط باجتماع عساكر جميع الجهات عنده للرباط ويتم له ملك
الشام وسر سره بالتمام ، وحالفه عماد الدين فى الموافقة فى سائر المرام .
وأمرنى بكتب المناشير لأكابره وأمائله بعد ما خص أرباب الفضائل بفواضله
واعتصمت العواصم بعصمته ووقفت القلوب فى القبول بين مهابته ومحبتة
وأحسن رعاية محسنى الرعية وأعاد القضاء والخطبة الى أهل مذهب (٢)
الشافعية .

فكر القلاع وما ترتب من وجوه الاصطناع

قال : وأبقى عين تاب (٣) على صاحبها وخصه بأبأدى يده ومواهبها ،
وأما تل خالد فأنه أنعم بها على بحر الدين دلدرد بن بهاء الدولة بن ياروق
مضافة (٤) الى تل باشر فهدم قلعتها وتصرف (٥) فى أعمالها واستبد بارتفاعها
وعلالها .

(١) فى الأصل : للمخيم .

(٢) قارن برق ٥ ورقة ٩٩ ١١ .

(٣) فى الأصل : عن بات .

(٤) فى الأصل : مصافه .

(٥) فى الأصل : وانصرف .

وأما قلعة عزاز فان عماد الدين زنكى كان قد هدمها لتوفر قوته على حفظ حلب فأقطعها وأعمالها علم الدين سليمان بن جندر فأعاد عمارتها كما كانت وظهرت آثار كفايته وبانت ، وسلم حارم الى أحد الخواص من أهل الولاء والاخلاص ، وولى القضاء بحلب محى الدين أبا المعالى محمد بن زكى الدين على القرشى فاستناب فيها القاضى زين الدين نبأ بن الفضل ابن سليمان المعروف بابن البانياسى ، وأقام فى قلعة حلب سيف الدين يازكوج واليا وولى الديوان الغميد ناصح الدين اسمعيل بن العميد ، وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازى وكان قد اصطحبه من مصر عند وصوله الى الشام وعادت الأمور بسيرته (٤) السارة الى النظام وما برح (٥) السلطان من حلب حتى استقامت أحوالها على جدد الصلاح واستقامت آمالها الى مدد النجاح وضرب باسمه درهما ودينارها وأنارت معالمها وعلا منارها وصدحت بالأدعية منابرها وصدق لأرعاء الرعية منابرها قلت : وأورد ههنا مناقشير من انشائه لأماثل منها منشور للشيخ الامام علاء الدين الكاسانى (٦) مدرس المدارس الحنفية بحلب (٦) ومنشور للمحتسب (٧) بها ولم يسمه وآخر باسم طهيب ثم قال :

ذكر بشاير بوقعات نصر فيها الاسلام (١٠)

وصلت ونحن بحلب منها وقعة برية بالفرنج على ما يعرف بالنسيلة ووقعة بحرية فى ظفر الاسطول وذلك فى محرم سنة تسع وسبعين وشرح ذلك فى كتاب من الانشاء الفاضلى الى الديوان العزيز يتضمن الوقعتين : أدام الله أيام الديوان ولا زالت منازل ملكه منازل التقديس والتطهير وموالاته وسيلة التمحيص والتكثير ، ومواقف الأولياء ببابه مواطن السجود والتعفير ، والولاية من قبله علامة التملك والتأمر ، والوقوف بأقصى المطارح من مرائه موجب التقديم والتصدير ، وآيات نعمة الله فى وجوده واضحة تغنى فيها الالباب عن التبيين والتفسير ، والأمة مجموعة بأمامته جمع السلامة لا جمع

(٦) فى الأصل : بسرعة .

(٧) فى الأصل : غير منقوطة .

(٨) وهو علاء الدين أبو بكر مسعود الكاسانى ، قارن برق ٥ ورقة

١٠٠ ب .

(٩) قارن برق ٥ ورقة ١٠٣ .

(١٠) قارن الروضتين ١ ج ٢ — ٤٧ — ٤٨ ،

التكسير . الخادم ينهى الذى يحمله على ما يحمله الى الديوان العزيز من كتبه ويبيديه من رسله ويجيب به دواعى طبعه فى الولاء المسترسل على سجيته أو يحركه المنبعث فيه على رسله أمران أحدهما أن الذى يفتتحه من البلاد ويتسلمه أما بسكون التغمذ (٢١٤ ب) / أو بحركة ما فى الأغمد (١١) إنما يعده طريقا الى الاستنفار الى بلاد الكفار وإنما يحسبه جناحا يمكنه به المطار الى ملامسه الكفر من الأقطار .

والثانى اعلام أمير المؤمنين أن تقليداته وتقليدات آبائه الطاهرين اذا صدرت عنه وعنهم قرئت وما عصيت ، ونفذت وما نبذت فيعلم أن له عبدا يمثل أمره ويلزم الناس بامتثاله ، وخادما يطيع الحكم الجليل ويحكم على غيره بطاعته واجلاله . وعلى هذه المقدمة فهو يستفتح هذه الخدمة بذكر ظفرين للإسلام برى وبحرى أحدهما وهو البحرى عود أحد الأسطولين اللذين أغزاهما أخوه أبو بكر بمصر وكانت مدة غيبته من وقت خروجه الى وقت عوده الى دمياط تسعة أيام لأنه غادرها (١٢) فى خامس عشر المحرم وقفله رابع عشرينه فظفر ببطشه مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون منهم خياله ذووا شوكة وازعة وتجار ذووا ثروة واسعة فأخذ الله بأيدي الأولياء برقابهم ومكن الحطم والقصم من صلبهم وأصلابهم ومسخ عزة أقدامهم بذلة أحجامهم وسيوفهم اللاتى (١٢) فى أيديهم سلاسل ومليت آمال المجاهدين أموالا وأثقالا وانقلبوا بالقلوب خفايا وبالأيدى ثقالا وبرد مغنهم بعد ما تقدمه من حر الحرب وعادوا عن البحر الملح شاكرين لما أوردتهم من المشرب العذب .

والظفر الثانى وهو البرى ما طولع به من مصر من نهوض فرنج الداروم الى أطراف بعيدة وهذه العصابة ملعونة لا ترع الأعنة ولا تنزع الأسنة تسرى فتسبق الصباح وتدلج فتستصيح الرماح فنزل بهم والى الشرقية فركب الليل فرسا أركبوه حملا وسروا ثقلا وسرى رملا فتوافى الفريقان الى ماء يعرف بالعسيلة سبق الفرنج الى موردته والسابق الى الماء محاصر

(١١) فى الأصل : غزاها .

(١٢) فى الأصل : الذى وكذا يتطلب السياق .

(١٣) غير منقوطة .

المسبوق ووردوا أزرقه فتعصب لارزقتهم فظن المؤمن أن الكافر مرزوق وأشتد بالمسلمين العطش وفل أيديهم الدهش فأنشأ الله في ناجز الهواجز سحابة ماء صيفى شفافهم بها « من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (٦) وأمسك به أيديهم فاستمسكت على أنصلمهم فثابوا الى الفرنج بقوة أنجاد السماء بالماء وثاروا الى الملاعين الاعداء بالعزم الجرى ذاكرين معجزة اليوم البورى يوم من الله على أهله بالتطهير والرى فلم ينبج من الفرنج الا رجلان أحدهما الدليل والآخر الذليل وانجلت الجلى بعد أن صاروا معصفين ، وتساقوا كئوس الموت تحت ليل العجاج مغتبتين فقطعت شوكة شديدة وفلت شكة كفر جديدة وعاد المسلمون برعوس عدوهم فى رعوس القنا وقد اجتنوا ثمراتها وبأرواحهم فى صدور الظبى وقد اطفأوا بمائها جمراتها .

قال : ولما تم الفراغ من شغل حلب وأعمالها وتسديد اختلالها فاستصحبنا عساكر حلب والجزيرة واجتمعنا فى جموع كثيفة كبيرة وتلونا السلطان بثل السلطان مخيمين على عزم الغزاة مصنمين فما وصلنا الى حباب التركمان حتى وصلت قبائل التركمان ففترقت العساكر فى الطرق وأجدت فى الجيب والعنق حتى ناطحتنا قرون حماه ، وصافحاتنا سيعود قرانها ، وقرت بنا عيون أعيانها فأول من تلقانا ببره القاضى أبو القاسم حاتم الاكارم وقاسم المكارم وكان هذا القاضى أمين الدين بن حبيش لم يزل ذا سجية وعيشة رحية فاذا وصل الى حماه سلطان أو أمير أو معروف أو كبير دعاه الى ربه وأجراه على كريم طبعه فان لم يزره زارته تحاياهم وقرته فى مخيمه تحفه وهداياهم وله من القلوب اتم قبول ولكل نازل به أهنا نزل وأكرم نزول . ولهذه الشوافع لم ترد له عند السلاطين والاكابر شفاعه ولم يعر شيئا من حقوقه المصونة اضاعة . ولم يكن هذا القاضى متوليا لعمل ولا قضاء ولا حكم له فى انفاذ ولا امضاء وكان قانعا بحدى ملكه ويستثمره بفضل جاهه ويفوق المعروفين بتيقظه وانتباهه .

قال : وكان الملك المظفر تقى الدين بى أخى السلطان صاحب حماه ومالكها ، وقد تولى بالامن والعدل مسالكها وممالكها فوشع ذراه ووسع

(٦) سورة المائدة ، آية رقم ٦٦ .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون » .

قراه وحبر يديه رحب نداه وحسن الحصن الذي لحماه وحماه ، وقصر نظرنا على قصره الناظر الذي اعتنى به وابتناه وما أبهج وأبهى بهوه وبهاه وأعظم ايوانه واكرم ايواه فتفرقنا بعد الاجتماع وجذبنا زمام الازماع واستن العسكر سنن الرستن وعبرنا العاصى فى طاعة الله بقصد الغزاه والجرد تحت المرد والكمث تحت الكماه ، ومالت بنا اعناق الاعناق ، وقصدنا الى حمص اشواط الاشواق ، وخيئنا على عاصيها وضائق بجموعنا ادانيها واقاصيها وجئنا الى الزراعة ثم اللبوة ووصلنا الى بعلبك ثم قرينا من دمشق ودخلنا اليها وهى ببشرنا مستبشرة وعن صباح سفورنا مسفرة ولم يطل بها المقام وعجلنا الرحلة عنها ، واغتنمنا حضور العساكر المتضاعفة العدد المتظاهرة العدد فخرجنا نحو العدو متوجهين / (٢١٥ أ). وفى رياض مراسى الله متنزهين فأول ما وقع البأس ببيسان (٧) وجاء الفرنج فربطهم السلطان على عين الجالوت (٨) وواقع باعداء الله أولياء الطاغوت وقد صفت غزوة ببيسان .

وفى كتاب انشأته عن السلطان وهو : وأقرب غزواتنا عهدا بالفرنج غزوة ببيسان فى كتاب انشأته كان من حديثها المبهج انا سرنا بعساكرنا الموفورة وقطعنا الاردن وعبرنا مخاضة الحسينية (٩) بخلوص الضمير فى سبيل الله وحسن النية وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة فلما وصلنا الى ببيسان وجدنا بأسنا قد سبق اليها وقد أخلاها أهلها فعاجلها الاصحاب بما أحل لأهلها الكفار من النيران وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان فما برحنا حتى عفونا آثارها ونهب العسكر فيها من زاد وقوت ما زاد به قوة وكانت هذه المقدمة نصرة مرجوة الحقنا بها مدنا معمورة وقلعا حصينة وأضرمانا نارا ولم نذر بها من الكافرين ديارا ووقعت مقدمة العساكر

(٧) بالفتح ثم السكون مدينة بالاردن بالغور الشامى ويقال هى لسان الارض وهى بين حوران وفلسطين واليهما ينسب القاضى الفاضل أبو على عبد الله عبد الرحمن بن على البيسانى وزير الملك الناصر يوسف بن أيوب والمتحكم فى دولته وصاحب البلاغة والانشاء التى أعجزت كل بليغ وفاق بفصاحته وبراعته المتقدمين والمتأخرين ، مات بمصر سنة ٥٩٦ معجم البلدان ٧٨٨—٧٨٩ .

(٨) بلدة بين ببيسان ونابلس من أعمال فلسطين ، معجم البلدان ٧٦٠ — ٣ .

(٩) من أعمال طبرية فى شرقها ، معجم البلدان ٥١٠ — ٣ .

المنصورة فى أول يوم على خيل ورجل للفرنج عابرين من نابلس فأوقعت بهم وسدت عليهم طريق مهربهم وقتلت راجلهم وأسرت جماعة من الفرسان قيدوا فى الاتياد وتوغل الباقون فى الجبال بحزازات القلوب وحرارات الاكباد ، وكان مقدمهم ابن هنفرى ففر ووصل الخبر بأن الفرنج واتوا بجمعهم المحشود وحشدتهم المجموع وكانوا فى الف وخمسمائة رمح ومثله تركبلى وخمسة عشر ألف راجل وزحفوا كأنهم أسود الثرى فى آجامها وهضاب شروى بأعلامها فبعثنا اليهم الجاليشية فجالت أمامها وجاشت قدامها وعينا (١٠) ، الاطلاب للموت طلابا وللنصر بلسان الفصل خطابا وكثر الله المؤمنين فى أعين الكافرين فعادوا بعد الانس نافرين ولما رأوا بأسنا اخلدوا الى الأرض مهطعين وخندقوا حولهم وأسندوا الى الجبل بالذل لآبدى واركزوا قنطارياتهم فى مركز دائرة الخذلان وطلبوا ربح سلامتهم من الخسيران وأقاموا كذلك خمسة أيام آخرها الاربعاء خامس عشر جمادى الآخرة ونحن فى كل يوم نتوقع منهم الحملة التى هى عادتهم والمبادرة فى اللقاء التى هى فى الصدمة الأولى سورتهم فنكبوا عن اللقاء وما هاجوا الى الهيجاء وعساكرنا المنصورة حولهم حامية فى بحار السوابغ فى بلاد الساحل دونهم عايمة ويعادونهم مساء وصباحا والفرنج قد يبست أيديهم على الاعنة وغلت فى صدورهم وحراب الرعب على صدور الاسسنة والمفيرون فى بلادهم يشنون الفوار ويكثرون القتل والأسار فلما رأيناهم لا يبرحون رحلنا عنهم يوم الخميس لخناقتهم منفسين فما صدقوا حتى جفلوا أجفال النعام وتوغلوا فى الجبال وهم أضل من الانعام ، وتصاعدوا فى العقاب ونكصوا على الامقاب ، ونحن قد بلغنا النكاية (١١) فيهم غايتها والغنائم ، والاسارى قد ملأت الأيدى وثقلت الظهور ، وعجل الله للإسلام وعسكره النصر والظهور ، وعدنا سالمين سالبين غانمين غالبين « والحمد لله رب العالمين » وقد شرعنا الآن فى غزوة ثانية لعزب الكفر ثانية والمسير بالعسكر الذى عدنا به الى الكرك والالتقاء بالعسكر الواصل من مصر عليها فان الفرنج قد بان لنا هوانها وهذا وقت منيتها وأوانها. فما نزال بتأييد الله نوالى الغزوات حتى يأذن الله فى فتح الأرض المقدسة والسلام .

(١٠) فى الاصل ساقطة والضبط من البرق ه ورقة ١١٣ ب .

(١١) فى الاصل : النكاب الضبط من برق ه ورقة ١١٣ ب .

ذكر العودة الى الكرك واستدعاء الملك العادل من مصر لتولى حلب واستنابة الملك المظفر تقي الدين في مصر وشرح السبب في ذلك (١)

قال : وكان الملك العادل سيف الدين أبو بكر أخو السلطان على عاداته في تولى الديار المصرية مستمرا ، ولأمورها بفضل سياسته وحسن رعايته ممرا ، وهو مستقل بالامر والنهي يولى ويعزل ويعلى وينزل ، وهو سلطان الديار المصرية على الحقيقة ومرتب أمورها الجليلة والدقيقة . والسلطان بالشام في مهام الاسلام وهو بأخيه كثير وبحسن اثره أثير ، وهو يمدده بالمال والرجال ويجري الارزاق والآجال فلما ملك حلب كتب الملك العادل لها طالبا وفيها وفيما جرى معها من البلاد والمعاقل راغبا فكتب اليه لسؤاله مصيبا ، ولسؤاله مجيبا وواعده الى الاجتماع به على الكرك ليفوز من بغيته بالدرك واستصحب معه الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه ليوليه في مصر ويستنيبه وكل ذلك بمشورة الأجل الفاضل وعنايته بالسائر والواصل فان السلطان لم يزل يأخذ بأشارته ويعطى ويصيب ببركات آرائه ولا يخطيء ولما آب السلطان من الغزوة جعل مآب الجهاد الى جهة مآب (٢) من اقليم الشراوة ونزلنا بادرادر واستأمن اليها أهلها المسلمون فأذقناهم بحلية الدين حلاوة الامان وساكفوا تلك الاعمال مسلمون من قديم الزمان وتربى أولادهم في حكم الفرنج فألفوا ما ألفوه وخافوا منهم على ظهور حبهام لنا فأخفوه ثم خيمنا على الرية ثم حصرنا الكرك وحصرناها وكانت المناجيق (٢١٥ ب) تراوحها وتغاديها وتعاودها وتباديها ، وتحول السلطان الى الرض ملازما للغرض وأقام بدار الرئيس ليقرب من المناجيق المنصوبة ويشاهد مواقع النكاية في القلعة المحصورة وكانت سبعة قد فتحت لأهل جهنم سبعة أبوابها وفغرت أفواهاها وكشرت عن أنيابها ، وفصلت أوصال السور بسوء خطبها وخطابها وقد رتب السلطان نوب الرملة على رجال الامراء في الصباح والمساء ولم يزل يرمم الحصن ويهدم والسلطان في أثناء ذلك مشغول من جانب بتعمير البلاد وترتيب الممالك ومن جانب بتدمير الكفر والتدبير له في الممالك . ثم انقضى شهر رجب وعلم باجتماع الفرنج في الموضع المعروف

(١) ما بين الحاصرتين من العنوان يوجد بالهامش .

(٢) مآب من قرى البلقاء ويقال لها موته ، معجم البلدان ٦٧٧ .

بالوالة فقالوا هذا حصر يطول ومسألة تعول وقد أضعفنا الحصن ومكنا منه الوهن ، وهذه نصيرة قد أحكمنا أسبابها ولا خوف من قواتها وما نزال نعاود بالاضعاف حتى نوفز بالفتوح ونحوز زخر الظفر الممنوح ، وهذا جمع الفرنج ملتئم وجمهرهم مضطرب وقد اجتمعوا فنحن نقصدهم ونلقاهم ونقدم عليهم ولا نتوقاهم وسيأتى ذكر عودنا فى موضعه .

ولما وصل الملك العادل أظهر عن حب مصر سلوه ، وطلب من حلب واقطاعها مرجوه فعول السلطان على تقى الدين فى تولى الديار وزاد منه اقطاعه بالشام اقطاعا فى مصر وانعم عليه بالأعمال الفيومية وسائر نواحيها بجميع جهاتها وجواليها وزاده القبليات وبوش وأبقى عليه بالبلاد الشامية مدينة حماه وقلعتها وجميع أعمالها وجمله بصحبة سيدنا الفاضل حتى اذا وصل تقى الدين الى مصر اقتدى بالتدبير الفاضل واهتدى بسننا رآيه الجليل الجليل .

وكان السلطان لا يؤثر مفارقتة ولا يحضره انس اذا فارق حضرته ولما لم يجد من توجه تقى الدين الى مصر بدا وأنه سيكون بالأعمال مستبدا ، وكانت فى تقى الدين الى مصر جدة لم تكن فى الملك العادل احتاج الى تقويمه الى تدبير الاجل الفاضل فأذن له فى السفرة بشريط الاسراع فى العودة والمبادرة الى الاجابة عند تحقق الدعوة . فسارا بمن فى صحبتهما وعاد السلطان بالملك العادل وكتبت لهما منشورين فى شعبان سنة تسع وسبعين ، قال : وكتبت الى سيدنا الاجل الفاضل عند الرجوع من وداعه وكان رحيله من الكرك فى منتصف شعبان : رجع الملوك من الوداع وداعى الاسى يحفزه وعادى الاسف يزعجه ويعجزه فعدم الشمس التى تفيض عليه والظل الذى يفىء اليه . لا مجيب لاستدعائه ولا مجير لاستعداداته ولا قابل له ولا قابل به ولا منفق لنقده ولا موثق لعقده ولا مروج لرجائه وظل كضالة لا ينشد وكالضال لا يرشد وكالفقيد لا يفتقد وكالزيف لا ينتقد وكيف حال من حالت كيفيته أياسنه بأسوة أم نيته أمنيته باليت المولى قبله صاحباً لركابه وراكباً فى صحبه متلاشياً فى أشعة آلائه متعاشياً فى سابغ الآليه وضامياً مع الشرفاء ثقيلاً مع الظرفاء ، سقيماً مع الأصحاء هجيناً مع الصرحاء والعقيد الثمين ربما انتظمت فيه لصرف العين الخرزة وسدت بالخرزة ثلثتها المعوزة على أنه اذا أقامه فى كنف الرعاية مرعى الكنف غبطه السايرون وتحاماه

الضايرون ولم يثر اليه الثايرون ولا غنى بالملوك فى كل وقت لاستزادة محقه واستزالة مقتته عن تجديد جاهه وتوجيه جده واسعاد رجائه واجراء سعده فبالفارس يستثمر بالتربية غرسه ولا يضيع الملوك الذى ملك رقه باحسان عشر سنين « ان الله لا يضيع اجر المحسنين » (٣) .

نكر الرحيل الى الشام

ولما رأينا (٤) امر الكرك يطول ، ودافعنا عن حقه القدر المطول جهز السلطان العسكر المصرى فى الخدمة التقوية التى بالصحة الفاضلية يقويها ومن ارائها فى كل ما ينادى له تلبيتها وتربيتها وانصرف بعسكر الشام عايذا الى دمشق عود الحيا الهاطل الى الثرى الماحل ، والقينا بها العصا واجرينا ذكر من اطاع وعصى ، وعدنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام ، ووقع الشروع فى اراحة العساكر عند استقبال العام واستئناف الجمع لنصرة الاسلام وتولى الملك العادل سيف الدين أخو السلطان حلب وقلعتها وجميع أعمالها وجميع قلاعها ، ومدينة منبج ومعقلها وصار اليها وتسلط بها سلطانه وتمكن منها مكانه ، وتحكمت ولايته وتولتها أحكامه ، ونفذنا أوامره فى أمورها نقضه وإبرامه ودرت على مراده أخلاقها بوضوح مذهبه فى الوفاق خلافتها وانصرف نواب السلطان الى دمشق فى خدمة الملك الظاهر ظاهرين بصفو الموارد والمصادر .

(٢١٦) / نكر وصول شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير

فى الرسالة الشريفة الامامية ووصول محى (٥)

الدين الشـهرزورى معها رسـولا من الموصل

قال : ولما استقر بنا فى دمشق المقام وتم الصيام جاء من رافد نعم الله التمام . ووصلت رسل أمير المؤمنين عليه السلام فوفيناهم فى الاستقبال كل حق وذكرنا من الاسراع الى الاستسعاد بهم كل سبق .

(٣) سورة هود آية ١١٥ « واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين » .

(٤) فى الاصل : رأنا وكذا يتطلب السياق .

(٥) فى الاصل : يحيى — قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٥٤ .

ولقى السلطان الرسل فنزل ونزلوا ، واقبل عليهم واقبلوا ثم قدم لهم المراكب التى أعدت لهم فركبوا وسأيرهم السلطان واصطحبوا ، ونزل شيخ الشيوخ بالرباط على المنبع ، ونزل القاضى محبى الدين بن كمال الدين الشهرزورى فى جوسق بستان الخلخال ونزل شهاب الدين بشير جوسق صاحب بصرى على الميدان .

قال : وكان بينى وبين شيخ الشيوخ قرابة قريبة فانه اتصل الى ابنة عمى عز الدين أبى نصر أحمد بن حامد ، وقد كانت عقيقة بيت السؤدد ، وكان وزراء الزمان وعظماء دولة السلطان يخطبونها رغبة فى طيب النجار ونزاهة العنصر ، واتفق حضورهما بالكعبة المعظمة فى سنة خمس وأربعين . وتكررت منه الخطبة وصحت الرغبة فأجيب لدينه وأصله وتقواه وفضله وبارك الله منها فى ذريته ونسله . وكان له منها اولاد نجباء أستاذ الله بهم فى ريعان شبابهم وبقي الذى اصطحبه فى هذه الرسالة وكان منعوتا مكثى مسمى بما كان لجده العزيز أبى نصر أحمد فمرض فى الطريق واصطحبه معه فى محفه فوصل ونفسه رهينة بنفس وقد جاء الأجل وذهب الأمل وانقضى العمر وقضى الأمر .

وجلس ثانى يوم وصوله للعزاء وحضر السلطان وجماعة الامراء وصلى عليه ودفن بالمقبرة بمحاذاة الرباط وبردت حرارة الرسالة وشفلت حادثته عن محادثته حتى انقضت ثلاثة أيام موسم التعزية ولم يقدر على التسليم والتسليم .

نكر السبب المقتضى لهذه الرسالة فى هذه السنة

قال : لما عرف صاحب الموصل ما تسنى لنا من فتح آمد وحلب وتيسر كل ما اراده السلطان وطلب خطر بباله خطر البلوى وعود العدوى فمال الى الاستعطاء والاستعطاف وشرع فى استسعاء رسله للاستسعاء واستدعى من الديوان العزيز ارسال شيخ الشيوخ للاستشفاع لعلهم انا لا نرى الا الائتمار بالطاعة للامر المطاع ونذب قاضى القضاة محبى الدين أبى حامد محمد ابن محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى للرسالة من جانبته وأناط بسعيه نجح مطالبه فجاء فى جاه أنيق ولسان دليق وترفع وتعزف وتقنع وتقشف وترق فى ذروة الخطاب بحلو آيه على سريرة نبرة الخطابة ولو تخلق بخلق

مرسله في الدفع بالتواضع لكفى الغرض وشفى المرض فانه لما وصل لزمه
ناموسه واطال في محل بستانه جلوسه وأظهر كأنه الأمين نزل بالوحى من
السماء وجاز بالعطارد في بيته بالجوزاء ولم يأخذ في طريق الاستحذاء
وظن أن ذلك لخدمته نصيحة وخدمة صريحة وبغية صحيحة على أن السلطان
قابل شدته باللين واعطا يمينه على أخذ اليمين فاشتط واشترط وكلما قاربناه
شخط ، وكلما أرضيناه سخط وكلما توخينا جامعا للمصالح أبى إلا مراده
المارد ولم يوافق مصادره الموارد ولو أنه تطف واستعطف حصل
المخطوب (١) ووصل المطلوب وتأكدت العقود وتمهنت العهود لكنه ألزم
ما لا يلزم وجزم ما لا يجزم وعين شرطاً له مانع وفيه منازع .

ذكر كشف الحال

قال : كانت قد وصلت رسل صاحب الجزيرة وكان صاحب (٢) أربل وصاحب تكريت والحديثة (٣) يشكون من صاحب الموصل وتكليفاته وأثقاله الكثيرة الكبيرة فأما صاحب الجزيرة فهو معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود بن زنكى وهو خايف من صاحب الموصل عمه وأنه يلزمه أن يدخل تحت حكمه ويخشى أن يكشف ضياء حاله ظلمة ظلمه . وأما صاحب أربل فهو زين الدين يوسف (بن بكتكين) (٤) بن على بن كوجك وهو أيضا شفق من أمره محترق بجمره ، وكذلك صاحب (٥) الحديثة وتكريت يرهبان وفى الاعتزاز بنا يرغبان وكل أخذ من السلطان عهدا على أنه يحميه ويقيه ويسمعه ولا يشقيه ، وانصرف رسلهم على هذا القرار . ثم كان وصول شيخ الشيوخ صدر الدين ومحيى الدين الشهرزورى ووقع الشروع فى حديثهم وحادثهم واجازة دواعيهم واجابة بواعثهم . وكان القاضى محيى الدين الشهرزورى سالفاً فى المدرسة النظامية ببغداد رفيقى وأنفا فى الايام النورية صديقى فصدقوه فى هذه المرة عن مشاورتى وصرقوه / (٢١٦ ب) عن مشاورتى ولو استشارنى لعرفته النهج وسلكت به طريقا للمصالح جامعة وللعوايق رافعة

(١) في الاصل : الخطوب ، الضبط من برق' ه ورقة ١٣٠ ١ .

(۲) فی الاصل : ساقطة . کذا .

(٣) وتسمى حديثه الموصل وهي بليده على دجلة بالجانب الشرقي قرب

الزباب الاعلى ، معجم البلدان ٢-٢٢٢ .

(٤) غير موجودة في البرق ٥ ورقة ١٣٠ ب .

(5) في الاصل : صاحب ،

فصرت عن سره بمعزل حتى استقرت قاعدته (٦) ولم يبق الا عقدة للتأليف
تقرر ونسخة التحليف تحرر فاستدعاني السلطان ذات يوم غدوة وقال :
اكتب لنا شرطا ليكون لنا في الوفاق قدوة فقلت له : كيف تستثنى اولئك
الذين وثقوا بعهدك ، وسكنوا الى وعدك وهؤلاء لا يرضون (٧) بالاستثناء
وكيف تنسب الى ترك الوفاء فقال : اكتب ما ينزهني عن الخلف وينبهنى
على صدق الحلف فقلت تحلف لصاحب الموصل على موصله ونجح مؤمله
وتجعل امر اصحاب تلك البلاد الى اختيارهم فمن ائتمروا تمنا له مناله ومن
اختاره فله عنده سؤله وسؤاله ، وهو يشرع في استدعائهم واسترضائهم
على وفق آرائهم فان صح لنا في عودهم (٨) اليه امرهم بسط عذرنا (٩) وقبض
عذرهم .

فقال : امض الآن الى شيخ الشيوخ وعرفه بالقضية وأرضه بهذه
الحالة الرضية والم ايضا بمحى الدين وانا قد اجبناه على هذه الشريطة الى
اليمن . فاما شيخ الشيوخ فانه عرف واعترف واسعد بالمراد واسعف ،
واما محى الدين فانه ابى الا الالباء وانكر الاستثناء وقال : هذا مستحيل ولا
ينقطع به القال والقال واولئك في بلادنا ونوابنا وفي ولايتنا ولاتنا واصحابنا
وفي خروجهم علينا ما لا خفاء به من تفريق الكم وتشيت الشمل المنتظم ،
واذا علموا انكم لهم توثقتهم وعليهم اشفتهم خرقا اجماعهم ، وزاغت عنا
اسماعهم وابصارهم فاتركونا واياهم واعتذروا اليهم باننا انما قبلناكم ايام
السخط والآن فقد كمل الصلح فاجروا على العادة ولا تخالفوا في الارادة
مقلنا تأخذنا الآن عهدا كما شرحنا وشرطنا وحفظنا به الجوانب واحتطنا ،
وانتم اشرعوا في الاستمالة وتكبوا طرق الاستحالة فما قبل الرسول ولا
تم بقبوله السؤل . ثم استأنفوا في الانصراف والاستيثار على ما تقرر في
الاستحلاف فآكرم الرسل الكرام وقضيت حقوقهم بكل تشريف وعطية وتحنة
وهدية وكان شيخ الشيوخ كبير الهمة اثرا (١٠) لا يقبل قليلا ولا كثيرا فاذا

(٦) ساقطة في الاصل والضبط من برق ٥ ورقة ١٣ ب .

(٧) في الاصل : ولا يرضون .

(٨) في الاصل : وستودهم .

(٩) في الاصل : عدنا والضبط من البرق ٥ ورقة ١٣١ ١ .

(١٠) في الاصل : أسيرا .

حمل له الطعام فركته على الأجناد الذين معه من الديوان العزيز الامامى ،
وعصم أحواله بالخلق العصامى فلما زلت به حتى أجاب كل يوم الى رغيـف
وباجة متخذة من تجاجة .

فلما خرجوا من دمشق عازمين على المسير وعرف السلطان أنهم خيموا
بالقصر قال السلطان : قد استحييت من صدر الدين شيخ الشيوخ ، وقد عولت
على أن أركب لوداعه وأقابل مقاله بامثاله وأقبل مقاله لأجله ولأجلاله ،
ويكتب نسخة اليمين كما يمليه بعبارة . فسبقت اليهم بأمر السلطان ،
وعرفتهم بسرعة وصوله ، فلما وصل نزل فى خيمة الصدر منشرح الصدر
متضح البشر ثم كشف له فى القناعة ما سألته القناع وسأله بالرسول
فى عقد الأجماع الاجتماع (١١) . فأرسل اليه من يعلم بالأمر ويقفه على السر
وضيق عليه سعة العذر فلما رأى تواضع السلطان ترفع وقال : أنا بعد ما
جرى من الحال لا رغبة لى فى الاسترسال حتى أنهى الى من خصصنى
بالإرسال . ولعلكم اعتقدتم أنه ليس لنا مظاهر ولا مظافر ولا موازر بل لنا
من يشتمل علينا ويعصمنا ويميل إلينا ونحن نكاتبه . ونستشير به ولا نتوخي
خلاف مذهبه وأشار الى سلطان العجم والبهلوان فأذن هذا القول منه
بنفار السلطان وترك ما عزم عليه وودع وركب ، وبعد الأمر الذى كان قد قرب
وكان قد أرسل للاطفاء فأسعر وللإستحذاء فتكبر .

وقال السلطان قاتر العزم فى العود الى الموصل فهأجه وحرف اليها
مزاجه ولو تمسك منه بظاهر يمين لفاز لرسله فى مكانه بتمكين وكأنه ذكر
بما نسى واستعجل فيما أنسى ، فخطب خطابة خطوبا وغير تغير قلبه قلوبا
وجر ذنبه (١٢) تجريه ذنوبا ، وحدثت كوارث ، وكرثت حوادث كلها الى هذه
الحالة منسوب ومن هذه المقالة محسوب وسيأتى ذكر ذلك فى مكانه بشرحه
وبيانه .

قال : ووصل رسول عماد الدين زنكى صاحب سنجار فاتخذ توخى
المصلحة فى المصالحة وعاد فعرف ما أفضى اليه الأمر وما جرى عليه رسل

(١١) فى الاصل : الاجتماع والضبط من البرق ه ورقة ١٣٢ ا .

(١٢) فى الاصل : ساقطة الضبط من برق ه ورقة ١٣٢ ب .

الموصل من الالباء والعود الى عادة الاعتداء . وانا فى هذه السنة المقبلة قد عزمنا على الكر الى الكرك وانا راغبون فى جهاد اهل الشرك فى الثواب المشترك وقوبلت تحاياهم وهداياهم بأضعافها وبذل له من الابتهاج لمودته كل ما يؤذن ببهجة الدولة وهز أعطافها وكتب فى جوابه مع رسوله وهو وزيره شمس الدين بن الكافى كتاب من انشائى بتاريخ ثلاث خلون من ذى الحجة (١٣) قال : (٢١٧) وكثرت الأمطار فى شتوة هذه السنة والثلوج وتعذرت (١٤) الحركة والخروج .

ودخلت سنة ثمانين

والبرد قد تقوض أساسه وانقرض باسه وسقطت جمراته وسخطت غمراته فتقاضى السلطان عزم الجهاد وحزم الاجتهاد فاستدعى الاجناد واستعد وخرج الى مرج الدلهمية من عمل البقاع وقد اذن مرعها بالامراع وغضت الشعاب ورضت الاعشاب وأمكن الرعى وتمكن السعى وشرع الجند فى الاجتماع والجد فى الارتفاع وتواصلت الرسل وتراسلت الموصل ، وجاء رسول نور الدين بن قرا ارسلان يظهر لما يومىء به الانقياد والاذعان وهو وزيره قوام الدين احمد بن سماقه وهو حاكم ملكه وناظم لسلطه وأخص خواصه وأخلص ذوى استخلاصه ودخل الى السلطان من بابى واستفتح خطابه بمفاتحة خطابى وفرق على الخواص والعوام تحفا وهدايا خصت وعمت ، وطرفا وسنايا مقاصده بها استتمت . وردة السلطان سريعا واتحفه احسانا وسيعا وشيعا وسامه بالوصول بمخدومه فى خصوص عسكره وعمومه واقمنا حتى وصلت البشرى بقدمه . وركبنا وتقلينا على فراسخ وشاهدنا منه الطود الراسى الراسخ وانزله السلطان فى سرادقه وعام فيالقه فى فيالقه واستصحبه الى دمشق فأبدى بمنترهاتها العشق واضافه وازاره الطافة وأدنى من فضله قطافه ولاعبه بالكره فى ميادينها وداعبه بالطرف فى بساتينها . ولما تم عبير الربيع فى عبوره وثمنم حبى الحبير فى حبوره تقاضى غريم الغرام بقضاياه وأعلن العزم السلطانى بخفـايـاه

(١٣) نص الخطاب فى برق ٥ ورقة ١٣٣ ١ وبقيـة الاوراق من ١٣٣ ب — ١٤٠ غير مذكورة فى المختصر . وبهذه الاوراق ينتهى ج ٥ من البرق وتبدأ سنة ثمانين وخمسمائة ويقول العماد : ويتلوه الجزء السادس ودخلت سنة ثمانين .

(١٤) فى الاصل : وتعذر .

وأخرج خباياه وأيقن الاسلام بأمانيه والكفر بمنياه . واجتمعت
العساكر برأس الماء على الملوك والامراء والأكابر والعظماء ، وأشفق
السلطان من تكليف ابن قرا ارسلان تجشم المشاق فأنزله فى مقام الارفاد
والافاق وتقدم الى اخيه الملك العادل سيف الدين بالاقامة معه لايناسته .
وكان قد قدم كتباً الى الأجل الفاضل بالوصول العاجل ، والى تقي الدين
ناييه بالديار المصرية باقباله منها بالجحافل ، وسار على سمت الكرك
واستصحب عدد الحصر وعدد الابصار والعسكر اللجب والمنظر العجب .

فصل فى كتاب الى صدر الدين شيخ الشيوخ ببغداد فى شهر ربيع
الأول سنة ثمانين : قد توافدت العساكر الشامية والجزرية والديار بكرية
ووصل نور الدين بن قرا ارسلان (١٥) فى عسكره المجر وجنده المصحوب
بالنصر ، وعسكر صاحب ماردين فى جمع كثيف ومطلع فى السعد منير منيف
وصاحب دارا وشهاب الدين اخو صاحب سنجار ، وكل منهم ماضى العزم
شديد السهم لما مهدنا له من المهم . ونحن متوجهون الى الكرك يسر الله
فتحه وقرن بمتجرنا فى سبيله ربحه ، وقد استدعينا العساكر المصرية
وتواعدنا بالوصول اليه والحصول عليه فأننا كنا اضعفناه وخريناه وخبرنا
القتال عليه وجربناه وان فتحه يستدعى تكرير العود اليه بالحصر وتكدير
صفو العيش على اهل الكفر ولعل بهمة سيدنا يتخذنا فى الملتقى ويسعدنا
على نيل الفتح المبتغى . قال وسرنا بالنصر واثقين وفى العزم صادقين
ووصلنا الاساد بالتأويب والخبب بالتقريب حتى أنخنا فى خامس ربيع الآخر
بأعمال الكرك على ادر وما منا الا من شرح الله له الصدر . ووصل الخبر
بقرب العسكر المصرى بالنصر الفاصى والبأس العمري فتشنوقنا الى اللقاء
وجينا الى الكرك ونزلنا قبالة الحصن على واديها وعادتها منا عواديها .
ووصلت العساكر المصرية ووصل الأجل الفاضل ثم وقع التظافر وكمل
التظاهر على مضايقة الحصن (١٦) باعادة قوتها الى الوهن فعبر السلطان
الى الرىض ليقرب سهمة من القرض وسكن فى دار الرئيس . ونصب تسعة
من المنجنيقات الكبار ورتب عليها نوب الليل والنهار وكان نصبها صفًا قدام
الحصار مبنية والاستار موثقة بأسباب الاستظهار فزارت الاسوار بالاسوار
ورامت بالداهية الدهياء حتى هدت أركانها وهدمت بنياتها وجردت من العمارة

(١٥) توجد فى الاصل بالهامش .

(١٦) قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٥٦ .

جدرانها وعمرائها ، ولم يبقَ بيننا وبين الحصن مانع الا الخندق الواسع العميق وقد تعذر فيه الطريق وكان من الادوية الهائلة والمهاوى والمهالك الغائلة ولم يكن فى الراى الا طمسه وملوه بكل ممكن وردمه فعد ذلك من الامور/ (٢١٧ ب) الصعاب وتعذر لحزونة الارض وتمخرها اليه حفر الاسراب فأمر السلطان يوم الخميس سابع جمادى الاول بضرب اللبن وجمع الاخشاب وبناء الحيطان المتقابلة من الربض الى الخندق وتسقيفها ، وتسقيف ستايرها وتآليفها ولما تمت دروبها ومنافذها وكانت شتعاى واسعة لا يزحم فيها الجاى الذاهب ولا يصدم فيها الماضى الايب توافدت رجال العسكر على ذلك واتباعه واشياعه على نقل ما يرمى فى الخندق ويحشى به عرض ذلك المخرم وعمق ذلك المخرق فتمادى على ذلك تتابع الايام والليالى وكاد أن يتساوى بالهدم والطم مخارم الاسافل والاعالى وكاد الفتح يقرب والنجح يكتب حتى عرض الونا وعنا ما عنا ودنا القدر بما دنا.

فصل من كتاب الى ابن قرا ارسلان وهان طم الخندق بالدبابات التى قدمت والاسراب التى بنيت وأحكمت فوجد الناس اليه طريقا مهيعا فهم يزدحمون آمنين من الخراج عاملين على الافراج ، وقد امتلأ الخندق حتى أن أسيرا مقيدا رمى بنفسه من السور اليه ونجا بعدما توالى من الفرنج رمى الحجارة عليه ١٥١

قال : ووصل كتاب الملك العزيز وكان مقيما بدمشق بوصول رسل الديوان العزيز صدر الدين شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير ومن معهما فكتبت من السلطان جوابا منه : وما أسعده حين فاز بخدمة سيدنا صدر الدين ولقد وفق فى حضور حضرة جلاله كل يوم والتيمن بأنوار عزته والتبرك بايثار ادعيته وقد ظهر أثر قدومه المبارك وبشرت ببشر وجهه وجوه الممالك فلنا كل يوم نصره ومبرة من الله مبرة ومسرة معلنة بالمنايح مسرة .

من كتاب فاضلى الى الديوان العزيز : أسدر الخادم هذه الخدمة من الكرك يسر الله فتحه وعجل قدحه وتوجه اليه عقب منصرفه من بلاد الساحل وبعد قضاء مفترضه وأعرض عنه أولا وهو قصده اعراض الرامى عن مراده وغرضه فانه لجى فى الحناجر وقذى ، ورصد الطرقات المسلوكة وصير فى السبل المشكوكة وقد أخذ من الامال محققها وقعد بارصاد الغزايم وطرقها وصار ذنبا للدهر فى ذلك الفج وعذر التارك قريضة الله من الحج وجلس من هام الاسلام بمكان عمامة وختم على انفاس الحجاز

فما يدع نفسا يصعد من تهامته وخف بهذه القطيعة مدينة قد غفل الجبل حبوتها وأزلق الغراب أن يطأ ذروتها وعصم سوار الوادي القوى بعصمها وحمت عزة الجبل المطل ادهمها والخيل تصعد منه أنجما في فلك بين طالع طالعا وغارب في واديه لغاربها وجنا المنجنيق بحاكمها وقامت كف كفته تراحمها ولسان حبله للنضض يخاصمها . قال : واستمر مقامنا واستحتر غرامنا وقد آن أن يفتح الفتح المرتجى بابه المريج ويحد الحد المبتغى المنهج البهيج (١٧) وما في الفرنج من أهل الحصن من رأى له مخرجا وفرجا وتطايرت كتبهم الى من ورائهم بالاستصراخ واستابس روع الكفر من الافراخ .

ذكر القبول من الشام واجتماع الفرنج

في الموضع المعروف بالواله

قال : وصل الخبر ونحن على حصار الكرك وقد ضايقناها أشد مضايقة وعالقناها أحد معالقه بأن الفرنج قد أقدموا مجتمعين ولنداء المحصورين مستمعين وقد جاءوا مدججين وفي بحر الموت ملججين فلما ستمعنا بجمعهم طمعنا في وقعهم وقتلنا متى رقمنا القوم وعاودنا السوم في مجمعهم وريضنا على مطلعهم وخيمنا قرب مخيمهم وهم في منزلة الواله نازلون والهـون للكريهة كارهون ، وكانت مسالك الدخول اليهم صعبة وعرة وطرق التطرف نحوهم متعمقة متقعة فقلنا نحصرهم ونصبر عليهم ونصابرهم حتى يخرجوا فيخرجوا الى مفازة البلقاء فيفوزونا للقاء وأطاف العسكر بهم أياما فلم يطق أقداما فرحل عنهم لخنائهم منفسا فبقى الأمير عز الدين جاولي هناك مقيما للاطلاع على أحوالهم مستديما حتى اذا عرف بحركتهم للخروج أعلمنا بحالهم وأقدمنا على قتالهم فأصبح وربعمهم خال ورسمهم بال وأنهم لم ينالوا بركوب الخطر في طريق لم يخطر ببال فاتخذوا الليل حملا ورجعوا القهقري وسلخوا في المضايق سبلا وفروا من الشرك وكروا الى الكرك فأسفنا على فوت الفرص وافلات الطائر من القفص ، واجتمعت العساكر في عماق بالاثقال وركزنا زرق الاسنة الزرقاء وقربنا بلقيا الخير قرى البلقاء وعدنا بالسلامة نذكر سلامة الأعداء .

ولما رأى السلطان أن الفرصة / (٢١٨) فانت استدرك الفارط بغزوة

(١٧) في الاصل : المنهج وكذا يتطلب السياق .

قدمها وخطوة اغتتمها وجاب نابلس وأجرى إليها الخيل وجر عليها الذيل وسبى وسلب وغنم وغلب وأقام بها بياض يومه بسواد قومه حتى استخرج العسكر المغنم من المغاني وتفرقوا في أقاصي شعابها والاداني . وفي طريق عوده نزل على سبيطه وفيها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذ الفرنج كنيسة وأودعوها أقمشة نفيسة وبها من الفرنج سكان واقسساء ورهبان ففدوها بأسارى مسلمين ولأثوا بالأمان معتصمين . ثم أناخ على جنين فاهبط أوجها وهدم برجها وآب بالنهاب والسبايا والمراع والصفايا فاجتمعنا على الفوار وبادرنا بالوصول إلى دمشق للاستسعاد برسلى الديوان العزيز وبرؤية شيخ الشيوخ وكان البحر متوهجا وضرام الجو متأججا وفشت الأمراض ووشت بالجواهر الأعراض ومرض شيخ الشيوخ فتعفف عن مواصفة الأطباء واستمر في ذلك على شيمة المتوكلين الاتقياء وقال : ان المبلى بالمرض هو المنعم بالشقاء . ومرض أيضا شهاب الدين بشير وأصحابه وخواصه وحجابه فمضجوا ومجوا وأبوا الإقامة وأبدوا السامة وظنوا في الرحلة السلامة وقضى كثير من أصحابهم فتشاعموا بمصابه واسقوا على شبابه والسلطان يستمهلهم خوفا على مزاجهم ورجاء نجع علاجهم فاشفق أصحاب بشير لشدة مرضه من وماته واساعوا الظن بعده بعطايا السلطان وصلاته فأرادوا أن يستعجلوا تقودهم ويستعملوا نفوذهم ويجتابوا خلعتهم ويرحلوا ويأخذوه معهم فما عليهم بعد ذلك ما يقضى به القدر ويقضى به بعد قضاء وطر الورد الصدر فحملوا لأجله المطمع في نفعهم مخدومهم على القدر وساء حظه الخطر وحسنوا له أن البواء وبى وبيل وان رسم الصحة في هذا المحل محيل قطلب بشير الآن في الرجوع بعد استماع جواب قوله المسموع فقضى السلطان حق اكرامه وأدى قرض اجلاله وأعظامه ومد له حصنا عربا وحجورا عتاقا وأطلق لأصحابه أعنة جوده على حسب اقتراحهم اطلاقا فلما كمل لهم العطاء وكشف لهم عن ستر الراحل العطاء رغبتهم في المقام رفقا بذوى السقام فلم يكن للأصحاء بعد استيفاء حظوظهم في اللبث حظ ولا لزمهم لأجل مرضاة مرضاهم حفظ وأصبحوا وقالوا لريضهم الثقيل أنت اليوم في خفة وحملوه راحلين به في محفة وأجاؤا شيخ الشيوخ وهو في بحرانه للعوام في بحرهم ولفح حر وجهه في وجههم لحرهم فلم ير أن يقعد عنهم وان كان مرضه مقعدا وقال : ان القضاء المحتوم ان لم أدركه اليوم أدركه غدا وعاده السلطان بل تردد إليه كل يوم وليلة في الرباط بالمسبح

ثم استقل مودعا وداع الابد ولم يعلم أن الأمل فيه (١). منتقطع الأمد وكان من سنجار حسام الدين طمان مقدم عسكرها معنا فى الجهاد فاذن له السلطان فى عوده الى مقره بعسكره وأمره بمرافقة صدر الدين والرسول معه والرفق به وبهم فى مسيرهم ومذهبهم فساروا على سمت الرحبة واغتنم الامير طمان بركة تلك الصحبة فواجهوا مهاب السموم ودبت الامراض فيهم مدب السموم ولما بلغ بشير الى السخنة شفت أعين مجيئه بيومه وسلبه الاجل المقدر من بين قومه ووصلوا بشيخ الشيوخ الى الرحبة وهناك لقي ربه وورد من الكوثر شربه فهو ممن رفع سريرته الملائك ووضعت له فى عليين الارايك . ولما جاء السلطان نعيه ساء وعيه ولم يزل يجرى على قلبه ولسانه ذكره وشكره ولم يصف لاحد كما صفا له بشيره وكانت وفاته فى شعبان بواه الله الجنان .

ذكر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ووصوله مع عمه الى دمشق وعوده الى مصر منتصف شعبان

قال : كان تقي الدين نايب عمه السلطان بمصر ولما استدعاه مع عسكرها للفزاة رتب بالديار المصرية نوابه ووصل لعمه موازرا مظاهرا وبمضاء مضاربه له مظافرا فلما وصلنا الى دمشق حضر بها معنا وأبدى مكارمه وأبدعها بما وسعنا وبث الزند وبث الحمد وكانت بينى وبينه صداقة لصدق الاعتقاد معقودة واثمان صنايعى فى سوق صنايعه منقودة وأنا أثبت فى هذا الكتاب قصيدة ثائية مدحته بها فى سادس رجب سنة ثمانين بدمشق حرصا منى على تخليد ذكره وتعمير مجده قلت ومنها :

إذا شئتُما عن غير قلبى تحدثا	فما حل فيه الهم الا ليلبثا
خذا شاهدى صدق على صحة	الهوى ضنا ساكنا منى ودمعى محدثا
(٢١٨ ب) / رثى لى عدوى من جفا عيني ونا	هيك من حال عذرى لها مملثا
غدت دمعتي فى هذب عيني كأنها	وقد علقت فيه غريق تشبثا
واهيف حزنى فيه ارث فى الحشا	من النار ما فى خده الحسن وارثا (٢)
يقول خليلاي الشقيقان لو مشى	على غير متن الهوى ما توعثا
رايتم طريق الحب وعثا واننى	أرى طرقات الصبر عندي أوعثا

(١) فى الاصل : فى .

(٢) فى الاصل : ارثا . قارن الروضتين (١) ٢ ص ٥٧ .

قال : وخرجنا من دمشق في شعبان وخيمنا على الفقيع (٣) ودعا السلطان تقي الدين فأمره أن يرجع بالعسكر الى مصر بعد ما ودع في منتصف شعبان وعاد الى القاهرة ثم رجعنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام واجدنا شهر رمضان في دمشق راحة المقام ورجع كل عسكر الى مركز ملكه وكل تبر الى اربع فلكه .

ذكر الشيخ العالم زين الدين ابي الحسن علي بن نجا الواعظ المقيم بمصر

قال زين الدين هذا من اهل دمشق ومن ساكني مصر ذو لهجة في الوعظ صحيحة وبهجة في الفضل صبيحة وقبول من القلوب وفصول في فصل الخطاب الخطوب ، وكان السلطان يستشيريه ويروقه تدبيره ويتيمن بنديه واستحباته ويمده بميراته ويوده بمكرماته . ووصل في هذه السنة منه كتاب الى السلطان يتضمن برح لوافح الاشواق وشرح فوادح الفراق ويشوق الى مصر ونيلها ونعيمها وسلسبيلها ودار ملكها ومدار ملكها وملقتي البحرين ومرتقى الهرمين وريفها الريف وصيفها الخريف وان شتاءها ربيع وشتاتها في الفضل جميع وذكر في كتابه ما دل به على فضيلة تلك الديار من الآيات والاعبار فكتبت اليه في جوابه عن السلطان بتفضيل دمشق على مصر : وردت مكاتبة الشيخ الامام زين الدين اطال الله بقاءه وسعدنا منها بعد عهد بعيد من مراسم سرورها بعيد وشكرنا الله تعالى على ما تضمنته من النعم المستمرة والمواهب المستقرة المستدرة وعرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها وترفرف آلايها وضحك أرضها من بكاء سمائها وبعد شهادة زين الدين بزيينة مشهدها واجتلاء العيون برسمها مقام أئمتها قد حكمنا بفضلتها وفضيلتها وحفظ وسيلتها وصدق محلتها ونحن نسلم له المثلة في طيبها وتوفر نصيبها ورقة نسيما ورايق تسببها لكن لا ريب أن الشمام أفضل وأن أجر ساكنه أجزل وأن الزلال البارد به اعل وانهل فان الهواء في صيفه وشتائه وان الجمال فيه أكمل وأن الجمال فيه أجمل ودمشق حديقته الناضرة وحديقته الناضرة ومنه : لا سيما وقد تمسكنا بالاية والسنة والاجماع

(٣) يرجح أن تكون في شرق الاردن . انظر الخريدة شعراء مصر ١-٧ .

وغنينا بهذه الأدلة عن الاختراع والابتداع أما قسم الله بدمشقي في قوله « والتين والزيتون » (١) والقسم من الله بها أدل دليل على فضلها المصون . أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيرة الله من أرضه يسوق إليها خيرة من عباده وهذا أوضح برهان على أنه خير بلاده . أما الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على اختيار السكن بالشام . أما فتح دمشق بيكر الاسلام وما ينكر أن الله ذكر مصر وسمها أرضا فما الذكر والتسمية في فضيلة القسم ولا الاخبار عنها دليلا على الكرم وانما اكتسب الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق اليها عليه افضل السلام ثم المقام بالشام اقرب للرباط واوجب للنشاط وأين قطوب القطب من سنا ينير وأين ذرى منف المشرف من ذروة الشرف المنيف المنير وأين الهرم الهرم من الحرم المحترم وبينهما فرق مابين الفرق والقدم وهل للنيل مع طول نيله وطول ذيله واستطالة سيله برد بردا في نفع الغليل وما لذلك الكثير طلاوة هذا القليل وسبيل هذا السلسبيل ونحن ما نجفوا الوطن كما جفاه ولا نأبى فضله كما أباه وحب الاوطان من الايمان ومع هذا ما نفكر أن مصر اقليم عظيم الشأن وأن مغلها كثير وأن ماءها نمير وأن ساكنها ملك وأمير ولكن نقول كما قال المجلس السامي الاجلى الفاضلى اسماء الله أن دمشق يصلح أن يكون بستان لمصر ولا شك أن أحسن ما في البلاد البستان وزين الدين وفقه الله قد تعرض للشام فلم يرض أن يكون المساوى حتى شرع وعد المساوى ولعله يرجع الى الحق أن شاء الله تعالى . قال : وذكرت بما انشأته في تفضيل دمشق كتابا كريما أصدره مولانا الفاضل الى السلطان يشنوقه الى مصر وأولاده بها ويصف طيها وذلك في سنة أربع وسبعين وهو (٢١٩) أدام الله سلطان مولانا الملك الناصر وأعلى ولاءه في صدور الاولياء ومكن أسنته من ظهور الاعداء ولاعدمت السنة منه أمداد النعماء ولازالت بادية لعين صوابه وجوه الآراء باسمه الى قلوب رجال رجائه أسارير السراء المملوك يقبل الارض وينبىء أنه وردت المكاتبات الكريمة والتشريفات البارة والشروح الشارحة المسار السارة وتسلم منها حصته التي لا تتبع حظه فيه بملء الأرض ذهباً ولا تأخرت عنه اسار خلقها بنفسه طلبا وجمع بين خطاب المولى وسمعه وخطه وقلبه طامعا أن يجمع الله بين عينيه ووجهه وذلك يوم يكون فيه كما قيل :

رفعت عن الدنيا متى غير حبها فما أسأل الدنيا ولا استزيدها
أو مما قال قيس :

متى بات هذا الموت لا يلف حاجة وقيل الإجابة عند الفضول

فبشر بما جرت العادة به لا قطع الله تلك العادة من سلامة وصحة
وعافية شملت الأولاد السادة أطاب الله الخير اليهم عن المولى وإلى المولى
عنهم وعجل لقائه بهم ولقائهم له فانه من يلق منهم فلك دستة برجه وفارس
مهده سرجه فمن الذى لا يصلح له منهم السرح :

فهل لدى منهم ما محالة الميدان والدرج تبين فيهم ميسم المجد

تبين فيهم ميسم المجد والعلی وليدا يفدى بين أيدي القوابل

لم يستهل بلى ولكن وحشه لم لا تعد له الدروع لفايفسا

فهم والله بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها وريحان الحياة وزهرتها ،
وان فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وان قلبا قنع باخبارهم لقانع وان طرفا
ما نام على البعد عنهم لهاجع ، وان ملكا ملك تصبره عليهم لحازم ،
وان دهر ا جاد بهم لسخى ثم اذا أبعد عنهم لظالم ، وان نعمة الله فيهم لنعمة
بها العيش ناعم انك ان ابصرتها مرة أكبرتها أن يتمناها فدمعونا من تعليل
البلد الامسر وملعبها الملعب الاصغر وشتائها العذاب الاكبر ، ومن رأس
عينها الضيقة المحجر ، ومن ثلجها الذى مقس الجبال بعينه ومن بردها الذى
لا يشفع الخمر عنه الا باذنه . وعود الى ما اترفتم فيه من مساكنكم فانها
قد علتها وحشة لعطينها وسالت مطالع رسومها عن اقمار سسلاطينها ،
واذكروا النيل الذى وفى لكم هذه السنة بنقصه وإلى أن يكون مأوه ذخيرة
لغير جودكم الذى احصاه الله ولم يحصه ، واذكروا فرطها فقد بلغ شطاطه
الى الجناد وعلت افراطه الى أن يكاد يصافح افراط اللحم متمكنا ، واذكروا
ما طوبتها فقد كاد يقيم الحجة على ملك الشام ووجهه ويتغلغل برده فيسرى
الى قلب العليل وكأنه جار على غير طريق فمه واذكروا صحة هوائها وتقضيته
لامالكم حتى انعم الله عليكم قبل صحة اجسامها بصحة اجسامكم ولولا انكم
اهنتم الذهب الاحمر والبستموه للروع من جودكم الشعار الاصفر لقلنا
واذكروا ذهب مصر لكن قد اهنتموه واذهبتموه مجانا حتى غلب هم العافين
فاسقلوا منه بما اتخذته الاملاك تحايا واذكروا رياحين القلوب من زهرات

أولادها ، وقطعات أكبادها أما يشفق جيد المولى بدرهم أما تظماً عينيه
الى أن يتروى بنظرهم .

كم ذا التجلد والاحشاء راجفة اعيد قلبك ان تسطو على كبدي
وللمولى ابقاه الله ان يقول :

وما مثل هذا الشوق تحمل مضغة ولكن قلبى فى الهوى بقلوب

فلو أطيع المملوك وقبل رأيه المسئول لكنت كنية المولى الى الاملاك
فاتها كنية حققها القدر وما يحليها ووسمه بها أولاده لا كتابه وساق بها كتاب
الله ومن المملوك وما كتابه وقد كان الرشيد رحمه الله يسمى أبو الامناء
لمكان أولاده الامين والمأمون ، واذا كانت الكنية لثلاثة فلا يكن أباً ثلاثة عشرة
أنا بيت القناة وعثمانهم كسنانها وكليالى البدر ولانها ليلة سرار نقصانها .
والمملوك فى هذا الفصل رسول مصر وما هو عنها فى البلاغ بلاغ لا صاغ
عنها من القول الا ما صاغ ، وهو ينتظر جواب الرسالة وقد خالطها بانشاد
وما هجروا أوطانهم عن ملالة والآراء العالية فضل الشمول .

ذكر صاحب أربل الامير زين الدين أبى سعيد يوسف نياالتكين بن زين الدين على بن بكتكين وانتمائه الى الخدمة

قال : كانت أربل من ولايات الموصل معدودة وايلتها بايالتها مشدودة
فأراد صاحب أربل أن ينفرد بالاستبداد/ (٢١٩ب) ويستقل بالبلاد فكاتب
السلطان بالاعتزاز به والاعتزاز والانحياز الى حوزته والاشتداد بقوته فترددت
كتبه ورسله ووضحت فى الموالة والمشايعة سبكه وأخذ اليمين على حفظه
وصيانة حقه ورعاية حظه ولزم عقده وحزم عهده .

وكاشف المواصل بالمقاطعة وأظهر المناب عن المتابعة وترادفت رسايله
فى حظه بالحض واقامة جداره المنقض فان المواصل قامت قيامتهم بقيامه
فما أقعدتهم غير المهابة والخواطر المرتاعة من الاخطار المرتادة فداروا
أعراضهم بالاستعطاف وداووا أمراضهم بالاستلطاف فعز عليهم وعزف وركب
الانف وغنى عن السواقي بالبحر الخضم وأعاد نشر أمره بالانضمام اليه

الى الضم وتنفيذ يطلب المنشور ببلاده وتحكيمه باستبداده وانفراده فاجيب الى مراده ، وكتبت له منشورا وفق اربه وفوق طلبه فى مستهل المحرم سنة ثمانين وتفصيل ما كتب فى منشوره : اربل وقلعتها وأعمالها وجميع ما قطعه الزاب الكبير شهرزور وأعمالها ، معايش بيت القرايلى الدشت(١) والزراية .

قال : وممن لجأ الى السلطان واحتفى بحمايته معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الجزيرة فننذ فقيه الجزيرة مع حاجبه فى استخلاف السلطان فأكرم الرسول وأبرم النسل وكان يحث على قصد الموصل وكان هو ولى عهده والموصى له من بعده فلما فل شبا شبابه ونقل من بين أترابه الى ترابه خلفه أخوه عز الدين مسعود وقنع ابن أخيه هذا سنجر شاه بالجزيرة وكان بعد ذلك على عمه من الجزيرة فرجا من السلطان له فرجا وأمل أن يحدد له من العز منهجا مبهجا(٢) .

نكر صاحب ماردين قطب الدين ايلغازى بن تمرناش ابن ايلغازى بن ارتق وفاته فى هذه السنة

قال : هو من جبهة الامراء الارتقية ممن رتق اولوهم فتسوق الاسلام ووقفوا فى نصره الدين مواقف الكرام ولهم فى مبادئ خروج الفرنج غايات فى الجهاد لا تدرك وملكوا من قياد المصاعب وعاد المطالب ما لا يكاد يملك وحفظوا حلب وأبطلوا من الفرنج عنها الطلب ، ونزلوا البيت المقدس قبل استيلاء المصريين عليه وحملوا ببأسهم ما حواليه فما أخذوا الفرنج الا من المصريين فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وبقيت تلك الخطة وبلاد الساحل مع أهل الشرك وعجز عنهم ذلوا الملك الى أن يسر الله سبحانه فتحها للملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ونسبأتى ذكر ذلك فى مقامه عند ورود عامه . فبقيت ديار بكر وبلادها فى أيديهم وتفردوا فيها بتوليهم وذبحوا عن محصنات معاقلها ومحصنات عقايلها فبهم بقاء بقاعها وبها بهم ضياع ضياعها ويأمرهم أمور ولاية قلاعها يتوارثها كابر عن كابر وماجد عن ماجد . وقد تقدم فى عصرنا هذا ملكان أحدهما هذا قطب الدين ايلغازى صاحب ماردين ومعه ميافارقين وتلك الولايات والبلاد

(١) الدشت بليدة بين اربل وتبريز . معجم البلدان ٢—٥٧٥ .
(٢) فى الاصل : منهجا .

التي تجاورها والاعمال والمعاقل التي تقاربها والآخر نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سكران بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وخرتبرت (١) والبلاد التي تناسبها فلما ملك سلطاننا الشام ولزم أمره النظام فأول من لاذ ببابه وعاد بخيابه نور الدين بن قرا ارسلان فانه خاف من حمية قلسج ارسلان كما سبق فقصده السلطان ودخل حدود بلاد قلسج ارسلان وخيم على كوك سو حتى زال الخوف والهن السوء وذلك في سنة ست وسبعين وقد مضى ذكره وشاع في ذلك أمره فلما خرج من مصر سنة ثمان وسبعين راسل هذا نور الدين وابن عمه قطب الدين صاحب ماردین في مساعدته على قصد الموصل فأجاب نور الدين دعاه ولبي نداه وسار اليه وقدم عليه ونبا قطب الدين وأبى فان صاحب الموصل ابن عمته وما لاق خذلانه بكرم سيمة ولكون شاه أرمن صاحب خلاط خال صاحب ماردین ثبت على مؤازرته بمضاء عزيمة فلا جرم سعى السلطان في نصره نور الدين وفتح آمد ووهبها له وأتاه من المال والجاه ما أتاه . ثم راسله صاحب ماردین بالوفاق وتنكب نهج الشقاق فثبت عذره ونفى ذعره ولم يزل عيشه رغيدا والظل مديدا الى أن قلصه القضاء المحتوم والقدر المعلوم ونعى شبابه ونعب غرابه وخلف عيالا وأولادا أطفالا وله ابنان صغيران الكبرهما ينيف على العشر (٢) سنوه فسفرت بولايته/ (١٢٢٠) بعد قطوبيهما الوجوه وكفل به في ماردین أحد الاعيان من ممالك أبيه نظام الدين البقشي (٣) وتولاه تولية المشفق النبیه واستقامت الاحوال واستنابت الآمال وافتقروا الى اشفاق السلطان واشباله وابدال اعراضه باقباله وايوائهم الى وافر افضاله ووارف ظلاله .

(١) خرتبرت : بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناة وباء موحدة مكسورة وراء ساكنة وتاء مثناة من فوقها وهذا ستم آرامي وهو الحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات . معجم البلدان ٢-٤١٧ .

(٢) في الاصل : عشرين وكذا هو الصحيح فمن المعلوم أن أولاد قطب الدين كانوا أطفالا . وقد ذكر البنداري بعد ذلك عمر الطفل انه كان ابن عشر سنوات .

(٣) قارن الروضتين (١) ج ٢ - ٦٣ .

ذكر ما اعتمده السلطان فى باقى هذه السنة

قال : أقام السلطان فى دمشق حتى دخل الشتاء وعارضت عارض
نداه الانداء وجادت كجوده السماء ومنح فى خصب السنة كما منح فى
احسانه الرجاء وتفرقت بأيدي أوليائه كما واهل الاعضاء وأقام حتى انقضى
رمضان ولم يرض بالمقام فى كن كانون وآثر الدنو من أعدائه الذين لا يدينون
ولا يدينون فهمت همته وحميت حميته وأخذ بالحزم ونفذ بالعزم واستحضر
واستحث وحظر اللبث وأصبح فى يوم أصبحت سماه وصنحت فى الحسن
والطيب اسماره فأخرج مضاربه على سمت بعلبك وضربت خيامه من دمشق
على فرسخين وهو يركب كل يوم لصيده وقنصه واهتبال فرصه . وأقام
أياما حتى اجتمعت اليه الشداد واتصلت بتوامها الاقداد وثمد زمام الزماع
للاسرء والاسراع وسار على طريق البقاع وفزعت تلك الجبال بفسوارع
الجبال واصحرت الاساد الخوادر من الفياض الاغياى وسالت أودية الشعاب
ببحر الجيش ذى العباب وسرنا حتى خيمنا على بعلبك بظاهرها ودخلت البلاد
هناك فى العشرين من ذى القعدة مفارقا للمخيم بسبب المرض الملم وشق
على السلطان انقطاعى وتوجع لما راعه من أوجاعى فانقطع ألى واتصل
ألى . ورحل السلطان الى حمص فسير الى طبييها ابن الصورى وسمع
المخدوم الاجل الفاضل بخبرى وكان بدمشق فجمع الاطباء وخاطبهم فى تدارك
حالى فندب من وقته الموفق بن المطلوب (١). وسار فى يوم وليلة الى بعلبك
من دمشق فرأيت منه عمل من طب لمن حب فشفيت بعدما أشقيت وعجلت
أوبتى الى دمشق وكان وصولى اليها فى ثامن ذى الحجة واخرست بحضورى
شقاشق المرجفين واقمعت بأوبتى مناقش المتشوقين واقمت الى ان عاد
النشاط وتيقن على المزاج الاحتياط والسلطان لحماه يرقب قربى ويطلب أوبى
وجاءه عند استشعار اليأس منى من بذل له فى منصبى بذولا فما استحسن
عنى اليهم عدولا وخلع على البشير بسلامتى . وحين استقام مزاجى استقمت
على منهاجى ووافيته وما برح من حلب حتى جئته وما لقيت السعادة
حتى لقيته وما أمر بالرحيل حتى وضعت بمخيمه رجلى وأبدى لى ان مقامه
من أجلى .

(١) ارسل له أيضا الفاضل من دمشق الحكيم ابن المطران واسمه
أسعد بن الياس وطب العماد على يديه ، الروضتين (١) ٢ — ٦٠ .

قال : ودخلت سنة احدى وثمانين

والسلطان بظاهر حماه مخيم وللعزم على قصد الموصل مصمم والثناء قد انكسر والنور قد انحسر ووصلت الى السلطان يوم عزمه على الرحيل واذن وصولي بأحياء رسم منسبى المحيل ورحلنا للارب منتبهين والى حلب متوجهين ولما قربنا من تل السلطان تلا السلطان سورة الحمد وتلاه سلطان السعد وجاء أخوه الملك العادل سيف الدين صاحب حلب لتلقيه وقد أقبل بالاقبال وجلا وجه الجلال ومعه عسكر حلب فى هيئة رايقه وهيبة رايعة فاستبشر السلطان بلقائه ودعا له بلقائه . ولما وصلنا الى حلب در حلبها وتلقانا عجمها وعربها وخرجوا وتبرجوا وتنزهوا وتفرجوا وخيم السلطان بظاهرها ظاهر المخيم طاهر الاديم مستقيما من أمر الله على المنهج القويم وأقام أمامها (٢) الى أن سأل عن الأحوال ومال نحوه بالنوال وأطلع بدور البدور فى آفاق الاتفاق وأطلق قيود النقود بالارفاق والارفاق وتوجه للمسير ماطر السماء سامى المطار سامى الاقتداء قوى الاقتدار . وكنت فى ستة من مماليكى وخدمى وأشيع أملى واتباع عملى والمحتدين احسان السلطان والمعتفين سلطان احسانى . ولما تكاملت جموع الجنود وتواطت وفود الحشود رمى قبل العشية دهليز النوبتية فى صفر وفض الختام وقوض الخيام . وأصبح السلطان راكبا فى عسكره ساحبا ذيل عشيره وهو قمر هالته وشمس جلالته ووصلنا الى مضيق جبلان ثم سرنا فى سهول وأوعاث فى مراحل ثلاث حتى خيمنا على الفرات ببحر المبرات ونزلنا بمكان تحت البيرة على فرسخين نعرف ترتيبا . والفرات قد تجاوزت مدوده وتجاوزت حدوده ومحت من جسوره سطوراه وأعجزت ورده وصدرة أعجازه وصدوره/ (٢٢٠ب) وهو متلاطم الأمواج متراحم الاثباح وكان السلطان قد سير الى معاقل الفرات وقلاعها ونواحيه وضياعه وأمر عليها بعمارة كل سفينة ومركب وزورق فحالت جوارىها كالجبال الرواسى فغلونا أكامها ورفعنا اعلامها « بسم الله مجريها ومرساها » (٣) وأقمنا ثلاثة أيام للعبور وأحمدنا مصباحها وممساها وأخضنا الخيل الماء فغامرت الداء فسبحت السوابح فى تيساره وتسابقت السوابق فى مضماره ولما وقع العبر توقفنا حتى ضم النشر فأخذنا

(٢) فى الاصل : أيامها .

(٣) سورة هود آية رقم ٤١ « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها » .

على سمت حران فى طريق برج علوة والبيضاء وقد ضاق بالعسكر واسع الفضاء ووصلنا الى حران فى عدة مراحل وخيمنا بظاهرها ظاهرين وبامداد نعم الله مظاهرين .

ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى صاحب حران

قال : قد مضى ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى زين الدين على كوجك فى سنة ثمان وسبعين عند توجه السلطان الى الموصل ووصوله الى الخدمة وحلوله محل المشاركة فى الدولة والنعمة ولم يفارق الخدمة على الموصل وسنجار وكان معنا على آمد عند افتتاحها واختتم كل خدمة نجاحها وحلب على حلب افاويق الوفاق وظاهر فى الغزوات وظافر على العزيمات ولم يزل بأخيه زين الدين يوسف بن على صاحب اربل يستعطفه ويستجديه ويحسن له الالتجاء الى الخدمة السلطانية ويرغبه . وصار مظفر الدين لكل من يرغب فى الخدمة قدوة ونال بذلك من القرب والزلفى حظوة وعاد من يهتدى به يقتدى وبوسيلته يحتدى وبخطابه يبتدى ولما عدنا من غزوة الكرك فى سنة ثمانين واقام السلطان بدمشق لاداء فرض الصوم وظن انه يريح ويستريح . وتواصلت كتب مظفر الدين بالحض والحث وتتابعت رسله على هوى الهواده عادلين وللمعونة بالمثونة باذلين وبذل رسوله الخاص ابن ماهان (١) عن صاحبه ما عز وما هان وقال : ان مظفر الدين اذا عبرتم الفرات يستدرك كل ما فات ويقول بكل ما يحتاج اليه فى تلك البلاد ويقدم يوم الوصول الى حران خمسين ألف دينار وكتب خطه بما افصح به من قول وأوضحه من قرار وارغب الامراء والحجاب والخواص فى البذل فسرنا على ما سبق ذكره على البلاد والاقامة بها بارزة الاستعداد حتى خيمنا على حران بالشرح الذى تقدم وسكت السلطان عن طلب ما كان من البذل وما تكلم فان شيمته الحياء وسجيته السخاء لكه لما وجد مظفر الدين غير منبعث لحركة ولا متحرك فى مملكته وهو غير مبد لاهتمام ولا مجد بالتزام ارتاب بسكوته وسكونه وتواجهت مختلفات ظنونه ووشى الوشاة وسعى السعاة وقيل لولا عمارة الحال بينه وبين المواصلة لبقى على حميته وتحقق بفعله ما تبرع بقوله وسيرنى السلطان ومعى شمس الدين بن الفراش قاضى العسكر وقال : احضرا لديه واكشفنا

(١) فى الاصل : هان وكذا صحته .

عن حالتيه واخبراه بما أخبر عنه رسوله وبما سبق به بذوله (٢) وبما استأنفه من الأعفاء والأغفال دون الاحتفاء والاحتفال فلما بصر بنا مظفر الدين أنباته الفراسة بما جئنا فيه وشرع في اثبات ما ينافيه وقام قبل أن يقعد وجاء بمصحف كريم وأقسم به قسم بر على الولاء مقيم . ولما فتح المصحف ووضع عليه يده ليحلف قرأت منه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (٣) فقلت له: يا أمير هذا يأمرك بالوفاء وقد أتى القرآن لكل مرض بالشفاء فما رفع يمينه حتى استوفى يمينه واستحسن أمينه وكذب رسله وجحد ما اعترفوا به من قوله وبذله كله ثم صرف وزيره وادعى عليه تزويره ولولا ذلك ما هان ابن ما هان ولم يصدق على أن ما كان . فجئنا وأخبرنا السلطان بحليّة الحال وأن ما سبق من القول كان محالا على محال فتذمر وتذم وتلون وتلوم وتعجب من القضية وأنها ليست على الحالة المرضية ثم سكت عن شأنه مطرقا حتى أصبح وركب الميدان وفرغ من اللعب بالصولجان استصحب معه مظفر الدين إلى سرادقه على العادة واطاع فيه حكم الإرادة ونقله إلى خيمته ووكل فيها به ومنعه من أصحابه فوقع الخبر بخفضه وشاع سر قبضه وهاج العسكر وماج المعشر وقام المحشر واجتمع الأمراء عند السلطان وأشاروا عليه بخلات العفو والاحسان واجمعوا على أن ينقلوه إلى قلعة حلب وخافوا أنه إذا خلى سبيله هرب وفات الطلب فلما انصرف الأمراء وتصرفت بهم الآراء وخلا وجه السلطان وأنا عنده والفقير ضياء الدين عيسى وقاضي العسكر وعرفنا منه سجية (١٢٢١) الاحسان فقلنا له انتهز فرصة الامكان وقتل المذكور طوق الامتنان وما بلغ الامر إلى الايحاش وما فقد العثار مهلة الانتعاش والذي أشاروا به ليس من الصواب ولا يحكم فيه بظن الارتياح وكان هذا رأي فوافقه وعلم أنه قد ما خصه ومازحه وناصحه وما نافقه وأثب بالغبن مصاب وبالمئن مغتاب ، وقال : امضوا اليه فاكتنفوا ضمايره واستوضحوا سرايره وسكنوا من روعه وأعيدوا إلى أفقه حلقة عادتي ضوئه وضوئه فوافينا وهو مرتاع مستشعر فاجتلى منا وجوه المعارف وهش بهشاشتنا وسر ببشر أسرتنا وقلنا له لا تغتم لما بك فان السلطان يطلب بعثبك اعتابك وانما أجلسك ليقرب عليه المراسلة والمخاطبة . فقال : هو مالك رقي وعارف حقى وأنا أسمع بما معى من البلاد وأخرج اليه

(٢) فى الاصل : بذل وكذا يتطلب السياق .

(٣) سورة المائدة ، آية رقم ١ .

من الطراف والتلاد واصحبه واخدمه ويبين له صدقى الذى انعزمه فقلنا له
يل تسلم اليه قلعتى الرها وحران وتظهر بذلك له الاذعان . فقال : كل ما
تتسرون به فهو مقبول وعلى الرأس والعين محمول ، وعدنا الى السلطان
ولم يبرح من المكان وامر من الخزانة بتشريف يليق فقد شسفعه التأييد
والتوفيق ، واستدعى به فقبل الارض وتقبل الفرض وعاد الى بيته بالحمد
جديد السعد سعيد الجد وتسلمت منه القلعتان ثم اعيدتا اليه فى آخر السنة
ومحيت سبة توهمها بكل ما استماحه من الحسنة .

ذكر الرحيل من حران وما جرى بعده

قال : واقمنا بحران فى صفر ووجه المنى قد صفر ودخل شهر ربيع
الأول فى أوائل الربيع واغتنمنا مرعى المراد فى المراد المريع . وقال
السلطان : لا مكث بعد اليوم ولا لبث فى قصد القوم فصممنا على الرحيل
وجينا الى رأس عين فملأنا سهولها وحزونها وكدنا نشفه عيونها وعبرنا
على بلاد رمت الينا باكباده وملكنا طوعا وكرها أزمة قيادها ونزلنا بدارا لنا
أميرها ووصل الى الخدمة وامتزج بنا وانشج بالود وانتسج وكان قد وفد
بعساكر ديار بكر عماد الدين أبو بكر بن قرا ارسلان بسبب مرض نور الدين
أخيه فشكرنا على تهديه فى توخيه . واقمنا بنصيبين ريثما قضينا الاشغال
ونضونا الاسمال ثم سرنا وخبب الفلق على نسيج الفيلق مزور وطرف الشمس
الارمد بكحل العجاج مذرور وأقبل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه بن
غازى بن مودود بن زنكى وكان قران النيرين والتقاء البحرين بين النهرين
فأصبحنا لأقباله حامدين ولاستقباله عامدين والتفينا به بدرا طالعا فى هالات
اعلامه واسدا خادرا فى سلات آجامه واختلينا به قمر فى نجومه وسررنا
بقدومه فانتظم فى السلك واحتكم فى الملك وفاض الجود له ولاصحابه حتى
دبت كل شاحط ورضيت كل ساخط ، واستدركنا بالاحسان كل فارطة لاجل
تراكم الجحافل والتزاحم على المناهل قصدنا دجلة من اقرب الطرق وتركنا
طريق الدولعية (١) والمرق ونزلنا على بلاد دجلة على بلد وكان وصولنا الى
هذه المدينة فى آخر شهر ربيع الأول ثم حدنا على الشاطيء للثقل والتحول
حتى تصل الى الموصل ثم خيمنا على الاسماعيليات وهناك القينا العصا

(١) الدولعية قرية كبيرة من قرى الموصل — معجم البلدان ٣ — ٦٢٤ .

واستقرت بنا الهوا وتلونا سورة « والنجم اذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى » (٢) وضربت الخيام الى المعركة مغربة ومشرقة ومجموعة ومتفرقة ، وقد هزتنا الى النصر الاشواق واستفزتنا الى ممالكها الآفاق وطارت الاخبار الى الاطراف ورجفت الأداني والأقاصى بالأرجاف . وأول ما بدا به السلطان يوم نزوله ببلد قبل الاسماعيليات تقديم ما هو اثم الواجبات والزم المفترضات وندب القاضى ضياء الدين أبا الفضائل القسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى فى الرسالة الى المواقف الشريفة النبوية وسدة المنيفة الامامية الناصرية وانهاء الاحوال وذكر الاسباب المقتضية للنهوض وأن أهل الموصل مواصلون الأعاجم وخاطبون لسلطانهم القايم وناقشوا اسمه فى الدنايز والدرهم وأنهم يتعززون بالبهلوان وأنهم يرسلون الى الفرنج ويقوون انفسهم على قصد الثغر وتفريق الجمهور وانه ما جاء طمعا فى استضافة ملك ولا قلع بيت قديم/ (٢٢١ب) ولا قطع اصل كريم وانما مقصوده الاصلى ومطلوبه الكلى ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام وقطعهم عن مواصلة الاعجام والمزاهمة بما يجب عليهم من حفظ الجار وصلة الارحام . فهذا صاحب الجزيرة وهو ابن أخى صاحب الموصل ولى عهد أبيه ولم يرع فيه ذمة أخيه وأبعده عما استحقه بالارث والتولية وأجاز حربه وقطع رحمه ولو تمكن منه لأطاح دمه ولولا خوفه من جانبه لما التجأ الى هذا الجانب وما اختار الأجانب على الأقارب . وهذا صاحب اربل جار الموصل أبوه زين الدين على هو الذى حفظ بيتهم وخلف فى احيائهم ميتهم وهذا ولده فى جوارهم يشكو جورهم ولا يعرف فى المكيدة عليه غورهم وقد استجار وهو جارهم الادنى حديث صاحب الحديث (٣) فى حديثه لا يخفى وقد أشرف على الضرار وأشسفى وعين من تكريت من مخافتهم لا تكره وهلم جرا من نوايب وصروف لا تحصي وضرايب ومكوس عنها لا يستقصى أهل الشرك فى تفريق الكلمة وتبديد السلك وعود فى ذكر هذا كله مشافهة الرسول وعلى ما يراه من علاقات الود والقبول . وكتبت الى الديوان العزيز والى صاحب كتب برسائلته والحوالة على مشافهته وكان ضياء الدين الشهرزورى الوزير يشير بمدحة أسيرها الى صاحب

(٢) سورة النجم آيات رقم ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) بلدة من أعمال الموصل . يقول ياقوت هى بليدة على دجلة كانت بالجانب الشرقى قرب الزاب .
معجم البلدان ٢ - ٢٢٢ - ٢٢٣ .

واستدرار ما فلى الديوان باسمى من رسنوم المواهب فاصحبه كلمة
مطلعها :

مضى الوجد لى ان لا افيق من الوجد	فياضله اللاجىء اذا ظن ان يهدى
اياحادى الاظعان خل زمانها ودعها	على خدى بظعنهم تحدى
وما كنت ادري قبل صارم حتفه	وقبلى ان السيف يقتل فى الغمد
ولاصبح الا وجهه الواضح السنا	ولا شمس الا زايد الثاقب الزند
ما رعوس الاعداء الا سنابل	وما نبتت الا لسيفك والحصد
كان لثام الزعف من فوق وجهه	عام لبدر التم وفراقه مبدى
بدرع كان البحر فى البحر زاخر	وطرف كان البرق يومض فى لبد
تساور افواه الجراح رماحه	مساورة الاميال للاعين الرمد
وما لامير المؤمنين كيوسف	فتى فى مرضيه بمهجه يفدى (٤)

قال : وشرع السلطان فى اقطاع البلاد والتوسع بها على الاجناد
وسير الامير سيف الدين على بن احمد بن المشطوب الهكارى ومعه الامراء
من قبيلته والاكراد من شيعته الى بلد الهكارية وجماعة من الامراء الحميدية
الى العقرة (٥) واعماله لاستفتاح قلاعها واستغلال ضياعها ونصبنا الجسر
وعبر مظفر الدين صاحب حران وخيم بالجانب الشرقى ووافقه جماعة من
الامراء فى العزم الماضى الماضى وجاء اخوه زين الدين من اربل بجنوده وبنوده
وجموعه وحشوده وتصرفت فى الاقاليم اقلامى ونفذت فى تلك الممالك احكامى
وكان السلطان قد خصنى بما كان للوزير الجواد جمال الدين بالموصل من
الخواص فاغتثمت فيه نهزة الافتراض وشحنت على صنيعه بأحد يدا وغيرها
ورد على مدة مقامنا حلب خيرها وناقشنى نواب الديوان فيها وكتبوا الى
السلطان ان يأخذ ما بذل فيها خمسة عشر ألف دينار وأنتم تحتاجون فلى
اجرائها الى استيثار فرمى الرقعة الى وقال : تأمل هذا الهذيان ففقت له
وشكرت الاحسان وتسلمت على ادوات الديوان بالسلطان .

(٤) ذكر ابو شامة ابياتا من هذه القصيدة ، قارن الروضتين (١)
ج ٢-٦٣ .

(٥) قرية بين تكريت والموصل وهى اول حدود اعمال الموصل من جهة
العراق . معجم البلدان . ٣-٦٩٦ .

نكر ما رآه السلطان من ترك القتال

قال : ولما نزلنا بالبلاد وجدنا الحر قد وفدت ناره ولفح أواره وقد وقد شهرا ناجر والهجير غير هاجر وجاشت الجيوش وشاقت الخيوش فأشفق السلطان على رجاله من لبس الحديد ومن أوار الحر الشديد وقال : نستعمل ولا نستعجل ونقيم ولا نرحل ونسكن الى أن تحل الحركة وتحل البركة وكفى بأهل الموصل أنهم فيه مسجونون وبما هم فيه محزونون/(٢٢٢) ، والفرض من التصرف في الممالك حاصل والمدد من الطائف الله متواصل فسلطنا وهدانا واشتغلنا بها به بدانا وكان حينئذ ماء دجلة في نقصانه ونضوب بحرها في بحرانه ، فجاء من زعم انه يمكن سد دجله وسكرها وفق فرصة أخرى وكسرهما ونقلها أو تحويلها الى دجلة نينوى ويعطش الموصل اذا الماء عنه انزوى فضحكنا من هذا القائل وقلنا له ومالك ولهذا الرأي القائل فأصر على القول وطول في ادعاء حقيقة الطول . وكان الفقيه العالم فخر الدين أبو شجاع بن الدهان البغدادي حاضرا فجعلناه في الأمر ناظرا ، وكان وحيد عصره وفيلسوف دهره ومهندس زمانه وموسوس احسنانه وانسان عين الفضل وعين انسانه وله الحظ الوافر من جميع العلوم ولا سيما في المنثور والمنظوم والحكمة والهندسة والنجوم . وكان من عهد قديم سكن بالموصل ولما سمع بكرم السلطان تفتيا بظله وتعرف الى فضله فركب في خدمة السلطان ووقف على المكان وشاهد ما توهّموه من سد دجلة وماخذة وفتحها للتحويل ومنافده . وقال هذا يمكن ولا يتعذر وصدق القائل على رايه وآمن بآيه ولم ير خلاف مذهبه في در خلف مطلبه ثم وصل الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط فتحول اليها العزم وترجع بها الحزم .

نكر شرح ذلك

قال : ولما كان يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط وانه توفي يوم الخميس تاسعه(١) وحينئذ ترددت الاراء وتنوعت الاوايب واختلفت في المشورة الامراء والاصحاب فمنهم من اشار بسلام(٢) الى حصول المرام ومنهم من رأي المصلحة في البدار

(١) هكذا في الاصل .

(٢) في الاصل غير واضحة ؛

الى تلك الديار ومنهم من قال نجمع بين الامرين فنترك ههنا من العسكر بقدر ما يحصل به مضايقة القوم من الجانبين ويعجل بالمسير بالعسكر الباقي الى تلك البلاد والله كفيل بالمراد . وبيتنا في هذه الاقسام الثلاثة منزوين وبارشاد الله في استخارته متقدين فلما أصبحنا وردت كتب الاولياء بالولايات بخلاط وبدليس واظهروا الماحضة والموافقة والتأنيس ثم رأينا من امراء خلاط وقد وصل عماد الدين بابل وقال للسلطان : ادرك اولياءك واحباءك وهذه خلاط خلا طريقها وفارق الى قبورك بالقلوب فريقها وان أهلها بالاعاجم لم يخلصوا من المظالم فعجل بدارك واحسن اليها بآثار ايثارك فما زال بالسلطان يحرك همته ويحرض عزمته ويذكر حلو العريضة ويخوف من فوت الفرصة ، وهذه الموصل مأمونة القوات مأمولة في سائر الاوقات وهي اليك واصلة وفي اليد حاصلة فأصبح السلطان ورأيه في الرحيل راجح وغدا الرسول وسعيه في التأميل ناجح وامر الامراء بالتأهب للرحيل وعرفهم ما تصمم في عزم التدبير ثم ارسل الى زين الدين صاحب اربل بالعود اليها وقواه بالامير سيف الدين على بن أحمد وأمره بنصرته والمقام عليها .

فصل من كتاب انشأته الى الديوان العزيز : ومما ينهيه الخادم وفاة شاه أرمن أورث الله المواقع المقدسة اعماق الخلايق ونصر الويه اوليائها في المغرب والمشرق ، ولم يخلف احدا ، وبلاده ساية شاغرة وافواه المطامع من الاعاجم نحوها فاغرة ، وكذلك ديار بكر جميعها قد خلت واختلت ومعاقد الاستقامة بها قد حلت . فصاحب ماردين توفي وخلف ابنين صغيرين أحدهما في عمر عشر سنين والاخر في عمر سنتين ، وكذلك صاحب حصن كيفا توفي وله ولد في عمر عشر سنين ودولت شاه صاحب أرزن (٣) وبدليس موجود في حكم العدم ومن علة الصرع كلحم على وضم وخلاط الآن قد صار طعمة الأعاجم وابنة بهلوان فما زوجها أبوها من صاحب خلاط الا طمعا في مملكته وان يحتوى بعده على ولايته . والخادم منذ نزل على الموصل لم يشتغل بالحصر لما اشتغل من وقد الحر ورأى المصابرة الى ان يطيب الزمان وشرع في تحويل دجلة الموصل عنها وأحضر المهندسين فوجدوه هينا والنفع لسهولة الفتح بينا واحضرت الآلات وشرع في حفر المحاولات

(٣) مدينة مشهورة قرب خلاط .
معجم البلدان ٢-٢٠٥ .

فلما وصل خبر وفاة صاحب خلاط/ (٢٢٢ ب) تردد عزمه فى الإقامة والرحيل ثم وردت كتب المقدمين هناك فى مسيره راغبين وللاعاجم كارهين فتعین حينئذ أن يجيب المستدعى ويجير المستعدى . أما الموصل فما يفوت أمر هؤلاء يعيد بعد العود اليها بمشيئة الله حصرها . ومنه وقد عرف أنه لم يبق لتلك الممالك خصم سوى البهلوان وما مقابلته الا الخادم وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وهو يسأل من العوارف الجزيلة ويرغب الى العوايد الجميلة فى مثال شريف يجمع ديار بكر وخلاط والموصل حتى يفتتح بأقاليمه الاقاليم ويسلك بهدايته فى النصر على الاعداء المنهج القويم .

ذكر رحيلنا الى ديار بكر

قال : رحل السلطان بعسكره عن الموصل فى اواخر شهر ربيع الآخر سايرا ببحر جحفله الزاخر جامعا بالبأس والفأل وشتمل المشاخر ، وتقدم الى ابن عمه ناصر الدين بن شيركوه أن يسير فى المقدمة الى خلاط ثم قواه بمظفر الدين صاحب حران فلما وصلوا هناك وجدوا من المتغلبين بها الحران . وكان سيف الدين بكتمر من ممالك شاه أرمن قد دخلها وحمى معقلها فوقف ناصر الدين دونها وحبس على طيور سكانها وكونها ، وكان قد جاور بدليس الى الطيطوانة (١) ولو سبق الى المكان لم يسبق الى المكانة لكن وزير خلاط مجد الدين بن رشيق كان يظهر للسلطان مناصحته ويسر مشايعته ويبدى الاشفاق ويذكر الوفاق وهو فى ذلك صاحب عثار وطالب ايثار فكتب الى ناصر الدين بالاقامة على القرب لتحقيق الهيبة به والرعب وجاء بهلوان فى عساكر الشرق وهو شمس الدين أبو جعفر محمد بن ايلدكز متولى البلاد بقضه وقضيضه وسمره وبيضه ونزل بقرب خلاط من الجانب الآخر وقيل أن الوزير ايضا كاتبه وأطعمه وأفضى اليه بسر خلوصه واستودعه وهو فى اثناء ذلك يثقل الموازين حتى آل الأمر الى ما آل وتولى بكتمر وأنصرف الحاج والمعتمر وسيأتى ذكر ذلك .

ماد الحديث : واستشعر ملوك ديار بكر حركتنا وقالوا صلاح الدين مسددين رغبتهم الى مملكتنا وكانا صاحبا آمد وماردين صغيرين يقوم بأمرهما أمراؤها المقدمون فخافوا من الانتهاء اليهم والاستيلاء عليهم .

(١) الطيطوانة . بلد من أعمال أرمينية . معجم البلدان ٣-٥٧٠ .

فأما متولى ماردین وهو نظام الدین البقشی فإنه احترز وكشف وجسد الحزم فی التحصین وأما من بآمد فإنه خاف أن يستدرك السلطان الفارط ويستعيد آمد التي فتحها ووهبها اذا لم يجد كما قرر الشرايط فقد كان عند وفاة نور الدین قرا ارسلان يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول اشیر علیه باسترجاعها وقيل له انما سلمتها الى نور الدین محافظة على مرات خدمته ووثوقا بمعدلاته وحفظا لمنزلته وقد انتقل الآن منها وخلاها خالية وابنه يتيم وهؤلاء الكافلون بأمره قد عرفت سيرتهم وعلمت سريرتهم فكيف يحل لك أن تقلدهم وتجراهم على الرعية وتجردهم فقال : هذا امر لا يفوت استدراكه وقدمنا ما يجب تقديمه ويلزم بعد الشروع فيه تكميمه ونحن نقدم انفاذ من نثق به على وجه الرسالة لشامل ما هم فيه من الحلية والحالة وكانت بيني وبين وزيرهم القوام بن سمنانة معرفة صدقت به الصداقة فكتبت له أن يبادر بالوصول مع مخدومه جاريا من استصحاب المحمول والمبذول على رسومه . وندب للرسالة الى آمد القاضي شمس الدین محمد بن محمد ابن الفراش فمضى اليهم فوجدهم على جادة العزم جادين فحثهم على الحضور وجاء قدامهم بخبر وصول ولد نور الدین محمد وهو قطب الدین سکمان وشيخته الطاعة والاذعان ولما وصلنا في أول جمادى الاول الى ميافارقين وكان دخلها من أمراء ماردین اسد الله يرتقش فتنم وتشمم وشغل البال واشعل القتال ونصب المنجنیقات وجود العرادات وملا الابراج بالاعلاج والأسماع بالضجاج متعليا بأمره واستشعلنا بجمره وابصرنا ما لم نكن نظنه واستصعبنا ما كنا نستسهله ودام قتالها صباح مساء وسام نزالها من الجرح والقتل كل ما سر وساء وخرجوا مرارا واحرقوا المنجنیق فكم دم هريق وأصر حمل وما أطیق وشجانا ذاك الشجب وجاء الامر كما لا يجب واستشهد يوسف المنجنیقی وكان برجال ولم يزل له في مواقف الجهاد كل مجال وندمنا على ما قدمنا (٢) من حصر البلد وقصر الجلال على ما ليس في الجلد وكانت الخاتون ابنة قرا ارسلان زوجة قطب الدین صاحب ماردین المتوفى في المدينة مقيمة وعلى سنن حفظها مستقيمة وهي ذات يتامى والى لطف الله بهم مستقيمة وللصوم والصلاة برفع يدها في الدعاء مستديمة وانها أيم مالها قيم متقنة بكفافها متمتعة بعفافها حاضنة من بناتها لعدد / (٢٢٣ ١) الثريا

سالية بدينها عن الدنيا يحميهم اميرهن فى المدينة خماية الغيران وتضرم دون حماهن جواحم النيران ظلماء لج الحصار .

ورأسلنا الامير المذكور بمن يستلينه ويستكشف نهج الصواب من جانبه ويستبينه فذكر أنه يقضى حق من وجب عليه حقه وكان له ملكه ورقه ، وان قطب الدين مذ أدرج فى كنفه درج أفراخه الى كنفه ولا يزال فى عونهن ويبذل روحه فى صونهن ، والخاتون مالكة الأمر ونحن لأمرها نطيع ولخلافها لا نستطيع فرأسلنا الخاتون وتردد الذاهبون اليها والاتون وقتلنا نحن أولى بحفظ بيتك وأحق برعاية حق ميئك ، وهذه المدينة اذا دخلناها فلا خروج عن رضاك ولا دخول اليها الا وفق هواك ، ونصاهر ك فى احدى عقايلك ويبقى على الأبرام لك معاقد معاقلك ، وقتلنا للأمير الاسد سرا : قد مالت الخاتون الى المقاربة فلا تصر أنت على المجانبة واتخذ عندنا قبل أصحاب جماحها يدا ، وكن فى الانتقاد لنا مقتدى . وقيل للخاتون : ان اسد الدين قد لانت عريكته ودانت أريكته وأحمد أمره وأحمد جمهره ، واستقر بعد ذلك الامير اسد الدين ، وان ينقطع الى الخدمة ويتصل بالنعمة ووفور الحرية ويخص بولاية جليجور وأعماله ويقطع عدة نصيبهم من خواص رجاله وتقرر مع الخاتون ان يبقى عليها كل ما باسمها وباسم خدامها وجواريها وأيتامها وسألت أن يفرض لها حصن الهتاخ (٣) ليكون لها عشنا للافراخ . وخطبنا اليها احدى كرايمها لابن السلطان الملك المعز فتح الدين اسحق ، والتمست اليمين المؤكدة بالحج والعناق وأخذت اليد السلطانية أبرم العقود وأحرز نسخ الموائيق ، والسلطان يسارع الى بذل كل ما يقترحونه عليه مخافة التعويق ، وأعيان البلد حاضرون وفى الأحوال ناظرون . ولما أصبحنا يوم الاربعاء آخر جمادى الاولى تقدم السلطان الى موالى القاضى نجم الدين بركات بن عبد الله بن أبى عصرون ومعنا جماعة مقدمون ان ندخل البلد لعقد النكاح على ابنه قطب الدين لاسحق ابنه وان نبتدىء الامر بنجح ذلك المقصد ويمنه ، فدخلنا المدينة وأنا وكيل السلطان لابنه فى قبول العقد ، وإذنت الخاتون أم اليتيمة لابن عصرون لها فى تعيين المهر وتسلم النقود فتم النكاح وعم الصلاح وكمل بالفتح الاستفتاح . وجلس السلطان فى

(٣) الهتاخ ، بالفتح والتشديد قلعة حصينة فى ديار بكر قريب

سراجه وخرج اليه اعيان البلد من المقدمين والامراء والامثال والكبراء ، وسير السلطان الى الخاتون برسم المخطوبة حمولا وهدايا وبذولا وعطايا ومصوغات ذهبية ومستعملات عراقية مغربية وحصنا وجحشورا عربية وسلم اليها الهتاج بصياغة وأجرى خدمها وخواصها على اقطاعاتهم ومكنهم من تسلم ارتفاعاتهم وأخذ الأسد المنشور بجليجور وألف الله القلوب ونظم الامور . وسألت الخاتون أن يخلى القاضي أبو الفرج يوسف بن هبة بن بسام الجبلى على قضائه فكتب له منشورا فى مستهل جمادى الآخرة وأجريناه على تولية الحكم والقضاء والاحتساب بميفارقين ونواحيها وما يجرى معها من الحصون والبلاد ، والهتاج وجليجور ، وذى القرنين استجابة الى أمانته ووثوقه بعلمه وأمانته .

ذكر وصول صاحب آمد ونحن على ميفارقين فى جمادى الأولى

قال : قد سبق ذكره وذكر صغر سنه ومخافته وأمنه وذلك أن وزيره القوام كان عارفا بالمصلحة فانتقل بالامر ووصل بمخدومه قطب الدين سكمان ابن محمد بن قرا ارسلان قادم بالسلامة الرابعة والبشارة الرابعة وارثا خلاص الولاء من أبيه ، متقربا باستصحاب صحبه ومقريبه . ولما ورد خبر اقباله أمر السلطان باستقباله فتلقيناه على مرحلة فتأقاه السلطان بعد امرائه بالقرب وأقبل عليه وحباه بالقبول والحب وأكرمه وبجله ووقره وعجله وأفاض عليه جوده حتى أخجله وعجل اعادته الى آمد بعد أن شرفه وأجباه ثممار عواطفه وأقطفه وخلع على امراء دولته ومقدمى مملكته وأسهم بأحسنائه اكابر ديوانه وأصاغر غلمانه فعاد الى آمد وقد تزينت له وتعلقت وتألقت بتألف شمل ابن نورها وتألقت ، وتمكن الوزير وأمر ونهى وأدرك من منصبه المشتتهى .

ذكر النزول على شاطئ قرمان ومراسلة بهلوان

قال : ولما استتب الفتح وخلصنا ميفارقين تجدد لنا ذكر خلاط وكيف كسر انشغالنا بسواها النشاط ولما تمادى الزمان وقرب / (٢٢٣ ب) منهما البهلوان راسله بكتمر وحمل اليه مع ابنته زوجة شاه ارمن الاموال التى اودعت المخزون وندب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى فدخلها وتكلم مع الوزير وشاوره ظنا بصدق مناصحته فى التدبير فظهر له من فحوى خطابه ما مخضت به الزبدة ونتجت به لواقح الاراء المستجدة وأحال الحال

على البهلوان وأنه جاء ليملك المكان ولو استعجلتم لسهل ما صعب وهان ،
 وكان الفقيه عيسى قد صير صاحباً له الى المعسكر البهلواني للتجسس
 ومعرفة الاحوال بالتفرس فلما حضر هناك ادعى انه رسول وان قوله فيما
 يورده ويصدره مقبول فقالوا له ان صاحبك ان جاءنا تحقق في المصلحة
 والمصالحة رجاؤنا فكتب اليه الفقيه عيسى يعلمه بما ذكره وان بحضوره
 تسكن الدهماء ويؤمن المكروه فكتب الى السلطان بأن القوم قد طلبوه وله مع
 ما سنع من الخطوب خطبوه فكتبت الى اتابك شمس الدين بهلوان كتاباً
 بارسال الفقيه اليه عن السلطان ، فتوجه الفقيه رسولا وصادف اقبالا
 وقبولا ووجد كل ما يقترحه مبدولا وكانوا منا مستوحشين فأنسوا ومن قصدنا
 اياهم مستشعرين فأمنوا ، ومن حركتنا حذرين فسكنوا ، وبجلوا ضياء الدين
 وعظموه وكفلوه بالأمر وأطلعوه على السر وصروه بالاحوال محيطا وجعلوه
 بيننا وبينهم وسيطا . فعاد اليها نشيطا يدرس من شرح حشرهم وجيزا
 وبسيطا ، وأتانا من عند اتابك بهلوان رسل مكرمون وخواص مقربون ،
 وفتحت ابواب الرسالة وسنحت أسباب الاستغفاف والاستمالة ، وعرفنا
 أن خلاط قد حمى عسلها نحلها ، وأن غابة عقرها قد ذب عنها فحلها وأنها
 أعرضت بعدما تعرضت وأبلست بعدما تمرضت (١) ففارقنا قصدها بعدما فات
 انتهاز فرصة الامكان وخلو عرصة المكان من عسكر البهلوان ولا رغبة في
 ائذاء الاحن واذكاء الفتن ، فتركنا الدست تايها والخصم خائفا خايما ،
 ولبثنا أياما لترتيب ذلك الاقليم ومباشرة ضعفها وأمنها بالتقوية والتقويم
 وفوض السلطان ولاية تلك البلاد الى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطي
 فحسم بايالته داء الشر ومحاسنها بالعرف سنة النكر وأقام السياسة
 وأدام الحراسة . ولما دخل رجب أصبحت السماء التي أضحت تحتجب وجاء
 بذر البرد مسمعا صوت الرعد وسسعا من البرق الودق بالودق فرأى
 السلطان أن يعجل الى الموصل أمامه ويحكم هناك أحكام العزم وأسبابه
 وقال : نقضى بها هذه الشتوة وتستتم بالاقامة الخطوة فقوضنا المضارب
 وفوضنا الى الله المأرب وجبنا السبايب وعبرنا السور (٢) ونكبنا مزورين
 عن ماردين الزور والمنا بدارا وأقمنا مستريحين ثم نصبنا الاعلام على اعلام
 نصيبين وورد كتاب من آمد مضمونه أن سيف الدين ما يفارق قصد ميافارقين

(١) في الاصل : تعرضت وكذا يتطلب السياق .

(٢) في الاصل : السور .

وانه على قصد أن ينهض اليها فما رفعنا بهذا الخبر رأساً ولا رأينا بأساً وعرفنا انه مع سكوننا لا يتحرك ولحجرنا لا يتحكم ثم انفصلنا عن نصيبين للوصول الى الموصل وفكرنا فيما نقيم به من المنزلة بحيث يسهل على من بالجزيرة امدادنا بالامداد فوقع الاختيار على كفر زمار (٣) فقطعنا اليها نواحي البقعة حتى وصلنا وقررنا منازلنا بها ونزلنا في شعبان وأغلقت الموصل ابوابها وكثرت للنكاية ابوابها وارتجت وارتجفت (٤) مغالقتها وكان السلطان يركب في بعض الأيام ويشرف عليها ، وهي ترفع أيدي الضراعة رجاء عاطفته اليها وهو مقيم في منزلته لا يريم ومقدم على غريمته لا يخيم ، ودجلة تمد بفلكها وافلاكها واكلاء عينها واكلالها ، والعزم مصمم على الهدو والمكث والسكون واللبث الى ان ينقضي البرد ويقتضى بالرى والورد .

وأصبحنا ذات يوم وكانت يأتينا في الرسالة قوم بعد قوم فقيل قد اقبلت محفات فيها مخدرات خواتين أتاكيات لا عهد لشموسهن بشروق ولا لنفوسهن بخفوق ، ولا لطالعهن بهبوط ولا لطالبهن بقنوط فخرجن يستشفعن ويستشفعن فانزلن خير منزل وأوردن من الاكرام اعذب مورد وأصفى منهل . وقال السلطان : انما جينا لتأليف كلمة الاسلام واعادة الامور بازالة الخلف الى النظام ، وقد قبلت شفاعتكن ورأيت في عصيان العزم طاعتكن ولكن لا بد من مصلحة تتم ومصالحة نفعها يعم فاستقر الامر على أن يكون عماد الدين صاحب سنجار أخو صاحب الموصل وسيطا في البين وحكما فيما يعود بمصلحة الجانبين فانه كانت شفاعته سابقة ، ومسألته في ذلك صادقة ف رأى بهذا الرأي قضاء الحقين ووقف السداد (١٢٢٤) / فيه على الطريقتين وتعطف وتلطف لأجلهن ولأجلالهن وأتى من الكرامة والمبرة بما يليق بأمثالهن وكن ظنن انه لا يقيم بحرمة قصدهن ولا يشتغل بأمر يؤذن بمرادهن فدخلن المدينة متلومات متذمومات ويلطف الله لايدات معتصمات .

(٣) في الاصل : كفر زما . وردت في ياقوت كفر زمار والسراء ناقصة في الأصل : وهي من قرى الموصل ، معجم البلدان ٢٨٨—٤ .

(٤) في الاصل : وارتجت .

ذكر وصول عماد الدين في الوساطة وما عرض من مرض السلطان

قال : وكان السلطان لما دخل شهر رمضان داوم قراءة القرآن وحفظه والالتقان واشتغل بالصيام والتقليل من الطعام ، وظهر انزعاجه وتغير مزاجه وطال مرضه وامتد وحال مضضه واشتد ومبدأ ذلك أنه أصبح يوم الاربعاء ثامن رمضان محموماً وبقي أياماً سقامه مكتوماً رجاء أن يزول ولا يطول ثم سار خبره وطار شره وقدم على رد الشوافع وردع الشوارع ، وسير الى عماد الدين صاحب سنجار في انفاذ رسوله ليوعز بكل ما يعود بسؤله فوصل وزيره الكافي شمس الدين بن الكافي وكان من قبل قد سبق القول في تساييم بلاد شهرزور وقلاعها وحصنها وكذلك ما وراء الرأس من البوازيج (١) والريستاق وتلك بلد القرابلية وبنى قفجاق فدخل ابن الكافي وابن الفراش قاضي العسكر من جانبنا الى الموصل لاجراء العهد على هذا الملتزم المستقبل ، ورحل السلطان قبل عيد الفطر بيوم وهو من بحر بجرانه في عوم وخيمنا على نصيبين في شوال ولم نترقب عود الرسل بنجاز الاشغال ثم استمر الصلح وصلاح الامر وخلص ما بينهم وبينه السر والخبر وخطب في جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبه السلجوقية وفي ديار بكر ايضا والديار الارتقية وضرب باسمه الدينار والدرهم وانحل الاشكال وانكشف المبهم . ولا تسلمنا البلاد منهم نفذ السلطان الى شهرزور مملوكه مجاهد الدين اياز شريك فتلى بها وتملك وكان التركمان الايوانية مستولية فشتت شملها وفتك وندب للنظر في تلك الاعمال القاضي شمس الدين بن الفراش فمضى وحل وعقد واصدر واورد ، واقطع لبعض خواصه الممالك البوازيج وسير الى البلاد نوابه ورتب فيها اصحابه ، ورتب ضيعة بالبوازيج تعرف بباقلا على ورثة شيخ المشيوخ ببغداد ، واقام السلطان على نصيبين أياماً قليلاً ثم رحل مستقلاً في منازل ومراحل حتى القينا بظاهر حران عصا النوى والقلوب لمرض السلطان متخاذلة القوى واجتمع عندنا من البلاد اطباء وللمرض ضرم يلفح وللسقم قسم لا يبرح والامل مرتعب والجدل محتجب والسماح يقول هذا اوان كسوف سمائي ونضوب مائي والدين يندب والملك يصخب والايدي الى الله مرفوعة والنيات بالاخلاص مشفوعة

(١) بلد قرب تكريت على فم الزاب الاسفل حيث يصب دجلة ويقال لها بوازيج الملك وهي من اعمال الموصل . معجم البلدان ١٠٧٥ .

والأنفس متوجعة متوجلة والآنفس بالدعاء مبتهلة والرجاء تحت الخسوف
والبلاء فوق الوصف وفي الغيب أسرار وللقمر أبدار تارة وسرار الديموع
منا غزار والضلوع حرار وما كنا نعلم أن النعمة في سر تلك البلية وأن
الصحة ظاهرة في تلك السريرة الخفية وأن لهذه الترحة فرحة وأن لهذه
الغمة فرجة ولهذه الليلة دلجة وأن العافية عافية وأن كفاية الله كافيصة
وسياتي مامن الله تعالى به من الرجاء في الشفاء بعد الاثقاء .

نكر شيمة السلطان في مرضه

قال : وكلما زاد ألمه زاد في لطف الله ألمه ، وكلما بان ضعفه قوى
على الله توكله وأنا ملازمه ليلا ونهارا وهو يملئ على وصاياه ويفرق بقلمى
على عفائه عطاياه ، واشتدت به الحال ليلة أيس منه فيها الأطباء فلما أصبح
المعتقون والوافدون الى بابه وضجوا ضجة ارتجت منها الدهماء ولانت
لسماعها الصخرة الصماء فسأل عن تلك المرجة وما موجب هذه الضجة
ف قيل له هؤلاء وفدك ورجاؤهم رفدك ، وقد اشرفوا على الخيمة وخرقوا
لاجلها حجاب الهيبة فدعاني وأمر بكتب أسمائهم وتفريق ما اجتمع في خزائنه
من المال على أقدارهم وتحقيق رجائهم وأعطى كل سائل وأغنى كل آمل
فوجد بتلك السماحة راحة ترجى لعلته بها ازاحة واستمر مدة استمرار
مرضه على بذل جوهر ماله وعرضه ، وكان خلقه أحس ما كان في حال
الصحة يخاطبنا بسجاياه السهلة السمحة ولا يخلو مجلسه من ذوى فضل
وأولى نباهة وهم يتجاذبون بحضرته أطراف الفوائد ويهزون لمكارمه أعطاف
المحامد فتارة في أحكام شرعية وآونه في صناعات شرعية ومرة في أحاديث
الاجواد وشيم الامجاد ودفعة في نكر فضائل (٢٢٤ ب) / الجهاد وينذر أنه
انخلصه الله تعالى من نبوة هذه النبوة اشغل بفتح بيت المقدس ولو يبذل
نفائس الاموال والآنفس وأنه لا يصرف بقية عمره الا في قتال أعداء الله
والجهاد في سبيله وانجاد أهل الاسلام والاقبال على قبيله وأنه لا يتسرك
شيمة الجود والسماحة بالموجود وربما استراح في بعض ساعات الليل
والنهار الى السماع لاشارة الأطباء لاجل التقريح والانتفاع فان ظفرنا بمفرد
مغرب ومطر ومطرب وصانع صوت ومحسن لحن احضرناه عنده فربما راقه
وشائقه ووجد به أفراحه .

ذكر الملك العادل سيف الدين ووصوله الى حران

قال : ولما سمع الملك العادل في حلب بمرض أخيه ووصوله الى حران بادر بالوصول وقام بضبط الامور وسياسة الجمهور والجلوس كل يوم في النوبة السلطانية لتولى مصالح الرعية واقامة وظيفة السباط والعمل في كل مهم بالاحتياط والتعدي لكشف المظالم وبث المكارم وسماع مشافهات رسل الجوانب وابلاء كل عذر واجلاء كل ذعر وتيسير كل عسير ورفع كل خسر ورقيق كل فتق ، ولقد عصمنا اذ كنا على خوف من ارجاف يقوى وانتشار خبر سوء لا يخفى ولا سيما اذا خرج الاطباء وقالوا ما فيه أمل ولكل عمر أجل فهناك ترى الناس يستشعرون وبابعد ما يعز عليهم من أعلاقهم ودوابهم يستظهرون ما أراك من المهملين لا من الموقنين فقلت له : أنا لا أخاف الا على سلطاني فاذا ذهب فلا شداد لشاني والذي يفوت أعز من المال والدواب ولا أخاف على ذلك مع ذهاب الاصل من الذهاب فزال بالحضور العادل كل مخافة وسلم الله برأفته من كل آفة ، وكان الملك العزيز عثمان ولد السلطان مع أبيه مقتد بمعاليه مقتف بمراضيه ، وكان من جملة وصاياه عند اشقائه ان ادركني المحتوم ودنا اليوم المعلوم فقد خلفت ابا بكر وعمير وعثمان وعليه وكلهم اراه بمرادى في اقامة الجهاد مليا يعني بابي بكر الملك العادل أخاه وبعمير تقى الدين بن أخيه وبعثمان وعلى ولديه الملك العزيز والملك الافضل ورأى عليهما بكفالة سيف الدين وتقى الدين في مصر والشام العول واقام الملك العادل الى ان وضع المنهاج وصح المزاج وطابت القلوب وغابت الكرب ثم وصل مع أخيه الى حلب وتم معه الى حمص ودمشق وهب له نسيم مصر فاستجد لنشره النشيق .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تأسق موهنا لمعساته

وسياتى ذكر مضيه مع الملك العزيز الى مصر في سنة اثنتين وثمانين ووصول الملك الافضل من مصر وبعده الملك المظفر تقى الدين .

قال : وكان الاجل الفاضل في هذه السنة بدمشق مقيما والى احسان منابى عنه في الحضرة السلطانية مستنيما فلما وصلنا في هذه النوبة الى حران اول ما فتحت عيني على الملوك الفاضلى سافرا مسافرا وقد اصحبه لى تشريفا شريفا ووفرا اوفرا واحضرني رزمة ثياب ارزمت لى ركابها بنجح كل منى ومنيح كل غنى وناولنى كتابا واوقفني على البحر بجواهره والفلك بزواهره .

ذكر نوع من المكارم السلطانية

قال : لما نزلنا على الموصل في النوبتين اجتمع شعراء البلاد وحضر الحاضر والبادي وما بقي من ينظم وهو قعيد بيته بيتا ويجري في مضممار فروسيته كميننا الا وقد اتى بمدحه ليعود بمنحة فتناولها الفقيه ضياء الدين عيسى وكان معيننا في كل نعمى وبؤس وجرح الكرام بكرمه يؤسى وحملها الى السلطان ولعلها مائة قطعة او قصيدة لواهبه مستريضة ولعـسـوارفه مستريضة فقال سلمها الى العماد ليتأملها ويعرف أصـيـلها ومنتحلها فمن استحسن شعره حسن بالثشريف شـهـاره واكثرها درهمه وديناره فاننا نجود لمن يجيد ومن أفاد يستفيد فسلم الفقيه تلك الأوراق وعرض ما فيها على فما استلمحت أكثر ما استلمحت وفيها منتحل ومنتحل ومقول ومنقول وصحيح وسقيم ولاقح وعقيم ومعوج ومستقيم وسمين وغث وجديد ورث فلو حملنا أمرهم على مقتضى الأمر لقل من استقل بالنفع وباء الباؤون بالضر فضممت نشرها وطويت خبرها وسترت عيوبها وزررت جيوبها ودرجتها في دروجها وأبقيت نجومها في بروجها وجئت الى السلطان وقربت تلك المقربات بسروجها وقلت ما هذا أوان الانتقاء (٢٢٢٥) /والانتقاد وتعرض الرجاء فيك للكساد وما من هؤلاء الا من استفرغ وسعه وقطع في الطريق شعثه وأحال على نضو أمله نسوه وأتى بجهد المقل وهم وفدتك وقد هدتهم نارك وحدتهم اخبارك فجد لهم على أقدارهم ولا تشعروهم بشعار اشعارهم فقال : نعم ما به اشرت ولنشره بعرفنا عرفت ونشرت ثم احضر الاكياس وأجرى في تفريق جمعها القياس وأوجد الرجاء واعدم اليأس واغنى الوفد وذخر الحمد .

ذكر حكاية أخرى

قال : كان من معارفى فقيه قد تأدب وأعجمى قد تعرب وعن له أن ينظم في السلطان قصيدة كانت ألفاظها مضحكة وكلماتها بين العربية والعجمية مستدركة فأوصلها الى لأوصلها الى السلطان وأهز بها منه عطف الاحسان فارتقبت لعرضها ليلة موافقه لاداء فرضها وجئت الى السلطان بها وقد سر بشفائه وقر بما أقر الله عينه من اماطة ادوائه فانشدها من جلسائه من صوته أندى ونشاده اجدى والسلطان يضحك من سماعها وتعجب من اعاجيب ابداعها وجلساؤه يوافقونه على ضحكه وينظمون النظم المسموع في مسلك الاستغراب ويسلكه وأنا ساكن لا أبدي حركة فتعجب

السلطان من سكوتى ونسكونى واستغرابهم الضحك دونى فقلت انه استعان بى فى احسان المناب فلا اقل أن لا اسهمه بالارتياح والاعتياح فلما كان موسم ارضاء الوافدين واغناء القاصدين وحررت ورقة باسمائهم رتجرت لتفرقة عطائهم عين لصاحب ذلك النظم ثلاثون ديناراً وجعلها له ادراراً فقلت له بل تضعفها وتجعلها ستين فأنكم ضحكتم بثلاثين وجائزة قصصيدته ثلاثين فقال : انصفت واحسنت النية ولو كانت الجائزة بمقدار القيمة لم يبلغ خمسة صداق تلك اليتيمة فاستغنى ذلك المعلم وحصل له فى مظنبه المغرم المغنم .

ذكر الصدقة فى المرض

قال : لما مرض قال لى اكتب الى الولاة والنواب بالديار المصرية والشامية أن يتصدقوا على الفقراء والمساكين من المال المعد للحمل على قدره فى التعيين ولم يبق فى المسالك الا من وصل اليه نصيب ودعا بالصالحات لمن الله لدعائه مجيب ومن جملة تلك الصدقات انه امرنى أن اكتب الى الصفى القابض أن يتصدق بخمسة آلاف نفوز من الثواب بأضعاف . قال : ولما امتد زمان مرضه أمر ببناء دار عند سرادقه وحمام فى أربعة أو خمسة أيام وكان قد استحضر من دمشق ولديه الصغيرين تورانشاه وملكشاه وأمهما فأسكنهم فيها مدة مقامه فسماهما دار العافية للبرء فيها من سقامه ثم خلاها لمن يترك بها ضيفاً وجعلها للآويين اليها وقفاً لله ووطن وطمر عمرت بعمارتها الاوطان وبيت سرور خرجت بدخوله اليه من بيوت الكرام الاخوان وبنيان سلطان شاد مباني السلطنة ومكان عزاً تفاضل بفضلته عزاً الامكنة ومريض أسد تقشعر من بأسه الأسود ومجثم سداد يترافد الى رفده الوفود وكان مثل السلطان فى تلك المنزلة وهو مقيم كما قال الله تعالى فى حق يونس « فنبذناه بالعراء وهو سقيم » (١) فيها الق حبل الحياة وأزجا النجاة وخص الله السلطان بفضيلة فتح القدس وقضى حاجاته التى كانت فى النفس وسيأتى ان شاء الله تعالى شرح كل فتح فى موضعه وكيف أشرق سنا النصر من مطلعته .

(١) سورة الصافات ، آية رقم ١٤٥ .

ذكر من توفى فى هذه السنة من اكابر الدولة

قال : توفيت الخاتون العصمية بدمشق فى ذى القعدة وهى عصمة الدين ابنة معين الدين أنر ، وكانت فى عصمة الملك العادل نور الدين رحمه الله فلما توفى وخلفه السلطان بالشام فى حفظ بلاد الاسلام تزوج بها فى سنة اثنتين وسبعين وهى من أعف النساء ولها امر نافذ ومعروف بأيدي المعروفين آخذ وجناب ما يزال يلوذ ويعوذ به لائذ وهى فى الدولة حاكمة ولها صدق وصدقات ورواتب للفقراء وادارات ، وقد بنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأياديها وكان السلطان حينئذ بحران فى بحر المرض وبحرانه لما أخبرناه بوفاتها خوفا على زايد علته ووقد غلته وهو يسدعى كل يوم درجا ويكتب اليها كتابا طويلا حتى سمع نعى (٢٢٥ ب) / ناصر الدين محمد ابن شيركوه بن عمه فنعتت اليه الخاتون وقد تعدى عنه اليهما المنون (١) وكانت وفاة ناصر الدين بحمص فى تاسع ذى الحجة من هذه السنة من غير مرض أشعر بها ولا علة أضيف حكم الحمام الى سببها فجاءته المنية فجأة فوجدنا من القدر ببقاء السلطان احسانا وبوفاة ناصر الدين اساءة وكادت مطالع الانس تظلم لولا اننا استأفنا لها بالشفاء السلطاني لها اضاءة وكان ناصر الدين هذا الى محسنا وبفضيلى معلنا ولى فيه مدايح وله عندى منايح وان أوردتها طال الكتاب وأول ما مدحته به فى الايام النورية سقاها الله كلمة منها .

قد اذل الكفر قاهره	واعزز الدين ناصره
كم ساع فى الزمان	له كرمت منها عشائره
وعلى دون الملوك له	عقدت فيها محاصره

وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامير سعد الدين مسعود ابن أنر ونحن قد فتحنا ميفارقين ولقد كان من الاكارم الاكابر ولم أر احسن منه خلقا وازكى عرقا ولم يزل فى الدولتين النورية والصلاحية اميرا مقدما وعظيما مكرما ولسفور فضايله ووفور فواضله رغب السلطان وهو زوج

(١) ساقطة فى الاصل ، والضبط من الروضتين (١) ٢-٦٧ .

أختسه أن يكون هو زوج أخته وواصله السعد تحقيقا
لنعتسه بالتى تزوج بها مظفر الدين كوكبرى بعدده
وجدد بها أسعاده وسعده . قال الفتح بن على بن محمد الاصبهاني منتخب
الكتاب وهذه الجهة (٢) المعصومة بقية شعب الدوحة الايوبية وهى الآن
ساكنة بدمشق وقدمتها فى سنة عشرين وستماية والملك المعظم أبو الفتح
عيسى بن السلطان الملك العادل هو القائم بشرائط تعظيم قدرها وتفخيم امرها
وهى التى توسطت بين السلطان وبين زوجها مظفر الدين فى اتصال
الملك الناصر أبى سليمان داود بن السلطان الملك المعظم حتى يميره من دمشق
الى اربل فى رمضان سنة احدى وعشرين وستماية وهو الآن متملك تلك
البلاد والمتكفل فيها بأموال العباد والله تعالى يبلغه تحت ظل أبيه غاية الطلب
ونهىة المراد . قال : ولم يزل ساعد الدين لى متعصبا متصعبا ولسعودى
مقربا ولقربه من السلطان يتحجب عنده فى مطالبى وينوب عنى فى تقرير
مراتبى .

قال : وفى هذه السنة رد السلطان قلعتى الرها وحران الى مظفر
الدين كوكبرى لتوفره فى الخدمة على حفظ القوانين وظهر منه كل ما حقق
الاستظهار وأوجب لامره الامرار ورغب فى مصاهرة السلطان وقلده وطوق
الامتنان .

وفى هذه السنة توفى عز الدين جاولى وهو اكبر الامراء الاسدية ولم
يزل فى الجهاد يحسن بلاؤه ويصدق غناؤه . ولما عدنا بعد فتح ميفارقين
الى الموصل طرقه البلاء وأوقعه القضاء وقفز لحصانه بعض السواقي فمثر (٣)
به وانكسرت رجله ثم اشتد ألمه وطال سقمه وانتقل الى دمشق وتوفى بها
فى اواخر هذه السنة أو فى أول سنة اثنتين وثمانين .

وفى هذه السنة يوم الاربعاء ثامن رمضان قتل بآمد وزير قرا ارسلان
وهو قوام الدين أبو محمد عبد الله بن سماقه (٤) قتله ممالك مخدمه غيلة
ومحلوا على مباغتته على الفنا حيلة . والسبب فى ذلك انه كان قد تمكن من

(٢) ربيعة خاتون بنت ايوب عمرت الى أن توفيت بدمشق بدار أبيها
وهى دار العقيقتى فى شهر رمضان سنة ٦٤٣ هـ وهى آخر أولاد ايوب
لصلبه موتا وكان يحترمها الملوك من أولاد اخوتها وأولادهم ويزورونها فى
دارها انظر الروضتين (١) ٦٧-٦٨ .

(٣) فى الاصل : تعد والتصحيح من الروضتين (١) ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) قارن نفس المصدر . نفسى الصنفة .

الامر وسكن الى قوة نفسه وركن وكان أحد الامراء الكبار المعروف بالصلاح فبلغ أنه قد تولى الاعراض وانف من الوزير ولم يرض أن يتبعه وكلاهما مستشعر من صاحبه فتسابق الوزير الى قبضه وحبسه واشتغل في التدبير بنفسه فلما سمع السلطان بخبره قال انه تعرض للوقوع في خطره وكأني به وقد ذهبت نفسه وتدانى أمسه وسيثق يقوم به يفتكون ولدمه يسفكون وكأنه تعلق بما في الغيب مكتوم وفي اللوح المحفوظ مكتوب محتوم فانه وصل الخبر بقتله على ما تم من ختره وختله فان جماعة من الممالك الفردين تأمروا بينهم على الفتك بالوزير فجاء واحد اليه وهو جالس في ديوانه واخوانه في الدست الاثير وعنده الاكابر والامائل وهم ينتظرون الاذن على العادة فقال : الملك يدعوك وحدك يسالك عن حديث عندك فقام يسحب ذيل اختياله ولم يدر بما يستصحب من ويل اغتياله فدخل الدهليز وقد اغلقوا (٢٢٦) / الباب الذي يصل فيه الى الامير واغلاقوا وراءه الباب الآخر لما تصوره من التدبير فاعتالوا وفتكوا به وقتلوه ثم اخرجوا الصلاح من حبسه وردوه الى مجلس انسه فلما تمكن قبض وبسط وشرك اصحاب الوزير وقتل منهم من أدركه واستولى على كل ما ملكه ثم قتل أولئك القاتلين وكانوا به واثقين وعن مكره غافلين وبقي متوليا للدولة الى أن أدرك الامير رشده والى أن يبلغ أشده فاستبد بملكه وأخرجه من سلكه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه المذهب عبد الله بن أسعد الموصلي بحمص وكان المدرس وكان علامة زمانه في علمه ونسيجه وحده في نظمته وقد أوردت في صدر الكتاب ما يستدل به على فضله .

ذكر المعزم على الرحيل من حران

قال : وكان السلطان قد كمل علاجه واشتد مزاجه وأراد أن يكون حركته بعد استكمال السكون واستيفاء الحظ من السهول قبل الحزون ولأنه في وسط الممالك وعلى جواز المسالك فتواترت في البلاد أخبار ابلاله وأنباء استبداده واستقلاله وكان عنده ولده الاعز الملك العزيز وأولاده الصغار الاعزة ، والملك الظاهر بدمشق مقيم والامر هناك مستقيم فلما ورد نهي الخاتون وناصر الدين وخلا شبله اسد الدين بعده في العرين وخيف على بلاده لصغر اولاده واحتيج ايضا الي الاحتياط علي ما في خزائنه واستخرج

ما خلفه من ورثته من دفاينه . وكذلك الخاتون عصمة (١) الدين خلفت املاكا وتراثا وأوقافا واسعة وأثاثا ولم يكن من الحسرة بد ولم يكن الا بحضور السلطان لتلك الخلوات والاختلالات تسديد وسد .

قال : وفي هذه السنة لما كنا على ميافارقين وقد فتحناها ورد للسلطان مثال شريف أمامي ناصري بتفويض ولاية ماردين وحصن كيفا اليه تاريخه غرة جمادى الاول . قال : ودخلت سنة اثنتين وثمانين والسلطان سائر بعساكر مفاخر عساكره وخيم على شاطئ الفرات وقد مشط البؤس وصفا من الصحة العبوس ، وودعنا مظفر الدين صاحب حران من الفسرات مصحوبا بالقوة والثبات مشحونا وفلك آماله بالمكرمات ، ورحلنا صوب حلب والملك العادل سيف الدين سلطانها على المقدمة وقد هيا لقدومنا أسباب التكرمة ونزلناها في العشر الاوسط من المحرم فالفيناها كما ألفناها بالعدل أهلة ومن الفضل ناهلة والخطوب (٢) عنها ذاهلة والقلوب بحب الدولة عامرة والنفوس بنعمة ربها متحدثة ذاكرة .

واحتفل الملك العادل بأخيه السلطان وحمل عنه وله واظهر (٣) مجمل جميله ومفصله وقام بكل فرض وسنة في الخدمة وتقبله وما خلى أحدا من خواصه الا خوله وموله .

وأضافني الصنيعة ابن النحال كاتب الملك العادل واستضاف معي قوما وفيهم نجم الدين بن المجاور الوزير العزيزي وقد بعثتني على مصاحبتي اليه وده العزيزي . وكان سكن الضيعة من قلعة حلب في برج من أبراجها وكان في ذلك مذعورا معذورا فانه كان بالاحتراز من المخالطة مأمورا وكان قد نفق على مخدمه واختص بسره واطلع على مكنونه ومكتومه . وكان نصرانيا من القبط ثم اضطر الى الاسلام بسبب امرأة هوى بها وعشيقها وحظى بها ورضيها وما سلمت له الا بالاسلام فاذن سسعه في اسعادها بتمامه واستقر أمره على نظامه وافضى به التوفيق الى التمكين ولم يزل معه حتى انتهى عمره في سنة تسعين .

(١) في الاصل : عضد .
(٢) في الاصل : خطوب .
(٣) في الاصل : واظهرا .

قال : ولما قضينا بجلب الارب رتب الملك العادل فيها نوابه واحكم احكام الملك العادل واسبابه ، وصحب اخاه السلطان منفذا لاوامره ومديرا لعساكره اشفاقا من تعب يلحقه وارفاقا به فى نصب يرهقه فانه كان فى غيب وعكته ولا يؤمن من مضرة حركته ، ووصلنا الى حماه فى مراحل طاب مراحها واسفر بحمد مسراها صباحها وتلقانا النايب عن الملك المظفر تقي الدين بكل جمال وجميل وحسن واحسان جلى جليل وتقى الدين حينئذ نايب السلطان فى الديار المصرية وقد عول فى حماه على نظر ناصر الدين منكورس بن ناصح الدين خمارتكين وفيه السماحة والحماسة والحجى والحصافة (٢٢٦ ب) / وكان تقي الدين منذ تولى حماه حصن قلعتها وعمق خندقها وادام بعمارتها اشتهاؤه وبارادة ادارتها استظهاره فلما ندبه السلطان للنيابة عنه فى مصر سأل ان ينزل عن حمص (٤) فأبى فوافقه على مراده وأبقاها لما عرف من اجتهاده فسلمها الى ناصر الدين منكورس وشكرته الرعية . وكانت بينى وبينه صداقة بصدق الاعتقاد معقودة . واتفق ان سرقت لى فى طريقها الى حمص ثلاثة جمال بما لها من عدة ورجال وكنت قد سلوتها وتمكن عندى فوتها ، فجاءنا هذا الامير بعد يومين بقطارين من الجمال المسروقة وقال : لما سرتم عرفت ان وراءكم لصوصا فرتبت أصحابى فى المواضع البعيدة من العمارة ليرصدوا أهل الذعارة فوجدوا هذه الجمال التى احضروها فتأملتها فاذا هى جمالى نفسها (٥) فشكرت همته الكريمة على احسانها ولم تزل الثغور لسداده مسدودة والرعايا بسياسته محروسة ورايات الكفر بنكاياته منكوسة .

فصل قال : وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم تنكرت معرفتهم بعد الايام السلطانية فهم صدقونى لصدق الحاجة فلما استغنوا عنى حملوا معرفتى وانكروا عارفتى وهذه شيمة اخلاء الدنيا فى دين الاخلال وملة الملال واستحالة الحال .

(٤) فى الاصل : مصر .

(٥) فى الاصل : نفسه .

ذكر الوصول الى حمص وتقرير أمر أسد الدين أبي الحرث شيركوه بن محمد بن شيركوه مكان أبيه

قال : كان قد وصل صاحب أسد الدين الى الفرات لتقرير ما يجرى له من الولايات فأمر السلطان بنظم منشوره وضم نشره وكتاب منشوره فأجرى عليه (١) جميع ما كان لأبيه وجئنا بعد ذلك الى حمص وأقمنا واستعرضنا خزائنه واستخرجنا دفاينه وقسمنا ميراثه . وكانت أخت السلطان الحسامية زوجة ناصر الدين وهي مستحقة للثمن والباقي بين البنت والابن وخلفت عينا وورقا ومجتمعا ومفترقا ومبلغ التراث في الملك والعين والاثاث أناف على ألف ألف دينار فما أعاره السلطان طرفه ولا امتري خلفه بل تركه على أهل التركية وأبقاه برمته لهم وأسد الدين مع صفه (٢) وان كان شهما (٣) لببسا وسهما مصيبا احتاج الى أمير أمين يتقدم على أصحابه ويتولى مصالح بابه فرتب أميرا من الاسدية يعرف بارسلان بوغا فولاه وأولاده ولم يزل مستقلا بالولاية الى أن تفرد الأمير بالامر لسداده وبلغ في السن مدى رشاده ونعت بالملك المجاهد وفي نسخة منشوره : وأنعمنا عليه بكل ما كان لوالده رحمه الله من البلاد والضياح والمعاقل والاقطاعات والولايات وقررناه عليه مستمرا على الدوام مصونا من الاحداث معصومة سرايره المحصنة من الانكاث وذلك حمص، سلمية، تدمر، وادي بنى حصين، الرحبة، زلبيا . واعتمد على الأمير الحاجب بدر الدين ابراهيم بن شرو (٤) الهكاري في ولاية قلعة حمص وما رأيت من الاكراد مثله دينا ومروءة وكرما وقوة فأقام بها مدة حسنت فيها آثاره وشاعت بالخير أخباره الى أن نقله السلطان الى قلعة حلب فكان كما رغب ثم طلبه الملك العزيز في آخر عهد السلطان ورتبه في قوص . ولما فرغنا بحمص من اشغالها ورتبنا ولاية ولاياتها ونواب اعمالها عادنا هوى جلق وطيب هوائها وموافاة أندية أندائها ومعاودة جنا جناتها ومواعدة لذات لذاتها فلما ترتبنا واستطبنا لها النشر والنشق قال لي السلطان : جرد القلم فابد مشق دمشق واكتب الى الاولياء وبشرهم بوصولنا فقد هبت لهم

(١) في الاصل : على . .

(٢) كان عمره ١٣ عاما . انظر الروضتين (١) ٢-٦٩ .

(٣) في الاصل : غير منقوطة .

(٤) في الاصل : غير منقوطة .

قبول اقبالنا باقبال قبولنا والحمد لله الذى اعادنا ورد الينا برد البلاء
بلادنا ولما شاع بدمشق خبر دنونا احتفل أهلها واجتمع بالمسار شملها وطلعت
أعيانها ونبعت عيونها ووافيت أبقارها وعونها وتطبقت على سفة الامن
بقدومنا جفونها وراقنا تلقى اود الامل وملق اخلاء العمل واتفقت المتعشقة
وسمعت الطليقة ودخلنا المدينة وزينة الدنيا خارجة وسكينة النعمى فارجة
وكان الناس قد ساءهم خبر المرض فسرهم عيان السلامة وما الذ الرجاء
بعد الابلأس والثراء بعد الافلاس وانهم خلفوا فى الايحاش بالایناس وأمنوا
بمشاهدة الانوار السلطانية حنادس الوسواس واجتمع السلطان فى القلعة
بأهله واقلع الزمان عن جهله وشاهدنا الفضل والكرم (٢٢٧) / بالمشاهدة
الفاضلية وعدنا الى السعادة القديمة واجتمع السلطان به فبثه (٥) أسرار
وزاره مرة واستزاره ودخل جنته وجنى ثماره وراجعته فى مصالح دولته
واستشاره وعمل بما أشار به بعد أن شاء الله واستخاره وعاد الهوى
وعدنا وزاد الحجب وزدنا ووفينا بما نذرنا وانجزنا ما وعدنا واحيى السلطان
سنتى الاسعاف والانصاف واجنى قطاف اللطاف وجلس فى دار العدل
لكشف المظالم وبث المكارم واحياء المعالم .

ذكر ما استأنفه السلطان من نقل الولايات

قال : وكان السلطان للامانة اخيه العادل له قد مال الى رايه وغنى
بغنائيه ووثق بنفاذه فى الامور ومضائه وهو يشير عليه بما يتمكن فى نفسه
ويقترن بأنسه ويتصور فى حدسه . وكان الملك الأفضل نور الدين على بمصر
وهو ولده الاكبر قد بدأ يظهر وقد مالت اليه بمصر جماعة وله منهم طاعة
وربما نقم تقى الدين النائب هناك من واحد امرا فوقعته فيه منه شسفاة
فكتب يشكو من اختلال امره وانه لا يسعه خلاف من استبد بحكمه ولا يمكنه
ايضا ما يقع من المصلحة برغمه فى عزمه . وكان فى نفس السلطان ان ينقل
ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ليكون عزيزها وليحرز ملكها ويحوزها وهو
مفكر فى وجه تقريره وطريق تدبيره حتى بدا له نقل الأفضل بخطه بكل ما
يستميله الى بلاد الشام فاذا وصل نظر حينئذ فى اتمام ما يؤثره من المرام
(فكتب الى الأفضل بخطه يستميله) (٦) ويضممر بالنجح تأميله ويذكر له فرط

(٥) فى الاصل : فابقه والضبط من الروضتين (١) ٢ ع ٦٩ .
(٦) هكذا فى الاصل .

اشتياقه وأنه لا افراق من ألم فراقه فليصل بجميع أهله وجماعته ووالدته وحشمة وأصحابه وسحره بمعاني الترغيب كتابه فلما قرأ (١) كتابه والسده وثق بنجاح مقاصده وايقن بنجاز مواعده فودع مصر وداع القالى وأزمع عنها أزماع السالى واعتمد فى الرحيل على أمر الله تعالى وسار بهم العوالى والأحوال الحوالى وجاء البشير بوصوله يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى فأمرنا السلطان بتلقيه فى خواصه وحشمة وحواشيه فركبنا سحرة هذا اليوم المبارك وخرج معنا الامراء والولاة والقضاة وكان يوما مشهودا محمودا مشكورا واستصحبنا الحرس الخاص واستتبعتنا العوام والخواص ، ودخل فى زى موكب السلطان وجاء به وأنزله بالقلعة فى دار رضوانه ومكن مكانه وكتب الى تقي الدين أنه قد أزلجت غلته وشفيت فى الاستبداد بمصر غلته فابتهج تقي الدين بتفرده وانتهج سر توحده ولم يدر أن الوهن يطرق الى وثوقه وأن الكساد يسوقه الى سوقه وان كان فى ذمة ولد السلطان وعصمته وان تمام حرمة بحرمة فلو استمسك به واعتصم بسببه وقال : لا ولاية لى فى بلدك الا بولاء ولدك واننى فى التربية كفيhle وفى التولية وكيله لصعب تحويله وما أمكن تبديله لكن قضاء الله ماض وقدره قاض .

ذكر تسليم حلب الى الظاهر

قال : ولما دخلنا دمشق كان بها من أولاد السلطان غياث الدين غازى غزار (٢) عمه الملك العادل وهو صهره وقد اشتد بمظاهرته ظهره فقال له قد نزلت عن حلب لك وحييت بها عطلك وأنا أقنع من أخى باقطاع أين كان والزم الخدمة ولا أفارق السلطان وأطلبها من أبك ان كانت ترضيك وجاء الى السلطان فقال : هذه حلب مع رغبتى فيها أرى أن أحد أولادك بها أحق وملكها به أليق وولدنا الملك الظاهر أحب اننى بها أوثره وملك الدنيا فملك (٣) حلب له لا استكثره وأنا مع ملازمتى لخدمتك ومساهمتى فى نعمتك لا يعوزنى بلد وقال السلطان : مالنا الآن لها عوض ولا لنا فيما ذكرته غرض المهم الآن

(١) كذا . وفى الاصل مطموسة .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل . فكيف .

تدبير أمر ولدى الملك العزيز فان مصر لا بد ان يكون لى بها ولد اعتمد عليه واسند ملكها اليه والصواب خروجنا الى البلقاء ونخيم على الزرقاء ونرتب معه من يمضى الى مصر من الامراء . فرحلنا ومعنا الملك العادل والعزيز والظاهر والامراء والخواص وسرنا حتى خيمنا على الزرقاء وارعبنا بقربنا من الثغور قلوب الأعداء (٢٢٧ ب) / وكان قد مضى ان الملك العادل قد زهد فى حلب وطلبها الملك الظاهر والتمس عوضها بلادا عينها ونواحي بمصر بينها وكان قد مال الملك العزيز اليه لاشفاقه عليه فسأل اياه ان يسير معه الملك العادل فانه نعم الكافى الكافل وحلف انه عن عمه غير عادل ومازالت الرسائل تتردد والاقتراحات تتحدد حتى اعطاه السلطان بمصر البلاد المعروفة بالشرقية واعتمد عليه فى ساير الممالك المصرية وسمع تقى الدين فى مصر هذا الخبر فنبأ ونفر واذا تولى أبو بكر فلا عمر فعبر الى الجيزة مظهرا أنه يمضى الى بلاد المغرب ليملكها وكتب الى السلطان ان لا يمنعه من سلوك مسلكها وسهت همته الى مملكة جديدة واقاليم ذات ظلال مديدة وقد كان أحد ممالিকে المعروف بقراقوش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد برقه وهدته الامنية الى النفايس فى بلاد نفوسة فادركها وتجاوز الى افريقية وهو يكتب الى تقى الدين مالكة برغبته فى تلك المملكة ويقول ان البلاد سايبه وعرايسها لكفوها منها خاطبة فلما تجدد ما تجدد عبر تقى الدين بعسكره وجنده ومالت اليه عساكر مصر لبذوله ومخالفة عدوله وقدم مملوكه يوزبه ليكون فى المقدمة .

ولما انتهى الى السلطان خبر عزمه قلق بتغريبه وعلق بتقريبه وقال لعمري ان فتح المغرب مهم لكن فتح البيت المقدس اهم والفائدة به اتم واذا توجه تقى الدين واستصحب رجالنا المعروفة وابطالنا الموصوفة ذهب العمر فى اقتناء الرجال واذا فتحنا القدس والساحل طوينا الى تلك الممالك المراحل وعلم لجاج تقى الدين فى ركوب اللجة واحتجابه فى سلوك تلك المحجة .

قال : ولكننا نكتب اليه بالوصول ليشافهه بوصايا ويطلعه على خفايا وحينئذ يعزم ويصمم فاذا وصل اليها شغلناه واذا استقالنا عثره اقلناه فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه . ولما استقر أمر الملك العادل فى المعيشة التى بها توحد الولاية المصرية التى بها تفرد استدعى نجاز أمر العزيز لمسير معه فقرر السلطان لولده قوص واعمالها ومرافقها وأموالها وأضاف

اليه اجنادها ورجالها ورتب له رواتب ووظف له وظائف مواهب وعين له من خواصه حجابا ومن ذوى استخلاصه أصحابا ودون له ديوانا وكتبا ، وودعه فى العشر الأول من شعبان، وسار الملك العادل وودعناهما وعدنا مع السلطان والفاضل ، وكان دخولهما الى القاهرة فى خامس رمضان . وأما الملك الظاهر فان السلطان سيره الى حلب وانعم عليه بها وببلادها وسائر قلاعها وأقاليمها وضياعها وأمر أمرائها بطاعته ومتبوعيها بتباعته ، وندب معه شجاع الدين عيسى بن بلاشوا ، ولم يزل الملك الظاهر من أيام صفه كبير القدر نسيج الدهر شديد التيقظ ، شديد التحفظ بعيد المنال قريب النوال .

وأما الملك المظفر تقى الدين فانه لما وصل كتاب عمه بالاستدعاء سارع الى تلبية النداء ، فجاء مغذا يغذ السائرين نداء وخلق بمصر أصحابه وأسبابه فوصل الخبر بوصوله فى العشر الاخير من شعبان وخرجنا لتلقيه، وخيم السلطان على كنف المصرى فوق قصر أم حكيم فلما قرب ركبنا الى موكبه وقرت عينه بلقيا عمه وظفر من السعادة وما فى قسمه ونسى ذكر المغرب لانارة مشرق سعده فلم يرجع الى ذلك الحديث من بعده ، وخاطبه السلطان بكل ما عاد بانسه النافر والسلو عن أمسه القابل ودخل الى دمشق فى آخر شعبان فابصرنا على وجهه هلال رمضان وعاد الى ما كان له من البلاد ومنبع والمعة ثم اضاف اليه ميافارقين وجميع ما فى ذلك الاقليم من المعقل وخصه من ممالكه بالكرائم والنفائيم وكتب الى مصر باستدعاء رجاله واعلامهم بتأخر عزم المغرب بل ابطاله فامثلوا الامر وفارقوا الى الشام مصر سوى ملوكه زين الدين يوزبه (٣) فانه رتب له عسكريا الى المغرب ومضى واستصحبه وغلب على بلاد أفريقية ثم قصد صاحب المغرب فأخذه مأسورا ثم اغزاه مع الغز فى ثغرة من الثغور فألفاه مشهورا مشكورا فقدمه على الغزية الغزاة واهم بلاء حسن فى تجمع الكفر ولا قدر للبغات مع البسزة .

فكر مكرمة لتقى الدين

قال : اجلسنى عنده يوم قدومه بالمخيم على المصرى يبينى (١) أسرارہ
ويذكر لى فى الحسن والاحسان آثاره وأطال معى حديثه عتيقة (٢٢٨) /
وحديثه فجعانى من سارنى بخبر ازعج خاطرى وذلك انه أخبرنى احتراق
دكان فى جوارى غلبت عليه النار حتى اشرقت بها الدار فسألنى تقى الدين عن
الحال وما سبب شغل البال فأخبرته هو وقلت هو قربان هذا القدوم المبارك
فقد كان العصر القديم وقوع النار فى القربان اماره قبوله وعنوان حصوله
فأثر هذا القول فى اريحيته ونفذ الى يوم وصول الى دمشق مائتى دينار
وقال رم بهذا ما تشعث من هدم او نار ولم يكن العهد بعيد بانفاذ رسمى من
مصر ودنائير مصرية مائتين ولم يستكثر فيكون الضنين وكم له عندى من
اياد مبتكرة وكان لا يسمع لى قصيدة الا استأنف لها جايضة جديدة ومما
مدحته به فى هذه الدفعة قصيدة سينية تشتمل على مائة واربعين بيتا
انشدتها اياه فى ثالث رمضان من هذه السنة ومطلعها :

فقد تلفت منا قلوب وانفس
ولا لكم الا بهيمى تأنس
فهل بعثتم طيفكم يتحسس
عيشة لى مجنى ومجلى ومجلس
ومقلتسه راح وورد ونرجس
فهل بعثتم فؤادكم يتحسس

فهل قلم فى كفه أم قلمس
عيون الندى من كفه يتحيس
فأشكيتة والجور بالعدل يعكس
ففتاكم بالعجـاج يترمس
سسجدا فله نصرانيه تتمجس
كفيتم على رغم المعناذير كل سو
لاقدامه من عصابة الشرك ارؤس
وتزكوا ثمار الغرس ان طاب مغرس (٢)

عفا الله عنكم من ذوى الشوق نفسوا
اما لكم الا ببسلاوى سسلوة
جرحتم فؤادى بل هدمتم تجلدى
لم انس انسى بالحمى سقى الحمى
ولى فيه من ثغر الحبيب وخده
ظننتم بعينى انها تألف السكرى
ومنها فى المدح :

بتوقيعه تجرى المواهب ابجرا
وهل بظما الراجى مسكارم ماجد
تشكى اليه الغرب جور ملوكة
يستر بالنقع السماء كأنها بخو
شموس ظبى تغدوا لها الهام
وكم كفى الاسلام سوءا بملككم
اذا ما تقى الدين صال تساقطت
بانمار شكرى غرس نعماك مثمر

(١) فى الاصل : غير منقوطة .

(٢) وردت هذه القصيدة فى الروضتين مع اختلاف فى بعض الابيات

انظر الروضتين (١) ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ .

ذكر ظهور كذب المتجمين في شعبان هذه السنة

قال : كان المنجمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم في هذه السنة في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح في سائر البلدان وخوفوا بذلك من لا وثوق له باليقين ولا أحكام له في الدين من ملوك الاعاجم والروم وأشعروهم من تأثير النجوم فشرعوا في حفر مغارات وتعميق بيوت في الاسراب وتوثيقها وسد منافسها على الريح وقطع طريقها ونقلوا اليها الماء والازواد وانتقلوا اليها وودعوا الطراف والتلاد وانتظروا الميعاد وكلما سمعنا بأخبارهم ضحكنا من عقولهم الواهية العقود وسلطاننا يسخف آراء أولئك الملوك وكيف خص الله بصايرهم بالاضلال والحكوك فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون لمثل ريح عاد ونحن جلوس عند السلطان في فضاء واسع وناد للشموع الزهرات جامع وما يتحرك لنا نسيم ولا يسرح للهوا في رعى مناقب الأنوار مسيم فذاكرنا ما ذكره المنجمون وشرعنا في رواية أحاديث الرسول وذكر ما يدل على بطلان أقاويلهم من المنقول والمعقول فما رأينا ليلة مثلها في ركودها وركونها وهدوها وهدونها .

ذكر الحوادث في هذه السنة

قد سبق ذكر اتابك شمس الدين محمد بن اتابك ايلدكز المعروف ببهلوان وعساكرهم وأنهم وصلوا الى قرب خلاط عام أول في جمادى الآخرة/ (٢٢٨ ب) ونحن على ميافارقين فلما انصرفنا انصرفوا وتصرف ببهلوان وجرى بما قدره الله الحدثان ومرض مرضا أعيا الأطباء دواؤه وأعضله دأؤه وأيسه عن الصحة أطباؤه وانقطع رجأؤه من الثرا الى الثرا ومن البراءة الى السرا وجاعنا نعيه في أول سنة اثنتين وثمانين فما ندري أكانت وفاته في هذه السنة أم قبلها وكانت حياته متصلة للجد والجدي الى أن جذ القدر حبلا واضطربت من بعده تلك الممالك وتطرقت الى البلاد من بلائها الممالك وأحربت أصفهان والى اليوم من سنة أربع وتسعين ما وضعت أوزارها وما ببالي أزور عنها من استولى بها أوزارها . قال الفتح على بن محمد الأصفهاني مختصر الكتاب والى اليوم من سنة اثنتين وعشرين وستماية الحروب في أصفهان قائمة على ساقها والفتن مهيبة فيها على سسكانها بأوراقها والله تعالى يفرج عن أهلها ويبدل حزن أحوالها يسهلها . قال : وتولى بعد بهلوان أخوه قزل أرسلان فزال مهابة الملك السلجوقي وسلك

بالسعيد الشقى الى ان اتضع الملك وانقطع السلك وطمعت خراسان فى العراق وعدمت الافاقة من الافاق .

عاد الحديث : قال : واتصلت المواصله بيننا وبين المواصله واستمرت المراسلات بالصلوات وفقدت الحقوق فى الحقوق وجاء البر من العقوق واعد السلطان لاتابك الموصل هدايا وتحفا ومستعملات مصرية وثيابا وحصونا وجحورا عرابا وطيبا اهداه اخوه سيف الاسلام من اليمن وكذلك لوالدة الاتابك وصاحبه ولابنة نورالدين رحمة الله عليه ولاترابهن ما يليق بهن من البدلات الثمينات والمفاخر الذهبيات وقلائد العنبر الاشهب ونفايس الملبس المذهب . واعد لمجاهد الدين قايماز مدبر ملكهم ما يعزز نظيره من الخلع الفضارية والهدايا الكثيرة والمركوب العربى وقوم ما سيره اليهم بما يربى على عشرة آلاف دينار سوى الخيل والذيب والشيء البديع الغريب ورخص وضر ما نزع (١) به الشيطان ورفع الشنان وارتفع الشأن واستظهر بمظاهرتهم السلطان .

ذكر جمال الدين محاسن بن محمد المعروف بابن العجمى ووصوله الى الخدمة السلطانية

قال : قد أجريت حديثه لما نزلنا على الموصل فى النوبة الاولى وانه المتردد فى الرسالة وانه ذو رأى وبصيرة وفضل وفطنة وهو أمين الأمير مجاهد الدين قايماز (٢) وحاجبه ومهديه التى تتضح بسنا رأيه مذاهبه . وفى تلك الدفعة عند حضور شيخ الشيوخ على الموصل فى الشفاعة يخرج كل يوم هذا محاسن بحديث حديث ويحضر وهو عاد فى زى مستعد مستغيث حتى بردت تلك الحرارة بطبه وفلت عن الموصل حدود بأسنا بحده وعزمه ، ولما رحلنا عنهم تلك الكره وفتحنا بلادهم بالخابور وسنجار واشتغلنا بحصار آمد فى اوائل سنة تسع وسبعين وجئنا الى حلب وحلبنا درها ونظمنا فى سلك الفتوح أمرها جاعنا الخبر بدمشق ان اتابك الموصل قبض على مجاهد الدين وحبسه وأخفى موضعه الذى فيه أجلسه وكان من قبل اعتقاله له قد توجه الحاجب محاسن الينا بارساله فعلم بحاله وكان قد قرب

(١) فى الاصل : نفع والتصحيح بالهامش نزع .
(٢) فى الاصل : قايمان .

من جلب فأبعد عنه ممن وراءه الطلب وكتب الى السلطان وأمره بالوصول وأعطاه حتى أغناه وحقق له من الاقطاع والاصطناع كل ما اقترحه وتمناه ثم استخلصه لنفسه واستخصه لنفسه وانساه بجوده الموصل والاتبك وقال الحمد لله الذى أتى بك وهو من جميل دابة وحسن آدابه كل يوم فى زيادة وحسن وسعادة دين ودنيا . وكان يعتمد عليه فى المهام العظام وأرسله مرات الى قزل أرسلان والى السلطان السلجقى (٣) بهمدان وأما مجاهد الدين فانه طال اعتقاله أشهراً وأيس صديقه لما لم ير له مظهراً ثم رأى صاحب الموصل بعد حين انه من أمر مملكته فى تهويم وتهوين واستيقظ واذا أموره بسواه مختلة وعقوده منحلة فنعرف وأنف واستدرك ما قرط وكان مجاهد الدين عنده مكرماً ولم يزل له مستشيراً معظماً فأخرجه يوماً بعد اليأس منه الى مرتبته وسر السلطان بما سمعه من خلاصه فانه لم يزل من مريدى الخير وخواصه ولما نزلنا فى المرة الثانية فى سنة احدى وثمانين على الموصل صحبنا جمال الدين محاسن من جملة خواصه الأمراء ومن المعدودين فى المشاورات والآراء واقطعه من أعمالها باوشنايا (٤) وانفصلت بتوصله وتوصله هناك القضايا ولما صالحناهم اعتمدوا على محاسن فى حفظ مصالح الجانبين فاستقرت الالة بوساطته وجرى أمر المواصلة بمقامه عندنا على السداد وأمنوا بأمانته وكفايته (١٢٢٩) / طوارق الفساد وتخبروا فى النصرة الناصرية على ما سيأتى شرحه الى الجهاد ونقل جمال الدين محاسن أهله وولده الى الشام ووفرت حظوظه من الاكرام والانتعام .

قال : وكان مجاهد الدين قائماً فى أيام الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى رحمه الله وهو يتولى اربل يتوفر على مصالحى ويؤثر مناجحى ولما جاءت الدولة الصلاحية وانتقل هو الى الموصل جرى معى على احياء تلك المعرفة فلما تنفس صبح الصلح حررت عهداً عمرت به معاهد الاحرار

(٣) هكذا فى الاصل .

(٤) باوشنايا : قرية كبيرة من قرى الموصل قرب بلد من أعمال البقعاء .

معجم البلدان ١ - ٤٨٦ .

واسوت بإبراء اساءة كلمى كلم الأبرار وقصدت التحقيق واحكمت المواثيق وقضيت حق الكلم ففضوا حق الكرم وانفذوا الى بغلة مسرجة ومائتى دينار وثلاثين ثوبا من مقدمات انواع الوشى . ولما أقمنا بدمشق سنة اثنتين وثمانين انفذوا على يد جمال الدين محاسن ذلك الرسم بل أضعفوا فان مجاهد الدين تقرب من خاصه بما أحرزته قصب السبق وأبقى الى انقضاء بقاء السلطان صداقه الصدق ، قال : واشتغل السلطان فى بقية سنة اثنتين وثمانين فى استقراره بدمشق ومقامه أشفاقا لنكس سقامه فى بعض أيامه بالصيد والقنص فكان يركب الى تل راهط بالبزاة والشواهين مع مماليكه الخواص الميامين وله شاهين يجرى كأنه بحر ، واذا حلق فشرار ، واذا أحرق فجمهر فكلى المدار ملكى المطار شهاب ثاقب فى الديجور عذاب واصب على الطيور وكم صاد ليوسف يعقوبا وعقر فى انجاز وعد صيده عرقوبا ولما رايت للسلطان هذا الجارح غبطته عليه وطلبتة اليه وقتلته هب لى هذا الشاهين فتعجب من سؤالى المستبعد وسؤلى المستغرب فقال أنت للقلم والدواوين والحجيج والبراهين فمالك وللبزاة والشواهين فقلت : يكون فى ملكى وكل ما يقتنصه يأمر لى به المولى وهذا أربح لى وأنفع وأولى . فقال : نعم وهبته لك ولما أصبح وعاد من القنص سىر لى سبعة عشر قطعة من طير ماء حجل وقال : هذا صيد شاهنيك فى طلق واحد وعلى عجل فملكك ذلك الشاهين خمس سنين والسلطان يصطاد به ولى قنصه فمزال لى على هذا الحق محافظا ولهذه النكتة ملاحظا الى أن أودى الجارح فياله دره من سلطان خاطره بهم الممالك مشغول وعلى قلبه عبء الدنيا والآخرة محمول ولا ينس ذكر هذه القضية التى أعاد مزاحها جدا والشدة لى حقا معيدا فدون حقه على مثله انه يوسف ومن حقنا بعده أن نتلوا : « يا أسفى على يوسف » (٥) .

ذكر ما أنعم به فى شهر رمضان من هذه السنة

قال : لما دخل شهر الصيام نوع انقسام الانعام وأصل وفرع وأعرب وأبدع واتفق أن بعض التجار كانت بضاعته بياقير رفيعة مالها نفاق ولا له فى اخراجها ارتفاق فحملها الى الخزانة السلطانية وهى أكثر من مائة قطعة فقال خذوها واكتبوا أثمانها الى مصر . فاشتريت منه وكتبت له بذلك توقيع

على ما فى مصر من المال الحاضر وكان من كرم شميم السلطان اذا عرف فى خزانته موجودا انه لا يستطيع تلك الليلة حتى يفرقه جودا فقال لى قسد اجتمعت لنا بياقير وحمائم فقد تقاضتني نفسى بجعلها على اهل الفضل والمكارم فنبدأ بأهل الدين والتقوى ونجعل لهم اوفر خط من الجدوى وكان فى الوافدين ومن اهل البلد وعاظ وعلماء وحفاظ فيكون كل يوم بكرة نوبة (١) لن يتكلم على المنبر ثم يخلع عليهم وعلى القراء ويفضل بعضهم على الشعراء فاشتغل مدة اسبوعين بالمواعظ وسماعها ووضع المنبر فى ايوان القلعة للناس واجتماعها ولما فرغ الوعاظ من شغلهم واتوا بظلمهم ووريفهم قلت : قد قضينا حق الوعاظ وبقي حق الفقهاء وهم العارفون بأداة الشرع ناقلون حكم الأصل والفرع ولا بد من احضارهم فى الايام الباقية من هذا الشهر وسماع مناظرة ائمة العصر فقال : انهم يقضى بهم الخلاف الى التشاحن والتضاغن فقلت : انا اضمنهم ولا احضر الا اوقرهم واوزنهم فقال : انت تتعصب لهم لا بل منهم لأجل اجلالهم لا يمهلم ولا تغفل عنهم فحضر اول يوم فى ذلك المحفل جماعة اكابر من مشايخ اهل الفضل فجرت مناظرة مفيدة ومباحثة مبدية للفضل معيدة مأول من اشار اليه السلطان بالاستدلال من هو منظور بعين الاستقلال وهو مدرس الحنيفية فى المدرسة النورية برهان الدين مسعود فتأبى وتكعب وخاف ان يعرض عليه من لا يباريه فى نظاره ولا يجاريه فى مضماره فقلت له ابدر الى الميدان منطلق العنان فما يقوم برهان الا بالبرهان فقال : ان كنت تعترض فانا بحكمك افترض فأجبت الى مراده وأمنت (٢) ان يجاريه سواى فى ميدانه (٢٢٩ ب) / وبجلته بأن اكون فى اقراءه فشرع فى الدليل وقضى حق السائل فى السؤال والجواب ثم نص السلطان على فى الاعتراض فباشرت ايكار افكارى بالاعتراض ونفيت العلة وشفيت الغلة وحللت الاشكال واعدلت ما مال وبينت فيه الاختلال . وكان تمنسكه بحديث ثم شرع فى اثبات الحكم بالقياس فألزمته الانتقال فشرع فى الجواب وأحسن وأتى بما أمكن وتعوض النادى وسال بالفوايد الوادى .

(١) فى الاصل ساقطة ، الضبط من الروضتين (١) ٧٤-٢ .

(٢) أبو شامة يقول : فاستدل أول يوم برهان الدين مسعود بمدرس الحنفية فى المدرسة المعمورة النورية واعترض عليه العمساذ الكاتب الروضتين (١) ٧٤-٢ .

وكان فى اليوم الثانى محفل أحفل واستدل فيه أكبر مشايخ الحنفية بدر الدين عسكر واعترض عليه من أصحابنا القاضى محى الدين بن الزكى ففاض الفضل ودر الحفل ، وكان السلطان يجلس كل يوم لطايفه ويجدد ذكر كل تالدة بطارفه فلما دنا العيد وقرب من الأمل البعيد أمر بإثبات ما يخص بالخلع فكاثوا أكثر من مائتين وخرجوا عن عدة المعينين فأمر بابتیاع العمائم وأحياء سنة المكارم ونقل جميع ما فى الاسواق الى الخزانة للانفاق وكنت قد أخذت رسم التشريف فى أول شهر رمضان فسحبت فى العيد بالدخول فى زمرة العلماء بالخلع المستجدة الاردان وكان قد اجتمع الوفود والرسل من الاطراف فدخلوا فى عموم الاسعاف بخصوص اللطاف . قال : وفى هذه السنة بنيت دارى بدمشق مقابل القلعة وكان السلطان لا يكاد يقيم فى بلدة ولا يستقيم على أحد ينتقل فى البلاد اما للجهاد واما للاستكبار من الممالك وأخراج الملوك الى الانقياد فلما أقام فى هذه السنة سنة اثنتين وثمانين بدمشق للاستراحة كان يستدعيني ليلا ونهارا ويستكفينى فى المهمات والمهمات سرا وجهارا فبنيت دارى للقلعة مجاورة ليقرب طريق قصده وادخل دارى اذا خرجت من عنده فهى الان مربعة ومناخى وبه عش أفرأخى وهى حقه درى وحقه درى وبیت عطاردى ونظم (٣) أوانسى وشواردى .

ذكر ما تجدد من الخلف بين الفرنج

قال : كان قومص طرابلس ريمند بن بيمند الصنجيلى تزوج بالقومصية صاحبة طبرية وجعل بها لأجلها سكناه وقصر على تملك الفرنج مناه فان الملك المجذوم لما هلك أوصى لابن أخته وهو الذى بعده ملك ولأجل صفه كقله القومص وهو على تربيته يحرض وبثوب الاستبداد يقمص وهو بالقوة والرأى مسلسل ويزعم أنه بالأمر مستقل فهلك الصغير وبطل عليه التدبير فان الملك انتقل الى أمه وبطل ما كان فى زعم القومص وزعمه فوقعت عينها على أحد المقدمين العرب فاستخلصته للقرب وانكحته نفسها وبردت لسهمه قوسها ومكنته من مزرعتها لنسقيها وحرثها وأدنته من خلوتها لادناء خلخالها من رعاتها وقالت : ان الفرنج ذكورها أقوم بالملك من أناتها ثم جمعت المقدمين والبارونية والاسبطار والداوية وقالت : هذا زوجى قد نقلت اليه ملكى وعقدت به مسلكى فوضعوا على رأسه التاج فزخر بحره

وعب وماج فسقط القومص في يده وخرج من جلد جيلده وعمى عليه
واضح جده وطولب بحساب ما تولاه فنفر منه واباه وناداه الملك وما لباه
وادعى ان ذلك انفق في الملك الصغير والذي رياه ثم حل حباه وسئل
طلباه واختزل واعتزل ومن ذورة العتو ما نزل ولاذ بسلطاننا وانفذ رسله ببذل
الاستطاعة في الطاعة والجري على حكم التباعة وانه وان دعى اجاب
وان رعى اهلب فاعجب السلطان قوله وقالوا ربما كان هذا ختلا وخترا
وخداعا ومكرا فقال : اليس قد وقع بين الكفر اليأس وحصل لهم من اصلاحه
البأس فيجرب به مجرى المؤلفة القلوب وكان الامر على ما تفرسه والعقبى
الحميدة على ما جد منه فان ذلك كان من اسباب وهن الكفر ومنزل نص
النصر . وكان في الاسر خيالة من اصحاب القومص قد قررت عليهم قطايح
ثقيلة فاجاب سؤاله في المن والاطلاق واخرجهم الى عز السراح من ذل
الاسترقاق حتى كاد القومص لولا خوف اهل ملته يسلم وصار بدولة السلطان
وملكه يقيم ومال اليه من الفرنج جماعة وظهرت له منهم للطاغية طاعة وأمن
الثغر وسكن الدهر ودخلت من جانبهم الى بلادهم السبايا وخرجت الغنائم
والسنايا وللقومص قوم صدق يساعدونه في كل باطل وحق فمل بهم اهل
الساحل وبلوا منه بالشغل الشاغل .

(١٢٣٠) / ذكر غدر ابرنس الكرك

قال : كان هذا الابرنس ارناط اغدر الفرنجية واخبثها وافحصها
عن الردى وابحثها وانقضها للمواثيق المحكمة وانكثها وهو على طريق
الحجاز ومن نهج الحاج على المجاز . وكنا في كل سنة نغزوه وبالبوايق
نعزوه وقد الجأنا الى مضايق المضايقة والاضاقة فأظهر انه الى الهدنة
والهدوء شديد الفاقة فتعرض للتضرع وجنح للسلم واخذ الامان لبيسلده
واهلكه وبقي الأمن شاملا والقفل من مصر في طريق بلده متواصلا وهو يمكس
الجاي والذاهب ويحيى من الضروب والضرايب وينكب النواكب حتى لاحت
له فرصة في الغدر فانتهازها وقطع الطريق وأخاف السبيل ووقع على قافلة
ثقيلة ونعمة جليلة فاجتاحها واستباحها وكان معها من الاجناد فأوقعهم في
الشرك وحملهم الى الكرك فأرسلنا اليه وذهمنا فعالمه وقبحنا احتياله فأبى
الا الاضرار والاصرار واضرم الشرار وأضرى الشرار فنذر السلطان دمه
فأظفره الله به يوم حطين فقدمه ووفني في اراكة بدمه بما التزمه . واقسام

السلطان بقية سنه اثنتين وثمانين بدمشق وقد شغل الفرنج بعضهم ببعض وعسكر الجهاد في العرض ونحن من عداد الاعداد واستمداد الامداد في اقامة سنة واداء فرض .

قال الفتح بن علي الاصفهاني مختصر الكتاب : قد اورد الصمد السعيد عماد الدين رحمه الله ههنا رسايل لفضلاء العصر مبينة على حروف معينة اكثرها وان اشتملت على الالفاظ البارة والمعاني البديعة لا تخلوا من تكلف تمجه الاسماع وتعسف تنبوا عنه الطباع فتركناها واضربنا عن ذكرها صفحا وطوينا دون وصفها كسحا وسلكنا طريق الاختصار واعزناها جانب الازورار واختصرنا على ايراد هذه الابتداءات الفاضلية من كتبه الجلييلة الجلية فمنها :

وقفت على كتابه الذي توالى فيه سجعات الصاد ولسيدنا فخر كل من ينطق بها كما قال ابو الطيب وتناسقت محاسنها تناسق قطرات السحاب الصيب وهو يتناول الالفاظ والمعاني من مكان قريب وان مد باعه فمن سحاب وان اغترف فمن قلب والله لا يخفى النفس من انفاسه المستطابة والدواة من آرائه المستطابة . اخرى سلام له من صاحب واهلا بكتابه ومتى نقول اهلا بالكاتب وفداه من يعرفه وان ابوا فانا والطالب الغالب وسبحان من خصه بمعجزة بنوته فسيح القلم بين اصابعه وتفجرت الحكم من ينابيعه وجعله اماما ومن الذي لا يفخر بأن توسم تتابعه .

اخرى : ادام الله توفيقه والتوفيق به وصرف عنه كل مكروه من صروف الدهر ونوبه ولا اخلى المملكة من كريم مرتبته وشريف منصبه ولا زالت مسرات الخلق مضمونة على رسله وكتبه وعين الله كالية له في منصرفه ومنقلبته .

اخرى : احظى الكتب ادام الله سعادة الحضرة العالية واحضر التوفيق لمقاصدها واعان اللسان على فروض محامدها والقلب على شجون تباعدها واجراها على جميل عوايده لديها كما يجرى الاصدقاء على احسن عوايدها وفسح في مدتها ومدة محييتها حتى تستدركوا فوايت فوايدها عند عبدها وادعها الى تملك رق الحر من شكره واولى المحطة فان تحت المحظور من نشعره سكره ما كان قريب العهد بمواطن خواطرها مذكرا بأيام الربيع من لقائها التي فيها ذكرى لذواكرها فلذلك لا يقرأ منها حرفا الا قرانه من

الثقيل ولا يبين منه صدرا الا قال ان من البيان لسحرا وهى اُدام الله نعمتها اذا ارسلت نفسها على السجية اتت بالمطبوع التى تقصر عنه الطبع فاذا جاءت بالامور المهمة اتت بالمصنوع الذى يملأ الاسماع فلها الفضلان مسترسلة ومختزلة والصوابان مروية ومرجلة والاحسانان متأنية ومستعجلة كيف ما شأعت جاءت وكيف ما أرادت أوردت وفى أى حلة برزت قال رحمه الله .

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

وهى السنة الحسنة المحسنة والزمان الذى تقضت على انتظام احسانه الأزمنة وطهر(١) فيه المكان المقدس الذى سلمت بسلامته الأمكنة وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة المبتغىة ونصرت الدولة الناصرية وخذلت الملة النصرانية وتميز الطيب من الخبيث وانتقم التوحيد من التثليث وشاع فى الدنيا بمحاسن الأيام الصلاحية حسن الأحاديث .

(٢٣٠ ب) / قال : وقد وصفت فى الكتاب المرسوم بالفتح القدسي(٢) الأحوال ووسعت ووشعت الأقوال وحليت الفتوح واثبت الشروح وأنا أورد فى الكتاب مما أوردته جملة الجميلة وجلالته الجليلة .

ذكر مقدمة لذلك مباركة

قال : كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب وقرب جنابه للاجانب والأقارب وواصل الموصل وسنجار ونصيبين وآمد وديار بكر من البسر بالأمداد بعد الأمداد واستدعى لذلك ممالك الشام من الأطراف والاوزباط وأمرهم بالاحتياط وبرز من دمشق يوم السبت أول المحرم فى العسكر العزم والعزم المصمم ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم فلما وصل الى رأس الماء وجلعها محط مضارب سراقه ومجر صوانعه ومجرى سوابقه وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك ليستدنى اليه الامراء الواصلين والاملاك وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلامة وقد استقبل من الله الكرامة والاستقامة .

(١) كذا وفى الاصل ظفر .

(٢) فى الاصل : أداة التعريف ساقطة .

فكر سبب ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك وهو على طريقتي العسكر المصرى والحاج وكان فى الحج حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ووالدته أخت السلطان وجماعة من الخواص واقام الى تلقى الحجيج وذلك فى آخسسر صفر ثم لما فرغ باله حم الى الكرك استقلاله وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها فأقمنا هناك حتى اجتث اصولها وفروعها واستأصل كرومها وزروعها . ووصل العسكر المصرى يقوى الاستظهار ، واقمنا على الحالة الحالية والجلالة الجالية ، واما الملك الأفضل فانه اجتمعت عنده الجنود من كل فريق واتوه من كل فج عميق وضاق بوفودهم الفضاء وفاض بوفورهم الفضاء وانقضى من السنة شهران وطال بهم انتظار السلطان فرأى الملك الأفضل ان يشغلهم بغزوة يعودون منها بحظوة فانهض منهم سرية ورتب على خيل الجزيرة وما جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وعلى عسكر حاب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرد ابن ياروق وعلى عسكر دمشق وبلادها صارم الدين قايماز فأسرجوا الخيل وادلجوا الليل وصباحوا صفورية(١) فى اواخر صفر وصباح النصر قد أسفر، وخرج اليهم الفرنج فى الداوية والاسبتار(٢) والبارونية والدركبولية ووثبوا فى وثبات الاساد وحملوا فى ثبات الأطواد فلولا ان الله اصحب اصحابنا التوفيق لكاد الكفر ينجو والاسلام لا يدرك ما يرجوا لكن امرأنا الكرام استطابوا(٣) الحمام فلاقوهم بقلوب الصخور وهبوب الصقور وفازوا وظفروا وقتلوا وأسروا وهلك مقدم الاسبتار(٤) وحصل جماعة من فرسانهم فى قبضه الاسار فعادوا سالمين غالبين غانمين وكانت تلك النوبة باكورة البركات ومقدمة ما بعدها من ميامن الحركات وجاعتنا البشرى ونحن فى نواحي الكرم فلما قرأنا الكتب عدنا واجتمعنا بالعساكر وانتظم شمل الأوایل والأواخر وخيمنا على عشترا وقد غص بخيل الله الوهاد والذرى واشتمل المعسكر على فراسخ

(١) فى الاصل : صفورته . وهى كورة من نواحي الاردن بالشام وهى قرب طبرية . معجم البلدان ٣—٣٩٩ .
(٢) فى الاصل : الاسبتار .
(٣) فى الاصل : واستطابوا .
(٤) فى الاصل : الاسبتار .

عرضا وطولا وملأنا الملاء حزنا وسهولا وعرض العسكر فى اثنى عشر ألف مدجج ولما انقضى العرض واقتضى الفرض وسالت بأفلاك السماء الأرض كان السلطان قبل رحيله بيوم أركب العسكر بعقدته وعدته ورتبه أطلابا وحزبه أحزابا وعين رجال القلب ومن يقف بالقلب واليمينه وحمايتها والميسرة وكماتها والجناحين وقوادمها من ذوى الاقدام والمقدمة والساقة على سنن النظام وعين مواقف الرجال ومواضع الابطال وعين الجاليشية من كل طلب باسمائها ورماة احداقها وحداق رماتها وقرر هياتهم فى الركوب والنزول وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخرة بالعساكر وسارت على تعبيتها وتربيتها واناخت ليلة السبت على صفين والكفر مخسوف والشرك مكسوف ونسيم النصر من تربها مسوف وباتوا (٦) تلك الليلة فلما بكروا ركبوا وكبروا وقد أخذ (٧) بحرهم فى الالتجاج وبرهم فى الارتجاج ونزلوا بثغر الاقحوانة وضربت الخيام وزهى الاسلام وأمكن من الكفر الانتقام وأقام السلطان هناك خمسة أيام الى يوم الخميس ثم صممنا العزائم على الاقدام وسلب لبس السلامة من ملابس (٢٣١) / عداوة الاسلام .

وأما الفرنج فأنهم لما سمعوا باجتماع كلمة الاسلام ووصول امداد العساكر المصرية والجزرية الى الشام فزعوا وشرعوا فى اصلاح ذات بينهم ورجعوا عن التفابير والتنافس وقالوا نحن أنصار الطرسه وأصلاب الملة الصليبية وآثروا صلح القومص ووصلوا على مراده مطالع أمانيه بالخلص وتزاوروا وتوافدوا وحشدوا وحشروا وجمعوا عنده الناسوت واللاهوت ورفعوا صليب الصلبوت واصحروا بصحراء صنفورية وطما سيل خيلهم على الوهاد والربى (٨) ودب راجلهم كرجل الدبا واجتنبوا سوايغ واجتنبوا سوابق والمعوا البوارق واسمعوا الصواعق وشبوا نار الفرق واشابوا المفارق وما زال السلطان مستخيرا ولاعوانه مستشيرا فأشار الأمراء ذووا الاراء بالصدود عن اللقاء والمحافظة على زمار الاسلام وصون الدماء ، وقالوا لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم فلا تعركهم عقال المعركة ولا تلق بأيديهم الى التهلكة وهذه بلادهم قد خلت منهم فتشتغل بالاغارة

(٥) فى الاصل : وحملها .

(٦) كذا وفى الاصل وبتك .

(٧) كذا — ساقطة فى الاصل .

(٨) كذا وفى الاصل الدبى .

فلى بلادهم الخالية وتقدم باقدامنا عطل احوالها الحالية . فقال السلطان :
 الايام غير مأمونة والاعمار غير مضمونة والجهاد قد تعين فرضه ولا بد لى
 من اللقاء وقد قال الله اصدق القائلين : « ولينصرن الله من ينصره » (٩)
 فقالوا خصك الله بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة وحيث استخرت الله فى
 الاقدام فانا نبذل المهج بين يديك للاسلام فلما أصبح يوم الخميس سار
 الخميس وزحف باسده العريس وحارت غزالة الفلق من أسد الفيلق وتقيد
 عنان الحوض عنان الجواد المطلق ولاح سنا الموت الاحمر فى السنين
 الاعرق واشرف على الفرنج فى معسكرها العسكر (١٠) وقام المحشر ومباح
 البيض والسفور وارتفعت الاصوات بقول الله اكبر فلو برزوا للحصاف
 لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربضوا وما نبضوا وهدعوا وما نفضوا
 فلما عرف السلطان انهم لا يبرحون من قرب صفورية امر امراءه بأن يقيموا
 على مقابلتهم وقدموا على عزم مقابلتهم ونزل هو فى خواصه العشية على
 مدينة طبرية وعلم انهم اذا علموا بنزولنا ثاروا للوصول اليها فحينئذ نتمكن
 من قتالهم ونجهد فى استئصالهم فحضر طبرية وجمع العساكر على احد
 ابراجها فوق ذلك البرج وانهزم عنه الفرنج ونصبت عليهم سلايم الاسلام
 ودخلوها فى جنح الظلام واستضاءوا بما اعلوا من الفرام وعادت ليلة
 معدودة من الايام ووقعت النار فى مخازن كبار واهراء الاغلال وبقيت الدور
 فارغة شاغرة وافواه الاطماع الى ازواد ما يحويه فاغرة وتحصنت القومصية
 ست طبرية فى قلعتها ومعها بنوها وحموها بسيوفهم وعصموها ووقع
 الاشتغال بحصارها ونقب جدارها وقصم سوارها فجاء من اخبر بأن الفرنج
 قد ركبوا وارتكبوا وجاعوا فى ليل القتال مداجين والى حرب التوحيد بحرب
 التلثيت مخرجين فلما سمع السلطان بحركتهم ايقن بهلكتهم وقال : الحمد لله
 الذى انجز وعده وايد جنده ونهض بجباله الى جبالهم وسار لقتالهم وضيق
 عليهم سعة مجالهم ووقف بصفره امامهم وقد قد الحر واستشرى الشر
 ولصدى شعل ولاولئك الكلاب بين اللهب لهب وفى ظنهم انهم يردون الماء
 ويردون الدماء فخلاتهم الحالة الحائلة وعالتهم العلة العايلة وذلك فى يوم
 الجمعة ووراء عسكرنا بحيرة طبرية والورد عد ومأمنه بعد وقد قطعت
 على الفتوح طريق الورد وبلوا من العطش « بالنار ذات الوقود » (١١) فوقفوا

(٩) سورة الحج آية رقم ٤٠ .

(١٠) وردت فى الاصل الفرنج ثم صححت فى الهامش الى العسكر .

(١١) سورة البروج آية رقم ٥ « النار ذات الوقود » .

صابرين مصابرين على ضراوتهم وشربوا ما فى أدواتهم وشنفوها ما حولهم من المصانع واستنزلوا حتى ماء المدامع ، ودخل الليل وسكر السيل وماتوا بظماء برح وقدوا أنفسهم على الشدة واستعدوا بالعزائم المحتدية وسهر السلطان تلك الليلة حتى عين الجاليشية من كل طلب بأسماء رجالها وملا كتاييها وكان ما فرقه من النشاب أربعمئة حمل ووقف سبعين جمارة فى حومة الملتقى يأخذ منها من خلت جعابه وفرغ نشابه من تعالق يفتح من باب الموت والمغالق وتواضیح لخراق المضاعف الفسیح وناوکات ذوات نکایات وزیاریات وزنبوركات .

ذكر يوم حطين وهو السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر

قال : وأصبح الجيش على تعبته والنصر على تلبيته وبرز رجال الجاليش وارتجزت دعاء التحريض والتحريش وقامت (٢٣١ ب) / الحرب على ساقها ووفت بميثاقها ، والفرنج متكاثرة العدد متكاثفة العدد آخذة طريق البحيرة بطوارق الحيرة قد أحاط رجلها بخيلها جارية الى القرار بسيلها فماعترضهم سدنا واعتراها صدنا فعرفوا انه لا سبيل الى الحياة الا بسلوك نهج الموت وانه لا مطمع فى اللقاء الا باستحلاء طعم الفوت والسلطان وقف قلبه ووقف على الوثوق بنصر الله قلبه وهو يمضى بنفسه على الصفوف ويحضهم على حظهم من الفتوح والحتوف وكان له مملوكا اسمه منكورس من شمس الترك قد كمل الله تعالى له حسن الخلق والخلق وفضله فى الفروسية وهو راكب امام العسكر وأراد أن يكون له فضيلة السبق فى الاقدام فوثب بحصانه وثوب الضرغام وحمل حملة جرى فيها عنانه وشكر لها احسانه وظن انه يوافقه فى الركضة أعوانه فجذبته لقوة رأسه حصانه وخلاه خلانه فلما رآه الفرنج وحيدا ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا رجعوا اليه ورموه عن ظهر حصانه وأحاطوا به فى مكانه فأتبنت فى مستنقع الموت رجله وقاتل الى أن بلغوا قتله فلما أخذوا رأسه ظنوا أنه بعض أولاد السلطان وزعموا ظهور الكفر على الايمان وأما عساكرنا فانها لما رأت استشهاد حمت حميتها وخلصت لله فى أرداء أعدائه بنيتها وصممت الجاليشية تلفحهم بلوافحها وتقدهم بقوادحها وبرح بالفرنج العطش ووجدوا الطرق مكدودة والسبل مكدودة . وكان النسيم أمامها والحشيش قدامها فرمى بعض مطوعة المجاهدين النار فى الحشيش فتأجج عليهم أسعارها وتوهج أوارها

فوصلوا في ورطة الاحتدام فضايقت ذيابهم منا الضراغم وعارضت صقورنا منهم القثاغم ودارت بمساعير الجحيم ودواير الشعرا بجواحم ، ونظـر القومص من مبتدا الأمر الى غايته وعلم أن القوم قد تداعى بنيانهم ودعاهم خذلاتهم فأفكر كيف ينجو فقال لهم : أنا أسبق بالحملة وافضلهم بالجملة فاجتمع هو وآزروه جماعة من المتقدمين هم مظاهروه وصحبه صاحب صيدا وباليان بن بارزان فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر تقى الدين ففتح لهم طريقا ورمى من أتباعهم فريقا فمضوا على رعوسهم ونجوا بنفوسهم ولما عرفوا أن القومص نفذ في الهزيمة هانوا ثم اشتدوا وما لانوا وحملوا حملات راضوا بها جماح الحرب وخلصوا فيها غمار الطعن والضرب وعدموا فيها استطاعة القدر بل طاعة القدر واستعزنا النصر عليهم من النصل المستعر فوقعنا فيهم وقوع النار في الحلفاء وصببنا ماء حديد للاطفاء فزاد في الازكاد فخطوا خيامهم على غارب حطين حين رأونا بهم محيطين فأعجلناهم عن ضرب الخيام بضرب الهام وأزللنا أقدامهم عن مداحض الاقدام وما زالت اللجج تفيض والمهج تقيظ والنفوس تقع والرعوس تطير حتى كست اشلاء مثلوايهم عرى العراء وحشت(١) شفاء الشفاء من ألماء مفلوايهم احساء الدماء وانكسر من الصليبي صلبه وبطل طلبه وحيرت كماته وكمته وقبابه وقببه وملك عليهم صليبيهم الأعظم وذلك مصابهم الأعظم ولما شاهدوا الصليب سليبا أيقنوا بالهلاك واثخنوا بالضرب الدراك وما برحوا يؤسرون ويقتلون وللوثوب يحفون وبالخراج يثقلون فنكبوا في ارواحهم وانفسهم ووصلنا الى مقدميهم وملكهم وابرنسهم فتم أسر الملك وابرنس الكرك وأخذ الملك جفرى ودوا(٢) صاحب جبيل وهنفرى واسر من نجا من القتل من الداوية ومقدميها ومن البارونية من أخطاه البوار أصابه الاسار وجبر الاسلام بكسرهم واسروا بأسرهم فمن شاهد القتل قال ما هناك أسير ومن عاين الأسر قال ما هناك قتيل ومنذ استولى الفرنج بسـاحل الشام ما شفى للمسلمين كيوم حطين غليل فالله عز وجل سلط السلطان واقدره على ما أعجز عنه الملوك ونظم له في حتوف اعدائه وفتوح اوليائه الملوك وخصه بهذا اليوم الاغر والنصر الأبر .

(١) كذا وفي الاصل : وحنت .

(٢) ورد هذا الاسم في الروضتين(١) ٢ — ٧٨ مغائرا : أوك

قال : هذه التوبة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة ومن عجائبها ان فارسهم مادام فرسته سالما لم يدن لمصرعه فانه من لبسه الزردى من فرقه الى قدمه كأنه قطعة حديد ودراك الضرب والرمى اليه غير مثسيد لكن فرسه اذا هلك فرض وملك فلم يغنم من خيلهم (٢٣٢) / ودوابهم وكانت الوفاء فرس سالم وغنمنا ما لا يحصر من بيض مكنون وزعف موضون وبلد وحصون وابتدلنا منهم بهذا الفتح كله اقليم مصون وذلك سوى ما استفتح من مال مخزون واستخرج من كنز مدفون ولما صح الكسر وقضى الأمر وسكن البحر وتمكن النصر ضرب للسلطان فى تلك الحومة دهليز السراق وتوافت اليه فرسان الحقايق ونزل السلطان وصلى للشكر وسجد وجدد الاستبشار بما وجد وأحضر عنده من الاسارى الملك والابرنس (٣) وأجلس الملك بجانبه ليزايله الوحشة ويحصل له وهيات الانس والقاه يلهث للعطش وينظر مبهوتا نظير المستوحش فأمر له بماء مثلوج فشربه ثم ناول الملك الابرنس القدح فأستشفه ثم حضر الترجمان حتى يعرف جواب ما يخاطبه به السلطان وما زال يقرعه بغدره وبغيه ويذكره بجهله وبغيه ثم ركب وخلاهما ولم ينزل حتى شاهده ضرب سراقه وبسطت نمارقه وركزت أعلامه وبيارقه ثم نزل وأمر باحضار الابرنس فقام اليه بالسيف فحل عاتقه وحفظ مع الاله فى نذر دمه موافقه وكان عنده خادم ثم فجر برجله بعد ان أخذ رأسه وهد أناسه فلما شاهده الملك يسحب بقدمه ويشحب فى دمه طار عقله وثار خبله واستحضره السلطان فخانت رجله فجاء مرتعبا مرتعشا (٤) وظن انه كرفيقه هالك فقربه وسكنه وأدناه وأمنه وقال : ذاك بصنعه لعده ضيعه واصراره على غدره صرعه وأجلسه وآنسه وهيات ينتعش من الله أتعسه او يسعد من الكفر أتحسه ثم جمع الاسارى المعروفين وسلمهم الى والى قلعة دمشق الناصح وسلمهم الى اصحابه وأمرهم ان يأخذوا خط الصفى القابض فى دمشق بوصولهم ويحتاط عليهم فى أغلالهم وكبولهم فتفرق العسكر بمن ضمته أيدى السبى أيدى سبا وهادتهم الوهاد والرى وضرب الله ذلة اهل السبت فى يومه على اهل الأحد وسار الناس منهم بالمدد بعد المدد . وعبرت بحطسين فرأيتها موضع الاعتبار وشاهدت ما فعل اهل الاقبال بأهل الادبار وعاننت أعيانهم خبرا من الاخبار ورأيت الرعوس طائرة والنفوس بايرة والجسوم

(٣) الواو اضافة وفى الاصل ابن زائدة .

(٤) كذا وفى الاصل مر .

رمتها السوافى والرسوم درستها العوافى ولما أبصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا أربابا تلوت قول الله تعالى « ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا » (٥) ولما أصبح السلطان يوم الأحد خيم على طبرية وراسل القومصية وأخرجها من حصنها بالأمان ووفى لها ولبنيتها الفرسان شروط الأيمان فخرجت بهالها وعيالها ورجالها وأثقالها وولى طبرية صارم الدين قايمآز النجمى فعادت بمادته الجميلة أهلة بأهل اليمن والأيمان محتدلة المحاسن بالعدل والاحسان وسكنت مساكنها وعمرت أماكنها وقبضت مشارزها وعرضت دفاينها وعاد الاسلام الغريب منها الى وطنه والدين الحافل منها الى مآمنه وأصبح السلطان يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر مغتبطا بما شهره الله له من سيف النصر فرأى انفاذ مقدم الداوية مع الملك وأخيه وجماعة الأكابر الى دمشق كما سبق ذكره ثم نفذ فى الاسارى الداوية والاسبتارية^(٦) خاصة أمره وقال : لا نفع فى ابقائهما وهما جنسان نجسان فلا بد من ابادتهما واردائهما فما جرت عادتهما بالمفاداة ولا يقلعان من المفاداة فتقدم باحضار كل أسير داوى واسبتارى^(٧) ليخضع فيه حكم السيف ثم علم أن كل من عنده أسير لا يسمح به فجعل لكل من يأتية بأسير منهما من الدنانير الحمر خمسون فأتوه فى الحال بهائين وأمر بأعدائهم وضرب رقابهم وكان بحضرته جماعة من المطوعة المتورعة والمتحصوفة ومن تمت بالزهد والمعرفة قد اعتقوا الى ضرب الاعناق ووقف كل منهم حاسرا عن ساعد ومثمرا عن ساق فمنهم من أمضى عتبه وأمضى ضربه ومنهم ما كبا زنده ونبا جده والسلطان جالس وماله عن انفاذ حكم الله فيهم حابس ووجهه باشر ووجه الكفر عابس فشاهدته الضحوك القتال والمختال المقتال وكان الاسارى قد سبق بهم الى البلاد الناس ولم يقع على عددهم القياس فكتب الى الصفى بن القابض نايبه بدمشق أن يعجل لطلاب الداوية والاسبتارية السبق ويضرب عنق من يجده منهم فامتل الامر فى ازهاقهم (٢٣٢ ب) / وضرب اعناقهم فما قتل الا من عرض عليه الاسلام فأبى أن يسلم ورأى لشدة فى كفره أن ينقاد للقتل ولا يستسلم وما أسلم الا آحاد حسن اسلامهم وتأكد بالدين غرامهم .

(٥) سورة البنا آية رقم ٤٠ .

(٦) فى الاصل : الاسبتارية .

(٧) فى الاصل استارى .

ذكر السبب في نذر السلطان دم ابرنس الكرك

قال : وما زلت أبحث عن ذلك حتى حدثني الأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم ابن المعز بن باديس وهو ممن يتولى الافضال الفاضلى من دونه التفتيس ولم يزل له بحاضرتة ومحاورته الانيس وهو من البيت الكبير وكان جده صاحب أفرقية والقيروان وكانوا يتوارثون ملكه الى قريب من هذا الزمان ذكر أن الأجل الفاضل حدثه بما حدث من مرض السلطان وأنه لما عاد الى دمشق من حران بعد المرضة وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وهو فى عقابيل سقمه لا يفارق الانين واشفى ذات يوم على الخطر واستسلم للقدر وحضره فى يوم الجمعة وهو يوصيه وهو فى تقطر أنفاسه الممدودة وترقب قلوب ظلال عمره الممدودة وقد قنط من الحياة وفاته امكان من الوفاة فمسك فاردت أن أشغله عن الوهم والهم وقلت ما معناه قد أيقظك الله وما يعيذك من هذا السوء سواء فانذر انك اذا أبليت من هذا المرض تقوم بكل ما لله من المفترض وانك لا تقاتل مع المسلمين أحدا أبدا وتكون فى جهاد أعداء الله مجتهدا وانك اذا نصرك الله فى المعترك وظفرت بالقومص وابرنس الكرك تتقرب الى الله تعالى بآراقة دمها واعطاه يده على هذا النذر وانجاه الله فأبل من مرضه واستقل بنهضته واستقبل السنة القابلة بسنة الفوز وفريضته وجرى من مقدمات الجهاد ما جرى وخيم السلطان فى جموع الاسلام بعشترى وركب يوما فى عسكره وأمواج بحره وأفواج معشره وقد التقا الطلعة المباركة من الأجل الفاضل فقال ليكن نذرك على ذكرك وستزد نعمة الله بمزيد شكرك ولا تخطر غير قمع الكفر بفكرك فما أنقذك الله من تلك الورطة ونعمشك من تلك السقطة الا لتوفر حظك من هذه الغبطة فتوكل على الله عازما وجاز الاردن حازما وأرعب جأش الكفر وفل جيوشه وثل عروشه ووقع فى الشرك ابرنس الكرك فوفى بضرب عنقه نذره وأما القومص فانه أخذ فى الملتقى بالهزيمة حذره ولما وصل الى طرابلس أخافه فى مأمته القدر وسلمه مالك الى سقر .

ذكر فتح عكا

قال : ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظاهر على التثليث والطيب قد امتاز عن الخبيث ونزلنا بأرض لوبية (١) عشية وأصبح سايرا الى

(١) فى الاصل : لوهة الضبط من الروضتين (١) ٢ - ٨٦ .

عكا « فسَاء صباح المنذرين » (٢) ولما أشرفنا عليها أيقنا بفتحها فما كان فيها من يحميها وما صدقنا كيف نتملكها ونحويها وظهر أهلها على الأسوار لظهار الممانعة وخفقان الويتها (٣) يشعر بقلوبها الخافقة وأرواح جلدتهم الزاهقة ووقفنا نتأمل طولها ونأمل حصولها وخيم السلطان بقربها وراء التل ولبت عساكره في الحزن والسهل وبتنا تلك الليلة وقد هزتنا الاطراب كأنما دار علينا الشراب والسلطان جالس ونحن عنده وهو يحصى جنده ويقسده معهم في اقتباس الاراء زنده ومنا من يستسح رفته ومنا من يستنجز وعده ويواصله بالدعاء ويشاففه بالهناء الى ان نادانا ابن ذكنا فابينا وناديننا العسكر فعبيناه ووقفنا بازاء البلد صفوفا واطلنا على اطلاله وقوفنا فخرجوا اليها رجالا ونساء واكثرنا ضراعة ودعاء وبذلوا الازعان وطلبوا الامان فاعطيناهم الامان على الأنفس من المال والأنفس وخيرناهم بين المقام والترحيل والسكن في وطنهم والتحول فشرع معظمهم لشدة الخوف في التنقل وأرخينا لهم طول التمهل وفتحوا يوم الجمعة في مستهل جمادى الأولى بابها (٤) ودخلناها لاقامة الجمعة وزادوا في الدخول عدة من المتطوعة وجماعة من الطمعة وأخيف من الاتباع لا تخاف من التبعة فما منهم الا من ركن على دار راحه وأسام فيها سرحه فحطوا على دور اخلاها اربابها وأموال خلاها أصحابها (١٢٣٣) / وجينا الى كنيستهم العظمى وحضر الأجل الفاضل فرتب بها المنبر والقبلة وهي أول جمعة أقيمت بالساحل وكان الخطيب والامام فيها عبد اللطيف بن الشيخ ابي النجيب ولما رآه السلطان اتقى وأزكى ولاه مناصب الشريعة في عكا فتولى القضاء والوقف (٥) والحسبة والخطبة وفوض عكا وضياعها ومعقلها وقلاعها الى ولده الاكبر الملك الأفضل نور الدين على وجعل للفقهاء ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري (٦) كل ما كان للداوية من معيشة واقطاع ودور ورباع فتصرف فيها وحصل على حواصلها وعلق بكرائمه وعقائليها ووقع في مراعيها المربعة نوابه وأثرى بثراه وثروتها أصحابه وولجوا المخازن واستخرجوا الدفانين وكذلك ممالك الملك الأفضل أصحابه

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٧٧ . « فاذا نزل بساحتهم فسَاء صباح المنذرين » .

(٣) في الاصل : قلوبها الضبط من الروضتين (١) ٢ - ٨٦ .

(٤) كذا وفي الاصل : بهابها .

(٥) في الاصل : الموقف .

(٦) في الاصل الهكاري .

وولاته ونوابه نبشوا المخازن وفتشوا المزاكن واستباحوا المخزون والمدفون والمحروس والمصون ومن جملة ذلك أنهم احتسبوا بغير علمى على دار باسمى فباعوا منها متاعا بسعمائة دينار وقلدنى المنة فى تحصيل الدار فانها كانت من أنفس العقار وانما وصفت هذا لعلم ما غنموه وما التهبسوا على حيازته والتهموه ، وتصرف الملك تقى الدين فى دار السكر فاقنتى قنودها واستوعب موجودها وقد اشترت الى هذا المعنى فى الكتاب الموسوم بالفتح القدسى وقرىء على السلطان منه ليلة ونحن بالقدس سنة ثمان وثمانين وسمع ولو نخرت تلك الذخاير وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر لكان عدة ليوم الشدايد وعدة لنجح المقاصد يقال السلطان : هذه رفيعة على ثلاثة اثنان منهما فى جوار الرحمة والآخر باق فى مقر العصمة يعنى بالاثنتين الفقيه عيسى وتقى الدين وبالأخر الباقي ولده نور الدين ولعمري هو كما ذكره لكن الملك الافضل نور الدين ما حصل له بخاصة بل لذوى اختصاصه واستخلاصه ولقد شرحت فى ذلك الكتاب الأحوال ووصفتها وذكرتها بالحالة (٧) التى شاهدها .

عاد الحديث وأقام السلطان بمخيمه على عكا أياما وأعلى بالمنى اعلاما وكان يوم فتح حطين قد كُتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين بما من الله به على الاسلام والمسلمين من الظفر والتأييد والتمكين فوصل بعسكره ورعيه ومعشره وجاء كتابه مبشرا بوصوله ومذكرا بسؤله وأنه فتح فى طريقه بمن صاحبه من فريقه الحصن المعروف بمجدل يافا وأنه حاز منه الغنائم والسبايا وأنه مجد فى طى السهول والحزون وفتح ما يستقبله من الحصون فنسطر جوابه وشكر صوابه وأنه يقيم فى ذلك الجانب جامعاً للكتايب ليجمع به الواصلون من مصر الآملون معه النصر . وتوجه عدة من الأمراء الى الناصرة وقيسارية والبلاد المجاورة لعكا وطبرية وآبوا بالغنمة والسبى خير أوب وجاعونا بكل مليحة مليحة متعبة مريحة مقبلات أوأيب طويلات الذوايب ثقيلات الروادف خفيفات المعاطف فكم أجد الله لنا من نعمى هنيه وأمدنا من حبي سنيه فما منا الا من انفض وغضب وعض وفي كل يوم لنا فتح جديد ومنح عتيد وتأيد يتبعه تأيد .

قال : وفى هذه السنة تكب صاحب مجد الدين أبو الفضل عبد الله ابن صاحب استاذ الدار العزيزة بجريرة جرت عليه القتل وجريمة ما اطلع عليها وما أقيل عثرتها وذلك ظهر يوم السبت رابع عشر ربيع الأول فجاءه القدر من كمينه وفجأه الكدر من معينه وبينما هو فى أمر قاطع وفجر ساطع وفخر صاعد وشمل جامع اذا بغته الزمان ومحنه الحدثان وعثر منه على جناية اسعت الى دمه قدمه ودعت الى وجوده عدمه وانما اوردت ذكر مقتله فى هذا الموضع لأنه جرت العادة منا بمكاتبة من يكون امر الديوان اليه فيما يسنح من المقصود المتوقع فلما مضى لسبيله قام فى موضعه عميد الدين أبو طالب بن زيادة فتولى الثانى لما بدا به الأول الاعادة ووصل كتابه وكتب جوابه وفى بعض الكتب اليه : والبلاد والمعاقل التى فتحت هى طبرية وعكا والناصرية وصفورية ونابلس وحيفا ومعليا وفولة والطور والشقيف . قال : وأما الفولة فهى قلعة للداوية حصينة لما خرج سكانها لم يدخلها سكينه فان الداوية الذين كانوا فيها قد هاجوا الى الهيجاء وطرخوا فى القتل والاسراء فتعبد الغراب على طول الفولة بدماء أهلها المطلولة فهى غاب غابت اسودها الحماة وغيل غالت (٢٣٣ ب) / ليوثة عداتها الهداة وفيها ذخاير كفايسهم وأخاير نفايسهم وسبايك نضارهم وكرايم اعلاقهم ولم يبق فى الحصن الا آحاد من الغلمان واتباع الفرسان فخافوا على النفوس وارتاعوا من البؤس ومالوا الى الازعان وسلموا الموضع بالامان وتسلمنا بتسلمها جميع ما يجاورها بتلك الارض كدبورية وجنين وزرعين والطور وأضيفت الى الثغر وأما حيفا فاتها من عكا وقيسارية على البحر وتسلمت لسيف النصر وأما نابلس (٨) فان أهل ضياعها ومعظم أهلها كانوا مسلمين وفى سالك الرعية مع الفرنج منتظمين وفيها افرنج ونصارى مقيمون مدبرون وقد اقرؤا منذ استولوا عليها المسلمين على عوايدهم فى قضائهم وحكمهم ومشاهدتهم ومساجدهم وهم يجوبون كل عام منهم قرارا ولا يغيرون لهم شرعا ولا شعارا فلما عرفوا كسرهم وأنهم لا يرجون جبرهم وخافوا من مساكنة المسلمين واشفقوا وأخذوا بالحزم لما فرقوا وتفرقوا وكبسهم أهل الضياع فى الدور الرباع وغنموا ما وجدوه من الذخاير والمتاع واوقعوا بضعفائهم وضايقوا الحصون على اقويائهم وطلبها من السلطان ابن اخته الامير حسام الدين

عمر بن محمد بن لاجين وكان الامير القوي وهو عزيز عند خاله ملى بفضلته وافضاله متقبل شئمة السلطان فى بأسه ونواله متفرد من الاملاك بمحاسن خلاله فاقطعه السلطان نابلس وأعمالها وضياعها ومعقلها وقلاعها متوجه لفتوحها وصحب جموعه جماعة من الاصحاب وسال بالجبال « وهى تمر مر السحاب » (٩) فأول ما أناخ على سبسطية (١٠) وفيها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذها الاقنساء كنيسة منذ فارقها الاسلام وفيها أوانى وآلات فضيات وذهبيات وقومتها من الرهابين فيها مقيمة ولا يؤذن فى الزيارة الا لمن معه هدية لها قيمة فدخل الموضع وأغلق بابه وأفرد عنه حجابيه وأصحابه وأمر بجمع ذلك المصوغ والمحوك والمسبوك والعقود والسلوك كل ما يعز وجوده فى خزائن الملوك فاقتناه جميعه لنفسه خاصة وأمن أن يرى بعدها خصاصه وصارت له خزانة ثقيلة وذخيرة جليلة وأبقى فى الموضع من الفرش والآلات ما لا يستغنى عنه المشهد ولا يحسن أن يخلوا من مثلها المسجـد وفتح للمسلمين ابوابه وأظهر للمصلين محرابه ولما فرغ من شغله سار الى نابلس عليها منيخا ولدعاء المسلمين بها مصيخا وطال حصره للفرنج بالحصن ثم استنزلهم بالامان واستمال من سكانها من ضرب عليه الجزية بعد زمان فعادت بلدة محشوة بساكنيها كالرمان وبقيت (١١) الى آخر عهده وعمرت بعدله واحسانه ورفقه ورفده قال : وكانت بينى وبينه صداقة بصدق العقيدة معقودة ومودة أسباب النقص فيها مفقودة فنظمت هذه القصيدة قلت ومطلعهـا :

استوحش القلب مذ غبتم فما أنسـا
واظلم اليوم مذ نبتم فما شمـسـا
قلبي وصبرى وغمضى والشباب وما
الفتـم من نشـاطى كله خلـسـا (١٢)

-
- (٩) سورة النمل آية رقم ٨٨ .
(١٠) سبسطية : مدينة من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس .
ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣ .
(١١) فى الاصل : ويقشعه وفى الروضتين بقيت بيده .
قارن الكتاب (١) ٢ — ٨٨ .
(١٢) وردت هذه القصيدة فى الروضتين (١) ٢ — ٨٨ وهنا يورد أبو شامة العبارة التالية : قال العماد وانشدته يوم فتح القدس قصيدة أولها :

ذكر فتح تبين وصيدا وبيروت وجبيل

قال : وكان السلطان مدة مقامنا بعكا يندب العساكر الى الولايات وسير الملك المظفر تقي الدين وأمره بقصد تبين^(١) فمضى اليها واستسهل اجتيازها ووجد بالمنعة اغترارها ورأى الى وصول الشام ونزوله عليها اغوارها فكتب وتواترت كتبه وافية بالحشد والتحريض والبعث بالتصريح والتعريض فأخذت العزائم في الاقتضاء والصواب في الانتضاء ورحلنا يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى رواحا وأعرنا العزم على تأييد الله في منزلة نزلت بها الإلطف وعذبت لواردنا النطاف وأصبحنا على الرحيل وبتنا ليلة السبت دون تبين ونزلنا عليها يوم الأحد الحادى عشر فوجدناها قلعة أرضها في السماء وقلعة في جوزها جواز الجوزاء ما يمر السحاب الا على سفوحها ولا تسترق شياطين الكفر الا من سطوحها فلا جرم جعلنا^(٢) نجوم النصال لها نجوما وانزلنا الوبال عليهم سجوما وهاج بهم وهج الرعب وأبدوا وجوما وأخرجوا من عندهم من اسارى المسلمين قرية وطاعة تبدو بهم للشفاعة منهم ضراعة ثم امن السلطان اهل القلعة وأهلهم الى ان ينزلوا خمسة أيام وأخرجوا من مقدميهم جماعة رهابين فضربنا عليهم خيمة الى ان انتهت المدة وتسلمت القلعة واقتضت العذرة وخلص الحصن بما فيه وترتب واليه وملكت أباعده ونواحيه .

وأما صيدا فأتنا لما فرغنا من شغل تبين رحلنا على سمتها معدين وعبرنا في طريقنا على صرفند^(٣) ونشققنا رياح رياحينها ونظرنا نظرة بساتينها وجلنا لحكم الرياضة في رياضها ورياضت أسودنا في آجامها وغياضها وافتتحنا بفتحها ثم أنصرفنا عن صرفند نحو صيدا صابرين ودخلناها ساعة الوصول وحالة النزول فان صاحبها كان ناظرا في العواقب سائرا جرح النوايب فتقدم الى نوابه ان يفتحوا لنا بابها ويرفعوا أحجابها ويخلوها ويعطلوها حتى يحلها المسلمون فيخلوها فلما جيناها حليت لنا عروسها

(١) بكسر أوله وتسكين ثانية وكسر ثون وياء ساكنة ونون أخرى ، بليدة في جبال بني عامر المطللة على بلد بانياس بين دمشق وصور . معجم البلدان ١ - ٨٢٤ .

(٢) وصفها ياقوت : مدينة لطيفة على الساحل وأوردها كالتسالى : صرفنده قرية من قرى صور بسواحل الشام ، معجم البلدان ٣ - ٣٨٢ .

وجنيت غروسةا وذلك يوم الاربعاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى
فحان الفتح الميسر على الوجه الاسهل .

وأما بيروت فأنما لما حصلت لنا صيدا سرنا فى يومنا على سميت بيروت
وبتنا ليلة الخميس دونها وصبحنا بكرة يوم الخميس فى خميس بكر للصباح
وضايقتناهم أياما ودافعوا أشد دفع وماتعوا أحد منع فبيناهم فى أحر حرب
وأمر طعم طعن وضرب اذ صاح صايحهم وناح نايحهم انهم يركبون السفينة
وينزلون المدينة فأصبحنا يوما على العادة المستمرة فى المقارعة والمضايقة
- ش . ع . - الا بخروج واحد يستدعى الامان ويستدعى الايمان على انه يأخذ
خط السلطان بجميع شرائط الايمان واتفق فى ذلك اليوم لى تغير المزاج وتعذر
العلاج واحتجت الى مفارقة الخدمة للضرورة والزمول الى دمشق لمداواة
الادواء المحذورة ولما احتاج السلطان لتأمينهم الى انشاء مثال طلبنى
فاعتذرت فعذرنى وأحضر عنده كتاب العسكر ومتصرفيه ومن يظن به فضلا
ويعتقد فيه وحسب أن كل من يحمل قلما كاتب وأنه يستحق الرتبة من له
راتب وكل من كتب الامان المطلوب تناوله منه وتأمله واستنقصه واستزاده .
فقال السلطان لكل عمل رجال ولكل جواد فى حلبة السبق مجال وهنا عرف
قدر العماد وأنه موافق موفق للاتيان بوفق المراد ، فجاء الى النجيب العدل
بالحديث ووجدنى فى العارض الكريث وقال : اكتب هذا الامان فان هذا
الفتح بقلمك مصدوق وقد خصك خالكك بالفضيلة فما يشاركك فيه مخلوق
فقلت له : قد غلق رهنى وذهب ذهنى وحبس قلمنى الى فقال : ان كنت ما
تكتب فأمل فقلت : أرجو أن تشملى السعادة السلطانية فاكذب ما يرضى
موفقنى الله تعالى للمراد وهدانى فى الانشاء لما يجب من الاصدار والايراد
ووقع ذلك التوقيع الموقع الحسن وسلم البلد خطى ثم ارتحلت الى دمشق
وعدت عند ابلالى وحال اعتدالى يوم فتح القدس وسلمت بيروت بحضورى
وخرج منها ومن قلعتها الفرنج وامتلأ بهم الى السور النهج وعاد الاسلام
الغريب منها الى وطنه وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى
الاولى وكانت مدة النزول عليها الى نزول أهلها ثمانية أيام .

وأما جبيل فان صاحبها أود كان فى جملة من نقل الملك الأسير الى
دمشق فتحدث مع الصفى القابض فى أمره وبناح اليه بسره وقال له : ما لكم
فى اسرى فايدة ولا غنيمة على فتح جبيل زايدة وأنا أسلمها بشرط سلامتي

فأنهى الصغنى حاله فاستصيب ما قاله فأمر باحضاره فى قيده والاحتسار من كيده فوصل به ونحن على بيروت فطلبنا منه الشرط الموعود والاجل الموقوت فسلم جبيل وسلم وربح لخاتمه وغنم ومضى اليها من تولاه وتبعها فتح بيروت وتلاها وانتظمت هذه البلاد المتناسقة بالساحل فى سلك المفتوح متسق وأمرها من الاستقامة فى متفق .

ذكر ما تجدد فى صور من خروج القومص منها ووصول المركيس اليها

قال : وما شك القومص ان السلطان اذا عاد لا يتعدى صور وانه يجمع عليها العسكر المنصور فأخذ بالحزم ومضى الى طرابلس ولم يلبث قليلا (٢٣٤ ب) / حتى هلك وبتوا من أسفل الساملين فى النار الدرك ولما كان من مراد الله بقاء صور وصل اليها المركيس وهو الذى اغاث الشرك وكان من خبره انه وصل الى الساحل هذا العام لفتح بلادها فأرسل على عكا مركبه ثم صوب نحوها مذهبه ثم رأى فيها غير الذى بالمعتاد فحداه الارتيساب بالارتياح الى الارتياح فاستخبر فأخبر بالحال فشرع فى التخلص والاحتيسال وكانت الريح راكدة فنادى من متولى هذا البلد فقيل : الملك الأفضل فقال : هاتوا لى خطة واكتبوا فى الامان شرطة فما زال يرد الرسل حتى طابت الريح فهاطل وطار بجناح شراعه وفات ادراك من يخرج لاتباعه ومضى اليها وقد خرج منها القومص وقد لاح منها الفرص فأقام فيها وهو على تحصينها يحرس ولما عبر السلطان لم يسمح عليها ولم يصح اليها وقال : فتح بيت الله المقدس انعم ونفعه اتم واعم وهذه صور ربما طال حصارها واستتال انصارها والأصوب الأصلح الاشتغال بما هو انجح وانجح وكان من قضاء الله تعالى بقاء صور فانها ضمت من الكفر الجمهور وجمعت الحسود والحسور وما فتحنا بلدا الا وانتقل أهلها بالامان اليها ونزلوا حوالىها ومجاورتها فى هذه النوية أعادت أرماقها وأرخت خناقها وحفر المركيس لها خنادق أحدثها وغور أعماقها وآوى اليها الواصلون من البحر وملأت آفاقها وكانت لما عبرنا بها على ما حكى أمرها سهلا ولكن ما لمراد الله مرد وليس بها قضاء الله وقدره بد .

ذكر فتح عسقلان والنزول عليها والاجتماع بالملك العادل والاتفاق على فتحها

قال : كان السلطان على الاجتماع بالملك العادل حريصا ويرى لدلولات
الآراء بما يشير به وينص عليه تخصيصا وقد وصل كتابه يستحثه على
انتهاز الفرص في فتح بيت المقدس وقصده والاشتغال بما عداه من بعده
فان اوقات الامكان مغتمة وانفاس الاسحار للارتياح باستنشاقها متنسمة .
قال الفتح بن علي بن محمد الاصبهاني منتخب الكتاب : حدثني الامير ظهير
الدين غازي بن الامير السعيد مبارز الدين سنقر الحلبي في محرم سنة
اثنين وعشرين وستمائة وهو أحد الأمراء السلطانية الملكية المعظمية قال :
سمعت الملك العادل بحماه يقول لبعض المؤرخين : وما شافهت به السلطان
صلاح الدين في انتهاز الفرصة في فتح القدس مبالغا في ذلك اني قلت :
ان عادتك ان يأخذك القولنج في بعض الاوقات فلو أخذك الليلة وجرى
عليك ما لا بد منه من الوفاة علق رهن بيت المقدس في يد الكفر فاجتهد في
ذلك واقضى حق ما أنعم الله به عليك بواجب الشكر فقال : اعمل (١) ما تأمر
به وتشير اليه ولا يخالف ما تحكم به وتنص عليه فما فتح القدس الشريف وما
منح ذلك المجد المنيف الابالجد العادلي والجد الناصري قدس الله ارواحها
وسهل الى الفردوس معدلهما ومراحهما . قال الامام السعيد عماد الدين :
فراح السلطان مغز للفزاة الروح مستفتحها بما هو حل الفتوح وسار واجتمع
بالملك العادل في طريقه وتفاوضا في شكر ما أنعم الله به من نصره وتأييده
وشرعا بعد ذكر الاشواق وتبريحها في موازنة الآراء وترجيحها وتنقيح أداة
الصواب وتلقيحها وقد استخار الله تعالى بالنزول على عسقلان يوم الاحد
سادس عشر جمادى الآخرة وكان السلطان قد استدعى من دمشق ملك
الفرنج ومقدم الداوية الماسوريين واستصحبهما محمولين بقيادهما وشرط انه
اذا فتح البلاد بهما أطلقهما فلما نزل على عسقلان راسل الملك أهلها
في التسليم فعلموا انه مستكره (٢) فانسقوا حكمه وعصوا أمره فبسط
السلطان عذره وشرع السلطان في مضايقة البلد ونصب عليها من المجانيق
كل جاث على الركب جاث للركب جالب معاطن الابل المعاطن سالب بسكون

(١) كذا وفي الاصل كعمل .

(٢) في الاصل : مستكره .

المساكن وما زال الحجار ترفض والجدار ينقض والمنجنيقات تضرب وترض حتى خلا السور من حاميه وأمن المقاتلة نكاية مراميه فأقدم النقبون على نقبه ورفعوا عن عروس البلد حجب نقبه وبأثروا بالتخريب البواشير ولافتح المساعير المساعير (ورفعوا عن عروس البلد) (١) وقابل المتقابل المدابير فأيسوا من رجاء الانتعاش وتهافتوا على نار الحرب كالغراش فلما أحس الملك بما أحسوا به من الشدايد راسلهم واستحضر منهم عتلاء لا يحملون (١٢٣٥) / قوله على أنه فرد ولا يردون نصحه بالتهمة وقال : أنتم تعلمون أنني لا أريد الخير إلا لأهل ديني وهذا السلطان في عزمه يردكم ويردني فإن سمعتم مني اطعموني في أمري وانقذتموني من أسرى أما إذا خلصت وخلصت وكنت أعلوا عليكم فكيف رخصت وتكررت بينه وبينهم مراسلات وكانوا يلحون حتى علموا أنهم مغلوبون فقبلوا نصيحة الملك ورأسلوا في طلب الأمان بشروط اقترحوها والعفو عن جرايم اجترحوها فان الأمير حسام الدين إبراهيم الحسين المهراني وهو من أكابر الأمراء استشهد على عسقلان فخاف الفرنج أن تثور عليهم الأكراد لثأره فاشتعلوا واشتعلوا وسروا إلى ما أجيبوا إليه واعتصموا فسلموا البلد بأنفسهم وأموالهم وخرجوا منها برجالهم ونسائهم وذلك يوم السبت لأنسلاخ الشهر وكانت مدة الحصار إلى أن تسلطنها أربعة عشر يوما أبدر لنا فيها قمر الظنر والانتصار وعاد بها بدرهم إلى المحاق والمرار وما برح السلطان مقيما بظاهر عسقلان حتى تسلم المعادل المجاورة لها والبلاد المقاربة منها .

أما الداروم فقد خاف من بها فسلمها وكذلك غزة وظهرت بظهورنا عليها عزتها وتبدل بالإسلام بعد الكفر ربها والرملة ويبنى ظل بها موقف الضلال يهدم ومربع الهدى يبنى (٢) وببيت لحم ومشهد الخليل صلوات الله عليه وعليه السلام عاد إلى وطنه منهما الإسلام وأما لد فانها أخرجت منها خصومها اللد ومعصومها في الشرك إلى التوحيد رد وتسلم كل ما كان للداوية مع غزة كبيت جبريل والنطرون وأخلى منهم تلك الحصون وكان مقدم الداوية معه وشرط أنه إذا تسلم معقله نك عنه تيوده وسلاسله نمازال معه على الشرط والشرع المضبوط .

قال : ووصل الملك العزيز واجتمع بوالده بعد فتح عسقلان وكان وصوله ببأسه وصوله وقوته من الله وحوله وبأسه ومعشره وقومه وعسكره

(١) هكذا وردت في الأصل . (٢) في الأصل : ويبنى .

وولاية بلاده ووراة زناذه وآلافه وآحاده وعدده واعداده فحننا قلب السلطان على كبده ووضع يده فى يده فأعدتها الجود فمدده اليوم من مدده . ولما انتظم شمل كتائب البر وكرم وصولها وصلت مراكب البحر وقدم أسطولها وهى شوائى شوائى للشقاء زواين للغزاة عقباتها منقضة كالبراة وغربانها ناعبة بين الغداة جاءت كقطع من الليل أو دفع من السيل كأنها فى خضراء الخضرم كواكب ولرجوم الشياطين ثواقب ، أعلام فى شتعار الاعلام العباسية سود وأكام تمدها من أكام الأمواج مدود تولها حسام الدين الحاجب لؤلؤ منظم سموطها ومهد الاحكام لنصر أسبابها وشروطها واستمرت بالسواحل تكبس وتكسب وتغنم وتجلب ففى كل يوم لنا غزوة صحيحة ونوبة شديدة ونائية لذرى الشرك مبيرة مبيدة والحاجب لؤلؤ مجاهد عظيمها ومضى عزائمها كلما ألقت مركبا للعدو تأقتة وألنته وأسعدتها الله وأشقتة وكيف ما أمكن أحرقتة أو أغرقته واجتمعت على جمعه وفرقتة ووقع حقها على الباطل فأزهقته .

ذكر فتح بيت المقدس

قال : ورحل من عسقلان على سمت القدس وقصده واستيصال ثبات الشرك وحصده من أرض الله تعالى ونقدس بتطهير الأرض المقدسة باهلاك الطائفة الطاغية النجسة وتقدمه الرعب الى قلوب الفرنج فوقعوا فى الأمر المرتج المضطرب المرتج وكان بالقدس حينئذ البطررك الأعظم وهو الشانى العظيم الشأن وباليان بن بارزان وهو وملكهم فى التسلط سيان والذين أغفلتهم حياطه الحطين من الفرسان الداوية والاسبترارية والبارونية من ذوى الكفر والشنان وقد حشروا وحشدوا وقالوا : السمع عند اللقاء بالمهج ونسيح داما الدماء فى اللجج وما الذى أصاب عزنا حتى نهون ونحن نشعل عليهم الحرب الزبون فأخرجوا اليهم حتى نلقاهم وهذه رماحنا بايدينا وإذا فأجائناهم فجعلناهم وأوجعناهم وأخذنا منهم بثأر يوم حطين اذا صرنا بمراكزم بدوايرنا محيطين فقال لبيهم المجرب فارسهم المتدرب عدوا عن هذا الراى وما بلفتم فى الفى الى هذا النغاي وانتم عند مقبرة ريكم تحمونها وتقاتلون دونها والقدس لنا جامع وسوره عن السوء مانع (٢٣٥ ب) / واذا خرجنا فما ندري على ماذا نحصل وهل نقطع أو نصل ثم شرعوا فى السر وامروا بالأمر وقسموا على الاسوار أقسام الاسراء ونشروا على كل قطر منه لواء اللواء على كل نيق منجنيقه وحفروا فى الخندق حفرا عميقا وأعادوا كل نهج واسع بما وعروا.

به مضيقا وخرج جماعة منهم على سبيل اليزك واندلجوا ليلا وجروا للجرأة ذيلا واعترضوا عدة من أصحابنا غارة وعلى طريق السلامة مارة ، وكان قد شد من المقدمة المنصورة أمير تقدم وما تحرم وهو جمال الدين شروين بن حسن الزرزارى فلما علمه أثبت فى مستنقع الموت رجله وشد من الدنيا إلى الآخرة رحمه وكان فى موضع يعرف بالقبيبات فساء السلطان نعيه (١) وسره سعيه وسار سارا وللجحفل الجرار حارا ولم يدع لجفنه فى يومه ونومه غرارا ووصل السرى بالسير ليلا ونهارا ونزل على القدس يوم الأحد منتصف رجب وقد قضى من حق الله فى طلب بيته ما جب وفى القدس ستون ألف مقاتل من فارس وراجل . وخيم فى أول الأمر على غربيه وأقام خمسة أيام يدور على البلد ويقسم على حصاره أهل الجلد وأبصر فى شـمالها أرضا راضيها للحصار فانتقل إلى المنزل الشمالى يوم الجمعة العشرين من الشهر متمكنا من القهر ظاهر القوة بالله قوى الظهر فشرع فى نصب المجانيق فما أصبح يوم الأحد إلا على منجنيقات نصبت بلا نصب من كل مفتص برد الردا معتصب يشق الجلود بالجلود ويدق الصنجد بالصنجد يفضى ختام التأليف ويرضى هام الشراريف وما زالت المجانيق ترمى وترمى وتدمى وتدمى والنزال دايم والقتال قايم وفى قنطاريات الفرنج من الفرج قنوط ولخطيات اليراع بأيدى كتب الكتايب فى الظهور خطوط ولشـموس اليزك من أفق الترابك بزوغ ولثعالب العواسل فى ضلوع الاساد ولوغ وكان فرسانهم فى كل يوم يباشرون دون الباشورة أمام جموعهم المحشورة ويتطاعنون بالذوابل ذوات الذوايب المنشورة ويبرزون يبارزون ويحاجزون ويناجزون ومطاعيننا المطيعون لله عليهم يحماون وهم كما قال الله تعالى « يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وممن استشهد ببسارزا ولم يشهد بينه وبين الجفة حاجز الأمير عز الدين عيسى بن مالك كان أبوه صاحب قلعة جعبر . وكان فى كل يوم يفرس فوارس ويلقى ببشر وجهه وجوه المنون العوابس فاغتم المسلمون من صرعه وهان عليهم فى تلف مهجته اتلاف المهج وهاجوا وهجموا أكناف الوهج وهجروا الجلد إلى الجلاد وركبوا اصناف الوهج حتى وصاوا إلى الخنـدق فخرّبوه وبددوا جمعه وفرقوه

(١) فى الأصل : سعيه .

والتصقوا بالسور فنقبوه وعلقوه وحشوه وأحرقوه وصدقوا وعذ الله على القتال لأعدائه فصدقوه وارهقت المنجنيقات وازهقت وسنحت وسسحت فتمكن رعبنا في قلوبهم وأذنت حربنا بكروبهم وعرف الفرنج أنهم مغلوبون وعن النجاة محجوبون فمعدوا بينهم مشورة وقالوا ما لنا إلا الاستيمان فقد أخذ منا بخطه الخذلان والحرمان وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الامان فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم وقال ما أخذ القدس منهم إلا كما أخذوه من المسلمين منذ احدى وتسعين سنة فانهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرفا يستزير وامنعوا^(٣) في رجالهم قتلا ونساءهم^(٤) سبيا فقال باليان بن بارزان في الحضور مستأذنا مستأما وباح بما بان في فكر الكفر من الشبه كامنا وقال للسلطان : قد رجوناك فلا تخيبنا^(٥) ووصلنا فلا تصبنا وجئنا فلا تردنا ومتى استوحشنا وايسنا اسقلنا الهلاك واستقتلنا وما نخرج من منزل حتى نخربه ولا نظفر بدم محقون حتى نسربه فالديار نخربها والدماء نحرقها وقبة الصخرة نرميها وعن السلوان نعميها والمصانع نخسفها والمطالع نكسفها وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير ما بين غنى وفقير وكبير وصغير فنبدأ بقتلهم وشئت شملهم فقيل للسلطان هؤلاء ان أخرجوا لجوا وأسلفوا الأهوال وأتلفوا الأموال وسفكوا الدماء وقتلوا الأسراء والصواب أن نحسبهم أسارانا فنبيعهم نفوسهم وندخل في القطيعة رئيسهم ومرعوسهم فاذن بعد لأي فيما رآه المسلمون من رأى فما زالوا يتوصلون ويترددون ويتلددون حتى استقر أمرهم على قطيعة اشترى بها المهج ونفوا دونها عنهم الحرج (٢٣٦ أ) / وهى عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امرأة خمسة وعن كل نسمة صغيرة أو صغير ديناران الذكر والانثى فيه سسيان فمن وفى بالحق خلص من الرق ومن عجز بعد أربعين يوما ضرب الرق عليه ونهج به منهج العبيد والاماء وبذل باليان بن بارزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار وانفصل بما التزمه من قطيعة وقرار وسلموا المدينة في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب أو ان وجوب صلاتها وطلعت الرايات الناصرية على شرافاتها وأغلقت أبوابها بعد تسلمها لحفظ ناسها في طلب القطيعة والتماسها وضاق وقت الفريضة وتعذر أداؤها وللجمعة مقدمات وشروط

(٣) في الاصل : وامنعوا .
(٤) في الاصل : نساءهم .
(٥) في الاصل : غير منقوطة .

ولم يمكن استيفاؤها وكان الاقصى بلا محرابه مشغولا بالخنازير والخنا
مملوءا بما أحدثوا من النسي مغفورا بالنجاسات حتى حرم علينا فى تطهيره
منا ألوفا فوقع الاشتغال بالاهم الأنفع وهو حفظهم وضبطهم الى أن يؤخذ
قسطهم فرتب السلطان على كل باب أميرا أميناً فلو أدبت الامانة لمالات الخزانة
لكنها اختلفت عليها الايدى وتعدت الى التعدى وكثرت الاقلام الضابطة
فقل الضبط وتزاحم الرابطون فأنحل الربط والنواب الاكابر استنابوا اضاعرا
أقاموا فى تقصيرهم المعاذر وقتلوا لأنفسهم الذخاير وادعى مظفر كوكبورى
أن بها جماعة من أرمن الرها وعددهم ألف نسمة فجعل اليه أمرها وكذلك
صاحب البيرة ادعى العدة الكثيرة وكذلك كل من استوهمب عدة أطلقها وحصل
له مرقفها ثم تولى الملك العادل استخراجهم وقوم على الاداء منهاجهم
وسهل بأوفى نصيب ورعى منه فى مرعى خصيب . وكانت بالقدس ملكة
رومية متعبدة مترهبة فى دين التثليث موحدة وعندها حول وخدم وعبيد
وجوار ووصايف ونواب وأمناء وأصحاب وظايف فلما دهتها الداهية
وعراها فى تمسكها بكنيستها عراها الواهية عازت السلطان فأعازها وأبقى
عليها من المصوغات من صلاباتها الذهبية المجوهرة جذائذها فخرجت بجميع
مالها وحالها ونسائها ورجالها واستنابها واعدائها والصناديق بأقفالها
والتفاريق بأحمالها وتبعها من لم يكن من أتباعها وشيعت بشفاعتها من ليس
من أشياعها وسارت الملكة الرومية لرامها مالكة ولمسالك ممالكها سالكة .
وكذلك خرجت الملكة زوجة الملك كى ابنة الماك امارى (١) وهى بأبيها بتسر
وبزوجها بتارى وعزمت على أنها تداوى مرض حالها وتدارى وتسال فى
شيعتها وعيشتها ورزقها ومعيشتها وحاشيتها وغاشيتها فوهب لها جميع
ما نسأله وعجل لها نجح ما أملته وكان الملك زوجها متيها فى برج نابلس من
قيده مطلقا ومن رقه معتقا لكنه هوكل به ليوم تسريحه وقد غلب الى زوجته
لاعج تباريحه فأذن لها فى قصده تسرت وسارت بخدمها وجواريها وحليها
وحللها وبسطها وفرشها وأحمالها وأوساقها وجواهرها وأعلاقها وأقامت
عند زوجها وبلت بغرته غلة اشواقها . وكذلك خرجت الابرنساسة أم هنفرى
وهى زوجة الابرنس الذى سفك يوم حطين دمه وفاء بالنذر وهى صاحبة
الكرك وهى بنوابها محوطة وبرايها منوطة فجاءت سائلة فى ولدها العانى
فوعدت بالجميل وشفاء مالها من الغليل وانها ان سمحت بحصنها سمح لها

(١) انظر الروضتين (١) ٢ - ٩٦ . وهى ابنة الملك امارى .

بابنها ثم سلكها فى الاعفاء والاطلاق سبيل الباقيات وعصمت فى نفسها ومالها وأصحابها بالراعىات الوافيات .

فكر وصولى الى خدمة السلطان

قال : سبق ذكر ما الم بنى من السقم وانقطاعى الى دمشق للتداوى فلما سفر وجه صحتى توجهت وللعود الى الخدمة تنبهت فوصلت الى السلطان يوم السبت ثانى يوم الفتح فاستبشر بقدمى وخلع على البشير قبل أوبتى، وكان أصحابه يطالبونه بكتب البشائر ليغربوا ويشرقوا ويسيروا فى البلاد ويتفرقوا وهو يقول لهم : اهذه القوس ثار ولهذه المأذبة نار ولهذا الوادى من سبيل الخاطر الفلانى سيل جار ولعله يفد ولارواينا يرد ثم اجتمع كتابه فى غيبتى وعملوا بالبشارة نسخة منها ينسخ أصلها ويفرع ويفرخ وهم بها مشغولون وبنارها مشتملون حتى أقبلت وجاءهم الريح وركدت الريح (٢٣٦ ب) / وفاح العرار ورمى الشيخ وقالوا : مرحبا بمن صبحنا وجهه الصبيح ولقيني السلطان بكل عرف بهيج وعرف أريج وتقريظ واطراء وتقريب وادناء وأنه من كرامة الفتح اتفاق وصولك واقبال قبولك وقدمك فى هذا اليوم وسموك بهذا السوم وهذا ميدانك فأين جوادك وأين أعلامك فهى أقاليد الاقاليم واذا أعوجت فهى للتقويم واستردا الكتب التى تخيروها واستثقلت البطاقات التى طيروها فأجريت ضامرى فى المضمار وأنهيت قمرى الى الأبدار وبريت بقلمى للإيراد والإصدار وكتبت فى ذلك اليوم سبعين كتاب بشارة وكل كتاب بمعنى بديع وعبرة ثم أردفتها فى تلك الليلة بكتب ثابت فى سمائها عن شهب استوعبت فى كل كتاب الشروح واستفتحت بتعظيم وعظمت الفتوح .

تكر جأوس السلطان يوم الفتح للهنا بالمخيم

على ظاهر القدس وخطبة الجمعة

قال : وجلس السلطان يوم الفتح ونص النصر ظاهر ووجه العز سافر والأمراء والعظماء قيام وجلوس وفى المطالع بدور وشموس وللموايخ أنفاس وللمفاتيح نفوس وهو فى كيئته وجلالته كالقمر فى هالته والدنيا حاله بحالته والدين مدلول دلالاته وأعين الامثال منتظرة لمراسمه والسن الاقبال مثيثة على مواسمه وقلوب القبول متمنية تمنا وأيدى الآمال متمليه بثبته والجمع

حافل والخطب عال ولبضائع الفضل ارباع ولصنائع الافضال افراح ولاجسام
المكرمات ارواح فام يتقوض المجلس الا عن مجد مشيد وحمد عتيد وجد سعيد
وسعد جديد ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان
ببسط العراض واخليها لاهل الاخلاص وتنظيفها من الادناس وكنس ما فى
ارجائها من الأرجاس وكان قد سبق امره من مبدأ الامر بهدم ما هناك من
ابنية الكفر فقد كان الداوية بنوا غريبة دارا وادخلوه فيها وخلطوه بمبانيها
واتخذوا منه جانبا مستراحا للاعلال وجانبا هريا للاغلال فامر فى العاجل
بكشف قناعه ورفع الوضيع من اوضاعه حتى ظهر موضع المنبر والمحراب
واستظهروا باقامة اقدامه من الحجاب واجتمع الخلق فى ذلك الاسبوع على
تفريق ذلك الهدم المجموع وتعاونوا حتى كشفوه ونظفوه ورشوه وفرشوه .
وكان قد امر باتخاذ منبر فى تلك الأيام فنجروه وركبوه ولما أصبحنا يوم
الجمعة وجدنا العلل مزاحة والهمم مراحة وهناك فضلاء بلفاء وعلماء اتقياء
وكل منهم قد سبق لخطبته الخطبة وامل الفوز بفضيلة تلك الرتبة واعد لذلك
المقام مقالا ونشط بشقشقة فصاحته من قرم حصافته عقالا حتى اذا جعل
الداعى وتعين الفرض على الساعى حضر السلطان للصلاة فى (١) قبسة
الصخرة وامتلات تلك العراض والسكون واستعبرت للفرح بما يسيره الله
العيون فعين السلطان القاضى محى الدين ابا المعالى محمد بن على القرشى
بن الزكى للخطبة فصعد فسعد وحمد وأحمد وأبلغت بلاغته وأوردت زناد
القلوب صياغته وأدت المعانى الفاظه وابنه الاقاصى والادانى ايقاظه فاهتزت
لمقامه أكناف المنبر واهتزت لكلامه اعطاف المعشر ودعا لأمير المؤمنين ثم
لسلطان المسلمين ونزل وقام فى المحراب اماما اكمل بصلاته الفرض وأرضى
بسمت دعواته والطمأنينة فى ركعاته وسجداته السماء والارض . وسر
السلطان بنصبه ورفعاه وامتلا صدره حبورا منه لجلاء بصره وسنمه فقد
أخذت اشعة انوار الخطبة فى سواد الالهة وعظمت اخطار المهابة فى
خواطر اللجة . ثم رتب السلطان بعده خطيبا يستمر اقامته الجمع
والجماعات ويستقر ملازمته لاداء الصلوات .

وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زكى فى عهده عرف بنور
فراسته فتح البيت المقدس من بعده فأمر فى حلب باتخاذ منبر للقدس

(١) كذا وهى ساقطة فى الاصل .

ثعب التجارون والصناع والمهندسون فيه سنين وأبدعوا في تركيبه الأحكام والتزيين وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوباً سيقاً في صوان الحفظ مقروباً حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنذر النوري ونقل المنبر إلى موضعه القدسي فعرف بذلك كرامات نور الدين التي أشرف سناها بعده بسنين وكان من المحسنين الذين قال الله فيهم « والله يحب المحسنين » (٢) ثم أمر السلطان بترخيم المحراب (٢٣٧ ١) / وتعظيمه وتخصيصه في عمارته بأعم أسباب تكريمه فجاء على ما تشاهده الآن العيون ويتفرع من حسنه وأحسانه الفتون .

قال : ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة نصب سرير الوعظ .
وتقدم السلطان إلى الفقيه (٣) ابن نجا الواعظ لشرع السرير وينفـع بعظاته الصغير والكبير وحضر المجلس بمراى منه ومستمع وكان أنور مجلس وأجلى وأشرف جمع ومجمع فحقق ورفق وأشهد وأشهق وذكر الفتح وبكارتة والقدس وطهارته وما أعده الله لهذه الطائفة من الطارفة الطارفة وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة ووصف ببلاغته ما لا يبلغ إليه إلا السن الواصفة وكان يوماً راجحاً وصوماً راجحاً .

وأما الصخرة المقدسة فإن الفرنج كانوا بنوا عليها كنيسة وأعادوا رسومها القديمة دريسة وستروها بالابنية وكسوها صنوراً هي أشنع من التعرية وملاعوها يتصانيف التصاوير ونبتوها في ترخيمها أشباه الخنازير فتقدم السلطان بكشف قناعها ورفع أوضاعها ومحو صورها ورخص وضرها فحببت بالقبل وفديت بالمثل وغسلت بالدمع واشتعلت بنار الأضلع ولما ظهرت الصخرة وجدناها قد أبقت بها النوايب جزوزاً فإن الفرنج كانوا نقلوا إلى بلادهم منها قطعاً وأبدعوا فيها بدعاً حتى قيل أنها بيعت بوزنها ذهباً وأفضى الأمر بها إلى أن يكون حجرها منتهياً فغطاها بعض ملوكهم اشفاقاً عليها لئلا تمتد يد ضميم إليها فابقت جزوزها في القلوب حزازات وبها حديث جلاتها في الافاق بروايات وأجازات . وتولاها بعد ذلك الفقيه ضياء الدين عيسى فضلها بشبابيك من حديد وثبت أركانها بكل تشديد

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤٨ .

(٣) في الأصل : ساقطة .

وأقام السلطان بها أمما أحسن التلاوة وحافظا للقرآن وحمل اليها وإلى المسجد الأقصى ربيعاً ومصاحف ورتب بها للقراءة أوراده وظايف فافتتح فيها بالختمات وختمت بالدعوات ودعيت بالصالحات والحمد لله الذى شدد ظهر الارشاد الى صخرته وملا قلوب الاولياء بمسرة الدين ونصرة أسرته .

نكر ما شرع فيه الفرنج من أداء القطيعة

قال : وشرع الفرنج فى اخلاء البيوت وبيع ما ذخروه من الأنثا والقوت وامهلوا حتى باعوا بأرخص الاثمان وكان خروجها بالمجان ولا سيما ما تعذر لثقله نقله وصعب حمله وكان كما قال الله « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين » (١) فباعوا ما تهيأ على البيع اخراجه وغلبوا على ما فى الدروس الماعون والمذخور ، وكانت كنيسة قمامة وهى كنيسة العظمى ببسطة بالبسط الرقاع مكسوة بالسطور من النسيج والحرير المزوج من ساير الانواع والذين يذكرون انه قبر عيسى عليه السلام محلى بصفايح الفضة العين ومصوغات الذهب والمجىن محسّفح بالنفسار مثقل من نفائس الحلى بالاوثار فاعاده البطرك منها عاطلا وتركه طلالا مائلا فقلت للسلطان هؤلاء انما اخذوا الامان على اموالهم فما بال هذا المال وهو بالوف يحملونه فى اثقالهم قتال من يعرفون هذا التأويل ويقولون لم يحفظوا العهد ولم يلحظوا العقد ونحن نجيبهم على ظاهر الامان ونغريهم بذكر محاسن الايمان وكانت المهلة انه من عجز بعد اربعين يوما عن أداء ما عليه من القطيعة ضرب عليه الرق فتولاهم النواب بعد خروجنا من القدس وبقي منهم من ضرب عليهم الرق خمسة عشر الفا فى الحبس ففرقهم السلطان وتناهيت بهم الممالك وحصلت لى منها سبايا نسوان وصبيان وذلك بعد ان وفى بارزان بالضمان وإدى ثلاثين (٢) الف دينار وأخرج من ذكر انه فقير بحسب الامكان وكانوا تقدير ثمانية عشر الفا واعتقد انه لم يبق فقير وبقي بعد أدائه على ما ذكرناه كثير .

وأما النصارى الساكنون بالقدس فانهم بذلوا مع القطيعة الجزية ليسكنوا (٣) ولا يزعموا ويؤمنوا ولا يخرجوا وأقروا بوساطة الفقيه عيسى

(١) سورة الدخان آيات رقم ٢٥ — ٢٨ .

(٢) فى الاصل : ساقطة والضبط من الروضتين (١) ٢ — ١١٥ .

(٣) كذا وفى الاصل : لساكنون .

وأقر السلطان من قسوس النصارى أربعة قوام لقمامة واعفانهم ولم يكلفهم الغرامة وأقام بمدينة القدس وأعمالها منهم وكانت يرسم الفرنج ومقدميهم مجاورة الصخرة وعند باب الرحمة مقبرة وقياب معمرة وأحداث وأحداث تعفينا آثارها ورخصنا أوصارها (٢٣٧ ب) / وقلعنا صفايحها المخرمة وأعمدتها المرخمة وسوينا بها الأرض وسلطنا عليها النقض وأشير على السلطان بتخريب كنيسة قمامة (٤) فلم يترجح في رأيه تخريبها ولا توضيح عنده تصويبها .

وقام السلطان بظاهر القدس حتى حقق الآمال وفرق الأموال وقسم الاتفال وعصى في طاعة الله بإفناء تلك الففائس العزال فقد كان أخوه الملك العادل وجماعته يرون وهو من الرأي الصواب إبقاءها للتخاير وأعدادها لما يدور من الدواير وكان ذلك أولى في شرع الخزم لكنه جرى من فرط سماحته على الرسم وسمعت الملك العادل يوما في أثناء حديثه في ناديه وهو يجري ذكر افراطه في بث أياديه أننى توليت باستيفاء قطيعة القدس فأنفذت له ليلة سبعين ألف دينار وقلت قد حصل منه على استظهار فجاءنى خازنه بكرة وقال : نزيد اليوم ما نخرجه على اتفاق مما عندنا فما كان بالأمس باق فأنفذت ثلاثين ألف دينار أخرى في الحال ففرقها على رجال الرجا بيد النوال ونفذ الى الملوك الذين كانت عساكرهم في الفتوح حاضرة هدايا وتحفا والطاق جازية .

ذكر الرحيل عن القدس على عزم حصار صور وهو يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان

قال : كانت صيدا وبيروت مع الأمير سيف الدين على بن أحمد المشطوب وهما لجاورة صور معرضتان للخطوب قد وصلت كتبه محروسة على حصار صور خاصة وعلى بنان التندم لخوف قوات الفرص عاضة وانها بالمرابطة فيها والمصابرة عليها تمالك وفى كل يوم فرصة اذا فانت لا تستدرك

(٤) يقصد كنيسة القيامة وقد اعتاد المؤرخون تسميتها بهذا الاسم .
قال في الفتح : « وأمر السلطان بإغلاق أبواب كنيسة قمامة وحرم على النصارى زيارتها . . وتفاوض الناس عنده فيها فمنهم من أشار بهبدم مبانيها . . » قارن الفتح القدسي : ١٤٥ .

والى متى اللبث وحتام المكث ولم يبق فى النفس الا حاجة صور فانهضوا اليها العسكر المنصور فقد اينع فى القلوب غرس ضمها وما بقى فى كنانه الكثر غير سهمها ولا بد من العزم الجزم فى خوض هذا الخضم وكف الملم وكفاية المهم فرحل السلطان عن القدس بالبوارق الملتمة والفيالق المجتمعة والافلاك بكواكبها والاملاك بمواكبها وكان الملك الافضل قد رحل قبـسـله بأيام ليحكم ما بعكا التى يتولاها من استباب واحكام ثم تبعه الملك المظفر تقى الدين ثم رحل السلطان فى اليوم المذكور وودع ولده الملك العزيز وسار معه منزلة وأعاد الى مصر عزيزها وجدد بمحاسنه تطريزها وذلك آخر العهد بـلقائه وان مد الله سبع سنين بعد الفتح فى حياة السلطان وبقائه ثم استصحب معه الملك العادل واستظهر بصحبته ووصلنا الى عكا يوم الخميس مستهل رمضان وبصور (١) من خبر مصيرنا ما اقعـد الكفر واقامه وكان المركيز قد حفر الخندق للبلد من البحر الى البحر قدامه ووثق سورة وأسعر عليه مساعيره وبنى بواشيره واحكم « فى التعمير تدبيره » (٢) واستكثر الى جموعه العدد وكثر من جنوده العدد ورحلنا الى صور بقوايم قوية وصوارم ظامية روية ووصلنا اليها يوم الجمعة تاسع الشهر وخيمنا بازاء السور بعيدا منه على النهر واقمنا ثلاثة عشر يوما حتى تلاحقت الامداد وتكاثفت العدد وتكاثرت الاعداد وهيأنا آلات الحصار وتنكبنا عنها عن نهج الاقتصاد والاقتصار وحول السلطان مضاربه الى تل قريب من السور مشرف منه على الجمهور « وكان تحوله اليها يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر واقام مقامه المصابر الصبور » (٣) وحجز على السفهاء العدى بالحجازات وضايقتهم بالابراج والمنجنىقات والعرادات والديابات وقد تكفل كل واحد من الملوك بجانب يكفيه فالملك العادل سيف الدين بدر فى جانبه وتحرف الاقران بمضاء مضاربه ، وتقى الدين فى جانب آخر نازل منازل مقابل ، والملك الافضل خيمته من وراء السلطان قريبة وعزمته لدعاء الصباح مجيبه والامراء والكبراء وعساكر ملوك الاطراف والحاضرون فى الخدمة لا يحصون ولا يحصرون ونحن نرجوا من الله انهم على اعداء الله ينصرون . وفى هذه الايام وصل الملك الظاهر غياث الدين غازى غازيا وللدین بقیامه وافیا واستظهر السلطان بالظاهر ابنه وركن الى شدته لشدة ركنه وانزله بقربه ورتب رجاله فى

(١) فى الاصل : بصور .

(٢) فى الاصل ساقطة والضبط من الروضتين (١) ٢ — ١١٩ .

(٣) فى الاصل : توجد بالهامشي .

أماكنها وإبطاله في مكانها وعين لها مواقفها في مياسرها وميامنها وتعاضد أولياء الله على قتال أعدائه وانتظروا نزول نصره من سمائه وكانوا يقاتلون (سماء) (٤) صباح مساء وفي كل يوم بل (٥) في كل ساعة بأس شديد وقاتل جديد ونوال مبيد (٢٣٨ ١) / وأما المتجنّيات فأنما شقت حجاب السور بشورة الأحجار وهتكت ما نضدته للسقاير من السقار الأبراج فانقضت على الكفر من النضال نجومها وقذفت الشياطين من القوارير رجومها واستدعى السلطان الاسطول المصري وكان بعكا فجاءت منه شوان عشر لها على القتال (٤) ضم ونشر جبالها « تمر مر السحاب » (٥) وهضابها تجرى في الأمواج على الهضاب . وكانت للفرنج في البحر مراكب خفاف وحراريق لها بخريق النصال قذاف وفيها رماة الجروح والزنبوركات والنكابات بالنابوكات فهي تجرى بقرب الساحل موثره للمنايا مؤثرة للمنايا يرمون من دنا من البحر ويدمونه ويصممون على ماقاتلهم فلما جاء اسطولنا استطال عليها وأبعدها من صور وحواليها فأجترأنا على الدنو من البحر والهجوم عليهم فيه بالقهر، وأحطنا بهم وقاتلناهم برا وبحرا وصعدنا أكبادهم رعبا وذعرا وكاد الفتح لنا يتم والحتف فيهم يهيمون نحن نحرس ونقتص ونفرض فبينما نحن في هذا ظفر وأصفي ورد وصدر اذا أصبنا ليلة وفجعنا بقطع مدده الموصول وذلك أن رئيسه عبد السلام المغربي ومتوليه بدران الفارسي ومقدميه ورجاله الفوا على الاستقامة أحواله واغتروا بالأقدار ونعسوا ولم يحترسوا عن نوايب الأسحار وذلك أن خمس شوان منها كانت بازاء البلد في بعض الليالي مرساة بارصاد العيون على الكفر معراه فنامت بازاء ميناء صور وقد نسي المقدور وجرت الى السحر ومالت الى راحة العين من تعب السهر فلما شعروا الأبراكب العدو مالكة وبرجالها فأتكة فدخلوا بها الى الميناء « وملك الفرنج خمسة من شواني المسلمين وأبسروا مقدميها ورئيسهم عبد السلام المغربي ومتوليه بدران الفارسي وأمرأه » (٦) وبدر أمرأها المقدمون وتواقع الى الماء رجالهم الباقون فمنهم من نجا وخلص تحت ستر الدجى ومنهم من

(٤) هكذا وردت في الأصل وهي لا تستقيم مع السياق .

(٥) إضافة يقتضيها السياق وهي في الأصل ساقطة .

(٦) كذا وهي ساقطة في الأصل .

(٧) سورة النمل آية رقم ٨٨ .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط في الأصل والإضافة من الروضتين (١)

قنط من خلاصه المرتجى فاصبحنا وقد وجمنا من تلك الليلة وبفقتنا نبوة تلك النبوة ثم قلنا هذه المراكب التي سلمت لا انتفاع بعديتها القليلة ولا حاجة بنا الى بقاء الباقيات الصالحات عندنا وان الله سينصر بدوتها في حماية الدين جندنا فجزنا لنسير الى بيروت وننجوا من المعرة ونفوت فلما اقذف بها ملاحوها بصرت بمراكب الفرنج وراها فخافت اعتراكها واجترأها فتواقعت الى الماء خارجة على الوجوه مشفقة من المكروه وكانت مجمعة بجريد وبجفوة مصرية ونجا منها شينى رئيس جبيل (٩) كأنها الجبل وانحدر على البحر كأنه سيل وكانت رجاله منتخبين بالبأس والبسالة منتخبين وأما الشوانى التي تخلوا عنها فأنا رفعناها الى الارض وبنسطنا فيها أيدي النقص وعدنا الى ما كنا عليه من قتال البر واطمعت الفرنج شئون تلك الشوانى فقالت ما هذا أوان التوانى فاستعدت يوما وقت العصر وخرجت عن الحصر واقدموا مدججين في بحر اللجاج ملججين يجرون من ابدان السوابغ ذيولها ويجرون من أمواه السيوف القواطع سيولها فما ترى الا فل الحديد بالحديد وشل العديد بالعديد وهز الصوارم وحز الغلاصم وحطم الموازن وبث المكثون ونقل الكناين وما زالت الرعوس كالزروع تحصد والعوالى في الضاوع تقصد والقنا في السابري تندق والكلى باليسرى تنشق حتى انفل الحديد وتكسر وانحل السديد وتيسر وكانت الدائرة على الكفرة فانفجرت على نصالنا عيون الفجرة وانتكصوا مغولين مأخوذوين واسر فيمن اسر منهم مقدم كبير قدم سلبه بأموال وعد لحماسته ولبسالته برجال ما سلم نفسه حتى سلمت دونه نفوس وما غل عنقه حتى طارت دون وقوعه رعوس وتباشر الناس وقالوا اسر المركيس وحصل في القبض ابليس وكل من يتأمله يشبهه بالمركيس ويمثله . وكان الليل قد جن والسيل قد ارجحن فسلمه السلطان الى الملك الظاهر ليحفظه ويعين الحراسة يلحظه فقدم المقدم وضرب بيده عنقه ولما اقمنا صروحا تبين ان المركيس في الحياة مهله ابليس وعادت بالحروب في كل يوم يحدد فيها المئون وتدور برحاها الحرب الزيون تجد ويجسدون وتشتد ويشتدون ولو اقمنا لرجونا من عون (٢٣٨ ب) / الله تعالى ان ينصرنا وقتلنا قد آن للصبح ان يسفر وللنجح ان يظهر لكن مراد الله امضى وقدره اغلظ واقضى .

نكر الرحيل عن صور وبيان السبب فيه وذلك في آخر سؤال

قال : كان اصحابنا قد الفوا من مفتتح الفتح الحصول من غير تعب على هنى الربح فما التقطوا الا درة ثمينة ولا اشتروا الا لقمة سميكة فلما حصروا صور وابصروا الامور وشاهدوا الشهادة واحتاجوا الى هجر المعيشة الرحبة المألوفة وانفقوا الاموال في جلب القوات والعلفة مشى بعضهم الى بعض وقالوا قد طال مقامنا فاستحال مرامنا وقتلت وجرحت رجالنا ومالت الى الزوال اموالنا وفيها جماعة كرهوا الرحيل وقالوا : قد اوهنا العدو ورزقنا الله عليه الغلبة والعلو وقد فرق علينا (١) السلطان من الاموال آلافا مؤلفة حتى استتبت الاسباب فاذا رحلنا احبطنا الاعمال واذهبنا غبنا تلك الاموال وقد قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٢) واذا امتثلتم هذه الاوامر فانكم بوعده الصادق تفلحون وتفتحون ومن الناس من هو ساكن ساكت حتى يبصر ما يكون من حكم القدر ويقضى الله اما بالرحيل واما بالفتح والظفر فجاء الالوف الى السلطان وقالوا : قد بان تعذر الامكان وقد اشرفنا على كائون وكل ومل المؤمنون وما ينقضى يوم الا ويقضى او يجرح فيه قوم وهؤلاء رجالك فلا تفرط فيهم ولا تحملهم على ما يردىهم وبين ايدينا بلاد أهون من صور فارح لفتحها عسكري المنصور فقال السلطان : قد انهينا في بحر الاجتهاد العوم فكيف يطرق بالرحيل اليها اللوم وما عذرنا اذا فرجنا عن عداته وخرجنا عن مواقيت عداته وبالصبر ينال الظفر وبتوفيق الله لاتباع امره يوافق القدر وهذه صور ان بقيت اتعبت وان نفس كربها اكربت ولم يبق بهذا الساحل مدينة للسوء سواها وما نخاف اجتماع مدد الفرنج الى الساحل لولاها فاذا فتحنا رتاجها فتحنا كل رتاج واوضحنا كل منهاج والحصون والمعازل الباقية في يد الكفر مجاورة لبلادنا في البر وما أهون فتحها اذا يؤس رجالها من امداد البحر واذا تركنا هذه الجمرة في رمادها وهذه الشعلة متوارية في زناها أعصفت بها نكب الرياح وعنت بوريقها الذي للاقتداح فانتشر حريقها واتسعت للطورق طريقها وقد قرب من نار شره الخمود وتعذرت من سوره

(١) كذا وفي الاصل عليها .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٢٠٠ .

الحدود واذا مضينا وتفرقنا فمتى نجتمع ونعود وقد امكننا الغربية وانتم الاسود وقد لاحت الفرصة وقد حميت الحمية فماذا الخمود فتأبوا الى ما رآه واتوا الى رضاه فاقمنا بعد ذلك اياما نوفي المصابرة حقها والمرابطة صدقها والسلطان يفرق على الرجال الاموال ويحبب الى اولياء الله في سبيله القتل في انفس المتضجرين بالمقام ما فيها وكم ثبتت متجلدة على ما ينافيها فتمكنت الفترات في عزماتها وتطرفت السكنات الى حركاتها وصارت تخل بنوب المنجنيق وتدعى سائحات اسباب التعويق ويقول الامير : رجسالى يجرحون فكيف يعدون للنوبة او يروحون وبقيت المنجنيقات واقفة لا فادح لزنادها بحجارة ولا قابل لسومها ببيع ولا اجارة وقد استوفيت شرح ذلك في كتاب الفتح القدسي واديت المعنى باللفظ القسي فعزم السلطان على الرحيل وأمر بنقض الأبراج والمنجنيقات ونقل الاثقال والآلات فحمل بعضها الى صيدا وبيروت في البحر والبر وأحرق بعضها لئلا يحصل بها نفع للكفر وانتقل السلطان الى المنزلة الاولى وشرع جمع العسكر في الافتراق كأنهم قد اطلقوا عن الوثاق ورحل الملك المظفر تقي الدين وسار الى دمشق على طريق هونين واستصحب معه عساكر الشرق وجموع الجزيرة والموصل وسنجار وديار بكر وماردين ثم استقل السلطان راجلا وسلطنا بالخييل في خدمته ورأى الباقيين فوق الجبل في ثلاث مراحل حتى انخأ بظاهر عكا عند التل وخيم السلطان (٢٣٩ ١) / هناك وأقر الفضل وأرف الظل وعين يوم رحيله أمراء يقيمون على صدر الى أن يعرفوا عبور النقل فان طريق الناقورة في الجبل المطل على البحر ضيقة المسلك لا نعبر بها الا جمل جمل فعبرت بها الاثقال والاحمال في اسبوع وسار الملك العادل الى مصر والملك الظاهر الى حلب واستأذن أيضا بدر الدين دلدردم الياروقي في المسير وصار هاولا في النجم الغفير والجمع الكثير .

وفي هذا التاريخ استشهد سيف الدين أخو عز الدين جاولي في غزبلا كبسته فرنج حصن كوكب آخر ليلة من شوال وكان محمود السيرة منتبسه الغريرة طاهر الذيل من الدرن ظاهر الميل الى الاثر الحسن وكان قد تخلف من الحصون التي لم تملك حصنا كوكب وصفد وانما طال امد فتحهما لان في كوكب جمهرة الاسبتار وفي صفد جمهرة الداوية فرأى السلطان الحاجة في فتحهما الى المطاولة والحاجة من غريمهما بالمماطلة فوكل بهما اميرين امينين فاصالت على اشقياء صفد سيف الدين اللصتي مسعود ورأى أن

يوكل (٣) بكوكب غير محمود وكلاهما استشهد وحكم مراد الله غير مردود فأما محمود فإنه أقيم في حصن عفريل وهو قريب من حصن كوكب ونقص على المقيمين فيه الطعام والمشرب وضيق عليهم حتى ضاق خناقهم وحقارهم وآن ان ينصال ارماتهم فدخل الشتاء واعتل الهواء واغتر محمود بجمود القوم وخمودهم وترك النوم واشتغل بعبادته في حصنه ولما كان آخر ليلة من شوال وهي ليلة رابعة بارقة خلا محمود خلاله المحمودة وسهر وحرض الى السحر وهو في غرة في غار الغير وأخل أصحابه الاحتراس ومالوا « فغلبهم النعاس » (٤) فما استيقظوا الا وفرنج كوكب عليهم بركة وللبنة حياتهم هاتكة فمالوا يدافعون عن انفسهم حتى استشهدوا ونقل الفرنج الى كوكب ما وجدوا من عدة ومتاع وسلاح وكراع . ووافق نعيه رحيل السلطان من صور فتقدم الى صارم الدين قايمار النجوى ان يرايط كوكب في خمسمائة فارس ولم يزل عليها منيخا حتى تسلمنا الموضع في اواخر سنة اربع على ما سيأتي ذكره .

وفي هذه السنة كان فتح حصن هونين أيام مقامنا على حصار صور وذلك انه لما فتحت تبين امتنعت هونين فوكل بها من الامراء من رابطها وصابرها ولم يزل مقاتلا لها حتى راسلوا في طلب الامان وتسليم المكان وجاء الخبر الى السلطان فأمر الامير بدر الدين دلدروم الياروقى في التوجه الى هناك وخرج الفرنج منها آمين والحمد لله رب العالمين .

ذكر دخول السلطان الى عكا

قال : واثام السلطان بظاهر عكا في سرادقه ناظرا في غاية حقوق الدين وحماية حقايقه واتفقت في تلك الليالي رياح مختلفة وعواصف مرجفة وكان الملك الأفضل في برج الداوية مقيما فسكن السلطان بالقلعة في محل الرفه والرفعة واستقر بها الى ان دخلت السنة الاخرى ورتب الامير عز الدين جرديك واليا واعاد به عاطل الولاية حاليا وانما عول عليه لنزاهته

(٣) تارن الروضتين (١) ٢ — ١٢٠ حيث يقول : فوكل بصفد جماعة يعرفون بالناصرية مقدمهم مسعود الصلبي ووكل بكوكب الامير سيف الدين محمود .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط في الاصل والضبط من الروضتين (١)

ونباهته فسد المخل وشفى المعتل وأقام السياسة وأدام الحراسة ووقف دار الاستتارية نصفين نصفاً على المتصوفة ونصفاً على المتفقهة وأهل المعرفة من الطائفتين ووقف دار الاسقف الى جمال الدين بن ابي النجيب المتسولى بها أمور الشريعة وأدت الحال بتفريق رياضها الوسيعة .

ذكر حسن خلق السلطان

قال : كان أيام حصار صور قد فرق أموالاً كثيرة على الولاة فى البلاد لجمع الرجال فلما قضى الله بالارتحال ذكر بتلك الأموال فأضرب عن ذكرها ولم يخرج أمره فى أمرها وكان والى أعمال عكا حينئذ شمس الدين على بكريسان وقد سير اليه ألف دينار قبل الرحيل من صور بأيام فلما حم الرحيل كوثب برد المال فقلت للسلطان : انه من الكفاة فأنعم عليه بما عنده فلم يعد لذكره بعده واحتسب تلك الأموال للآخرة ذخراً ولم ير لها جبره من كنز انفاقه كسراً .

(٢٣٩ ب) / ذكر الرسل الواردين فى هذا التاريخ

قال : فأول رسول وصل وسؤله حصل رسول الديوان النبوى منزل الرسالة ومحل الجلالة وهو أخى تاج الدين أبو بكر حامد بن محمد بن حامد وكان وصوله ونحن على صور فحين وردت البشرى بقربه أمر بعض الأمراء بتلقيه ويحميه فى المنزلة التى يبى بها ويقيه ولما بكر أمر الأمراء بالتبكير لاستقباله والتوفير لجلاله وتلقاه الملوك الحاضرون الملك المعادل والأفضل والظاهر وعقدت بمحاسن ذلك المقدم المشهود المحاضر ثم ركب السلطان آخرًا وتلقاه وقام بحق الخدمة الامامية ووفاه واستصحبه معه الى موقف القتال ومقام مناصب الابراج ومراكب الامواج وثم أنزله بقربه وحياه بحبه ثم عبر يوما لحضوره وأدى الرسالة النبوية بحقها وأبدى الجلالة المنيفة فى انفتها . وكانت معه تذكرة مشتملة على العتب والتقرير فيما مر به الاعداء من السعى الوضيع والوشى الشنيع فقابل العتاب بالاعتاب ورد الخطأ الى الصواب وبين أن الحسود اخترع الزور وشهد أنواره رام أن يستر بظلامه الفلق ومضى أخى الى القدس وزاره وشهد أنواره وأقام الى آخر السنة ومنزلته موقرة معظمة ثم كتبت على يده ما استقام به على جده .

وكان من جملة الواصلين الفقيه كمال الدين الشاشي (١) قاضى أرز الروم فأسهمه السلطان خصوص انعامه والعموم واتفق وصوله أو ان رحيلنا من حصار صور وسار معنا الى عكا ولقيته وقد انجز أمره وهو يشسكى وسألته عن شكواه فذكر لى اقتراحا يسيرا وشكى تقصيرا فقلت حقك يقضى وتلوت « ولستوف يعطيك ربك فترضى » (٢) ثم استأذنت له فى تلك الليلة على السلطان وأحضرتة ووفيته حق تبجيله وقربته وقلت : لعل مولانا ما عرف انه فقيه عن النظراء متميز وفى المناظرة مبرز فهل يؤذن فى حل مشكلة والكلام فى مسألة فبش لذلك القول وهش بالطول فقال : مبارك يشرع ويجيد ونسمع ويفيد فشرع فى مسألة مستدلا معلا وأصفيت له مبعلا وهزرت له عطف الاستحسان وأعزرت قدره ومكانته بقدر الامكان وقربته الى قلب السلطان ثم اعترضت على كلامه واعدته احسن اعادة وذيلته من المعانى البديعة .

قلت للسلطان : هذا من الفقهاء الاعيان يعود الى تلك البلدان ويتحدث باخبار فتوحك وانباء غدوتك فى الجهاد وصبوحك وقد رغب فى التبرك بما يستصحبه من عدتك فى الغزو والملبوس فان لها قبولا فى القلوب ونفاسة فى النفوس فأدناه منه تأنيسا ووهب من كل عدة خاصة لها علقا نفيسا حتى اعطاه قميصه المزور عليه وملا بعوارفه يديه فخرج وودعه وودعته واشاع حمدي وبالحمد شيعته هذا ولم يزل أدبى وقضاء حقوق الكرام من انجح آدابى والسلطان يقلدنى فى مذهب سماحه ويقلدنى فى المن فى الارشاد مقصد معارفى هذا (٣) وانجاحه . قال : ومن جملة الواصلين فى التاريخ رسول الاتابك مظفر الدين قزل ارسلان .

ذكر نبذة من احواله

كان هذا مظفر الدين قزل ارسلان وهو عثمان شمس الدين ايلدكز مستوليا على بلاد العجم بعد اخيه بهلوان وهو عم السلطان السلجوقى

(١) قارن الفتح القدسي ٨٨ ، والروضتين ج ٢ - ١٢٠ .

(٢) سورة الضحى آية رقم ٥ .

(٣) فى الاصل توجد بالهامش .

ليس (١) معه أمر نافذ ولا بيده فى الملمات منه آخذ وقد حكم على البلاد جميعها ارانيه واذربيجان والرى واصبهان ومن حد حلوان الى حد خراسان وقد هرب السلطان السلجوقى ليخرج من تحت حكمه ويتسلط على عادة كل سلطان ورسمه ثم قوى وعاد ولم ينتظم لسوء تدبيره أمر ولم يرتفع له قدر فانه كان كثير التحيل من خواصه يرتاب بغش نوى استخلاصه فاذا اوهموه فى أعظم امرائه أمرا عظيما لم ير فى الايقاع بهم تهوينا ولا تهويما فما يشعر الواقف على رأسه الا ورأسه طاير ودمه ماير فخانه مقربوه وانتزحوا وكل منهم نافر ومازال قزل ارسلان يتتبعه ويرده تارة ويردعه حتى ظفر به وسيره الى بعض القلاع وحبسه وهذا قزل ارسلان كان يجد لى أمرا فى السماح والاموال فى انامله كالهشيم على مهب الرياح ومن جملة سجاياه الكريمة انه تبقى عنده رسل الاطراف مقيمين فى ظل الاسعاف مشمولين من تفقده بكرائم اللطاف (٢٤٠ / ١) فلواقام الرسول سنة اقام بتبجيله وتشريفه حتى تستغنى بدقيق انعامه وجليله فاذا استأذن فى العود اجزل له عطاءه ووفر له الاءه واعاده مملوء الحقايب مطوق الجنايب مثقلا بالنضار وكان اذا عرف اجتماع الرسل عنده من الامصار واقاصى البلاد وادانى الديار احضرهم فى ايوانه وغمرهم باحسانه فمن وافقته على انسه اقام ومن عف عن القعود فى ذلك المجلس قام . وكان على مذهب ملوك العجم فى ادمان الشرب وسمعت انه انهب آلات مجلسه الذهبية والفضية وكانت الونما لندماه مرارا وكم مرة لم يبق فى خزانته عرضا ولا درهما ولا دينارا وكانت هذه شيمته فى دولة ابيه وهو يحبه اذا افتقر ويغنيه فلما اتسع ملكه وتوحد واتسق سلطه وتفرد ولم يخل خليفته ولم يزل طريقته وكلما سنحت الدنيا له سخا بها ووهب الدرر بسخائها والدرر لسحابها . واذا ركب تعد له المواكب وتمد له الجنايب والمراكب مثقلة بالسرقسارات المدثرة والاطواق والسحوت العسجدية المجوهره وهو راكب ازهاها حليا وابهاها جريا . وحكى انه انعم على احد الرسل بمركوب غال فجاءه كل سابح كأنه بحر ساطع كأنه فجر ضامر كأنه صقر ذى حافر كأنه صخر وقد ركب الامير وهو يسايره ويحساده ويحاوره وتحت الامير مركوب فى كون مركوبه بعينه بطوقه وسحته ونضاره وتحتة مد فرس الرسول وترح وتجهد فقال : ما بال جوادك الينا يسهل

وعليها يحمل فقال : يطلب رفيقه وينادى شقيقه وهو من فراقه على فرق ومن اشتياقه على قلق فنزل الأمير عن حصانه ووهبه له بقلايده وعقبانه وركب غيره وحصان ببذله خيره وقبل سايره قاض من قضاة تلك البلاد وهو على بغلة عاطلة هزيلة والأمير على بغلة فارهة جميلة بمصوغات التبر في الحلى ثقيلة فقال يا قاضى : ما لبغلتك قد عجفت فقال : ادمغتها الغيرة من اختها فما هى على تختها ولا فى طوقها وسحتها فأعطاه البغلة بسرجه وطوقها وأمر لبغلة القاضى بمثل زينتها لتقرن فيها بقرينتها وزاده عطية لأجل علفها وإزالة هزالها وضعها فاستغنى القاضى بها بقية عمره ووجد جده وعدم عدمه .

ومن جملة مكارمه أن الأثير الأخسيكى شاعر دهره وساحر عصره مدحه بستة أبيات من شعره فجاد له بستة آلاف دينار من تبره وقال : لو زادنى زدتى . وحكى أيضا أنه وصل إلى المعسكر شاب أديب قد حوى من كل فنسل طرفا وحاز من كل غريبه طرفا لكنه فقير قد أدركته حرفة الأدب وأحوجته الاضرار إلى الاضطراب وأخرجته الاغترار بالاغتراب فلما وصل إلى المعسكر اجتمعوا حوله وسمعوا قوله وعرفوا معرفته ووصفوا صفته ونما الخبر إلى الأمير على السنة ندمائه فأمر باحضاره ولما حضر فأكفه وثأفه واستطرف أدبه واستوصف آدابه ونظم فى وصف الحال رباعية بالفارسية فاحضر له ألف دينار حمر وقال : خذ هذه واتسع بها وثفع وقد وصلناك فلا تنقطع فلما بسط الكف وقبض الألف طار من الفرخ كالفرخ إلى وكره وأبعد الدموع إلى تلك الدنانير عن ذكره ورجع إلى البلد وقرت عين الوالدين بالولد وطلبه مظفر الدين قزل ارسلان فأخبر بانفصاله وأنه قنع بما تهيأ به من افضاله فقال : ما كان أدنى همته ولو عرفنا لاجزلنا عطيته .

ومن جملة انحرافه فى سماحته أن المجير البيلقانى الشاعر بالفارسي تعلق له أمل بجمال فكتب إلى قزل ارسلان مقطوعا فى أحد وعشرين بيتا لم يخل كل بيت عن لفظه الجمل بمعنى ليس فى البيت الآخر بديع وسنسبك نصيع فوهب له أحد وعشرين بازا نجيبا . قال : وهذه نبذ من مكارمه ليقتدى بها الكرام ولأنوب فى الشكر عن شمله الانعام وهو من الملوك الذين سيرت

اليهم البشارة من الملوك وسار بالبشائر والهدايا والتحف والاسارى اليه ابن اختى جمال الدين ابو الفتح اسمعيل بن الحسن بن عبد ربه وكان ينوب عنى فى الكتابة وهو سهم كاف كثير الاصابة فاختره السلطان لهذه السفارة وجعله أمينا فى أداء ادوات البشارة ومضى سفيرا فقبل وفوده من القبول بالوفور وارسل معه أعزاً من عنده وحمله مشافهة وشكره وهو عز الدين الطالبى فوصل واوصل الهدايا والتحايا واحضر لما حضر نفود المكرمات والثنايا وكنا حينئذ بعكا وهى بالاولياء معمورة وبالألاء مغمورة فأنزلناه فى اكرم منزل وشاهد مواقف الكرام ومقامات الاقدام واقام فى (٢٤٠ ب) / اقامة هنية وكرامة مضية وفى كل يوم اهداء مركوب وعطاء غير منسوب فلما آن انفصاله وحن ارتحاله أغناه واعطاه ما لم يخطر فى مناه وعين لصاحبه من انواع الهدايا ما جاوز تقويمه الالوف واطاع فى سماحة طبعه الالوف واخذ الهدية القزلية من الجواهر الثمينة والمستعملات المصرية والثياب المعدنية والعقاقير العربية وكل ما حازا به يد الايدى فى جهاد من طريف التلاد وعقائل الطرف والتلاد والخوذ والنزول والعقود والسلوك وغير ذلك مما يصلح للملوك وسلم جميع ذلك الى جمال الدين نسيبى وجعل له تلك الرسالة من نصيبى وأهدى لامرأته وخواصه وذوى قربه واختصاصه هدايا على اقدارهم ومنازل كبارهم وصغارهم وتوجه الرسول ومعهم رسولنا وقد شملهما اقبالنا وقبولنا وكتب على ايديهم بالفارسية كتباً بالبدايع مشحونة فلما وصلتهم الكتب والرسائل تواصلت بيننا وبينهم الصلات وتهادت المهادة واسترسلت المراسلات وانقلبت الى المصانفات الصفات .

قال : وسأذكر نبذا من تخرقه فى السماحة وأغفلتها ثم تقدمت كيف أهملتها اصبح يوما فى عنفوان هبوب صباحنا وقد وهب جميع ماله من لبسه وثيابه واصطبله بالآلاته ودوابه وخيمته بما فيها من سبده ولبده وقعد على الأرض متجردا عن كل ملك شأذا من كل عقد وسلک وذلك فى زمان ابيه فلما نمت الخبر اليه بما سخا به وانه صفر يده أحضره وزجره واستجعله فيما عرف منه وائكره . قال : ومن انت ومن يقال لك ومن لهذا الطريق الذى سلكه سلک فقال ما معناه انا أبى خير من ابيك وأشرف وأعظم . انت الاتاك شمس الدين ايلدكز والدى فمن كان والدك ولا تنكر اذا وردت مواردك وانت تخلف وتسعد عنه واخلف عليه افضل ما كان له وأوفر .

ومن حكايات مغنية (٣) في مجلس أنسه والتهاب طربه في طيب نفسه فقالت مالدوا يرى علف وما لما أنفقه على علفها خلف فقال سرا لخدمة خذا غراره فأملأها بثياب ديباج وحرير وأطلى رأسها بحشيش وشدها وأعدّها وإذا طلبناها أحضرها فلما أحضرت قل لها هكذا هذا العلف خذوني. هذه الساعة إذا كان هذا جودك وموجودك فكنت تخل مجلسك من أحضاره وتبقيه عاريا من عاره فقال لها وحلف أنها تتولى أخذ الغرارة المحشوشة وتفرغ الفرد المملوء فقامت كرها على القدم لأجل أجلال القسم فأخرجت منها غنى الأبد فخرت ساجدة وفخرت واجدة وعاد منها غنى الاحسان باحسان الغنى وأخذت في الاطراب والاطراء .

ومن حكاياته أن شاعرا مدحه بقصيدة سبعين تناهزت أعطائه فقال يحكم على فيما أعطيك ولا ترضى إلا بما يرضيك فقال : قد قنعت بسبعين ديناراً عدد أبياتها فقال له : ما أدنى همتك لو طلبت منى سبعين ألف دينار ولا حرمتك منها ولاحظرتها ثم أعطاه ألف دينار وحلا وجه أمله وصفحه نجحه بسفور وأسفار . قال : وهذا كله لا يكون في بحر سلطاننا جدولا ولا لأحد أمله في سماحته منهلا وكان مهذب المذهب طاهر المحفل والموكب وقد خصه الله بالصدر الأرحب والعرق الأطهر الأطيب للخالق تقواه وللمخلوقين جدواه وإنما يريد للأخرة دنياه فلا جرم ختم الله بالحسنى عقباه . قال وفي هذه السنة سنة ثلاث وثمانين استشهد الأمير الكبير شمس الدين بن المقدم وهو محمد بن عبد الملك يوم عرفه في عرفات .

ذكر السبب في ذلك

قال : لما وقع الفراغ من فتح القدس دنا الحج واستقام منه المفلحون على النهج وقالوا نحرم من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام ونفوز مع ادراك فضيلة القدس في هذا العام بأداء فريضة الجهاد وحج ركنى الاسلام لهاجتمع جمع من أهل ديار بكر والجزيرة والشام وسار بهم الأمير شمس الدين بن المقدم شيخ أمراء الاسلام الكرام فودعه السلطان على كره من مفارقتة واستمهل له ليحج في السنة الأخرى على موافقته فقال ما معناه : إن العمر

قد فرغ والامل قد بلغ والشيب قد أنذر والقدر قد حذر واغتتم فرصة الامكان
قبل ان يتعذر فمضى والسعادة تقوده والشهادة تروده حتى وصل الى عرفات
وما عرف الاثبات فشاع وصوله وسالت سيوله وحالت حيوله وضربت خيامه
وخفقت اعلامه واشتغلوا ليلة عرفة بالمناسك فلما أصبحوا نقرت على العادة
نقاراته ونعرت (٢٤١ ١) /بوقاته فغاظ ذلك امير الحاج العراقي ففاض غيظه
وغاض برد رضاه ولفح فيضه وركب اليه في احراجه وكماة طعمائه وضراجه
فاوقع به وباصحابه وابلاهم بخراجه ونهبه وجرى حكم الله الذي كان ضرب
الطبل اوكد اسبابه وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا وهتكت استارهم
ونقل طاشتكين شمس الدين بن المقدم الى خيمته وهو مجروح وفيه روح
وحمله معه الى منى فمضى ودفن بالعلى وارتاع امير الحاج بما اجتزمه
وكيف لم يراقب الله واحل حرمة وكيف عدا على الحج العائد بالله وسفك
دمه فكتب محضرا على ما اقترفه بعذره فيما اجترحه والزم اعيان الحاج
على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين ووقعوا له على الانفس والاموال
وسلكوا معه طريق السلامة في الاحوال وكان عذره انه انكر عليه ضرب
الطبل فابى وثبت عليه من الحرب السبا فلما انتهت الى الغرض الاشرف
تلك الحالة وان العثرة اخطأتها الاقالة انكرها انكارا شديدا ونسبها الى
طيش طاشتكين ولم يجد له رايًا سديدا فلا جرم وضع عنده قدره ووهى امره
حتى نكبه بعد سنين وحبسه واطال سجنه ثم عفا عنه بعد مدة مديدة وشدة
جرت عليه شديدة وولاه حرب بلاد خوزستان وخراجها واوضح بسياسته
منهاجها ولما وصل الى السلطان خبر استشهاد ابن المقدم وجماعته لاه
على ترك الحزم واضاعته واحتسبه عند الله غازيا شهيدا ساعيا الى الجنة
بقدمه سعيدا واقام ابنه عز الدين ابراهيم في بلاده مقامه واقر عليه انعامه
ووجده على سمت أبيه وسمده وهديه وهدوه وكبر قدره وعلوه ومثلت يوم
الحضرة الكريمة الفاضلية فتجاذبنا اطراف العوايد وتناولا أقطاف الفوائد
فوجدت بحر خاطره يتدفق لالقاء الدرر وسنا رايه يتألق لابداء الغرر فتفاوضنا
في همة السلطان وغزاوانه وعزمته وفتكاته ومعجبات كراماته ومعجزات
مكرماته فارتجل الاجل الفاضل بديهيته في صفة سيوفه مقطوعا علقته بحفظي
من أبياته بعض (١) قطوفه وهي :

ماضيات على الدوام دوام هن فى النصر نجدة الاسلام
فى يمين السلطان ان جردتها أشبهتها صواعق فى غمام
تنثر الهام كالخروف فما أشبه هذى السيوف بالاقلام (٢)
فى محاريب حربه البيض صلت وركوع الطبى سجود الهام

ودعا للسلطان فقال : أدام الله استعباده الاحرار وتحريره العبيد وتبعيده
من التوب القريب وتقريبه من الامل البعيد . ووصف بحالى انوار سعادته
اثمار ارادته وقال : طلب موعها فما موعها ومن التحنيس قوله : فيم وقوفنا
على قوم وقوفنا .

ومنه : لولا كرك بالكرك لما عدمت شوبك بالشوبك
وانشأ مرتجلا :

أحرق دنى كبدى فى خذه الحمر الندى

قال : نكت من مكاتبائه . فمنها :

أبا الاسكندر الملك افتديتم فما تضعون فى أرض وسادا (٣)
وان من النصيرات الى مجسر الفرات الى فريق مستزادا

والله يصون الحضرة العالية عن عدواء السكر ورعشائه ويحملها على سهل
الطريق ومثابه ويمتع بأقوالها التى شفع الناس نيلها وأقوالهم ترهب ذهاب
غيابه .

قال : ووصف كتب اليه ووقف منها على البلاغة المرودة الموصوفة
والجواهر الثمينة المكنونة والثمرات التى اجتنيته من شجرة البلاغة الطيبة
وفى الناس من يجتنى ليجنيها من الشجرة الملعونة .

(٢) الاضافة من الروضتين ج ٢ ص ١٢١ .
(٣) هذا البيت يسبقه بيت ناقص والشرط الموجود : وقد أبعدنا فى
البلاد .

فصل من أخرى : وقفت منه خاطري الحيران على ما هداه لقصده وقلبي الخلمان على ما جمع بينه وبين ورده ويسرت حل الانس ورقعت ولولا القلق لقلت له ورياض القدس واشرفت على ايام الاعياد وليالي العرس فلاحدمت ذك الفضل الواسع والخلق البارع والاطناب (١٢٤١) / والمعنى النافع واللفظ النافع والمعنى الواقع والسرو الطالع والحديث الذي بث في الارواح شعاع الروح والعلم الذي يذبح الطروس بوشى الوشايح والقوافى التي الى غصون غصون السطور بمنزلة الحمام السواجع وقد علم اننى ارتاح الى هذه الحلوى واحل لها عقدة الحبي واهتز لقطرها كما يهتز لحب القطر الربى واننى اقراها معاودا ثم لا اقضى منها اربا وقد تهادت الفرقة والشوق متماد وهام خاطري ومنه :

فى كل واد الا وادى السـ	ليس له بواد ولا هو له بواد
اما فى صروف الدهر ان يرجع النوى	بهم ويدل القرب فيهم على البعد
بلى فى صروف الدهر كل الذى	ارى ولكنما اغفلن حظى على عمد

واما الاخبار الطيبة بتلك السنيابة المستعذبة فقد اوردها بلسان الاحسان واحسن فيها العبارة عن الزمان وهو ترجمان الزمان وهو المعيد لبنائه لئلا يملأ الملوان ولقد جئت ان ذلك البيان مما زين للناس من الشهوات ومما حذر عليهم من حوادث النشوات بل هو من نعيم الجنة الذى كلما نفذ جدد ومن ثمراتها الذى كلما اريد ردد لاعدمت الدولة الناصرة من قلمة ناصرا ومن رايه ناظرا ومن فكره جيشا لجيش الاعداء كاسرا .

ومن أخرى اقلام المجلس السامى اذا صفها صوب فكره اطفأت كل نار واذا انجدها جذ عزمه اخذت كل ثار وادام الله اسفار وجوه كتبه ورسله وسأذكر ما حضرته من قوله الحسن والاحسان والروح والريحان وثبوت ذهنه على ان الطبع شجاع والفكر صاع وقلمه فى كرسى مملكة يده نافذ الامر مطاع ، قال : وقد سبق ذكر اخى تاج الدين رسسولا من الديوان العزيز فى هذه السنة بتذكرة غلظ فيها القول واحفظ منها الصول واتت الى العلم الكريم الفاضلى فوصل منه جواب .

فصل : وقفت على ما اشار اليه من حديث التاج ابقاه الله وتأويل التذكرة وما جدد تأملها من مغايط وضبايط وما اشار اليه الحاضرون وما نظر فيه الناظرون واستنجاهه برأى واستمداده بكتابه وانتظاره لما يسفر عنه

من السلطان عن بصره جوابى وقد علم سيدنا أننى أملت الاقلام فيها كتبته واخفيتها فيما أدررتة وحررت المشورة فى دمج هذه القضية وسير هذه الحالية والامساك اما على معنى التخصص او معنى التبرص فرب صبر استقل بحمود العاقبة ورب مكروه الفاتحة ادى الى محمود الخاتمة . واصل هذه التذكرة مبنى على جواب الباطن والتعاطى الظاهر ومن كان صنلاحه التوقى فتساعده عليه ومن كان رضاه القول ففرشده (١) اليه وقد كتبت الان بما اتسع لى أن أكتبه وسألت أن يدفع هذا الغيظ فما جاء ما أوجبته وأنا واثق من حسن النية أن المولى التاج ابقاه الله يخرج من هذه القضية سالما غائما لا راغما غارما فان حريته وفضل سجيته يجردانه من الذنب ولا يجعلان لقلبه بهذا الأمر شغلا فما رأيت قط الثار العثار الا حيث لا يستقيم اليه ولا يخلص الطوية .

جواب مكاتبة أخرى :

وقفت على كتاب كريم يتضمن من أحوال المولى تاج الدين الا من جهتين من جهة المودة ومن جهة أطراح ما يردد فى حقى من المهودة وبالله أقسم لقد بذلت المجهود وما من شرط بذله بلوغ المقصود ووددت لو اطلع على الكتب التى كتبتها فان فيها عذرا ونصحا يقتضيان قبولا ونجحا وقد جددت فى هذا الوقت الذى كشفت فيه وجه النصيحة وأوردت فيها قضية الراى الصحيحة وأرجو أن يسرد على أصغار ولا يرد على ما ورد عليه ما قبل من الغاء ومن مقرة الاسدين فلا بأس فنزل الانس الدين . أخرى هو مفض على كل مفضب ومجد على كل مجدب يستقل بكل مضلع ويكشف كل معضل وقد علم قاصده انه مفض منه الى مفضل .

قال : وقال استلامت البلاغة بزرد أحرفه فقلت واستنتت المعانى فى طرق طرفه . قال وفى التعزية لشهيد وليس من السنة أن يرتع فى رياض الرضا ونحن نسخط ونسرح فى جنان الجنان ونحن فى الاسى نثورط فلان الله لا حكم على علمه ولا علم لنا بحكمه . وله والحر اصبر قلبا والعبىد اصبر جسما . وله : كتابى يملى على القلم ويكاد يستمد من الدم . وله : وصيته بما استوى فيه نطقه وصمته الفت منه ود اللام للالف والواو للحلف .

(٤) كذا وهى ساقطة فى الاصل .

(٢٤٢) / وله في التوسط بين الاصدقاء :

ما ادخل بينكم الا كدخول المروء في الاجفان بيد لها ما ذهب من النور
والغمض وكالنسيم بين الاغصان معطف بعضها على بعض وله : اجبت لواهج
التصغير برويد والضرب بزيد .

ومن دعائه للسلطان : جعل الله الارض التي يملكها مبقلة والارض
التي يطأها مبقلة والارض التي يجر عسكره اليها مثقلة والارض التي يلاقى
عدوه بها مقتله .

استفدته من محاضرة السلطان صلاح الدين

قال كان يعدل في البذل فقال : احسن ما سمعته في حب العدل للفقير
زين الدين بن الحكيم .

من ذم عاذله فاني شاكر للعذل

ماضرهم اغراؤهم بالعدل ان لم اقبل

تبعت الملام عليهم وحلاوة التذكار لي

لهم القلب من ذكر الاحبسة مهتلى

وكان نقادا للشعر جيد الفكر ولكنه يلوم اهله على اظهار النظم ويقولون
يتعرضون للذم . وجرى عنده يوما حديث وحيش (١) الشاعر من اهل عصرنا
فقال : استحسنيت أبياته في القاضى كمال الدين الشهرزورى وقد مطله :
لَا تَقْرَأُ فِي رِجْلَيْهِ نِجْمًا وَلَا فِي رِجْلَيْهِ نِجْمًا

سنة تمر وتتلوها سنة	شهر يكر ويعده شهر
والمدح منى غير مقتصر	ونداك لاقل ولا كثر
واروح بالاحسان مشتملا	حتى كان عطيتى كفسر

واستحسن لحسان الكلبى من اهل عصرنا في وصف دمشق :

لشام شامة وجنة الدنيا	كما ان انسان مقلتها الفضيضة جلق
من روضها لك جنة ما تنقص	ومن الشفيق جهنم ما تحرق

(١) هو ابو الوحش سبيع بن خلف بن احمد بن زيد ذكره العماد في
الخريدة . انظر شعراء الشام ١ - ٢٤٢ - ٢٤٦ .

قريب الخطو يحسب لو رآنى ولست مقيدا لى بقيد

وانشده عنده :

كان بزاته امراء جيش على اكتافهم صيدا الدروع
واستحسن الفاضل قول الشاعر فى معنى اقتضاء الوقت :

شر من عايش ماله فاذا حاسبه الله سره الاعدام

وجرى بالمجلس الكريم الفاضلى ذكر حب الصغير وان القلب الضيق
ربما ضاق عنه فارتجل فى الحال هذه الابيات :

طفـل كفاه القلب دارا له	كأنما القلب له قالـب
ويوسف الحسن وقلـبى له	سجن وما تم له صاحب
اصبح والقلب لبـاس	له لا قاصر عنه ولا صاحب
وهو كعـينى وهو انسـانها	وهى له من الخارج حاجب
ضاق به ضيق' عنـساقي له	فلم يسع ما قاله العـايـب

تم الجزء الأول من كتاب سفا البرق الشامى

ويتلوه فى الثانى

ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١) . . .

الفصل الثالث

الفهارس

محتويات المخطوط

صفحة

- مقدمة البندارى للمخطوط ١
- ذكر الوصول الى الشام فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة ١٦
- ذكر سبب وصولى الى دمشق ١٧
- فصل ١٩
- ذكر دخولى فى خدمة نور الدين ٢٢
- ذكر اسد الدين والاعمال عليه بحمص ٢٤
- ذكر توجه فخر الدين شمس الدولة تورانشاه من مصر الى بلاد اليمن مستهل رجب سنة تسع وستين ٢٤
- ذكر تفويض شحنة دمشق الى القاضي كمال الدين الشـهرزوى رحمه الله ٢٨
- ذكر وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زكى بن اقسقر رحمه الله بقلمه دمشق ٣١
- ذكر تيسير فتح قلعة جعبر ٣٨
- ذكر مسير الفرنج الى مصر ٣٩
- ذكر ما اعتمده اسد الدين عند وصوله الى مصر وكان وصوله اليها فى سابع عشر ربيع الآخر ٤٠
- ذكر وفاة اسد الدين يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وولاية صلاح الدين فى الخامس والعشرين منها . . . ٤٢
- ذكر الزلزلة التى عمت بلاد الشام ٤٧
- ذكر توجه نور الدين الى الموصل بعد وفاة اخيه قطب الدين . . . ٤٩
- ذكر الشيخ عمر الملاء ٥٢

صفحة

- ذكر وفاة الامام المستنجد بالله وولاية الامام المستضيء ابي
 محمد الحسن ووصول رسوله اليها ٥٣
- ذكر صديق له ببغداد يقال له علم الدين على بن اسماعيل الزكائدار ٥٥
- ذكر وصول عماد الدين صندل رسولا من دار الخلافة بالخلع
 والتشريفات لنور الدين وصلاح الدين ٦٠
- ذكر تفويض اشراف ديوانه الى ٦٣
- ذكر ما سيره صلاح الدين من مصر من الاموال ٦٤
- ذكر خروج الملك الناصر صلاح الدين ونزوله على الكرك والشوبك ٦٥
- ذكر بعض المتجددات بالشام ٦٦
- ذكر وفاة نجم الدين ايوب والد السلطان بالشام ٦٨
- ذكر مسير الموفق خالد القيسراني الى مصر ٦٨
- ذكر الوصول الى حلب والتوجه منها الى بلد الروم وفتح قلعتي
 مرعش وبهنسي ٧٠
- ذكر عود القاضي كمال الدين الشهرزوي الى بغداد ٧٢
- ذكر مسير الملك الصالح من دمشق الى حلب بتاريخ يوم الخميس
 الثالث والعشرين من ذي الحجة ٧٤
- نوبة الكنز ونفاقه ونوبة اسطول صقلية ٨٠
- ذكر توجه صلاح الدين الى دمشق وتملكه ٨١
- فصل ٨١
- ذكر رحيل السلطان الى حمص مستهل جمادى الاولى ٨٣
- ذكر الوقعة الاولى مع المواصله والحلبين ٨٦
- ذكر وصول رسل دار الخلافة ٨٨
- ذكر ما اسفر عنه حالي ومال مالي ٨٩
- ودخات سنة احدى وسبعين ٩٠
- ذكر السبب في ذلك ٩١
- ذكر الوقعة مع المواصله والحلبين يوم الخميس عاشر شوال ٩٤

صفحة

- ذكر وصول شمس الدولة تورانشاه أخى السلطان من اليمن ٩٧
- ودخوله الى دمشق فى سابع شوال
- ذكر النزول على عزاز فى ثالث ذى القعدة ٩٩
- ذكر قفز الحشيشية على السلطان ليلة الاحد حادى عشر ١٠٠
- ذى القعدة
- ذكر مكرمة فاضلية ١٠١
- ذكر فتح عزاز يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة ١٠٢
- ذكر خلاص رجل مسلم من نكبة عظيمة بشفاعة كريمة ١٠٢
- ذكر النزول على حلب منتصف ذى الحجة ١٠٣
- ذكر الرحيل من حلب ١٠٥
- ذكر كسرة على الفرنج ١٠٦
- ذكر وفاة القاضى كمال الدين فى سادس المحرم وما آل اليه
- امر القضاء ١٠٧
- ذكر وفاة شمس الدين أبى المضاء الوزير ١١٠
- ذكر مؤيد الدولة أبى الحرث اسامة بن مرشد بن على بن منقذ
- وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان ١١٠
- ذكر تفويض القضاء الى ابن أبى عصرون ١١٢
- ذكر وصلة السلطان للخاتون العصمية بنت الامير معين الدين
- فى آخر صفر ١١٣
- ذكر الخروج من دمشق بكرة يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول ١١٤
- ذكر انموذج من انعامه على بمصر ١١٦
- ذكر القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبدالله الشهرزورى ١١٧
- ذكر بناء السور على القاهرة ومصر ١١٩
- ذكر اللسان الصوفى ١٢١
- ذكر وصول الرسل ووقوع بعضهم فى الاسر ١٢٢
- ذكر خروج السلطان الى مرج الفاقوس فى ذى الحجة من السنة ١٢٤
- ودخلت سنة ثلاث وسبعين ١٢٥

صفحة

- ذكر علم الدين الشناتانى ١٢٦
- ذكر بروز السلطان بقصد الغزاة الى غزة وعيقلان ونوبة الرملة ١٢٧
- ذكر ما تجدد فى هذه السنة بالشام ١٣٤
- ذكر نزول الفرنج على حماة يوم الاحد العشرين من جمادى الاولى ورحيلهم عنها بعد اربعة ايام ١٣٥
- ذكر الخروج من القاهرة والتوجه الى بلاد الشام . . . ١٣٧
- ذكر استشهاد عضد الدين وزير الخليفة فى العشر الاولى من ذى القعدة فى هذه السنة ١٤٥
- ذكر مكرمة ههنا ١٤٦
- ذكر عز الدين اقبورى ١٤٧
- فصل ١٤٨
- ذكر الأمير شمس الدين بن المقدم ١٤٨
- ودخلت سنة اربع وسبعين ١٤٩
- فصل آخر فى حق نقل القضاء ١٥١
- فصل آخر من كتاب فى معنى اخيه شمس الدولة . . . ١٥١
- فصل فى ذم ماء دمشق ١٥١
- فصل آخر فى معنى ازالة المفكرات ١٥٢
- ذكر ما اسقطه السلطان من المكوس بمكة شرفها الله . . ١٥٣
- ذكر الحوادث فى هذه السنة ونحن بحمص ١٥٤
- ذكر الظفر بخيل ورجل للفرنج اغارت على بلد حماه فى العشر الاولى من شهر ربيع الاول ١٥٥
- ذكر مكرمة للسلطان ١٥٧
- ذكر المقياس بمصر ١٥٨
- ذكر حديث بيت الأحزان ١٥٨
- ذكر وصول رسول دار الخلافة ١٥٩
- ذكر نوبة هنقرى ومقتله فى اواخر هذه السنة . . . ١٦٠
- ذكر مسير شمس الدولة الى مصر ١٦١
- ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ١٦٤
- ذكر وقعسة مرج عيون ١٦٤

صفحة

- ذكر منقبة لعز الدين فرخشاه ١٦٧
- ذكر غيبة تقى الدين عن هذه النبوة ١٦٧
- ذكر النزول على حصن بين الاحزان وتيسير فتحه فى اقرب زمان . ١٦٨
- ذكر وفاة الامام المستضى وخلافة الامام الناصر رضى الله عنهما . ١٧٣
- توجه السلطان الى بلد الروم وبلد الارمن . وفتح حصن الماثوية . ١٧٧
- ذكر وفاة شمس الدولة اخى السلطان فى هذه السنة . . ١٧٨
- ذكر وصول الرسل من الديوان العزيز ١٨٠
- ذكر الرحيل الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب والوصول الى القاهرة ثالث شعبان ١٨١
- ذكر وفاة صاحب حلب الملك الصالح رحمه الله ١٨٥
- ذكر آفة ضيافة ١٨٩
- ذكر السبب فى القبض عليه ١٩٠
- ذكر عاطفة مستغربة ١٩٢
- ذكر سهوة تطير ١٩٣
- ذكر بطشة فرنجية وقعت الى البحر ١٩٤
- ذكر ما تم بنهضة عز الدين فرخشاه ١٩٥
- ذكر نهوض السلطان الى طبرية وبيسان ١٩٧
- ذكر مكرمة للملك عز الدين فرخشاه ١٩٩
- ذكر مكرمة مشتركة ٢٠٠
- ذكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات ٢٠٠
- ذكر وصول رسل دار الخلافة ٢٠٤
- ذكر الرحيل الى سنجار وفتحها ٢٠٧
- ذكر وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشاه بدمشق فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ٢١٠
- ذكر نصرة الاسطول المتوجه الى بحر قلزم وكانت فى شوال سنة ثمان وسبعين والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ . ٢١٢
- ذكر تولية الامير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشاه ٢١٣
- ذكر مكرمة لمظفر الدين كوكبورى ٢١٤

صفحة

٢١٦	— ذكر السبب في ذلك
	— ذكر المسير الى آمد وفتحها وكان النزول عليها يوم الاربعاء
٢١٨	سابع عشر ذي الحجة وفتحها يوم الاحد
٢١٨	— ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة
٢٢٠	— ذكر تسليم مدينة آمد الى نور الدين محمد قرا ارسلان
٢٢١	— ذكر القوام أحمد بن سماقة وزير نور الدين محمد بن قرا ارسلان
٢٢٢	— ذكر الرحيل عن آمد والتوجه الى الفرات لقصد حلب والولايات
٢٢٣	— ذكر القفول ومبور الفرات وفتح تل خالد
٢٢٣	— فصل من الانشاء الفاضلى فى المعنى
٢٢٤	— المنزلة الاولى
٢٢٤	— المنزلة الثانية
٢٢٧	— ذكر عبرة
٢٢٧	— ذكر القلاع وما ترتب من وجوه الاصطناع
٢٢٨	— ذكر بشائر بوقعات نصر فيها الاسلام
	— ذكر العودة الى الكرك واستدعاء الملك العادل من مصر لتولى
	حلب واستنابة الملك المظفر تقي الدين فى مصر وشرح
٢٣٣	السبب فى ذلك
٢٣٥	— ذكر الرحيل الى الشام
	— ذكر وصول شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير فى الرسالة
	الشريفة الامامية ووصول محيى الدين الشهرزورى معها
٢٣٥	رسولا من الموصل
٢٣٦	— ذكر السبب المقتضى لهذه الرسالة فى هذه السنة
٢٣٧	— ذكر كشف الحال
٢٤٠	— ودخلت سنة ثمانين
	— ذكر القفول من الشام واجتماع الفرنج فى الموضع المعروف
٢٤٣	بالوالة
	— ذكر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ووصوله مع
٢٤٥	عمه الى دمشق وعوده الى مصر فى منتصف شعبان
	— ذكر الشيخ العالم زين الدين أبى الحسن على بن نجا الواعظ
٢٤٦	المقيم بمصر

صفحة

—	ذكر صاحب اربل الامير زين الدين ابى سعيد يوسف نيبالتكين	
٢٤٩	على بن بكتكين وانتمائه الى الخدمة	
—	ذكر صاحب ماردين قطب الدين ايلغازى بن تمرش بن ايلغازى	
٢٥٠	ابن ارتق وفاته فى هذه السنة	
٢٥٢	— ذكر ما اعتمده السلطان فى باقى هذه السنة	
٢٥٣	— ودخلت سنة احدى وثمانين	
٢٥٤	— ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى صاحب حران	
٢٥٦	— ذكر الرحيل من حران وما جرى بعده	
٢٥٩	— ذكر ما رآه السلطان من ترك القتال	
٢٥٩	— ذكر شرح ذلك	
٢٦١	— ذكر رحيلنا الى ديار بكر	
٢٦٤	— ذكر وصول صاحب آمد ونحن على ميافارقين فى جمادى الاولى	
٢٦٤	— ذكر النزول على شاطيء قرامان ومراسلة بهلوان	
—	ذكر وصول عماد الدين صندل فى الوساطة وما عرض من مرض	
٢٦٧	السلطان	
٢٦٨	— ذكر شيمة السلطان فى مرضه	
٢٦٩	— ذكر الملك العادل سيف الدين ووصوله الى حران	
٢٧٠	— ذكر نوع من المكارم السلطانية	
٢٧٠	— ذكرى حكاية اخرى	
٢٧١	— ذكر الصدقة فى المرض	
٢٧٢	— ذكر من توفى فى هذه السنة من اكابر الدولة	
٢٧٤	— ذكر العزم على الرحيل من حران	
—	ذكر وصولنا الى حمص وتقرير اسد الدين ابى الحرث شيركوه	
٢٧٧	ابن محمد بن شيركوه مكان ابيه	
٢٧٨	— ذكر ما استأنفه السلطان من نقل الولايات	
٢٧٩	— ذكر تسليم حلب الى الظاهر	
٢٨٢	— ذكر مكرمة لتقى الدين	
٢٨٣	— ذكر ظهور كذب المنجمين فى شعبان هذه السنة	
٢٨٣	— ذكر الحوادث فى هذه السنة	
—	ذكر جمال الدين محاسن بن محمد المعروف بابن العجمى ووصوله	
٢٨٤	الى الخدمة السلطانية	

صفحة	
٢٨٦	— ذكرنا أنعم به في شهر رمضان من هذه السنة
٢٨٨	— ذكر ما تجدد من الخلف بين الفرنج
٢٨٩	— ذكر غدر ابرنيس الكرك
٢٩١	— ودخلت سنة ثلاث وثمانين
٢٩١	— ذكر مقدمة لذلك مباركة
٢٩٢	— ذكر سبب ذلك
٢٩٥	— ذكر يوم حطين وهو السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر
٢٩٩	— ذكر السبب في نذر السلطان دم ابرنيس الكرك
٣٠٤	— ذكر فتح تبينين وصيدا وبירות وجبيل
٣٠٦	— ذكر ما تجدد في صور من خروج القومص منها ووصول المركيز اليها
	— ذكر فتح عسقلان والنزول عليها والاجتماع بالملك العادل
٣٠٧	والاتفاق على فتحها
٣٠٩	— ذكر فتح بيت المقدس
٣١٣	— ذكر وصولي الى خدمة السلطان
٣١٣	— ذكر جلوس السلطان يوم الفتح للهنا بالمخيم على ظاهر القدس
	وخلبة الجمعة
٣١٦	— ذكر ما شرع فيه الفرنج من اداء القطيعة
	— ذكر الرحيل عن القدس على عدم حصار صور وهو يوم الجمعة
	الخامس والعشرين من شعبان
٣١٧	— ذكر الرحيل عن صور وبيان السبب فيه وذلك في آخر شوال
٣١٧	— ذكر دخول السلطان الى عكا
٣٢٤	— ذكر حسن خاق السلطان
٣٢٤	— ذكر الرسل الواردين في هذا التاريخ
٣٢٥	— ذكر نبذة من أحواله
٣٢٩	— ذكر السبب في ذلك
٣٣٤	— استفدته من محاضرة السلطان صلاح الدين

فهرس الأعلام

(١)

ابن جبيش القاضى أمين الدين ٢٣٠
 ابن حمدون ١١١
 ابن حنبل ١٣٩ ، ١٥٠
 ابن حيوس ١٥٠
 ابن الخشاب مقدم الشيعة ٧٤
 ابن الخلال ٥٨ ، ١٤٧
 ابن الخياط ٣٩
 ابن سـمـاـقـة (الوزير) ٢٢١ ،
 ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣
 ابن الصورى (الطبيب) ٢٥٢
 ابن عبد القوى الداعى ٢٩
 ابن عبد المؤمن ٧٦ ، ٧٧
 ابن عبيد الفتية ٦٣
 ابن عصفوف شرف الدين ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٦٠ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٥١
 ابن عصرون شهاب الدين ٦٢ ،
 ١١٢
 آل عقيل ٣٨
 ابن غفراس اختيار الدين ١٧٦
 ابن قرجلة ٣٩
 ابن القومصية (هو) ١٦٦ ، ١٧٥
 ابن كوخات الامير ٤٠
 ابن لاون مليح ٧١ ، ١٧٧
 ابن المقدم (شمس الدين) ٣١ ،
 ٨١ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٠
 ابن المطران ٢٥٢
 ابن منقذ ٨٥ ، ١١١٠ ، ١٥٧

أبو الرداد عبد الله ١٥٨
 أبو الفرج بن يوسف بن هبة الله
 ابن يسام الجبيلى ٢٦٤
 أبو الفتح سعادة الضرير ١٧١
 أبو القاسم شيخ الشيوخ ١٧٤ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٨٤
 أبو جعفر صاحب الخزن ٥٣
 أبو حامد الغزالى ١٨٣
 أبو صالح بن العجمى ٢٣ ، ٣١ ،
 ٣٣ ، ٣٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٦ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥
 أبو طاهر بن عوف ١٨٨
 أبو طاهر أحمد بن محمد بن السلفى
 الاصفهائى ١٢٠
 أبو العباس السفاح ١٤٧
 أبو على الحسين بن رواحه ١٨٩
 أبو مسلم ١٨٧
 أبو الهيجاء السمين ٢٤ ، ٧٧ ،
 ٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
 أبو يعلى موفق الدين حسن العنزى
 ١٨٩
 ابن البلدى شرف الدين ٥٠ ، ٥٣
 ابن بارزان (باليان) ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ١٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
 ابن جوسلين ١٩
 ابن حسان ٢٣ ، ٤٠

ابن النحال (كاتب الملك العادل)	بنو قفجان ٢٦٧
٢٧٥	بنو كلب ٣٨
ابن النقاش ١٥٤	بنو المسيب ٣٨
ابن نيسان على الرئيس ٢١٤ .	بنو منقذ ١١٠
٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١	بنو هاشم ١٥١
ابن هبيرة ٢٢ ، ٥٠ ، ١٤٦	بنو يعقوب ٢٠٩
ابرنس الكرك (ارناط) ٩٤ ، ١٩	بهاء الدين قراقوش ٥٨ ، ٥٩ ،
١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٢٨٩	١١٦ ، ١١٩ ، ١٥١ ، ١٨٩ ،
٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩	١٩٠ ، ٩١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
٣١٢	٢٨٣
الابرنساسة صاحبة الكرك ٣١٢	
احمد بن تقى الدين عمر ١٣٠	
الاخسيكى الشاعر ٣٢٧	
اقلان بن ياروق ١٥٦	
آل صمة ١٤٧	
(ب)	(ت)
بدر الدين ابراهيم الهكارى ٢٧٧	تاج الدين ابو بكر بن حامد ٥٤ ،
بدر الدين حسن ٢٣٧	٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣
بدر الدين دلدردم الياروقى ١٦٧ ،	تاج الدين ابو اليمن الكندى ٢١١ ،
٢٢٧ ، ٢٩٢ ، ٣٢٣	٢١٢
بدر الدين عسكر (شيخ الحنفية)	
٢٨٨	تاج الدين بورى ١٩٥ ، ٢٠٤ ،
بدران الفارسى ٣١٩	٢١٧ ، ٢٠٥
برهان الدين مسعود ٢٨٧	تاج الدين تتش ٢٣١
البطرك الاعظم ٣٠٩ ، ٣١٦	تقى الدين عمر ٥٨ ، ٨٦ ، ٩٣ ،
البندارى (الفتح بن على) ٤ ، ١	١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ،
٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣٣	١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ،
١٣٨ ، ١٤١ ، ٢٥١ ، ٢٧٣	٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ،
٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣٥	٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ،
بنو أمية ١٥١	٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
بنو خفاجة ٥٠	٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،
	٣١٨ ، ٣٢٢
	توران شاه (الملك المعظم) ٢٤ ،
	٢٥ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٩٧ ،
	١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ،
	١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ،
	١٧٩

(ج)

جاولى الاسدى ١٠٠ ، ١٦٩ ،
٣٢٢ ، ٢٧٣
جفرى ٢٩٦
جمال الدين ابو الفتح اسماعيل
٣٢٨
جمال الدين بن ابى الفجيب ٣٢٤
جمال الدين خوشترين ٢٠٣
جمال الدين شروين بن حسن
الرزازى ٣١٠
جمال الدين عيسى ٢١٥
جمال الدين محاسن بن العجمى
٢٨٥ ، ٢٨٤

جلدك ٩٧

جوسلين ٩٤

جى دى لوزنيان (الملك) ٢٩٦ ،
٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣٠٩

(ح)

حسام الدين بن ابراهيم الحسين
المهرانى ٣٠٨

حسام الدين تميرك ٩٢

حسام الدين طمان ٢٢٥ ، ٢٤٥

حسام الدين عمر بن لاجين ٢٩٢ ،
٣٠٢ ، ٣٠٣

حسام الدين لؤلؤ (الحاجب) ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٣٠٩

حسان الكلبى ٣٣٤

الحشيشية ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٠

حطان ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٧

(خ)

الخاتون العصمية ابنة معين الدين ائمر
١١٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٧٥

الخاتون زوجة قطب الدين ابنسة
قرا ارسلان ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤

خالد القيسرانى (الموفق) ٦١ ،
٦٨ ، ٦٩ ، ٧٦

خمارتكين (محمد بن) ٢٢٣

(د)

داود (ابو) ١٥٠

داود القاضى ١١٣

داود بن منكلان ١٠٠

دريد الشاعر ١٤٧

دوا صاحب حبل ٢٩٦

الداوية ١٣١ ، ١٦٨ ، ٢٨٨ ،

٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٤

دولتشاه صاحب ارزن ٢٦٠

دوك الروم ١٩

(ر)

الرشيدي ٢٤٩

ريمند الصنجيلى (قومص طرابلس)

١٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ،

٣٠٦

(ز)

زكريا عليه السلام ٢٤٤ ، ٣٠٣
 زكى بن آقسنقر ٣٨
 زين الدين بن الحكيم ٣٣٤
 زين الدين بن نجا الفقيه ٢٩ ،
 ٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٥
 زين الدين على كوجك ٢٥٨ ، ٢٥٧
 زين الدين يوسف بن بكتكين ٢٣٧ ،
 ٢٤٩ .

(س)

سابق الدين عثمان ٧٣
 سعد الدين أبو حامد ١٠٥ ، ١٢٢
 سعد الدين بن مسعود بن انر
 ١١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٧٢
 سعد الدين كمشتكين ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٥٢ ، ٦٩ ، ٨٦ ، ٠٣ ، ١٠٤ ،
 ١٣٤
 سليمان الداراني ٤٦
 سليمان الديري ١٥٦
 سبنقر الحلبي ٣٠٧
 سويد بن غنم المصري ١٣١
 سيف الدين أبو بكر بن السلار ١٠٦
 سيف الدين بكتمر ٢١٦ ، ٢٦١
 سيف الدين جاولي ٣٢٢٠
 سيف الدين على بن أحمد المشطوب
 ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢٥٨ ، ٣١٧
 سيف الاسلام طفتكين ٨٣ ، ٨٤ ،
 ١٣٧ ، ١٩١ ، ٢٨٤
 سيف الدين غازي ٣٦ ، ٥١ ،
 ٧٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ١٨٣
 سيف الدين يازكوج ١٠٠ ، ٢٢٨

(ش)

شاور ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٥
 شاه ارمن ٤٦ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٤
 شمس الدين بن الفرائش (قاضي
 العسكر) ٣١ ، ١٢٨ ،
 ١٨٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧
 شمس الدين بن أبي المضاء ١٠٤ ،
 ١١٠

شمس الدين جاولي ٨١
 شمس الدين على ٣٧ ، ٧٤
 شمس الدين على بن بكريسان ٣٢٤
 شمس الدين ايلدكز ٣٢٥ ، ٣٢٨
 شهاب الدين بن تكش ٨٦ ، ١٠٠ ،
 ١٠٦ ، ١٣٧
 شهاب الدين بشير ٧٣ ، ١٨١ ،
 ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤
 شهاب الدين محمود بن الياس
 الارتيقي ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٨٩ ، ٢٠٢
 شهاب الدين مالك ٣٧ ، ٣٨
 شيركوه (اسد الدين) ١٧ ،
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٢٧٧

(ص)

صارم الدين خطلح ٢٠٠
 صارم الدين قايماز ٢٩ ، ٢٩٨ ،
 ٣٢٣
 الصفي القبايض ١٤٦ ، ١٧٣ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
 ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،
 ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،
 ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،
 ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٢ ، ٣٣٤

الصفدى ٤ ، ٥ ، ٨

صمصام الدين أجك ١٦٤

صمصام الدين بهرام الأرتقى ٢٠٩

(ض)

ضياء الدين أبو بكر البغدادي ١٢
 ١٢٣

ضياء الدين الحاجب ٦٤

الملك الصالح اسماعيل ٣٠ ، ٣١ ،

٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ،

١٨٥

صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن

أيوب ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٣ ،

١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،

٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ،

٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٤٤ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،

٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ،

٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،

٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ،

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ،

١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ،

٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،

١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ،

عبد السلام المغربي ٣١٩
عبد العزيز بن شداد بن تميم بن
باديس ٢٩٩
عبد اللطيف بن الشيخ أبي النجيب
٣٠٠

عبد النبي الخارجي ٢٢٥
عثمان شمس الدين ايلدكز ٣٢٥
عدنان النجاشي ١٤٦
عثمان الزنجيلي ١٩٢
عز الدين اقبوري ٩٢ ، ١٤٣ ،
١٤٤ ، ١٤٧
عز الدين جاولي ٣٢٢
عز الدين جرديك ٤٠ ، ٣٢٣
عز الدين الطالبي ٣٢٨

عز الدين فرخشاها ٨٦ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤

عز الدين محمد بن الوزير ابن هبيرة
٥٣

عز الدين مسعود ١٠٤ ، ١٨٣ ،
١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٦

عز الدين موسك ٨٠
الملك العادل سيف الدين أبو بكر
٨٠ ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٦٢ ،
١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤

ضياء الدين القاسم الشـهرزوى
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ،
١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٥٧
ضياء الدين مسعود بن القفجـان
٧١

الضياء الرحبي ١٢٢
الضياء الطبري ١٥٦
ضياء الدين عيسى الهكاري ٤٠ ،
١٣١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٥ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٣٠٠ ،
٣١٥ ، ٣١٦

(ط)

طائسكين ٣٣٠
طغرل الجاندار ١٧ ، ١٥٨

(ظ)

الملك الظاهر ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢١٨ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤

ظهر الدين سكران ٢١٦
ظهر الدين بن منصور العطار
١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ،
ظهر الدين غازي ٣٠٧

(ع)

عبد الله بن جعفر ١٥١
عبد الرحيم البيساني (القاضي
الفاضل) ٢ ، ٥٨ ، ٩٠ ،
٩٣ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ،
٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ،
٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥
عبد الصمد ٢٩

العويرس ٢٩

(غ)

غرس الدين قلسج ٤٠

الغريض ٣٠

غياث الدين غازي ٢٧٩

(ف)

فخر الدين بن الدهان ١٨٣ ، ٢٥٩

فخر الدين قبرا ارسلان ٢١٤

فخر الدين عبد المسيح ٤٨ ، ٥٢

فخر الدين مسعود الزعفراني ٣٨

٦٩ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٢٠٢

فضل الفيض ١٣١

فيليب بن الرقيق ٤٧

(ق)

قزل ارسلان ٢٨٣ ، ٣٢٥

قطب الدين النيسابوري ٢٧ ، ٧٠

٧١ ، ٧٠

قطب الدين ايلغازي بن تهرتاش

٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٢

قطب الدين سكران ٢٦٢ ، ٢٦٤

قطب الدين قايمار ٩١

قطب الدين مودود بن زنكي ٤٨

قطب الدين نبال ٩٩ ، ٢٠٢

قلسج ارسلان ٧٠ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٢٥١

القومصية ست طبرية ١٦٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨

على ابو الفوارس ١٠٠

الملك العزيز عثمان ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٧٢

١٧٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧

٢٨٠ ، ٣٠٨

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٦٩

٨٥ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٧١

١٩٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧

عماد الدين ابو الفتح بن حمويه ٧١

عماد الدين ابو بكر بن قرا ارسلان

٢٥٦ ، ٢٦٠

عماد الدين زنكي ٣١ ، ٥١ ، ١٨٥

٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

٢٢٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٧

عماد الدين صفدل ٦٠

عماد الدين بن كمال الدين

الشهرزوري ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٨

١٤٨

عميد الدين ابو طالب ٣٠٢

العاقد ١٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٤

عمد الدين ابو الفوارس بن اسامة

ابن منقذ ١١١ ، ١٥٦

عمد الدين بن هبة الله بن المظفر

٩١ ، ١٤٥ ، ١٤٦

علاء الدين الكاساني ٢٢٨

علم الدين الثماني ١٢٦

علم الدين النوقاني ٥٢

علم الدين الزكندار ٥٥

عمارة اليمنى ٢٤ ، ٢٩

عمر الملاء ٥٢

عون الدين بن هبيرة ١٧

(ك)

محمد بن يحيى ٥٢
 محمود بن محمد بن ملكشاه ١٧
 المركيس ٣٠٦ ، ٣٢٠
 المستضىء بالله ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٦٠ ، ١٧٣
 المستجد ٥٣ ، ٩١ ، ٩٢
 محيى الدين ابو المعالى ١١٣ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣١٤
 المظفر المعرى الاقرع ٩٦
 مظفر الدين كوكبورى ٩٥ ، ٢٠١ ،
 ٢١٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،
 ٢٧٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٢
 الملك المعظم عيسى ١ ، ١١ ، ١٣ ،
 ٢٧٣
 مقدم الداوية ٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
 مقدم الاسبتار الاعور الكبير ٥٦
 الملكة الرومية ٣١٢
 معاوية ١٥١
 معبد ٣٠
 معز الدين سنجر شاه ٢٣٧ ، ٢٥٦
 الملك المجنوم ٨٤ ، ١٦٥ ، ٢٨٨
 الملكة زوجة الملك كى ٣١٢
 معين الدين اتر ٢٠٩
 معين الدين عبد الرحيم ١٨٦
 المسعود النيدهى ١٨٤
 مؤنمن الخلافة ٥٨
 مؤيد الدولة ٨٥
 المذهب ابو الحسن ٢٥
 المذهب بن اسعد الموصلى ١٧٧ ،
 ٢٧٤

(ن)

ناصر الدين اسماعيل ٢٢٨
 الناصر ابو داود سليمان ٢٧٣

الكامل بن شاور ٢٤
 كلمان ٢٥
 كمال الدين ابو الفضل ١٤٥
 كمال الدين بن الوزير محمد بن على
 ابن منصور ٧٥
 كمال الدين الشاشى (قاضى ارز
 الروم) ٣٢٥
 كمال الدين الشهرزورى ٢ ، ١٨ ،
 ٢٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٧٢ ، ١٠٧ ،
 ٣٣٤
 الكند ١٣٥
 الكنز ٨٠

(م)

ماجد غلام هنفرى ٩٠ ، ٢٣٢
 المبارك بن منقذ ٢٥ ، ١٨٩
 مجاهد الدين قايمار ٥٢ ، ٧٠ ،
 ١٢٤ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨٥
 مجاهد الدين اياز ٢٦٧
 مجد الدين ابو بكر ٣٧ ، ٣٨ ،
 ٨٢ ، ٨٨
 مجد الدين ابو الفضل (استاذ
 الدار العزيزة) ١٨٦ ، ٣٠٢
 مجد الدين بن رشيق ٢٦١
 مجد الدين بن الزكى ١١٣
 مجد الدين اليزدى ٥١
 مجد العرب العامرى ١١١
 محيى الدين الشهرزورى ٧٤ ، ٧٥ ،
 ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
 ٨٨
 محمد بن خوشترين ١٦٦

٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١١١ ،

١٢٢ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ٢٧٢ ،

٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

نور الدين (الملك الافضل بن

صلاح الدين) ٢٦٩ ، ٢٧٨ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،

٣١٨ ، ٣٢٤ ،

نور الدين قرا أرسلان ١٢٢ ،

١٧٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ،

٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ،

(و)

ولى الدين اسماعيل ٣١ ، ٤٠ ،

٦٣ ، ٦٩ ، ٧٤ ،

وحيش الشاعر ٣٣٤ ،

(هـ)

الهراس (الكيا) ٥٣ ،

هيام الدين مودود ٣١ ،

هنفرى ٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٩٦ ،

هنفرى (ابن) ٢٣٢ ، ٣١٢ ،

(ى)

يوزية (زين الدين) ٢٨١ ،

يوسف عيله السلام ٢٨٦ ،

يوسف المنجنيقى ٢٦٢ ،

ناصر الدين شيركوه ٤٩ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،

١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ٢٦١ ،

٢٧٢ ، ٢٧٤ ،

ناصر الدين منكورس ١٥٥ ،

ناصر الدين خمارتكين ٨٣ ، ١٥٥ ،

ينصر الدين بن المظفر ٢٠٩ ،

نصرة الدين بن زكى ١٠٤ ،

نجم الدين ايوب ١٦ ، ١٨ ، ٤٦ ،

٦٨ ، ١٢١ ،

نجم الدين بن المجاور ١٧٢ ،

نجم الدين بن ابي عصرون ٢٦٣ ،

نجم الدين بن مصال ٩٠ ، ١٥٤ ،

١٥٥ ،

نجم الدين بن نبهان ١٧٢ ،

نجم الدين الخبوشانى ١٢٠ ،

نجم الدين نجاج ٩٢ ،

نجم الدين الشهرزورى ٥١ ،

نظام الدين البقشى ٥١ ،

الناصر لدين الله (الامام) ٥٤ ، ١٧٣ ،

نور الدين (الملك العادل محمود بن

زنكى) ٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٨٢ ،

فهرس الأماكن

البيرة ٥٦ ، ٢٠٢ ، ٢٥٣	(١)
أم الدنانير ١٩٩	آمد ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
أم حكيم ٢٨١	٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ،
الانبار ٥٠	٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٦٥ ، ٢٧١ ،
الاهرام ١١٨	٢٨٤ ، ٢٩٢
ايله ١٣٧ ، ١٨٢ ، ١٩٥	ابريم ٦٨
(ب)	ادوم ٣٨
الباب ٣٨	اذريجان ٣٢٦
بارين (يعرين) ٤٨ ، ٨٩	أربيل ٥٢ ، ٧١ ، ٣٧ ، ٢٤٩ ،
البارعية ٢١٨	٢٥٧ ، ٢٥٨
باريخان ٢٠٧	الاردن ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣١
بانباس ١٩ ، ٣٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،	أرز الروم ٣٢٥
١٧٣ ، ٣٠٤	أرزن ٢٦٠
باوشنايا ٢٨٥	الاسكندرية ٢٠ ، ٢١ ، ٥٧ ، ٧٧ ،
البركة ٨١ ، ١٣٧	٧٨ ، ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
بدليس ٢٦٠ ، ٢٦١	١٧٨ ، ١٨٨
بزاعة ٣٨ ، ٩٧ ، ٩٨	الاسماعيليات ٢٥٦ ، ٢٥٧
البصرة ١٨	أسوان ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠
بحري ٨١ ، ٩٥ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ،	اصفهان ١٢٠ ، ١٧٤ ، ٢٨٣ ،
٢٣٦ ، ٢٩١	٣٢٦
بعلبك ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ،	افريقية ٢٠٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٩
١٠٦ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،	أطفح ٢٠
١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢٠١ ،	الاقحوانة ٢٩٣
٢٣١ ، ٢٥٢	القاهرة ٢٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧ ،
بغداد ١٧ ، ٣٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ،	٦٢ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٧ ،
٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ،	١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ،
١٨١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧	١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٨١ ،
البقاع ٦٨ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٦٤ ،	١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
٢٤٠	٢١٣

<p>(ج)</p> <p>جبل ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠</p> <p>الجديدة ٢١٦</p> <p>جدة ١٥٤ ، ١٨١</p> <p>جزيرة الذهب ١٠٨</p> <p>الجزيرة ١١٥ ، ١٥٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩</p> <p>جلق ٨٨ ، ٣٨ ، ٢٧٧</p> <p>جليجور ٢٦٣ ، ٢٦٤</p> <p>جنين ٢٤٤</p> <p>الجزيرة ٢٠ ، ١١٥ ، ١١٨</p> <p>جى ١٢٠</p>	<p>بلخ ١٢١</p> <p>بلييس ١٩ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٨١ ، ١٢٨</p> <p>بلد ٥١ ، ٩٤ ، ٢٥٧</p> <p>البلقاء ٢٣٣ ، ٢٨٠</p> <p>البوازيج ٢٦٧</p> <p>بوقبيس ٨٣ ، ٩٤ ، ١٥٥</p> <p>بهنسى ٧٠ ، ٧١</p> <p>بيسان ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٣١</p> <p>بيت جبريل ٣٠٨</p> <p>بيت الاحزان ١٢٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩</p> <p>١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠</p> <p>بيت لحم ٣٠٨</p> <p>بيروت ٢٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٣٠٧</p> <p>البيضاء ٤٣</p>
<p>(ح)</p> <p>حارم ٢٥ ، ٣٧ ، ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ٢٢٦</p> <p>جبيس جلدك ١٩٦</p> <p>الحجاز ١٥٤ ، ٢١٢ ، ٢٨٩</p> <p>حران ٢٣٨ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤</p> <p>٢١٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨</p> <p>٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤</p> <p>٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩</p> <p>حرم ٢١٦</p> <p>الحديثة ٢٣٧</p> <p>حصن الاكراد ٥٦</p> <p>حصن زياد ٢٥١</p> <p>حصن كيفا ١١١ ، ١٧٤ ، ٢٠٢</p> <p>٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥</p> <p>حصن الماتوية ١٧٧</p>	<p>(ت)</p> <p>تبريز ٢٥٠</p> <p>تبنين ٣٠٤</p> <p>تدمر ٢٧٧</p> <p>تل باشر ٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٧</p> <p>تل توبة ٥١ ، ٥٣</p> <p>تل خالد ٢٢٣ ، ٢٢٧</p> <p>تل السلطان ٩٧ ، ٢٥٣</p> <p>تل الصافية ١٣٠</p> <p>تكريت ١٦ ، ١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٨</p> <p>تهامة ١٨٠</p> <p>تيماء ١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨</p> <p>(ث)</p> <p>ثبر ١٦٠</p>

خراسان ٣٢٦	حطين ٢٩٥ : ٢٩٦ ، ٢٩٧
خرتبرت ٢٥١	حماء ٢٢ ، ٤٨ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
الخرقانية ٤٣	٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ،
خثيرشيزر ١٦٢	١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
خلاط ٤٦ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ،	٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٨٣ ،	٢٣١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ،
(د)	٣٠٧
دارا ٢٠٩	حلب ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
الداروم ٥٧ ، ٢٢٩ ، ٣٠٨ ،	٤٨ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
داريا ٤٦	٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
دبورية ١٩٦ ، ٣٠٢ ،	٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
درعا ١٩٩	١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٧٧ ،
درعين ٣٠٢	١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
الدثست ٢٥٠	٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
دمشق ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،	٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٦ ،	٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٦ ،	٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،	٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ،
٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ،	الحلة المزيدية ٩٢
٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،	حمص ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٨ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،	٥٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،	٨٩ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،
١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧١ ،	١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٢ ،
١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ،	٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،	حطوان (فارس) ٣٢٦
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،	حوران ٤٠ ، ٤٧ ، ١١٤ ، ١٤٩ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ،	١٩٩ ، ٢٣١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،	حيفا ٣٠٢
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،	(خ)
٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،	الخابور ٥٢ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٢٠١ ،
٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ،	٢٠٣ ، ٢٨٤ ،
دمياط ٤٥ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ٢٢٩ ،	خبوشان ١٢٠
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ،	

سنجار ٥١ ، ٥٢ ، ١٨٥ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ،
٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ،
٢٩١ ، ٣٢٢
السويدا ٢١٥

(ش)

الشام ١٦ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٨ ،
٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١١٥ ،
١١٨ ، ١٣٧ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ،
١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،
١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ،
٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ،
٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٤ ،
٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣٥

٨ شراوة ٢٣٣

الشعراء ١٦٣

الثقيف ٣٠٢

الشلالة ٦٧

الشوبك ٦٢ ، ٦٥

شهرزور ٢٦٧

شيزر ٢٣٧ ، ١١٠ ، ١٦٣

شيللا ٥٠

(ص)

صكر ١٣٩ ، ٣٢٢

صرخد ٨١

صرفند ٣٠٤

صفند ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٣٢٢

٣٢٣

الدولعية ٢٥٦

ديار بكر ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ،

٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩

(ر)

رأس الماء ٢١٦ ، ٢١٧

رأس عين ٤٠ ، ٤٧ ، ١٩٩ ،
٢٤١

الراوندان ١٨٦

الرجبة ٤٩ ، ٨٦ ، ١٧٧

الريستاق ٢٦٧

رعبان ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٦

الرقعة ٤٩ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٢٠١

الرملة ٥٧ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،

١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢٣٣ ، ٣٠٨

الرواديف ١٧٣

الرها ٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٧٣ ، ٣١٢

الري ٣٢٥

(ز)

زبيد ٢٥ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٧

زرا (زرع) ٦٦

زردنا ٢٤

زلبيا ٢٧٧

(س)

سبسطية ٣٠٣

سروج ٣٨ ، ٧٥

سلمية ٨٩ ، ٢٧٧

سهيكن ٦٦

عسقلان ٣٩ ، ٥٧ ، ١٢٧ ،

١٢٩ ، ١٣٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩

العسيلة ٢٢٨ ، ٢٢٩

عشترا ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٢٩٢ ،

٢٩٩

عسربلا ٣٢٢ ، ٣٢٣

العقبة ١٣٧ ، ١٩٥

عقبة شستار ١٩٥

العقر ٢٥٨

عقرقوب ٥٠

عكا ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨

العمق ٢٠٢

عين تاب ٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧

عين جالوت ٢٣١

عين الجسر ٦٨ ، ١٠٦

عيزاب ١٨٠ ، ٢١٣

(غ)

غزة ٥٧ ، ١٢٧ ، ٣٠٨

الفسولة ٩٨

(ف)

الفاقوس ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥

الفسطاط ١٢٠

الفتيع ٤٠ ، ٢٤٦

فلسطين ٢٣١ ، ٣٠٣

الفوار ٤٠ ، ٦٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩

الفولة ٣٠٢

(ق)

قرا حضا ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧٥

فسفين ٢٩٣ ، ٢٩٤

صفورية ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢

صقاية ٧٦ ، ١٦٢

الصنمين ١١٤

صور ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩

٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥

صيدا ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٧

(ض)

ضرماعا ٢١٤

(ط)

طبرية ١٩٧ ، ٣١ ، ٢٩٤ ،

٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

طرابلس ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ١٦٢ ،

٢٩٩ ، ٣٠٦

طرسوس ١٧٦

طود ٨٠

الطور ٣٠٢

الطيوانة ٢٦١

(ع)

عدن ٢٥

العدوية ١٨٩ ، ١٩٠

عرابان ٢٠٣

العراق ٣٦ ، ٧٠ ، ١١٨ ، ٢٠٩

عرفات (عرفه) ٢١٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٠

العريش ١٨٢

عزاز ٣٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

٢٢٨

ماردين ٤٦٠ ، ١٢٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢١٦

٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥١

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٥

٣٢٢

المجلد ٥٢ ، ٧١ ، ٨٤

مجلد يافا ٣٠١

مخاضة الحسينية ٢٣١

مخاضة المجلد ٨٤

المخزن ١٤٠ ، ١٤٥

مدرسة الجاروق ٧٠

المدينة المنورة ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٣

مرعش ٧٠ ، ٧١

مرج الصفر ٩٠ ، ١١٤

مرج عدوسة ١٢٤ ، ٢٠١

مرج عيون ١٦٤

مشهد الرمان ٢٠٣

مصر ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٤

٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٤

٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٢

٦٨ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٢

٩٣ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٥

١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٢

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٥٨

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٧٨

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٣

١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٤

٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧

٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٠

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٨٩

٣٢٢

مصياف ١٠٥

المعرة ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٢

معليا ٣٠٢

المغرب ٢٠٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

قرامان ٢٦٤

القببات ٢٣٤ ، ٣١٠

القدس ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠

٢٨٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٧

٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٣

٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٧

٣٢٤ ، ٣٢٩

القسطنطينية ٧٧

قصر السلامة ٢٩١

قلزم ٢١٢

قلعة جعبر ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٤٨

قوص ٢٧٧

القيروان ٢٩٩

قيسارية ٣٠١ ، ٣٠٢

(ك)

الكرك ٦١ ، ٦٥ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٥

٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٥

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ، ٢٨٩

٢٩٦ ، ٣١٢ ، ٣٣١

كفر زمار ٢٦٦

كفر طاب ٨٨ ، ٨٩

الكسوة ٦٦

كوك سو ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٥١

كوكب (حصن) ٣٢٢ ، ٣٢٣

كيسون ٧١

(ل)

اللبوة ٥٦

لويبة ٢٩٩

(م)

مآب ٢٣٣

النطرون ٣٠٨	مكة ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٤
النوبة ٦٨	الملوحة ٣٨
نيسابور ١٢٠	الموصل ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥١ ،
نينوى ٥١ ، ٢٥٩	٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
(و)	٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ،
وادي القري ٤٧ ، ١٨٧	١٤٨ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
وادي بنى حصين ٢٧٧	١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
وادي موسى ١٩٥	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ،
واسط ١٨	٢١٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
الوالدة ٢٤٣	٢٣٨ ، ٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ،
(ه)	٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
الهتاخ ٢٦٣	٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
هرون (درب) ٧٢	٢٩١ ، ٣٢٢
همدان ١٧٤ ، ٢٨٥	منبج ٢٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٣٥
هيت ٥٠	المنبع ٢٣٦
(ي)	ميالمارقين ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ،
يبنى ٣٠٨	٢٧٥ ، ٢٨٣
اليمن ٢٤ ، ٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ،	الميدان الاخضر ٢٣ ، ٣١ ، ٦١ ،
١٢٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،	٢٢٤
١٩١ ، ٢٨٤	(ن)
	نابلس ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٣٠٢ ،
	٣١٢
	الناصره ٣٠١
	نصيبين ٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ،
	٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
	٢٦٧ ، ٢٩١

المصكاد

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- ١ — أبو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغانى ، ١٣ جزء ، القاهرة ١٩٢٧ — ١٩٥٠ .
- ٢ — أبو الفدا اسماعيل : المختصر فى اخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٥ هـ .
- ٣ — أبو صالح الارمينى : تاريخ الشيخ أبى صالح تحقيق B. T. Evetts اكسفورد ١٨٩٥ .
- ٤ — أبو ثامة عبد الرحمن بن اسماعيل : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .. الطبعة الاولى — القاهرة ١٢٧٨ هـ . الطبعة الثانية — تحقيق د. محمد حلمى أحمد ، ج ١ القاهرة — ١٩٥٦ ، ج ٢ القاهرة ١٩٦٢ .
- ٥ — أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن ، تحقيق لوف جرن ليدن ، ج ١ ١٩٣٦ ، ج ٢ ١٩٥٠ .
- ٦ — ابن الاثير عز الدين : الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، ليدن ١٨٥١ — ١٨٧٦ .
- ٧ — ابن العميد : مختصر تاريخ الطبرى ، مخطوط رقم Laleli 2002 استانبول .. القسم الخاص بالايوبيين ، تحقيق كلود كاهن . B.O.E. ١٩٣٥ .
- ٨ — ابن العبرى أبو الفرج : مختصر تاريخ الدول ، بيروت ١٨٩٠ .
- ٩ — ابن العديم كمال الدين : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، تحقيق د. سامى الدهان ، ٣ أجزاء ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٨ .
- ١٠ — ابن بكرة منصور : كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ١٩٦٦ .

- ١١ — ابن الديبع الشيباني : قرّة العيون في أخبار اليمن الميهون ، مخطوط ، المتحف البريطاني رقم OR. 3265 , Add, 2740
- ١٢ — ابن الديبشي : ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٦٣ .
- ١٣ — ابن الفرائد نصر محمد بن عبد الرحمن : تاريخ الدول والملوك ج ١ ، تحقيق حسن الشماع ، البصرة ١٩٧٦ .
- ١٤ — ابن النعوطي أبو الفضل عبد الرزاق : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ .
- ١٥ — ابن أبي الهيجاء : الاول في تاريخ ابن أبي الهيجاء — مخطوط ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة .
- ١٦ — ابن الحنبلي ابراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، مخطوط ، المتحف البريطاني ، رقم OR. 1371
- ١٧ — ابن الحسين محمد بن يحيى : غاية الاماني في أخبار القطر اليمني ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٨ — ابن حاتم بدر الدين بن محمد : السمود الغالي الثمن في أخبار الغزبايمن ، تحقيق ركس سميت ، كامبردج ١٩٧٤ .
- ١٩ — ابن حوقل : المسالك والممالك ، تحقيق دي خويه ليدن ١٨٧٢ .
- ٢٠ — ابن الجوزي السبكي : مرآة الزمان ج ٨ ، تحقيق جويت شيكاغو ١٩٠٧ .
- ٢١ — ابن خلكان احمد بن محمد : وفيات الاعيان ، في جزعين ، القاهرة ١٨٨٢ ، الترجمة الانجليزية { اجزاء ، باريس ١٨٤٣ — ١٨٧١ .
- ٢٢ — ابن خير الله العمري : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء ، تحقيق سعيد الديوه جي ، بغداد ١٩٥٥ .
- ٢٣ — أبو سمرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن . تحقيق فؤاد مسعيد ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢٤ — ابن شداد بهاء الدين : النواير السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيبال ، الاسكندرية ١٩٦٤ .

- ٢٥ — ابن شداد عز الدين محمد : الاعلاق الخطيرة فى امراء الشمام
والجزيرة ، تحقيق سامى الدهان . دمشق ١٩٥٦ .
- ٢٦ — ابن شاکر الکبتى : فوات الوفیات ، تحقيق محمد محبى الدين عبد
الحميد ، جزءان ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٢٧ — ابن الشحنة محبى الدين أبو الفضل : الدر المنتخب فى تاريخ حلب ،
تحقيق عواد سرکيس ، بيروت ١٩٠٩ .
- ٢٨ — ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، مخطوط نور
عثمانية رقم ٣٤١٦ .
- ٢٩ — ابن القلانسی حمزة أبو يعلى : ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق اميدروز ،
بيروت ١٩٠٨ .
- ٣٠ — ابن ممتى : قوانين الدواوين : تحقيق عزيز سوريال عطية ،
القاهرة ١٩٤٣ .
- ٣١ — ابن منظور الفضل بن مکرم : لسان العرب ٢٠ جزء ، القاهرة
١٣٠٣ هـ .
- ٣٢ — ابن منقذ اسامة : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون
١٩٣٠ .
- ٣٣ — ابن نباتة المصرى : المختار من كلام القاضى الفاضل ، المتحرف
البريطانى مخطوط رقم Add, 1307
- ٣٤ — ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب ، تحقيق جمال
الدين الشبال ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ٢ ١٩٥٧ ، ج ٣ ١٩٦٠ .
- ٣٥ — الباشا حسن : الالقاب الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٦ — البليسى فخر الدين : شرف نامه ، تحقيق د. يحيى الخشاب ،
القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٧ — البغدادى عبد اللطيف : الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة
والحوادث المعاينة بأرض مصر ، القاهرة ١٢٨٦ هـ .
- ٣٨ — البندارى الفتح بن على : شاه نامه ، الترجمة العربية ، ترجمة
عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٣٢ . نصرة الفترة وعصرة القطرة ،
القاهرة ١٩٥٠ .

- ٣٩ — الدوادارى خليل بن ابيك : كنز الدرر وجامع الفهرر : مخطوط
احمد الثالث رقم ٢٩٣٢ .
- الدر المطلوب فى اخبار ملوك بنى ايو ب ج ٧ ، تحقيق د. سعيد
عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ .
- ٤٠ — الذهبى شمس الدين ابو عبد الله محمد : تاريخ الاسلام وطبقات
المشاهير والاعلام ، ٣ اجزاء ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .
- تاريخ الاسلام الكبير ، مخطوط سراى رقم ٢٩١٧ .
- ٤١ — حاجى خليفة مصطفى بن عبد الله : كشف الظنون ، جزءان ،
استانبول ١٩٤١ — ١٩٤٣ .
- ٤٢ — حسن حبشى (دكتور) : نور الدين والصليبيين ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ٤٣ — الحنفى محمد بن اسماعيل : كتاب نهاية السؤل والامنية فى تكميم
الفروسية وامور السلطنة ، مخطوط المتحف البريطانى رقم
Add, 18 - 80.
- ٤٤ — الخزرجى ابراهيم : تاريخ دولة الاكراد والاثراك ، مخطوط
السيمانية حكيم اوغلو على باشا ، رقم ٦٩٥ .
- ٤٥ — الخويطر عبد العزيز (دكتور) : سيرة الملك الظاهر بيبرس ،
(رسالة دكتوراه . لندن ١٩٦٠) .
- ٤٦ — عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ،
القاهرة ١٣٧٨ هـ .
- ٤٧ — العدوى ابراهيم (دكتور) : تاريخ الاساطيل العربية ، القاهرة
١٩٥٧ .
- ٤٨ — العرشى حسين بن احمد : بلوغ المرام فى شرح معك الختام فحين
تولى اليمن من ملك وامام ، القاهرة ١٩٣٩ .
- ٤٩ — العرينى الباز (دكتور) : مصر فى عصر الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٠
مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ .

٥. — عماد الدين الكاتب الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة أهل العصر .

شعراء مصر ، تحقيق د. شوقي ضيف ود. احسان عباس ،
جزءان ، القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٢

شعراء الشام ، تحقيق د. شكري الفيل ، جزءان ، دمشق
١٩٥٥ ، ١٩٥٩ .

شعراء العراق ، تحقيق بهجت الأثرى ، جزءان ، بغداد ١٩٥٥ —
١٩٦٤

شعراء المغرب : تحقيق محمد المرزوقي ، تونس ١٩٦٦ .

البرق الشامى : مخطوط مكتبة بودليان اكسفورد ج ٣ رقم Bruce III
ج ٥ رقم March 425

الفتح القدسي : تحقيق محمد صبيح ، القاهرة ١٩٦٥

نصرة الفترة وعصرة القطرة ، تحقيق هوتسما ، لندن ١٨٨٩ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

Al-Allouche et Ragragi, Catalogue des Manuscrits Arabes de Rabat
Bibliothèque general et Archives du Maroc, Paris, Tome 1,
1954, Tome, 11, Rabat, 1958.

Ashtor, E., — Saladin & The Jews, Hebrew Union College Annual,
XXVI, 1956.

Atiyya, A. S., The Crusades in The Middle Ages, London 1938.
The Crusades, Historiography & Bibliography, London, 1962.
Ayalon, D., Studies on The Mamluk Army, B.S.O.A.S., XV, 1954,

Baldwin, M.W., — Raymon III of Tripoli & The Fall of Jerusalem
1140 - 1178, Princeton, 1936.
The Decline & Fall of Jerusalem, 1174 - 1189.
The Latin States under Baldwin III & Amalric I 1143 - 1174.
In a History of The Crusades ed. K. Setton & M.w. Baldwin,
University of Philadelphia Press, vol. I, Philadelphia, 1955.

Barker, E., — The Crusades, The Legacy of Islam , ed. Thomas
Arnold & A. Guillaume, London, 1960.

Blachere et Sauvaget, J., — Regles pour Editions et Traductions de
Textes Arabes, Paris, 1953.

Bosworth, C., E., — The Islamic Dynasties, Islamic Survey, 5,
Edinburgh, 1967.

Brockelmann, C., — Geschichte der Arabischen Litteratur. 2 vols.,
Weimar, Berlin, 1898.

Browne, E., G., — A Hand List of Muhammadan Manuscripts
Preserved in The Library of The University of Cambridge,
Cambridge, 1890.

Supplementary Hand List, 1922.

A second Supplementary Hand List, A., J., Arberry, Cam-
bridge, 1952.

- Cahen, Cl., — *La Syrie du Nord a L'Epoque des Croisades et La Principaute Franque d'Antioche*, Paris, 1940.
The Historiography of The Seljuqid Period, in "Historians of The Middle East, ed : B., Lewis & P., M., Holt Oxford, 1962.
"The Ayyubids" E.I., New ed., Leiden & London, 1954,
Editing Arabic Chronicals; A few suggestions", Islamic Studies III, 1962.
- Canard, M., — *Fatimids et Burids a l'Epoque du Caliph al-Hafiz le Din Allah*, REI, XXX, 1967.
- Dawes, E., A., — *The Alexiad of Anna Comina*, English trans. London, 1929.
- Delaville le Roux, J., *Les Hospitaliers en Terre Sainte et Chypre, 1100 - 1310*, Paris 1904.
- Dozy, R.P.A., — *Dictionnaire detaille de Noms Arabes*, Amesterdam, 1845.
Supplement aux Dictionnaires Arabes, Leiden, Paris, 1927.
- Eche, Y., — *Les Bibliotheques arabes publiques et semi-publiques en Mesopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age*, Damascus 1,967.
- Ehrenkreutz, A.,S., — *The Place of Saladin in The Naval history of The Mediterranean*, JAOS, IXXV, 1955.
Dar al-Darb, E.I., 2.
"Extracts from The Manual on the Ayyubid Mint in Cairo", B.S.O.A.S., XV, 1952.
- Elisseff, N., Nur al-Din, — *Un grand prince musulman de Syrie au temp des Croisades, 118 - 1174*, 3 vols, Damascus, 1967.
"Hisn al-Akrad", E.I. 2.
- Ernoul, — *La Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresories* ed. M.L. de Mas Latrie, Paris, 1871.

Gabrilie, F., — The Arab Historians of the Crusades, Los Angeles, 1967.

The Arabic Historiography of the Crusades, Historians of the Middle East, ed. B., Lewis & P.M., Holt, Oxford, 1962.

Gibb, H.A.R., — "The Achievment of Saladin".

"The Armies of Saladin".

Studies on Islamic Civilization, London, 1962.

"The Arabic Sources for the life of Saladin" Speculum, XXV, 1950.

"Notes on the Arabic material for the history of the early Crusades" B.S.O.A.,S, VII, 1935.

"Al-Barq al-Shami" The History of Saladin by the Katib Imad al-Din al-Isfahani", W.Z.K.M. Wien, 1953.

Goiten, S.D., — A Mediterranean Society, Economic Foundations vol., I, University of California Press, Berkeley & Los Angeles, 1967.

Grousset, R., — Histoire des Croisades et du Rayaume Franc de Jerusalem, 3 vols., Paris, 1934 - 1936.

Guyard, S., — "Un Grand Maitre des Assassins au temps de Saladin" Journal Asiatique ,IX, 1877.

Helbig, A.,H., — Al-Qadi al-Fadil Der Wazir Saladin, Eine Biographie, Berlin, 1909.

Houtsma, M., Th., — Recueil de Textes Relatifs à L'Histoire des Seljoucides, vol., 2, Leiden, 1889.
"AlBundari" E.I. 2.

Joinvill & Villehardouin, — Chronicales of the Crusades, trans. M.R.B., Shaw. London, 1963.

Kahel, Von Paul., — Eine Wichtige Quelle Zur Geschichte des Sultan Saladin "Die Wolt des Or'ents, Stuttgart, 1947-1952.

Levy, R., Mustawfi, E.I., 1.

Lewis, B., — The Arabs in History, London, 1964.

The Assassins A radical sect in Islam, London, 1967.

"Saladin & the Assassins" B.S.O.A.S., 1953, XV.

"The Arabic Sources for the Syrian Assassins" Speculum, XXVI, 1952.

Lewis & Holt, — Historians of the Middle East, Oxford, 1962.

Michael The Syrian, La Chronique de Michael le Syrien, ed. and trans. J.B., Chabot, 4 vols. Paris, 1904.

Mikhailova, A.I., — Catalogue of Arabic Manuscripts in the Institute Nordov part 3, (History), Leningard, 1965.

Minorisky, V., "Prehistory of Saladin", Studies on Caucasian History London, 1953.

"Kurds" E.I. 1., "Kurdistan" E.I. 1.

Nicoll, A., et Pusey, E.,B. — Bibliothecae Bodleiane Codicum Manuscriptorum Orientalium, 2 vols., Oxonii, 1778.

O'Leary De Lacy, History of the Caliphate, London, 1923.

Pearson, J.D., — Index Islamicus, A Catalogue of Articles on Islamic Subjects in Periodicals & other collective publications, Cambridge, 1958. Suppl. 1, 1962. Suppl. 2, 1967.

Popper, W., — Egypt and Syria Under the Circassian Sultans, 1382 - 1468, Systematic notes in Ibn Taghribardi's Chronicals of Egypt, University of California Publicatoin, Semitis Philology, vol. XV, Berkeley, & Los Angeles, 1955.

Riely-Smith, J., — The Nights of St. John in Jerusalem and Syprus, 150 - 1310, London, 1967.

Rohricht, R., — Regesta Regni Hiersolymitani, 2 vols., New York, 1893 - 1904.

- Rosebault, C.J., — Saladin Prince of Chivalry, London, 1930.
- Rosenthal, F., — A History of Muslim Historiography, Leiden, 1952.
- Runciman, S., — A History of the Crusades, 3 vols. London, 1951.
- Saunders, J.J., — Aspects of the Crusades, Canterbury New Zealand, 1962.
- Sauvaget, J., — Introduction to the History of the Muslim East, Los Angeles, 1965.
- Samil, R.C., — Crusading Warfare, New ed. Cambridge, 1967.
- Smith. G.R., — The Ayyubids & Rasulids, The transfer of Power in 7th - 13th Century Yemen, Islamic Culture, vol. XLIII, No. 3, 1969.
- Stevenson, W.B., — The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.
- William of Tyre, — A History of Deeds Done Beyond the Sea, English trans. E.A. Babcock & A. Krey, Columbia University Record of Civilization, 2 vols. New York, 1943.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٢٩/٣٠٦٢

مطبعة الجبل وى
٢٠٢ شارع النخلة البرلافية - شبرا

